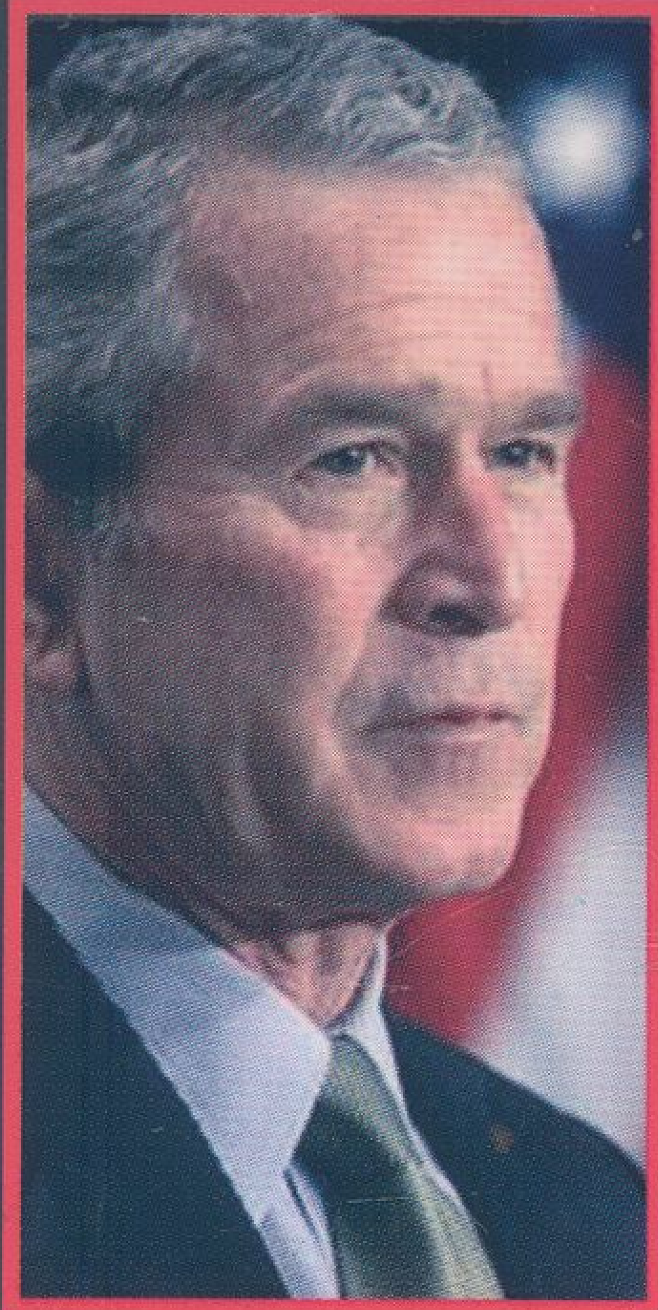
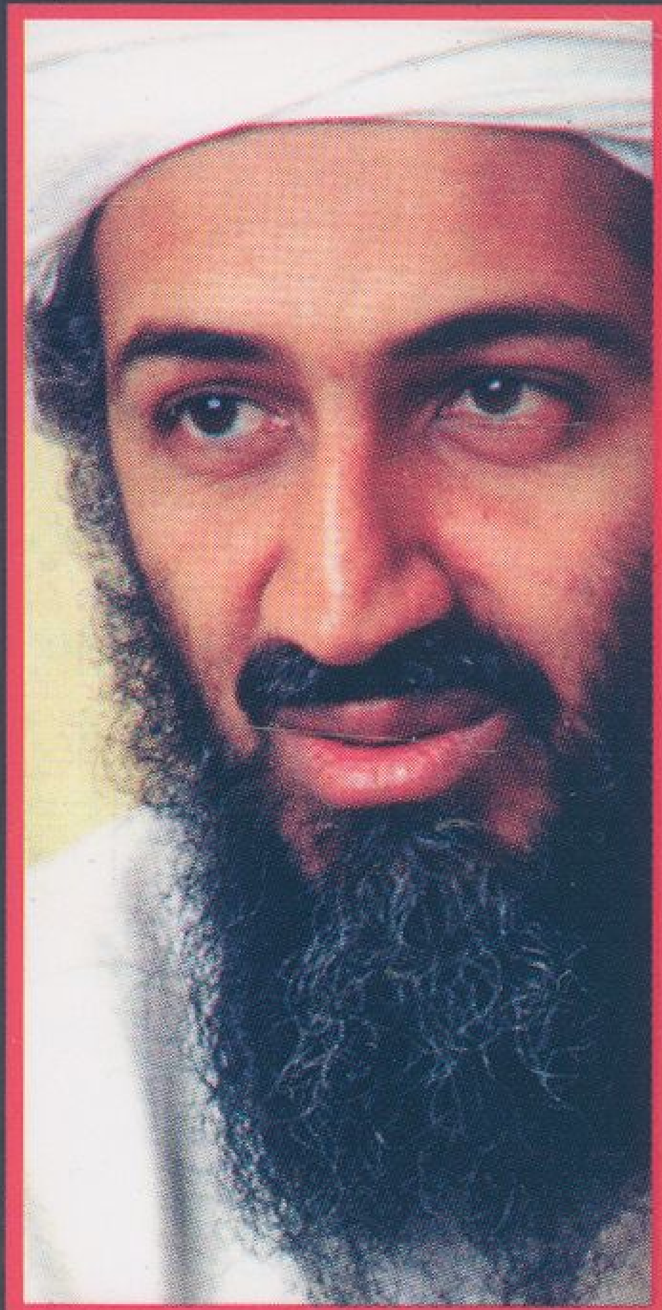






المسيحية الصهيونية

التطرف الإسلامى

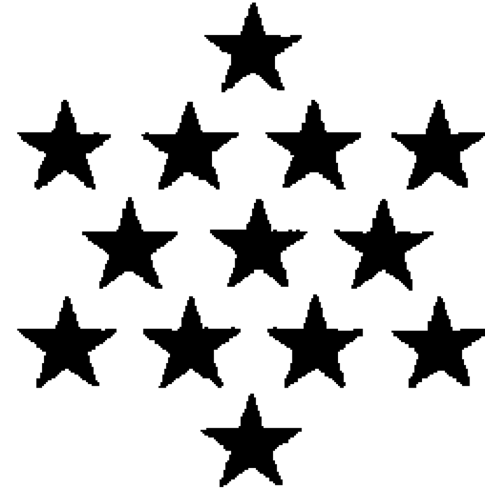
والسيناريو الكارثى!!



مجدى كامل

اهداء ٢٠٠٩

اسرة المرحوم محمد حسن الليثى



المسيحية الصهيونية

والتطرف الإسلامي



المسيحية الصهيونية التطرف الإسلامي والسيناريو الكارثي!!

مجدي كامل

اسم الكتاب: المسيحية الصهيونية والتطرف الإسلامي

اسم المؤلف: مجدي كامل

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٥١٣٢/ ٢٠٠٧

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-302-1

التنفيذ الفني: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفني: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربي - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦ فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

URL: http://www.daralkitab.net

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

المسيحية الصهيونية

والتطرف الإسلامي

◆

تأليف: مجـدى كامـل

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشـق - القاهـرة

إهـــداء

إلي إخوتي وأخواتي من المسلمين والمسيحيين واليهود، الذين يتمسكون مثلي بالحياة، ويرفضون الاستسلام لأعداء الحياة !

مجدي حسين كامل

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

جرت العادة أن نرجع كل ما يشهده العالم من مواجهات بين الشرق المسلم، والغرب المسيحي، خلال السنوات الأخيرة، لهجمات ١١ سبتمبر الإرهابية، التي استهدفت واشنطن ونيويورك، في عام ٢٠٠١. وجرت العادة أيضاً أن نشير إلى هذا التاريخ باعتباره الخطّ الفاصل بين عالمين، عالم يمكن التعايش فيه بين أصحاب الديانات الثلاثة، رغم كل التحديات والمصاعب، وعالم آخر لا يعرف سوى سفك الدماء، وتخريب الممتلكات. ورحنا ندور في متاهات البحث عن تفسيرات لما يجري، خاصة بعد أن بات الصدام المدمر بين أصحاب الديانات الثلاثة وشيكاً – كما تشير كافة الدلائل – وأصبح فناء الكون – كما تبدو الصورة الآن – مسألة وقت !

ولكننا في رحلة البحث عن طوق نجاة، لاحتواء هذه المواجهات المقبلة، لم نتوقف ملياً عند الأصابع الخفية وراء ما يحدث، حتى على الرغم من أن هذه الأصابع بدأت تخرج إلى النور، وتشعل النار في البنزين، لتحرق العالم بأكمله، متلفحة بنبوءات دينية كاذبة، أوفتاوى تكفيرية ما أنزل الله بها من سلطان.

وهناك فريقان يقودان العالم الآن نحو نهايته : الأول ينتمي لتيار بات يعرف في العالم باسم "المسيحية الصهيونية" ويعمل منذ مئات السنين، وفق نبوءات توراتية كاذبة، تحاول تشكيل "ضمير ديني" في الغرب، يسمح بإبادة الشعوب على نحو كامل - بالطبع يأتي المسلمون في مقدمة الشعوب المستهدفة - ويمهد إلى حدوث المجزرة البشرية المأمولة.. والمتمثلة في معركة "الأرماجدون" والتي تمثل – حسب هذه النبوءات – "المقدمة الضرورية للعقيدة الألفية السعيدة، والعودة الثانية للسيد المسيح إلى الأرض، وحكمها - مع من يتبقى من البشر بعد هذه المجزرة - لمدة ألف سنة سعيدة"!!

وباستخدام عمليات غسيل المخ المنظمة، التي تمارسها المسيحية الصهيونية في الغرب أصبح هناك كثيرون يؤمنون بها ويعتقدون أن في تحقيق ما تقول إنه نبوءات دينية خلاصهم وسعادتهم، وبالطبع تعد إبادة شعوب الشرق الأوسط العربية المسلمة الهدف الأسمى للمعركة الأخيرة !

وقد استطاعت المسيحية الصهيونية الوصول إلي البيت الأبيض، أو بيت الرئاسة الأمريكية - نذكر الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون عندما قال في كتابه "الفرصة السانحة ""لقد انتصرنا على العدوالشيوعي، ولم يبق لنا عدو إلا الإسلام" - وضم رؤساء أمريكيين إليها، آخرهم وأكثرهم إيماناً بها الرئيس جورج بوش وزمرته من المحافظين الجدد (المسيحيين الصهاينة) والذي تجاوز في تبنيه لأيدلوجية هذا التيار الفاسدة، الإطار النظري لجده جورج بوش "الجد "الذي قال في كتابه "محمد "الذي كتبه في عام ١٨٣١ يقول : "ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين، فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم".. تجاوز الإطار النظري، وبدأ يحقق الوعد، بعد أن زعم في بداية عهده، وقبل هجمات سبتمبر أن " الرب ناداني، وأوكل إلي المهمة المقدسة "!!

وبدأ بوش ومن ينتمون مثله لتيار المسيحية الصهيونية، التأسيس والترويج في الغرب لأطروحة الحرب العالمية الحتمية وهي ببساطة الحرب ضد الإسلام والمسلمين "أعداء الرب "باسم الحرب على الإرهاب ! ولم تكن حرب أفغانستان، أو العراق، سوى بداية لتحقيق الوعد، أوالنبوءة، ولم تكن هجمات سبتمبر سوى الذريعة، التي طال انتظارها !!

ولكن نستطيع القول أنه لولا التطرف الإسلامي، وما تولد عنه من إرهاب، لما وجد المسيحيون الصهاينة مادة – طال انتظارها – تساعدهم في غسل أدمغة مسيحيي الغرب، وتأليبهم على المسلمين. نعم هذا الخراب الفكري الذي يقوده تيار "المسيحية الصهيونية "– كما سنبين لاحقاً –يغذيه الآن تيار آخر هوالتطرف

الإسلامي، ويقدم له الذريعة لإبادة المسلمين، باسم محاربة الإرهاب، الذي أنتجه هذا التيار !!

ويشترك أبالسة "المسيحية الصهيونية" وشياطين "التطرف الإسلامي" في إعادة تفسير النصوص الدينية بطريقة تحض بشكل مباشر على إبادة الآخر.

وهكذا اشترك المتطرفون المسيحيون واليهود والمسلمون – معاً – في جر العالم لحرب وشيكة مدمرة. وبدلاً من أن يتوحد المسلمون لمواجهة هذا الخطر الداهم، ويحاولوا استقطاب قوى العقل والمنطق في الغرب، ممن يرفضون المسيحية الصهيونية، واختطافها للدين المسيحي، انشغل المسلمون بانقساماتهم، واستسلموا للمؤامرة شعوباً وحكومات، وخرجت من بين صفوفهم جماعات، تحاول اختطاف الدين الإسلامي.. تعتنق الفكر التكفيري، وتقتل وتخرب وتدمر باسم الإسلام، لتقدم إلى من يتربصون بالإسلام ما يعملون من خلاله علي تجبية الغرب المسيحي، واستقطاب شعوبه، لتسويق فكرة "العدو المشترك" وهو "الإسلام" !!

وهكذا نجد أنفسنا أمام نوع من تحالف لطرفي نقيض "المسيحية الصهيونية" و"التطرف الإسلامي"، بحيث أصبح كل طرف سندا للطرف الآخر، ويعزز كل طرف خطاب الطرف الذي يريد إزالته. وقد جرتنا سنوات المواجهة بينهما إلى ما يمكن تسميته الآن بـ "مقدمات المواجهة الأخيرة" التي يحلو للبعض تسميتها بالحرب العالمية الرابعة، بينما التسمية الصحيحة لها في اعتقادي هي "حرب فناء الكون" !!

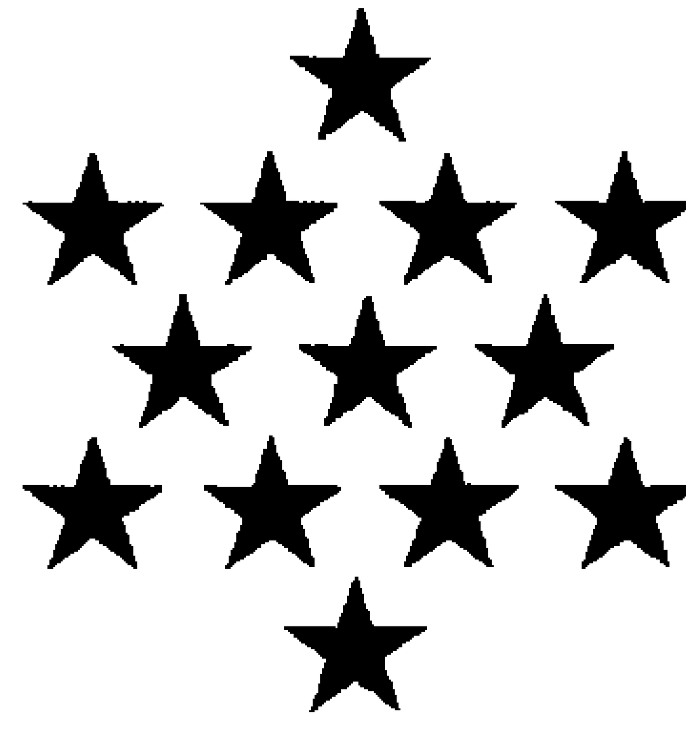
وهذا الكتاب يحاول تسليط الضوء على هذين المعسكرين، الذي يغذي كل منهما الآخر.. المسيحيون الصهاينة يشعلون غضب الشباب المسلم.. والشباب المسلم يندفع إلى التطرف، ويقدم صورة مؤلمة عن الإسلام والمسلمين، لا تصب إلا في صالح الفريق الأول، الذي يستخدم النماذج المسلمة المغيبة والمضللة المتطرفة والإرهابية لتشويه صورة الإسلام، معتمداً على صور ومشاهد قتل الأبرياء في أفظع الهجمات الإرهابية، ليس فقط في الغرب المسيحي، كهجمات سبتمبر ضد واشنطون

ونيويورك، وتفجيرات مدريد ولندن وإنما أيضاً في الشرق المسلم نفسه كتفجيرات الرياض في السعودية وتفجيرات سيناء بمصر والدار البيضاء بالمغرب واسطنبول بتركيا وبغداد ومدن أخرى بالعراق !!

وفي الكتاب أيضاً محاولة لتقديم رؤية جديدة لسبل المواجهة، لتفادي ما يجر الفريقان العالم إليه، مع تحديد مسئولية بعض الحكام المغيبين، وبعض أنظمة الحكم الغبية في الشرق والغرب، عن هذا الخراب الوشيك، وآلية التصحيح المرجوة.

وهنا سننقل ما يراه كبار المفكرين والكتاب المسلمين والمسيحيين واليهود أيضاً من سبيل من وجهة نظرهم لنزع فتيل الحرب الوشيكة !!

مجدي حسين كامل



المسيحية الصهيونية والتطرف الإسلامي وحرب فناء الكون المقبلة !!

"ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين، فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم"

من كتاب جورج بوش الجد "حياة محمد" - ١٨٣١

المسيحية الصهيونية والتطرف الإسلامي

وحرب فناء الكـــون المقبلة !!

استجابة لمشيئة الرب!!

يبدو العالم الآن على مشارف حرب جديدة.. ولكنها ستكون – فيما يبدو– الأخيرة أو بمعنى آخر ستكون حرب نهاية الكون.. وتشير كافة الدلائل علي أن هناك الآن تأسيا لهذه الحرب المدمرة، التي طالما كانت حلم ما يعرف في العالم بـ "المسيحية الصهيونية "، والتي ما كان ليقدر لها أن تحظى بشعبية في الغرب – كما هي عليه الآن، لولا أن منحها المتطرفون الإسلاميون، الذين قدموا للعالم نماذج إرهابية، لم يألفها من قبل، الذريعة، والوقود اللازم لتجبية العالم الغربي ضد الإسلام والمسلمين استعداداً لهذه الحرب، التي لن تترك أخضر ولا يابساً.

وفي غفلة من الأغلبية النائمة أو الصامتة، أو المتخاذلة، أو حتى المسالمة من المسلمين والمسيحيين مع قلة من اليهود أيضاً - رغم رفضهم تدمير الآخر باسم الدين وفق نبوءات كاذبة، وفتاوَى تكفيرية ما أنزل الله بها من سلطان - اختطف المسيحيون الصهاينة الكتاب المقدس، وأعادوا صياغته (تحريفه) ليفي بالغرض، ويبرر قتل المسلمين، باعتبار هذه الجريمة النكراء ما هي إلا استجابة لمشيئة الرب. ونفس الشيء قام به التكفيريون الإسلاميون، الذين اختطفوا مفهوم "الجهاد "في الإسلام، وسلخوه من سياقه، وجعلوا منه دستورهم الشيطاني للقتل والخراب والدمار.

وقد استطاع المحافظون الجدد ، أوالمسيحيون الصهاينة يتقدمهم الرئيس الأمريكي جورج بوش، الذي زعم أن الرب ناداه، وأوكل إليه المهمة المقدسة، ومن ينتمون مثله لتيار المسيحية الصهيونية، التأسيس والترويج في الغرب لأطروحة الحرب العالمية الحتمية وهي ببساطة الحرب ضد الإسلام والمسلمين "أعداء الرب" باسم الحرب على الإرهاب !

الغريب أن المسيحيين الصهاينة لم يجدوا صعوبة، وخاصة في السنوات الأخيرة لإيجاد من يسايرهم من المسلمين في التأسيس لهذه الحرب، حيث تبنت الجماعات الإرهابية، والحركات المتطرفة في العالم الإسلامي، نفس الفكرة الشيطانية، وخاصة تنظيم القاعدة الإرهابي ، الذي يقول أيضاً بأنه يتعين علي المسلمين إعداد العدة للقضاء علي الغرب الكافر في حرب عالمية واستئصال اليهود والصليبيين " أعداء الله "!!

وهكذا نجد أنفسنا وفق هذا المفهوم أمام نوع من تحالف طرفين متناقضين ومتطرفين "المسيحية الصهيونية والتطرف الإسلامي "، في بنيان عقائدي يشكل فيه كل طرف سندا للطرف الآخر، ويعزز كل طرف خطاب الطرف الذي يريد إزالته. وقد جرتنا سنوات المواجهة بينهما إلى ما يمكن تسميته الآن بـ "مقدمات المواجهة الأخيرة "التي يحلو للبعض تسميتها بالحرب العالمية الرابعة، بينما التسمية الصحيحة لها في اعتقادي هي "حرب فناء الكون "!!

وهكذا اشترك المتطرفون المسيحيون واليهود والمسلمون معاً في جر العالم لحرب وشيكة مدمرة. وبدلاً من أن يتوحد المسلمون لمواجهة هذا الخطر الداهم، ويحاولون استقطاب قوَى العقل والمنطق في الغرب، ممن يرفضون المسيحية الصهيونية، واختطافها للدين المسيحي، انشغل المسلمون بانقساماتهم، واستسلموا للمؤامرة شعوباً وحكومات، وخرجت من بين صفوفهم جماعات تحاول اختطاف الدين الإسلامي.. تعتنق الفكر التكفيري، وتقتل وتخرب وتدمر باسم الإسلام، لتقدم إلي من يتربصون بالإسلام ما يعملون من خلاله علي غسل أدمغة الغرب المسيحي، واستقطاب شعوبه، لتسويق فكرة "الغدوالمشترك "– الإسلام !!

وقد كانت طبيعة تطلعات اليهود إلى هذه المنطقة تحتم أن يكون الصراع مع العرب المسلمين صراعا دينيا.. وليس صراعا سياسيا.. صراعاً وظفت فيه إسرائيل "الدين "بعمليات غسيل المخ المنظمة . لدفع هذا العالم الغافل لكي يقوم بإبادة

شعوب هذه المنطقة وتدمير مدنها، أوعلى الأقل تأهيل هذا العالم - نفسيا وفكريا- لقبول هذه الإبادة، إذا ما قامت هي ـ بنفسها ـ بهذا الدور !

ولهذا أصبحت الصواريخ النووية الإسرائيلية، وربما الهيدروجينية الآن موجهة إلى عواصم ومدن الدول العربية ولا ينقص سوى الضغط على الأزرار، لكي يتحقق حلم بني إسرائيل في تدمير مدن هذه المنطقة.. وإبادة شعوبها ليرثوا الأرض، وما عليها، إلى الأبد!

ولكن ـ بديهي ـ يلزم تأييد الغرب على هذا الفعل التدميري الهائل. ومحال أن يأتي هذا التأييد سياسيا ولكنه يمكن أن يأتي دينيا وعقائديا. وهنا تطفوحركة إسرائيل ـ والتي تمارسها منذ فترة طويلة جدا ـ إلى السطح.. لتأهيل هذا العالم الغافل لقبول مثل هذه الأحداث.. باستخدام عمليات غسيل المخ المنظمة التي تجريها على جموع هذا الغرب.. حتى جعلته يعتقد في أن خلاصه وسعادته.. لن يتحققا إلا بتدمير مدن هذه المنطقة وإبادة شعوبها بالمعركة المرتقبة.. "معركة الأرماجدون"!

وهذا الخراب الفكري يقوده تيار "المسيحية الصهيونية "- كما سنبين لاحقاً- ويغذيه تيار آخر هوالتطرف الإسلامي، ويقدم له الذريعة لإبادة المسلمين، باسم محاربة الإرهاب، الذي أنتجه هذا التيار !!

ويشترك شياطين " المسيحية الصهيونية "و"التطرف الإسلامي "في إعادة تفسير النصوص الدينية بطريقة تحض بشكل مباشر على إبادة الآخر.. وفي الغرب أدى هذا إلى تشكيل "ضمير ديني "يسمح بإبادة الشعوب على نحوكامل ويمهد إلى حدوث المجزرة البشرية الهائلة والمتوقعة.. والمتمثلة في معركة الأرماجدون، والتي تمثل "المقدمة الضرورية للعقيدة الألفية السعيدة، والعودة الثانية للسيد المسيح إلى الأرض، وحكمها ـ مع من يتبقى من البشر بعد هذه المجزرة ـ لمدة ألف سنة سعيدة"!!

والعقيدة الألفية السعيدة هى العقيدة التي تنادي بالعودة الثانية للسيد المسيح إلى الأرض.. وحكمها لمدة ألف سنة مع الأبرار من المسيحيين. وترجع أهميتها لا لكونها المحرك الأول في قضية الصراع "العربي - الإسرائيلي" في المنطقة العربية وحدها، بل لكونها - أيضا - القضية التي سوف يمتد أثرها لتشمل البشرية بأسرها. ففي الحقيقة وكما سنرى ؛ أن هذه العقيدة الألفية السعيدة يمكن أن تكون المسئولة المسئولية المباشرة عن قيام حرب عالمية كونية (معركة الأرماجدون).. وتدمير البشرية بأسرها (إنسان وحضارة) تحت دعاوى فكرية أسطورية وخرافية لا أساس لها من الصحة!

إذن نحن أمام صراع نجح فيه الشيطان في التنكر في زي الأنبياء والقديسين ليوحي للبشرية بالسعادة والخلاص.. بينما.. لا يقودها إلا إلى الدمار والخراب. والهلاك وعلى نحوأبدي !!

ومن هنا يدور الحديث بين الإنجيليين في أمريكا ممن ينتمون إلي تيار المسيحية الصهيونية عن نهاية العالم في معركة أرماجدون، ويكفي أن نطالع ما صرح به سيناتور جمهوري في الكونجرس، هوتوني تانكريدو، بأنه لوضرب الإرهابيون المسلمون أمريكا فإن علينا ليس إلقاء القنابل النووية عليهم العين بالعين والسن بالسن، بل يجب تسوية مدنهم المقدسة بالتراب !!

وفي تقرير سنوي صدر في يوليو١٩٩٥، عن معهد أبحاث السلام في السويد، ذكر فيه أن إنتاج وتطوير الأسلحة النووية قد توقف في العالم باستثناء إسرائيل والهند اللتين تواصلان إنتاج البلوتونيوم لصالح الأغراض العسكرية. وقد قدر التقرير أن مخزون إسرائيل من البلوتونيوم الصالح للأغراض العسكرية بنحو(٤٤٠) كيلوجراما والهند بنحو(٣٥٠) كيلوجراما. ومازالت إسرائيل مستمرة في تطوير برنامجها النووي لصنع القنابل الهيدروجينية (وربما أنتجتها الآن) مدعومة في هذا من الولايات المتحدة الأمريكية!

ويقول الدكتور "شاى فيلدمان "الخبير الإسرائيلي في الشؤون الإستراتيجية في كتابه : "الردع النووي الإسرائيلي "عن قدرة إسرائيل النووية على الانتقام : "إن أعظم ميزة واضحة في الدول العربية هي تجمع الأهداف الحيوية فيها.. فيما لا يزيد عن ٣ - ٥ مناطق ذات قيمة استراتيجية في كل دولة.. حيث يتجمع فيها أهم المنشآت والتجمعات السكانية والمراكز العلمية والصناعية والتجارية والسياسية والدينية ". وبتدمير هذه المناطق سوف يترتب عليه تدمير ٢٠ - ٣٠ ٪ من سكانها.. إلى جانب أن هذا التدمير سوف يترك أثرا بعيد المدى على الدول التي تتعرض لهذه الضربات النووية.. نظرا لأن آمال هذه الدول تتركز في المحافظة على هذه الأهداف المحدودة.. من أجل مستقبل أفضل. ويضيف فيلدمان : "إن إسرائيل عندما تريد مهاجمة الدول العربية فإنها تقصد بذلك : مصر ـ سوريا ـ العراق ـ الأردن ـ السعودية ـ ليبيا وأن أماكنها المختارة في تلك الدول هي كالآتي : مصر : القاهرة - الإسكندرية ـ الجيزة ـ أسوان (السد العالي). سوريا : دمشق ـ حلب ـ حمص. العراق : بغداد ـ البصرة ـ الموصل. الأردن : عمان ـ الزرقاء ـ أربد. ليبيا : طرابلس ـ بني غازي. السعودية : الرياض ـ جدة ـ مكة ـ الطائف.

ويضيف قائلا.. إن ضرب السد العالي نوويا ـ في مصر ـ سوف يؤدي إلى حدوث فيضان هائل يتسبب في إغراق وادي النيل.. ويدمر المدن والقرى فيه.. ويحدث تلوثا للأرض والكائنات الحية بالغبار الذري الذي سوف يحمله ماء الفيضان. كما وإن وجود صحراء سيناء كفاصل واسع بين إسرائيل ومصر يجعل الإسرائيليين قادرين على ضرب أهداف مصرية في الدلتا والوادي دون أن يخشوا تلوث أرضهم بالغبار الذري..!!!

وفي مقال - تحت عنوان "إسرائيل الكبرى" - نشرته مجلة "كيفونيم" Kivonim التي تصدرها "المنظمة الصهيونية العالمية" في القدس (عدد ١٤ فبراير ١٩٨٢) - وهي النشرة الناطقة الرسمية باسم هذه المنظمة اليهودية العالمية - تستعرض المنظمة الصهيونية العالمية بعضا من استراتيجية إسرائيل. وهدا النص يعري

نوايا وخطط ومؤامرات اليهود والدولة اليهودية لتفتيت وتمزيق كل الدول العربية والإسلامية. إلا أن مؤامرات كبرى على هذا النطاق الواسع - بالإضافة إلى ضعف الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث - لا تشكل مجرد عنترية صهيونية - بل إنها تشكل خطرا حقيقيا لنشوب حرب عالمية ثالثة قد يستتبعه التورط في حرب نووية قد تؤدي الى انتحار كوكبنا الأرضي!

إن هذه الخطط اليهودية الشيطانية لا يقتصر خطرها على جزء محدود من العالم بل إنه يهدد جميع الشعوب تهديدا فعليا نظراً لأن الدويلة اليهودية قد حققت فعلا - حتى الآن - كل ما خططت له. وفي ما يلي، نورد من هذا المقال الصادر عن "المنظمة الصهيونية العالمية"، الفقرات الأكثر دلالة والكاشفة عن أبعاد أحلام اليهود والمعنون بـ"إسرائيل الكبرى" ننشره حرفيا كما نشر في مجلة "كيفونيم" التي تصدرها "المنظمة الصهيونية العالمية" في القدس (العدد ١٤ فبراير ١٩٨٢):

"استرداد سيناء، بمواردها الحالية هوهدفنا الأولي. وعلينا أن نعمل على استعادتها. إن وضع مصر الاقتصادي، وطبيعة نظامها، وسياستها العربية هي قنوات تصب في نقطة واحدة تستدعي من إسرائيل مواجهتها. ومصر وبحكم أزماتها الداخلية، لم تعد تمثل بالنسبة لنا مشكلة استراتيجية، وسيكون بالإمكان، خلال ٢٤ ساعة فقط، إعادتها الى ما كانت عليه قبل حرب يونيو١٩٦٧، فقد تلاشى تماماً وهمها بزعامة مصر للعالم العربي. وقد خسرت - في مواجهة إسرائيل خمسين بالمائة من قوتها. وإذا هي استطاعت الإفادة - في المستقبل المنظور - من استعادتها لسيناء، فإن ذلك لن يغير في ميزان القوى شيئا. كذلك فقد فقدت تماسكها ومركزيتها، وخاصة بعد تفاقم حدة الاحتكاك بين مسلميها ومسيحييها، لذا ينبغي علينا كهدفنا السياسي الأساسي بعد التسعينيات، على الجبهة الغربية، أن نعمل على تقسيم مصر وتفتيتها إلى أقاليم جغرافية متفرقة. وعندما تصبح مصر هكذا مجزأة، وبدون سلطة مركزية سنعمل على تفكيك كيانات دول إسلامية أخرى كليبيا والسودان وغيرهما، ونعمل على تشكيل دولة قبطية في أعالي مصر، وإقامة

كيانات إقليمية انفصالية ضعيفة أخرى في كل البلدان الإسلامية، مما سيبدأ به تطور تاريخي حتمي على المدى الطويل رغم الظواهر. والمشاكل القائمة في الجبهة الغربية حاليا، تقل كثيراً عن مثيلاتها في الجبهة الشرقية. الأن تقسيم لبنان إلى خمسة اقاليم، سيكون مقدمة لما سيحدث في مختلف أرجاء العالم العربي. وتفتيت سوريا والعراق إلى مناطق محددة على أسس المعايير العرقية أو الدينية، يجب أن يكون - على المدى البعيد - هدفاً أولوياً لإسرائيل، علماً بأن المرحلة الأولى منه تتمثل في تحطيم القوة العسكرية لدى هاتين الدولتين. "

والعراق - الغني بنفطه، والفريسة للصراعات الداخلية، هوفي مرمى التسديد الإسرائيلي. وانهياره سيكون - بالنسبة لنا - أهم من انهيار سوريا، لان العراق يمثل أقوى تهديد لإسرائيل، في المدى المنظور. واندلاع حرب بينه وبين سوريا سيسهل انهياره الداخلي، قبل أن يتمكن من توجيه حملة واسعة النطاق ضدنا علماً بأن كل مواجهة بين عرب وعرب، ستكون مفيدة جدا لنا، لأنها ستقرب ساعة الانفجار المرتقب. ومن الممكن أن تعجل الحرب الحالية مع إيران، بحلول تلك الساعة. ثم إن شبه جزيرة العرب مهيأة لتفكك وانهيار من هذا القبيل،، مع منطق بنيتها السياسية الراهنة. وتعتبر المملكة الاردنية هدفاً استراتيجياً لنا في الوقت الحاضر. وهي لن تشكل - في المدى البعيد - تهديداً لنا، بعد تفككها ونهاية حكم الحسين، وانتقال السلطة إلى يد الأكثرية الفلسطينية. وهوما ينبغي على السياسة الإسرائيلية أن تتطلع إليه وتعمل من أجله. إن هذا التغيير سيعني حل مشكلة الضفة الغربية، ذات الكثافة الشديدة من السكان العرب. إذ أن هجرة هؤلاء العرب إلى الشرق نحو الأردن - سلماً أو حرباً - وتجميد وتوقيف نموهم الاقتصادي والدمغرافي، هما ضمانة للتحولات القادمة التي سنفرضها، وعلينا بذل كل الجهود من أجل الإسراع بهذا المسار. ويجب استبعاد ورفض خطة الحكم الذاتي، أوأي خطة أخرى تهدف إلى تسوية أو إلى مشاركة أو تعايش. على العرب الإسرائيليين - وضمنياً كل الفلسطينيين - ان نجعلهم بالقوة يقتنعون أنهم لن يستطيعوا إقامة وطن ودولة إلا

في المملكة الأردنية. ولن يعرفوا الأمان إلا باعترافهم بالسيادة اليهودية فيما بين البحر المتوسط ونهر الأردن.

وفي عصر الذرة هذا، لم يعد ممكناً قبول تزاحم أرباع السكان اليهود داخل منطقة ساحلية مكتظة بآهليها ومعرضة لتقلبات الطبيعة. لذا، فإن تشتيت وإبعاد العرب هومن أولى واجبات سياستنا الداخلية. فيهودا والسامرة والجليل، هي الضمانات الوحيدة لبقائنا الوطني، وإذا لم نصبح الأكثرية في المناطق الجبلية، فيخشى أن يحل بنا مصير الصليبيين، الذين فقدوا هذه البلاد، كما أن إعادة التوازن على الصعيد الدمغرافي والاستراتيجي والاقتصادي، يجب أن يكون مطمحاً رئيسياً لنا. وهذا ينطوي على ضرورة السيطرة على الموارد المائية في المنطقة كلها الواقعة بين بئر السبع والجليل الأعلى، والخالية من اليهود حالياً" (انتهى نص المقال).

وهكذا فإنه في كل عقيدة من العقائد، دينية أو سياسية، صحيحة أو فاسدة، ثوابت لا تتغير، طالما كان هناك من يعتقد بهذه العقيدة وينتمي إليها. وثوابت أية عقيدة من العقائد، ترتبط - عادة - بالمقاصد العليا لهذه العقيدة.

ثوابت العقيدة المسمومة !!

ولما كانت الصهيونية هي عقيدة الحركة اليهودية العنصرية، التي أقامت تحالفاً وشراكة وظيفية مع الاستعمار الغربي ضد وحدة العرب والمسلمين ونهضتهم، فإن بقاء العالم الإسلامي (بما فيه العربي) ضعيفا مفتتاً ومفككاً، هو ثابت من ثوابت العقيدة اليهودية، وشرط من شروط تحقيق مقاصد هذه الشراكة بين اليهود وبين الغرب الاستعماري.

في ضوء هذا، يجب أن نقرأ الفكر اليهودي، الذي يتابع التخطيط والتنفيذ لبقاء العرب والمسلمين كيانات مفككة، ولإضافة تشققات جديدة إلى هذه الكيانات،

وذلك عن طريق تفتيت هذه الكيانات ـ المفتتة أصلاً ـ بواسطة اللعب بأوراق الأقليات الدينية والقومية والعرقية والمذهبية، في طول وعرض العالم الإسلامي، من المغرب إلى باكستان. وهوالمخطط المعلنة تفاصيله ومقاصده منذ إقامة الكيان اليهودي في أربعينيات القرن العشرين ـ فهو ليس نظرية مؤامرة بل المؤامرة بعينها !

ولقد كان المستشرق اليهودي الصهيوني برنارد لويس، الذي بدل جنسيته وموطن إقامته، فأصبح أمريكيّاً بعد أن كان إنجليزيّاً، بعد أن أصبحت قيادة الاستعمار والرعاية للصهيونية بيد أمريكا ـ بعد تفكك الامبراطورية البريطانية ـ كان برنارد لويس أول من خطط وأعلن المشروع التفصيلي لتفتيت كيانات العالم الإسلامي، على أسس دينية ومذهبية وعرقية ـ إثنية ـ منذ إقامة "إسرائيل"، كشرط لبقاء "إسرائيل"!

ولقد نشرت له هذا المخطط مجلة البنتاجون!. نعم، مجلة البنتاجون، التي تصدرها وزارة الدفاع الأمريكية. وفي هذا المخطط التفكيكي، يدعو برنارد لويس، إلى إقامة أكثر من ثلاثين كياناً سياسياً جديداً، تضاف إلى التجزئة التي أحدثتها اتفاقية «سيكس بيكو» ١٩١٦. أما مقاصد التفتيت بالنسبة لـ"إسرائيل"، فيعلنها هذا المستشرق الصهيوني صريحة، عندما يقول: « ونظراً لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من "إسرائيل"، فإنها ـ "إسرائيل" ـ ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل»، فهل نعي ما يحدث على أرض الواقع، في ضوء ثوابت العقيدة اليهودية الصهيونية؟

وفي كتابه الجديد نحوالحرب العالمية الرابعة – على اعتبار الحرب الباردة بين الشرق والغرب الحرب العالمية الثالثة – يفند الباحث الفرنسي باسكال بونيفاس بالتحليل فكرة "الحرب العالمية الرابعة "التي يقول بها أميركيون أساسا في وصفهم الحرب على الإرهاب (الإرهاب الإسلامي طبعا). يقول المؤلف إن الذين انتقدوا ورفضوا بالأمس سياسية الوفاق وعملية هلسنكي وأرادوا إجهاضها بدعوى أن

الاتحاد السوفياتي هوالمستفيد منها قد أخطؤوا في تنبؤاتهم. لكنهم رغم ذلك يستخدمون اليوم نفس الأسلوب التخويفي بشأن العلاقة مع العالم الإسلامي سعيا لفرض استخدام القوة كأسلوب للتعامل.

إن الاستماع إليهم والأخذ بفكرة المواجهة التي يسوقونها سيقودنا جميعاً إلى الكارثة. لذا علينا توخي الحذر، فإذا كان الإرهاب تهديدا حقيقيا فإن سياسة هؤلاء تؤججه. "إن العلاقات بين العالم الغربي والعالم الإسلامي هي بالتأكيد التحدي الإستراتيجي الكبير الذي علينا التصدي له بذكاء وبصيرة لتفادي حدوث صدام الحضارات".

وينتقد المؤلف أطروحة صدام الحضارات لهينتنغتون ويشير إلى أن برنارد لويس هوأول من استخدم عبارة "صدام الحضارات" عام ١٩٦٤ وربطها بالصراع العربي الإسرائيلي.

ويقول الكاتب إن "أطروحة هذا المناصر للسياسة الإسرائيلية (يقصد لويس) بسيطة": "أزمة الشرق الأوسط لا تأتي من نزاع بين دول، وإنما من صدام الحضارات". بمعنى أنه حسب رأى لويس هذا الصراع لن يحل بوسائل سلمية، وإنما بالعسكرية.

وبما أن الرهان هوصدام الحضارات، فإنه ليس للعالم الغربي إلا التضامن مع إسرائيل ضد العدوالمشترك أي العالم الإسلامي. وفي ١٩٩٠ عاد لويس إلى نفس الأطروحة معتبرا ما يحدث "ليس إلا صداما للحضارات".

ويرى أن عبارة "الحرب على الإرهاب" الرائجة منذ سبتمبر ٢٠٠١ توضح كيف تم رفع فاعل غير دولي وغير جغرافي (الإرهاب) إلى مصاف عدوأساسي، وكيف أن هذه الحرب من نوع جديد تحدد كهدف لها نصرا مستحيلا بطبيعته، لأن نهاية الإرهاب تتزامن تقريبا مع نهاية العنف السياسي.

ويوضح المؤلف -مقتبسا عن كاتب فرنسي- أن عبارة "الحرب العالمية الرابعة" دخلت قاموس المحافظين الجدد (في أكتوبر ٢٠٠١) بصدور مقال في مجلة "كومنتري" (المحافظة) لـ إليوت كوهين الذي يقترح فيه عبارة "الحرب العالمية الرابعة" التي هي أدق في رأيه من عبارة "الحرب على الإرهاب".

وفي هذه الحرب يقول كوهين إن العدوليس الإرهاب وإنما الإسلام السياسي. أما جيمس ووسلي المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الأميركية هوالذي جعل هذه العبارة شعبية من خلال مقال نشره عام ٢٠٠٢ وترجمته جريدة "لوموند" الفرنسية وأثار ضجة كبيرة.

وقد اعتبر البروفيسور "إليوت كوهين" – الذي أشرنا إليه من قبل - أن الحرب الباردة ضد الشيوعية كانت الحرب العالمية الثالثة، وأن أمريكا والغرب الرأسمالي قد حقق فيها انتصارًا ساحقًا، وهوما عبر عنه الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون في كتابه المعنون "نصر بلا حرب" وحسب البروفيسور إليوت كوهين أيضًا؛ فإن أمريكا تعتبر نفسها الآن تخوض الحرب العالمية الرابعة ضد العالم الإسلامي تحت اسم مواجهة الإرهاب الإسلامي، وفي الحقيقة فإن الوجدان الغربي الصليبي كان ولا يزال قويًا، وهذا الوجدان الصليبي العميق في تلافيف العقل الغربي وجد الآن من يستغله متمثلاً في عصابة اليمين الأمريكي الجديد التي ركبت إدارة جورج بوش الابن واستغلت أحداث ١١ سبتمبر لنشر أفكارها وتنفيذها حول السيطرة على العالم، ومفاهيم الإمبراطورية الأمريكية الجديدة؛ وهي مفاهيم وأفكار سابقة بالطبع على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث إن فكرة اعتبار العالم الإسلامي خطرًا على الحضارة الغربية فكرة سابقة على أحداث ١١ سبتمبر، وهي فكرة تقليدية في الوجدان الغربي أولاً، وتصاعدت بقوة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي بمناسبة سقوط الخطر الشيوعي وتفكك الاتحاد السوفييتي السابق والمنظومة الاشتراكية الدولية، الأمر الذي جعل الولايات المتحدة تنتقل من الحرب العالمية الثالثة إلى الحرب العالمية الرابعة.

جنود إبليس وفكرة العدو البديل !!

وقد عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق "ريتشارد نيكسون" في كتابه (الفرصة السانحة)؛ حيث اعتبر أن الإسلام سوف يصبح قوة جيوبوليتيكية خطيرة وأنه مع التزايد السكاني والإمكانيات المادية سوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة، وأن الغرب سوف يتحد مع الاتحاد السوفيتي ليواجه هذا الخطر - كان ذلك قبل تفكك الاتحاد السوفيتي-.

ويقول إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني: "إن هناك قوى في أمريكا والغرب نجحت في نشر صورة سلبية عن الإسلام باعتباره خطرًا على الحضارة الغربية"، وقد كتب إدوارد سعيد هذا الكلام عام ١٩٨١ ومن ذلك أن هناك قوى تُهيئ الرأي العام الغربي منذ فترة طويلة لقبول الحرب العالمية الرابعة ضد الإسلام، وعند سقوط الاتحاد السوفيتي السابق بررت مارجريت تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة استمرار وتقوية حلف الناتوبوجود الخطر الإسلامي، وهونفس ما عبّر عنه رئيس مجلس الوزراء الأوروبي الأسبق "جياتي ديميلكس" قائلاً لمراسل مجلة النيوزويك الأمريكية عندما سأله عن السبب في بقاء حلف الأطلنطي بعد نهاية المعسكر الشيوعي: "صحيح أن المواجهة مع المعسكر الشيوعي قد انتهت، ولكن هناك مواجهة أخرى لابد أن نستعد لها وهي مواجهة العالم العربي والإسلامي، وعلى أوروبا أن تحلّ مشكلاتها لتتفرغ لهذا العدوالخطير".

والحقيقة التي لا مراء فيها حتى بصرف النظر عن تصريحات هؤلاء الزعماء والقادة الغربيين وغيرهم وهي كثيرة جدًا بطريقة لا يكاد يعيها الإنسان وربما لا يصدقها من شدة تطرفها وصليبيتها وعنصريتها وغطرستها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن المؤسسة شديدة التأثير في السياسة الأمريكية، وهي المجمع الصناعي العسكري الرأسمالي من مصلحة اختراع الحروب لترويج صناعة السلاح، وكذا فإن التحدي النظري الإسلامي للرأسمالية كفكرة وأيديولوجية أمر

أصبح معروفًا في أوساط المفكرين والمنظرين الغربيين؛ حيث من الممكن أن يتحول الإسلام إلى أيديولوجية للفقراء والمستضعفين، ومن الممكن أن يكون الإسلام جذرًا ثقافيًا للثورة العالمية ضد الرأسمالية خاصة بعد إفلاس الشيوعية، وهي كلها اعتبارات ترشح الإسلام كهدف للحرب العالمية الرابعة وهوما حدث بالفعل.

وقد أحدثت هذه الحرب أشكالاً متنوعة، وما زالت تحمل في طياتها المزيد من الوسائل، وقد تخلت أمريكا والغرب عن أي أخلاق شكلية في إطار هذه الحرب لأنها من وجهة نظرهم حرب، وفي الحرب يسقطون كل الاعتبارات الأخلاقية.

على طبق من ذهب !!

وقد جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ للمسيحيين الصهاينة على طبق من ذهب، بل يمكن القول أنها اختصرت لهم عشرات السنين من الانتظار لجني ثمار مخططاتهم الشيطانية لبلوغ أهدافهم ومؤامراتهم للوصول إلى مراميهم.

وفي الوقت الذي استغل فيه زعماء المسيحية الصهيونية الإرهابي لشن حرب ظاهرها ضد الإرهاب وباطنها ضد الإسلام والمسلمين، لم يفهم العرب ولا المسلمون تداعياتها، ولم يحسنوا التعامل معها، فساعدوا دون أن يدروا هذا التيار في أن يجد أتباعاً له في أمريكا وأوربا، ويعبئ قطاعات عريضة من مسيحيي الغرب ضد الإسلام والمسلمين.

وفي كتابه "العرب والعالم بعد ١١ سبتمبر"، حاول المفكر السوري الدكتور برهان غليون أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة السوربون في باريس، ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر في الجامعة نفسها باستقراء وتحليل طبيعة التحولات التي حدثت في العالم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ومنها تحديد نوعية الاستجابات الدولية لها، وفي مقدمتها استجابة العالم العربي، والبحث في شروط وإمكانية الردّ الفعال عليها.

ويقول غليون إن هجمات الحادي عشر من سبتمبر، قطعت الطريق على نشوء عالم متعدد الأقطاب، وفتحت طريقاً آخر لطفرة حقيقية في حقل العلاقات الدولية، جعلت من كلمة "إمبراطورية "الاسم الجديد للولايات المتحدة الأميركية. كما تجدد الرهان التقليدي على الدولة ودورها المركزي في حياة المجتمعات واستقرارها بعد أن قفزت الترتيبات الأمنية إلى مقدمة الأولويات السياسية الوطنية والعالمية. وأسوأ ما نجم عن هذا التحول، وارتبط به، هوتراجع معايير الديمقراطية، وتدهور ممارستها في العديد من البلدان المركزية.

وقد أكد الرئيس بوش في أكثر من مناسبة بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ أن "حربه على الإرهاب" ليست موجهة ضد الإسلام. فقد قام بزيارة بعض المساجد ودعا وجهاء الطائفة الإسلامية إلى البيت الأبيض، وامتدح الإسلام كدين تسامح وسلام. لكن قليلين من المسلمين اقتنعوا بإخلاصه وبحسن نيته.

ولكن إشارات عديدة – كما كتب الكاتب البريطاني المتخصص في شؤون الشرق الاوسط باتريك سيل تحت عنوان يقرأ : هل أعلنت إدارة بوش الحرب على الإسلام؟ – جاءت تثبت عكس ما يقول وأنه وجماعة المحافظين الجدد الذين يرسمون السياسة في واشنطن يتصورون بأن معركتهم هي عبارة عن نزاع شامل بين قوى "الديموقراطية" و"أعداء الحرية"، بين "الحضارة" و "الهمجية"، بين الغرب والإسلام. ويبدوأنهم ابتلعوا نظرية هنتينغتون المريبة حول "صراع الحضارات" وجعلوا منها الأساس العقائدي لسياسة أميركا الخارجية.

وعليه، فإن السؤال الذي يطرح نفسه والحالة هذه هو: هل الحرب في أفغانستان والعراق، ومطاردة الإرهابيين حول العالم بأسره، ما هي إلا المناوشات الأولية لحرب طويلة بين الإمبراطورية الأكبر والديانة الأكثر نمواً في العالم؟ فقد أشار بوش نفسه أن الحرب قد تستمر لأجيال عدة، شأنها شأن الحروب الدينية التي هزّت العالم في القرون الماضية، فقد قال بوش حرفياً بأن "النصر قد يأتي بعد يوم أو شهر أو سنة

أو عشر سنوات". وجاء الصدى لأقوال بوش وبلاغته الرسولية على لسان توني بلير رئيس الحكومة البريطانية إذ عاهد على أنه سوف "يكمل المهمة"، مهمة القضاء على الإرهاب الإسلامي مهما طال الزمن. ويبدوأننا بين هذا وذاك على موعد مع حرب لا نهاية لها.

ولا شك أن وصول الرئيس بوش إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية في يناير ٢٠٠١ إنما يمثل وصولا لليمين المسيحي للمشاركة في الحكم ويعني بكل وضوح دعما مطلقا لإسرائيل، ويعلن أنصار هذا الاتجاه ضرورة ألا تقحم الإدارة الأمريكية نفسها في محادثات السلام، وأن تأييد إسرائيل مسألة يأمر بها الكتاب المقدس بل يشجعون إسرائيل على ضرورة الحفاظ على الأراضي الفلسطينية لأن الله يأمر بذلك.

ولعل قدرة اليمين الديني والصهيونية الدينية في أمريكا على التنظيم قد سمحت بطريقة منهجية أن تحصل على الدعم من كل المستويات التنظيمية في الدولة فلا يمكن إغفال تأييد دعم غالبية حكام الولايات الأمريكية، حيث أعلن ٤٢ حاكم ولاية في يونيو الماضي "أن شعبي الولايات المتحدة وإسرائيل بنيا صداقة على القيم المتبادلة من التسامح والحرية والديمقراطية، وعندما تستهدف هذه القيم في مكان ما، فإنما هي مستهدفة في كل مكان".

وحتى الآن لم يتمكن التيار الرئيسي في الجسم الإنجيلي من التصدي للتيارات الأصولية والمتصهينة التي تتعاون مع جماعات الضغط اليهودية في استمرار التعبئة لصالح إسرائيل حيث تتلاقى الطروحات السياسية بالتفسيرات الدينية على قاعدة "الوعد والأرض والملك".

ونجد أن المتشددين الأمريكيين قد أطلقوا مع مطلع ٢٠٠٢ حملة عنوانها: "تبني مستوطنة"، حيث يزعمون أن الله وهب الضفة الغربية وغزة للشعب اليهودي في الأزمنة القديمة.

وفي الأسبوع الأخير من شهر أبريل ٢٠٠٢ قال نائب زعيم الأغلبية في مجلس النواب توم ديلاي: "إن كل الضفة الغربية، التي دعاها يهودا وسامرا (بحسب الأدبيات التوراتية) تخص إسرائيل".

وكما شيد هنتنغتون أساس نظريته "صراع الحضارات"، بشكل عام، على ملاحظة "تدرج الحروب عبر التاريخ" (المقال السبق)، يبني دعواه عن "الصراع" الحتمي بين "الإسلام والغرب" على "تاريخ الحروب" بين العرب والإسلام من جهة، والغرب من جهة أخرى. وهكذا يقرر أن تاريخ العلاقة بين الغرب والعرب، بين المسيحية والإسلام، هوتاريخ سلسلة من الحروب المتجددة، تاريخ تفاعل عسكري. وهذا "التفاعل العسكري، بين الغرب والإسلام، والذي يعود تاريخه إلى قرون لن يتلاشى، بل لعله سيشتد ويصبح أكثر اشتعالا".

ويتوافق هذا مع التحليلات التي لم يفتأ يبشر بها فريق من "المحللين الاستراتيجيين"، في الولايات المتحدة الأمريكية، بتشييد إمبراطورية إمبريالية أمريكية من جهة، والنظرية التي روج ويروج لها فريق آخر منهم، والتي تعتبر "الإسلام" الطرف الذي يجب التصدي له والاصطدام معه باعتباره "العدو" الذي سيقاوم هذا المشروع الأمريكي الإمبريالي!

أما القائمون على المؤامرة فهم مجموعة كبيرة منظمة من جنود إبليس، تضم حفنة من كبار أثرياء اليهود في العالم، بالإضافة إلى حفنة من كبار حاخامات الشرق والغرب، ومن الأسماء التي أطلقها عليهم الباحثون في مؤلفاتهم "حكومة العالم الخفية" و"اليهود العلمانيّون" و"العلمانيّون" الخ... ويعملون بلا كلل أوملل على تدمير الأخلاق والأديان، وإشعال الحروب الإقليمية والعالمية، ويسيطرون على كثير من المنظمات السرية والعلنية اليهودية وغيراليهودية تحت مسميات عديدة، ولهم عملاء ذوو مراكز رفيعة ومرموقة في معظم الحكومات الوطنية لدول العالم، من الذين باعوا شعوبهم وأوطانهم بأبخس الأثمان.

وقد اتهم كتاب أمريكي جديد صدر في نهاية العام ٢٠٠٦، وقام مؤلف هذا الكتاب بترجمته، الرئيس بوش وصقور إدارته بأنهم بلا ضمير. وشبه بوش بالنازي هتلر، بينما شبه نائبه تشيني بالفاشستي موسوليني، وقال إنهما يجران العالم إلى حرب عالمية ثالثة ويعبئان الأمريكيين لقبول استخدام الخيار النووي لتنفيذ مخططات المسيحيين الصهاينة !

ويقول مؤلف هذا الكتاب، الذي اختار له عنواناً يقرأ : "محافظون بلا ضمير" إنه "وثيقة دامغة" تؤكد أن الجيل الثاني من المحافظين في أمريكا والذي يقوده الآن جورج بوش الابن في طريقه لتحويل الولايات المتحدة إلى صورة طبق الأصل من ألمانيا النازية تحت زعامة هتلر وإيطاليا الفاشية بقيادة موسوليني. الكتاب الذي صدر مؤخراً في أمريكا، ويثير ضجة كبري بعنوان "محافظون بلا ضمير ". أما مؤلفه فهوجون دين، مستشار الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون، ويعتبر المؤلف الشاهد الرئيسي في فضيحة "ووتر جيت" التي أجبرت نيكسون على الاستقالة، حيث أقنعت شهادته الرأي العام الأمريكي بتورط نيكسون في الفضيحة، وأنه كان يعلم باقتحام المقر الرئيسي للحزب الديموقراطي، وساعد على إخفاء الأمر. وكانت المواجهة التي تمت بين دين ونيكسون حول قضية ووتر جيت هي النهاية للرئيس الأسبق.

ويأتي دين في مقدمة منتقدي بوش وإدارته وتياره المحافظ ويصنفه غلاة الجمهوريين والمحافظين بـ"عدوهم الأول" ويطلقون نيرانهم عليه في كل وسائل الإعلام والمحافل دون هوادة، وخاصة منذ أن أصدر كتابه: "أسوأ من ووتر جيت: الرئاسة السرية لجورج بوش"، والذي فتح فيه النار على الرئيس وإدارته. كما كان دين قد توجه للإدلاء بشهادته أمام اللجنة القضائية في مجلس الشيوخ لتأييد مشروع قرار لتوبيخ بوش على برنامجه للتجسس الداخلي على مواطنين أمريكيين والذي وضع سرا بعد هجمات سبتمبر.

ويقول دين في مقدمة كتابه إنه حصيلة مراجعته لما يقرب من ٤٠ دراسة أكاديمية

مستفيضة تناولت التيار المحافظ وتطوره على مدى خمسين سنة. ويوضح دين أنه استقى عنوان كتابه الجديد "محافظون بلا ضمير" من تعبير ورد بنفس الاسم في إحدى هذه الدراسات الأكاديمية والتي حال المحافظون الجدد دون خروجها إلى النور لأنها كانت تفضح مخططاتهم.

بوش يعتبر الأخطر لما يمارسه من تلفيق ومؤامرات واستغلال للنفوذ لإخفاء الأجندة السرية لاختطاف الأمريكيين والعالم وضرب الحريات المدنية والدستور.

الكتاب يقدم تفسيرات لتوجهات الجمهوريين الآن ولماذا اختطفوا الحزب الجمهوري وأتباعه إلى طريق الشر وينبه الأمريكيين لخطورة ما يفعله المحافظون.

ويحاول دين – وكما يقول – من خلاله تقديم تفسيرات لتوجهات الجمهوريين الآن ولماذا اختطفوا – على حد تعبيره – الحزب الجمهوري وأتباعه إلى هذا الطريق، كما أنه يدق من خلاله ناقوس الخطر وينبه الأمريكيين الغافلين لخطورة ما يفعله بهم المحافظون والكارثة التي يجرونهم إليها.

ويقول دين إن المحافظين المعاصرين قد أصبحوا متغطرسين للغاية، هجوميين على طول الخط وبضراوة وعدائيين في كل الأوقات وفي جميع أوجه السياسة والحكم. واليوم أصبح لديهم رئيس على شاكلتهم أو في الصورة التي يتمنون. كما أصبح لديهم نظرة تحد واستعلاء للكون والآخرين وكل شيء وراءه نفوس لا تعرف التسامح مع من يعارض أو يرفض توجهاتهم بعد أن اختطفوا الحزب الجمهوري والحكم والسلطة.

ويضيف دين أن هناك الآن حرباً تدور داخل أروقة الحزب الجمهوري بين صقور المحافظين من غلاة التطرف والحمائم من المعتدلين وأن الصقور قد أصبحوا أكثر عدوانية وشراسة في هجماتهم على معارضي سياساتهم أوحتى منتقديهم.

وذهب دين إلى أن هناك محاولات محمومة لإقصاء المعتدلين عن مراكز صنع القرار حيث بات لا فرق بين أعضاء الحزب الرافضين والرافضين من الأحزاب الأخرى.

ويستطرد دين: إن بوش رئيس يشوه حتى رموز المجتمع الأمريكي التي لا تبارك سياساته ويبث الفرقة بين هذه الرموز والشعب ويعرب دين عن قناعته بأن بوش: لم يوحد الأمريكيين وإنما قسمهم ما بين من هو معه ومن ضده وأنه لم يطبق قاعدته العجيبة والشهيرة في الحرب على الإرهاب على العالم فقط وإنما على الأمريكيين من مختلف التوجهات أنفسهم.

ويتابع دين القول بأن حكم بوش يعتبر" الأخطر في حياة الأمريكيين بما يمارسه من تلفيق وتزوير وكذب وتجسس ومؤامرات وانتهاك للديموقراطية وخداع للشعب واستغلال للنفوذ لإخفاء الأجندة السرية المطلوب تنفيذها لاختطاف الأمريكيين ومعهم العالم والتي تشكل خطراً داهماً على الحريات المدنية والدستور.

ويوضح دين أن بوش ورفاقه ليسوا سوى جماعة متشددة في الحزب الجمهوري، تمثل اللوبي اليميني المتطرف، كانت تعمل في الخفاء متسلحة بتراث انتقل من جيل المحافظين الأول إلى الجيل الثاني الذي يمثلونه في صمت شيطاني خارج الدوائر الرسمية حتى جاءتهم الفرصة على طبق من ذهب لكي يقودوا انقلابا بشعاً في التفكير والسياسة الأمريكية ويقبضوا على مقاليد السلطة ومن ثم يتزعمون العالم ويؤسسون لفكرة الإمبراطورية الكونية الجديدة التي يشيدونها من خلال حروب دموية لا يدفع ثمنها الأمريكيون فقط وإنما العالم بأسره.

ويتتبع دين في كتابه - تاريخيّاً - الجذور الأولى لفكر المحافظين الجدد وكيف تتلمذوا على يد ليوشتراوس المفكر الألماني الذي هاجر إلى أمريكا عام ١٩٣٨، ووضع ما سمي فيما بعد بـ"الشتراوسية الليبرالية "التي كانت تمثل هذه الجذور الأولى التي نمت حتى وصلت لما عليه المحافظون الجدد الآن، وكيف كانت الشتراوسية تنادي برفض الحداثة وتفضيل المنطق على التفكير واستخدام الدين للسيطرة على الجموع، واستعمال الكذب والخداع للمحافظة على السلطة وفرض الدين على الجماهير وإبعاده عن الحكام واستعمال القوة للهيمنة على العدائيين من البشر،

من خلال دولة قاهرة ذات قوة رهيبة وفرض القيم الأمريكية على العالم وتسيده بالقوة.

ويروي دين كيف أدى تصاعد الحرب الباردة بشكل مباشر إلى نمو وتقوية تيار المحافظين الجدد، وذلك لأن العداء للشيوعية ورفض تقارب اليسار الأمريكي منها كان يعد بمثابة إحدى ركائز فكر المحافظين الجدد، ومع استمرار الحرب الباردة زاد شعور المحافظين الجدد برفض الشيوعية والاتحاد السوفيتي وزاد شعورهم بالسلبية تجاه موقف النخب الليبرالية الأمريكية المتعاطفة مع الاتحاد السوفيتي والرافضة لتصعيد الحرب الباردة، وزادت رغبتهم في البحث عن حلفاء أمريكيين جدد أكثر رغبة في مواجهة الخطر الشيوعي.

كما أسهمت هزيمة اليمين الأمريكي التقليدي خلال سلسلة انتخابات فدرالية عبر الخمسينيات وأوائل الستينيات أيضاً في تقوية شوكة الجيل الجديد من المحافظين وعلى رأسهم ويليام بكلي مؤسس ومحرر مجلة ناشيونال ريفيو، وهو جيل رفض الجماعات اليمينية العنصرية وسعى لتطوير الخطاب الرأسمالي الأمريكي وتحديثه بشكل قرب بين المحافظين الجدد واليمين الأمريكي الجديد مع دخول السبعينيات.

ويؤكد دين أن عهد نيكسون كان كارثيًا بسبب هيمنة المحافظين الجدد على مقاليد السلطة انطلاقا من إيديولوجيا ذات صبغة دينية. أما عهد ريجان فهوالعهد الذي شهد الحضور الأهم لهم في أي إدارة أمريكية قبل إدارة جورج بوش الابن فقد منحهم ريجان الفرصة لاستعادة مفردات خطابهم الإيديولوجية الدينية وأجندتهم لسيادة نظام عالمي جديد تحكمه الإمبراطورية الأمريكية. وأنه في خطابه الشهير أمام مجلس العموم البريطاني عام ١٩٨٢ وصف الاتحاد السوفيتي بأنه "إمبراطورية الشر" التي على أمريكا وحلفائها إزالتها باعتبارها إمبراطورية الخير التي يجب أن تستميت لكي تهزمها.

وهكذا لعب المحافظون الجدد الذين كان على رأسهم دونالد رامسفيلد وديك

تشني وريتشارد بيرل ودوغلاس فايث وبول ولفوفيتز دوراً بالغ الخطورة، فدفعوا إدارة ريجان إلى تبني سياسة البطش مع الاتحاد السوفيتي من أجل إسقاط النظام هناك.

ثم ينتقل دين إلى حقبة الرئيس بيل كلينتون وبالتحديد في عام ١٩٩٧ عندما قدم هؤلاء للكونجرس ما سُمّي بـ"مشروع القرن الأمريكي الجديد" ولكنهم لم يصلوا إلى مرادهم حيث لم يعرهم كلينتون اهتماماً في هذا الخصوص، كما لم يلقوا آذاناً صاغية من إدارة الرئيس بوش الأب فيما بعد. وكان برنامجهم السياسي ينادي بالأفكار التالية: زيادة ميزانية الدفاع بشكل كبير، وتصدي أمريكا لنظم الحكم المعادية للحرية والديمقراطية، وقيام أمريكا بالدور الأعظم في الحفاظ على النظام العالمي الديمقراطي الحر، والمطالبة باستعمال أقصى درجات القوة في القضاء على النظم الديكتاتورية في العالم، وعدم حصر قيم الحرية والديمقراطية في شعب من الشعوب، أو في بلد من البلدان، والنظر إلى العالم من منظور الصراع بين الخير والشر، وعندما وقعت بعد ذلك كارثة ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي أضافت إلى الخطاب السياسي للمحافظين الجديد ثلاثة بنود جديدة هي: استعمال الضربات الاستباقية وإعلان محاور شر تضم الأعداء تمهيداً لضربهم، وتقسيم العالم إلى أعداء وأصدقاء لا ثالث لهما.

ويقول دين إن أفكار المحافظين الجدد عندما وصلوا مع بوش الابن إلى السلطة كانت معدة - سلفاً - جاهزة ومكتملة ولا يلزمها إلا التنفيذ. ولكنهم اكتشفوا منذ اللحظة الأولى لهم في البيت الأبيض أن أفكارهم الشيطانية لا يمكن فرضها بالبساطة التي كانوا يتصورونها على الشعب الأمريكي فراحوا يبحثون عن ذريعة. وكان عليهم انتظار أو تحين الفرصة للمضي قدماً في تنفيذ مخططاتهم المعدة منذ سنوات وحتى قبل فوز بوش بالرئاسة وكانت هذه الفرصة هي هجمات الحادي عشر من سبتمبر.

فقد مهدت هذه الهجمات الطريق أمام المحافظين الجدد لإحداث انقلاب كبير حيث عسكرة هائلة للعولمة ونقلها من الجوانب الاقتصادية إلى الجوانب الأمنية واستحداث تغييرات هائلة ذات طابع سياسي في الولايات المتحدة على المستوى الداخلي والخارجي، تمهيداً لسيطرتهم وتسيدهم المشهد السياسي واندفاعهم إلى مقدمة الصورة مع أفكار وبرامج سياسية نقلوها إلى حيز التطبيق وأنجزوا جزءا مهما من مشروعهم الشيطاني.

ويقول دين: الآن أصبحت هناك قناعة تامة لي ولدى الكثيرين أن المحافظين الجدد يحاولون الآن تغيير كل شيء في أمريكا يمكن أن يضمن لهم البقاء في السلطة مهما كان الثمن، وأنهم يدركون تماماً أن السبيل الوحيد لذلك هوإبقاء الأمة تحت التهديد الإرهابي وأنه لوزال التهديد أو انكشفت لعبتهم فإنهم سيعملون على اختلاق أوخلق تهديدات جديدة.

ويؤكد دين أن المحافظين الجدد نجحوا في تحويل مشاعر الخوف لدى الأمريكيين بعد هجمات سبتمبر إلى رعب مزمن بدلاً من احتوائها، وذلك لاستثمارها للسيطرة والهيمنة على السلطة وعمل كل ما يحلو لهم حتى لو لم يكن مشروعاً تحت ذريعة حماية أرواح المواطنين الأمريكيين.

ونبه دين إلى خطورة المحافظين الجدد على صورة أمريكا في العالم. لاسيما في ضوء توافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى هي أجندة الأصوليين في اليمين المسيحي الأمريكي وتأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية خاصة في الشرق الأوسط حيث انضموا إلى غلاة المحافظين الجدد في الزج بأمريكا نحوشن الحرب في العراق.

ويمضي جون دين في كتابه حيث يؤكد عن قناعته بأن بوش والمحافظين الجدد وعلى رأسهم نائبه ديك تشيني ومعهم العناصر المتطرفة في الحزب الجمهوري في أمريكا يسيرون بالبلاد في نفس الطريق الذي سار فيه أدولف هتلر في ألمانيا وبينتوموسوليني في إيطاليا وانتهى في الثلاثينيات بصعود النازية والفاشية.

ويقول المؤلف إن مكمن الخطورة هوأن ٢٣٪ من الجمهوريين ومعهم ما يقارب الـ٣٥٪ من المتطرفين من جميع الاتجاهات في أمريكا قد أصبحوا يسيرون معصوبي الأعين وراء بوش ومحافظيه غلاة التطرف، ويتهم دين المحافظين بتدمير الحزب الجمهوري والديموقراطية الأمريكية.

ويعقد دين في كتابه مقارنة بين ما يسميه بـ"الحالة النفسية" التي كان عليها الشعب الألماني بعد الحرب العالمية الأولى ورغبته في الثأر ورد اعتباره بعد تعرضه للهزيمة والإذلال وإذعانه لشروط المنتصرين، ونفس "الحالة النفسية" التي كان عليها الشعب الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا.

ويقول دين في كتابه: "إنه وكما عزف الحزب النازي بزعامة هتلر في ألمانيا على هذه "الحالة النفسية" وزكاها واستغلها للانفراد بالسلطة وإقامة حكم شمولي قبل الدخول بالعالم في حرب عالمية ثانية، هاهو بوش والمحافظون الجدد يفعلون نفس الشيء وقد يجرون العالم إلى حرب عالمية ثالثة".

ويحذر دين في كتابه من أن "المحافظين الجدد وعلى رأسهم بوش وتشيني ومعهم آلة إعلامية رهيبة يعبئون المجتمع ويجيشونه لتقبل مشروعاتهم العسكرية للهيمنة على العالم لدرجة تسمح حتى بقبولهم اللجوء إلى "الخيار النووي"!

ويقول دين: إنه كما فعل ستالين في روسيا السوفيتية يفعل بوش الآن في أمريكا حيث تحول الحزب الجمهوري إلى ما يشبه الحزب الشيوعي والمحافظون الجدد يسيرون على خطى الشيوعيين، وبمعنى أوضح سنجد الحزب الجمهوري الآن - كما الشيوعي - حيث وجود أيديولوجية رسمية تعتنقها النخبة الحاكمة والحزب وتتخذها ركيزة لسياسات الدولة داخليا وخارجياً، وهي تمثل إطارا فكريا متكاملا يبلور ويحدد الغايات النهائية للمجتمع ويقدم تفسيرا للواقع الاجتماعي وتتداخل اختصاصاته مع اختصاصات جميع هيئات ووزارات ووكالات الدولة.

ويؤكد دين أنه إذا كان المحافظون يزعمون بأن القوة العسكرية وليس الدبلوماسية أو العدالة أو الشرعية الدولية هي الأداة الأساسية لمواجهة الشر أو الإرهاب، فإن هذه العقيدة المغلوطة ستؤدي إلى العكس بل ستكون السبب الرئيسي في انهيار كل ما حققته أمريكا منذ نشأتها من مكتسبات.

ويقول دين إنه يتعين على المحافظين الجدد وقف "المارشات العسكرية" و"سياسات الترويع"، واستغلال ورقة "الحرب على الإرهاب"، و"التباين الديني" على نحو يؤدي إلى خلق جماعات إرهابية جديدة كنتيجة للسياسات الأمريكية.

وتوقع دين في كتابه أن يستفيق أنصار ومؤيدو المحافظين الجدد من غفوتهم مع الوقت عندما يدركون أن ما يفعلونه من شأنه تحويل أمريكا إلى دولة أخرى أبعد ما تكون عن الديموقراطية يحسب فيها النظام على مواطنيه حركاتهم وسكناتهم التي يضعها تحت ميكروسكوبه في جوخانق لا مكان فيه للحرية أو الديموقراطية.

ويتناول دين في كتابه الخطاب السياسي والديني للمحافظين الجدد والذي نجحوا به في خداع الأمريكيين - كما نجح هتلر ودعاياته في خداع الألمان - وساعدهم على ذلك هيمنتهم على وسائل الإعلام حيث زرعوا أنفسهم فيها باعتماد لغة المصالح المتبادلة مع مالكيها ومسؤوليها.

ويستدعي دين جانباً من الدراسات التي تؤكد كيف تفوق المحافظون الجدد على سائر الجماعات الأخرى في إعداد الاستراتيجيات وفي كل شيء يساعد على نشر المعلومات نحو الرأي العام ووسائل الإعلام التي من شأنها أن تؤثر على الكونجرس الأمريكي. وتفيد دراسة نشرتها جمعية مراقبة وسائل الإعلام الأمريكية أن أكثر من نصف المعلومات التي نشرتها وسائل الإعلام من إنتاج مجموعات التفكير التابعة للمحافظين الجدد، إلا أن تأثيرهم سرعان ما شهد ارتفاعا غير مسبوق خلال فترة رئاسة جورج بوش، غير أن مجموعات التفكير اليمينية استفادت من دعم ومساندة المؤسسات والأثرياء الأمريكيين المحافظين. خلال السنوات الأخيرة، ويقول دين إن

هناك الآن عشرات المؤسسات التي يقودها المحافظون الجدد ومهمتها رسم الخطط السياسية وتكثيف التواجد في وسائل الإعلام، وأصبحت هذه المؤسسات بمثابة مراكز لتفريخ قادة الرأي والمستشارين السياسيين.

ويتهم دين المحافظين الجدد وفي مقدمتهم الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني وصقور المحافظين الجدد بأنهم يؤسسون الآن لنظام داخلي يضمن لهم بقاء هذا التيار الذي ينتمون إليه في السلطة والخلود فيها حتى الانتهاء من مخططاتهم الشيطانية أوضمان تنفيذها بغض النظر عمن يسكن منهم البيت الأبيض حسب قول المؤلف.

ويتابع دين: "إن أوصاف النظم الشمولية تنطبق الآن على نظام بوش كما أن أوصاف "الشخصية السلطوية" تنطبق عليه إلى جانب أقطاب تيار المحافظين الجدد. ويحاول دين تتبع الدراسات الأكاديمية التي تناولت مفهوم "الشمولية" ومفهوم "السلطوية" بطريقة أقرب ما تكون للأكاديمية، الأمر الذي أخذه عليه بعض منتقدي كتابه.

ويستدعي دين في كتابه عشرات الدراسات التي رسمت الصورة التي تكون عليها النظم الشمولية وراح يعقد مقارنة بينها وبين نظام المحافظين.

ويتهم دين في كتابه محافظي بوش بإقامة نظام شمولي على غرار نظام جوزيف ستالين وشيوعييه و"أن أمريكا في طريقها لكي تكون الاتحاد السوفيتي الجديد ولكن في الغرب".

ويروي دين كيف أن النظام الشمولي - كما يحدث الآن - يحاول أن ينتزع من الشعب اعترافاً إرادياً يحكم باسمه ودون الرجوع إليه، واعتباره الحاكم العظيم الذي لا يحيد عن الصواب، والذي لا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين الشعب، ومن هنا يتنكر لدور البرلمانات التي يستميت لكي يهيمن عليها ويتدخل في تشكيلها.

واستدعى دين مصطلح "الأخ الأكبر" في كتاب البريطاني الراحل جورج أورويل المليء بالسخرية السياسية عام ١٩٨٤، واختار المصطلح ليرمز إلى الحاكم المستبد ويصف به الرئيس بوش ونظامه،مضيفا "أن الرسالة التي رغب أورويل أن تتضمنها روايته،حول القمع السياسي نراها الآن في أمريكا حية وليس فقط في الشرق الشيوعي كما كان يرمي أورويل.

وبعد اتهامه للمحافظين الجدد في أمريكا بالسلطوية، وعلى طريقة الباحث الأكاديمي أقرب منه إلى الكاتب السياسي يتناول دين وباستفاضة كبيرة معالم الشخصية السلطوية، كما جاءت في كتب الباحثين ويؤكد أنها تتطابق تماماً مع ما هي عليه شخصيات بوش وتشيني ورفاقهما في هذا التيار.

ويقول دين: لقد قمت بمراجعة جميع الدراسات التي تناولت التيارات المحافظة على مدى ٥٠ سنة والتي لم يتم نشرها لكي يقرأها الشعب وتحمل تحليلاً للشخصية السلطوية للمحافظين وإن معظم الشخصيات الموجودة الآن لا تؤمن إلا بالسلطة والسلطة ولا شيء إلا السلطة.

ويحاول دين في كتابه تأصيل السياسات المحافظة وتطورها حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن وتتبع ما يسميه بجذورها السلطوية، وإنه توصل إلى أنه وعلى مدى خمسة عقود من الزمان وتيار المحافظين يبرر سياساته السلطوية وانفراده برسم الصورة التي يريدها زعماؤه لأمريكا بأسوأ الطرق متسلحين بمبدأ ميكافيلي وأن "الغاية تبرر الوسيلة".

ويضيف دين: " إن تشوك كولسون ونويت جينجريتش وتوم دلاي هم نماذج لهؤلاء المحافظين الميكيافيليين، وإن نائب الرئيس ديك تشيني هومهندس سياسات بوش السلطوية، وإن بوش رئيس سقيم الفكر ذا شخصية يمينية متطرفة سلطوية".

ويقول دين إن هؤلاء المحافظين الجدد جاءت غالبيتهم من خارج صفوف اليمين

الأمريكي حيث قدموا من صفوف اليسار التروتسكي والتجمعات اللبرالية، وإنهم يؤمنون بعسكرة الديموقراطية. التي تحميها نظم سلطوية مطلقة، وهذا هوما يفعله المحافظون الجدد الآن بالضبط.

ويقوم دين في كتابه بالتعرض باستفاضة للتحليل النفسي للسلطوية، ويعقد مقارنة بين السلطويين قديماً والسلطويين حديثاً ليكتشف أن غلاة التطرف من المحافظين الجدد وعلى رأسهم بوش ومن يسير على دربهم هم أشد السلطويين وأخطرهم في هذا العصر.

ويستعرض دين التحليل النفسي للشخصية السلطوية في سياق نظريات السياسة الدولية وكيف تتملكها دوافع القوة والعدوان وتتحرك متأثرة بهذه الدوافع على طول الخط، وكيف تجمع كصفة مميزة لها بين النزعة السادية وبين النزعة الماسوشية، مستدعياً وصف العلماء والباحثين للشخصية السلطوية وأنها لا ترى الأشياء على حقيقتها أوكما هي وإنما تراها من منظورها هي فقط، وأن الأشياء لا تحمل بالنسبة لها سوى لونين إما أبيض أو أسود كما أنها تقوم بتقسيم أي شيء أو أي شخص وفق هذين اللونين، فلا مجال لديها للنظرة المعتدلة أو التصور الوسطي وهذه الشخصية التي تسيّرها نزعات القوة يتملكها الخوف من ضعف يحتمل أن يصيبها ولذا تجد نفسها مدفوعة إلى إثبات قوتها وتهدئة هذه المخاوف الكامنة في أعماقها باقتراف العدوان ضد أولئك الذين يعجزون بحكم ضعفهم عن الدفاع أوالانتقام.

وحسبما جاء في نظريات علم النفس فإن من أبرز الصفات النفسية الخاصة بالشخصية السلطوية صفات النزعات العدوانية والإحباط الاجتماعي وانعدام الشعور بالأمن والتعطش إلى الثأر والانتقام والسلوك التعويضي والسادية والحقد والتحيز والتحامل والمشاعر العدائية والرغبة في الإخضاع والتسلط.

ويقول دين إن المحافظين الجدد يحملون كل سمات أو صفات الشخصية السلطوية والتي كان عليها زعماء النازية والفاشية، فالنازية كانت فكرا وأيديولوجيا حملها

حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني ويستخدم المصطلح عادة للإشارة إلى ما يتعلق بالحكم الديكتاتوري في ألمانيا في الثلاثينيات والأربعينيات وقد آمن أتباع النازية بأنهم متفوقون على الأجناس والعروق الأخرى من البشر. وسوقوا للتفوق العنصري الألماني كدولة مركزية قوية وهذا هوما يفعله المحافظون الجدد الذين يؤمنون بأنهم يجب أن يؤسسوا إمبراطوريتهم الكونية وأن يتسيدوا العالم بحكم تفوقهم على سائر الأمم الأخرى، مؤكدا على أن النازيين الجدد والمحافظين الجدد هم وجهان لعملة واحدة.

ويمضي دين في كتابه ليؤكد أن السلطوية كانت أيضاً سلاح الفاشية كما كانت سلاح النازية وأنه كما كان النازي هتلر ومساعدوه وأتباعه سلطويين كما كان الفاشيستي موسوليني، بل وتصنف النازية عادة كشكل من أشكال الفاشية، وكما حدث في ألمانيا حدث في إيطاليا حيث عمد الفاشيون إلى إذكاء نار التعصب للذات وازدراء الآخر من القوميات الأخرى بل وأصبحت الفاشية هي القومية وهي الهوية، وروجت الفاشية لنفس أفكار النازية من حيث تفوق جنس أو عرق على سائر ما عداه من أجناس أو أعراق البشر.

وبعد أن استدعى في كتابه جانباً من الدراسات التي تناولت معالم "الشخصية السلطوية" سواء بالنسبة للقادة أوأتباعهم الذين يطمحون للقفز إلى مقاعد القادة اتهم دين نظام بوش بالسلطوي وقدم ما أسماه بـ "قائمة بأسماء الرموز السلطوية في أمريكا" من الجمهوريين وحلفائهم من اليمين المتطرف الذين وصفهم بأعداء الديموقراطية، وقد تصدر كل من الرئيس الحالي جورج بوش ونائبه ديك تشيني وبيل فيرست هذه القائمة.

وعن أشهر أعضاء القائمة يقول دين:

- ديك تشيني نائب الرئيس، كان عضواً في الكونجرس ورئيساً لموظفي البيت الأبيض ووزيراً للدفاع في عهد بوش الأب وهوأقرب الناس وأكثرهم تأثيراً على الرئيس بوش الابن.

- دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الذي عمل عام ١٩٦٩ في إدارة نيكسون وكان عضواً في الكونجرس ورئيساً لموظفي البيت الأبيض.

- بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع وهوالمفكر الاستراتيجي والمنظر ومهندس مبدأ الضربة الوقائية المعروف.

وتضم القائمة أيضاً لويس لبي مساعد ديك تشيني. ووليام كريستول رئيس الدعاية العامة لحزب الحرب في إدارة جورج دبليوبوش، ومحرر ويكلي ستاندارد ومؤيد غزوالعراق وابن إيرفنج كريستول عراب المحافظين الجدد وألان كيس الذي تولى منصبا في وزارة الخارجية في عهد ريجان، وكلارنس توماس قاضي المحكمة العليا، ووزير العدل جون أشكروفت، وإليوت إبراهامز المسؤول عن ملف الشرق الأوسط في البنتاجون، وفرانك غافني رئيس مركز سياسة الأمن، ووكين أدلمان عضومجلس سياسة الدفاع، وستيفن كامبوت الذي شغل منصب وكيل وزارة الدفاع للاستخبارات، وريتشارد بيرل الذي شغل منصب رئيس مجلس السياسة الدفاعية وهي الهيئة الاستشارية لوزارة الدفاع، ولين تشيني وهي مؤرخة وباحثة وزوجة ديك تشيني، وجاري شميت المدير التنفيذي لمشروع القرن الأمريكي الجديد، وجاري بور رئيس مجموعة القيم الأمريكية، وإبرام شولسكي مدير مكتب الخطط الخاصة في البنتاجون، وجيمس وولزي الذي شغل منصب الرئيس لوكالة الاستخبارات المركزية.

ويركز دين على بعض من تضمنتهم القائمة وعلى رأسهم تشيني المهندس

الأول المنوط بترجمة أجندة المحافظين الجدد الواقع على الأرض، وكيف شرح تلك الفلسفة في تقرير أعده واستعان دين بما قاله الرئيس كارتر من أن تشيني قبل ثمانية أعوام من توليه منصب نائب الرئيس قدم برنامجا من إعداده بعنوان "استراتيجية الدفاع لعقد التسعينيات" واختار هووزملاؤه من المحافظين الجدد العراق كهدف رئيسي لتطبيق برنامجهم وتحويل العراق إلى قاعدة عسكرية أمريكية دائمة في الشرق الأوسط.

ونبه دين إلى خطورة تلك الفلسفة على صورة أمريكا وقيمها الثقافية والسياسية في العالم وأشار الرئيس السابق إلى أن ما يزيد من خطورة الأمر هوتوافق أجندة المحافظين الجدد مع أجندة متطرفة أخرى هي أجندة الأصوليين في اليمين المسيحي الأمريكي وتأثيرهم على السياسة الخارجية الأمريكية خاصة في الشرق الأوسط حيث انضموا إلى صقور المحافظين الجدد في الزج بأمريكا نحوشن الحرب في العراق.

ويتناول دين شخصية أخرى هي ألبرت ولستيتر الملقب بـ"الأب الروحي لدعاة الحروب"، حيث إنه أحد المرجعيات لاستراتيجية للمحافظين الجدد وأبرز مؤسسي مؤسسة (راند كوربوريشن) والأب الروحي لما يسمى بالقانون النووي الأمريكي وصاحب نظرية مفادها أن احتفاظ أمريكا بأسلحة دمار شامل هوأهم وسيلة للحفاظ على الديموقراطية، ويقترح ما يسمى بالردع التدريجي يتم من خلاله القيام بحرب محدودة يستخدم فيها السلاح النووي التكتيكي والأسلحة الذكية، ويرفض ولستيتر الرقابة على التسلح النووي لأنها تعطل القدرة الأمريكية وهذا يفسر دعوات المحافظين الجدد لإلغاء المعاهدات التي وقعت مع الاتحاد السوفيتي سابقا.

ويعد بوا وولفويتز وريتشارد بيرل من تلامذة ولستيتر كما يدينون له بالفضل في دخولهم معترك السياسة وتقديمهم للصفوة.

ويحمل دين في كتابه المحافظين المسؤولية الكاملة عن" إيقاظ مارد الإرهاب من القمقم كذريعة لإحكام قبضتهم على أمريكا والعالم باعتبارهم - كما يحاولون الترويج له - "رسل العناية الإلهية" واتهم دين بوش ومحافظيه بتغذية الإرهاب في العالم بسياساتهم العدائية التي تعمل على خلق أجيال جديدة من الإرهابيين في دول كثيرة ثم تستخدمها كمبرر للبقاء في السلطة والتدخل والهيمنة.

ويثير دين السؤال حول العلاقة بين الشعب والنخبة السياسية تحت سيطرة الأنظمة السلطوية، فمن المعروف أن نظام الحكم الهتلري كان منذ اليوم الأول يعمل كما الحزب الجمهوري من تشديد قبضته على الحكم، وضمان بقائه فيها لأطول فترة ممكنة أما كيف تمكّن نظام النازية الذي جلب الدمار والخراب من ذلك فالسبب بسيط وإنه كان نظاماً مخادعاً تمكن من انتزاع تأييد سياسي واسع لدرجة توجد صعوبة اليوم في تفسيرها.

ويتهم الكاتب المحافظين ممن لا ضمير لهم - على حد تعبيره - وفي مقدمتهم بوش وتشيني بـ"خلق أجواء عدائية داخل الكونجرس تجعل حتى من السهل في مرحلة ما الموافقة على "الخيار النووي "كوسيلة لمواجهة الإرهاب الذي صوروه على أنه سيدمر أمريكا ".

روي دين كيف استطاع المحافظون الجدد اللعب بورقة الدين وتمكنوا من استمالة اليمين المسيحي الأمريكي لانتخاب بوش بعد أن نجحت ظاهرة استغلال الدين في انتخابات الرئاسة الأمريكية منذ أواخر السبعينيات من القرن العشرين، عندما أدركت مجموعة من المحافظين من زعماء الحزب أن الناخبين الأمريكيين يربطون بين الحزب الجمهوري وبين السياسات الخارجية التي تستند إلى النزعة العسكرية. وعلى الصعيد الاقتصادي يربط الناخبون الأمريكيون بين الحزب الجمهوري وبين السياسات التي تعمل لصالح طبقة الأثرياء في أمريكا، كما أيقنت هذه المجموعة من المحافظين الجمهوريين أن ذلك الربط يجعل من الحزب الجمهوري حزب أقلية، وهوما

ظهر خلال العقود الخمسة التي سبقت السبعينيات، حيث فاز الجمهوريون بالرئاسة أربع مرات فقط من بين اثنتي عشرة معركة لانتخابات الرئاسة الأمريكية، ولم يتحكم الجمهوريون في الكونجرس بمجلسيه إلا مرتين خلال أربع وعشرين دورة له.

ومنذ ذلك الحين، كرس المحافظون الجمهوريون جهودهم لاستمالة الناخبين الأمريكيين من الأصوليين اليمينيين المسيحيين البروتستانت، والذين أصبحوا في السنوات الأخيرة عاملا رئيسيا وراء التأييد الأمريكي لسياسات حكومة الليكود في إسرائيل. ومن خلال تركيز المخططين الاستراتيجيين في الحزب الجمهوري - كما يقول الكاتب - على انتهاج سياسات حزبية محافظة فيما يتعلق بقضايا اجتماعية مفعمة بالمشاعر في أوساط اليمين الديني الأمريكي مثل قضايا حقوق المرأة والإجهاض والتربية الجنسية والموقف من الشواذ جنسيا وتمكن مخططوالحزب الجمهوري من اكتساب أصوات ملايين من الأصوليين المسيحيين والذين لم يكونوا ليساندوا الحزب الجمهوري أصلا بحكم انخفاض مستويات دخولهم وعدم سعي الحزب لتحقيق مصالحهم.

وسرعان ما تمكن الحزب الجمهوري من خلال منظمات يمينية مسيحية مثل "الأغلبية الأخلاقية"، و"التحالف المسيحي" و"مجلس السياسة العامة" الذي يضم وزير العدل جون آشكروفت ورموز التطرف المسيحي من أمثال جيري فولويل، وبات روبرتسون من الترويج لأجندة سياسية يمينية عن طريق شبكات الإذاعة والتلفزيون المسيحية المؤثرة وعبر منابر الوعظ في الكنائس البروتستانتية بوجه خاص.

ومن خلال استغلال الدّين، تمكّن الحزب الجمهوري منذ السبعينيات من الفوز بأربع انتخابات رئاسية من ستة سباقات للرئاسة الأمريكية وتمكن الأعضاء الجمهوريون من السيطرة على مجلس الشيوخ الأمريكي سبع دورات من اثنتي عشرة دورة، كما تحكّم الجمهوريون في مجلس النواب الأمريكي خلال السنوات العشر الأخيرة.

ويقول دين إنه للمرة الأولى منذ أصبح اليمين الديني المحافظ حركة سياسية معاصرة في الولايات المتحدة، تحوّل الرئيس الأمريكي إلى الزعيم الفعلي لتلك الحركة. ويدلل على ذلك بقوله إن الرئيس بوش ردد عدة مرات أن "الرب دعاه ليرشح نفسه لرئاسة الولايات المتحدة في مهمة تدخل في نطاق الخطة الإلهية لتصدير الموت لربوع الأرض دفاعا عن بلده العظيم وتخليصا للعالم من رموز الشر".

ويخلص إلى أن الرئيس بوش يعتقد أوهكذا يدعي أنه يعتقد بأنه قبل مسؤولية قيادة العالم الحر كجزء من خطة الرب. حيث قال "لقد أبلغني الرب بأن أهاجم القاعدة وفعلت ذلك، ثم طلب مني أن أهاجم صدام حسين ففعلت!

ويثير دين السؤال حول العلاقة بين الشعب والنخبة السياسية تحت سيطرة الأنظمة السلطوية، وكيف تعمد هذه النظم لاستخدام الآلة الدعائية من خلال السيطرة على وسائل الإعلام كما كان يفعل نظام هتلر في ألمانيا، ونظام موسوليني في إيطاليا، ونظام ستالين في روسيا، كما عمد نظام بوش في أمريكا منذ اليوم الأول له في الحكم إلى تشديد قبضته على الحكم، وضمان البقاء لأطول فترة ممكنة.

ويؤكد دين أن الاستغلال الأسوأ لوسائل الإعلام الأمريكية من جانب المحافظين من خلال حلف مقدس استطاعوا إقامته مع مالكيها ومسؤوليها، تحولوا بموجب ذلك الحلف المقدس إلى أبواق تتحدث بلسانهم لكسر النفوذ الليبرالي في الإعلام الأمريكي مما مكنهم من التغلغل في المجتمع، ويكفي متابعة صحف مثل وول ستريت جورنال وواشنطن تايمز ونيويورك بوست وناشونال ريفيو ونيويورك صن وويكلي ستاندرد ومحطة فوكس نيوز ومحطة راديوكلير تشانل راديو. والأخيرتان يملكهما رجل الأعمال روبرت ميردوخ وتدعمان حركة المحافظين الجدد بقوة.

يحذر الكاتب الأمريكيين في النهاية من المصير الذي ينتظرهم على أيدي المحافظين الجدد الذين يخططون لجرهم إلى حروب لا نهاية لها يمكن أن تنتهي

بأمريكا إلى المصير الذي آلت إليه الإمبراطوريات الكبرى في العالم والتي انهارت بسبب إفراطها في الحروب الخارجية التي أنهكتها.

ويحث دين في كتابه المحافظين على إيقاظ ضمائرهم والأمريكيين على التخلي عن دعمهم لهؤلاء المحافظين وإدراك ما يحدق ببلادهم من أخطار بسبب سياساتهم بعد أن أصبحوا في عهد دعاة ومهندسي الحروب مواطنين من الدرجة الثانية يشاهدون حلمهم الأمريكي الكبير ينهار.

وينتهي دين في كتابه إلى:" أنه - ولوقف الكارثة - لابد من أن تنهض الأغلبية الصامتة من الأمريكيين لكي توقف المحافظين عند حدهم وتطيح بهم خارج السلطة.

تعد كتابات أسبوزيتو، وروبين رايت من أكثر الكتابات الفكرية تعبيراً عن الاعتدال والفهم الصحيح للعلاقة مع الآخر.

الأول هو قد حفلت الكتابات الغربية الأكاديمية وشبه الأكاديمية حول هجمات سبتمبر وتداعياتها بالكثير من الاتجاهات المتناقضة فى تحليل الأزمة وأسبابها وكيفية رد الغرب عليها وموقع الإسلام والمسلمين منها، وتأتي متابعة هذه الاتجاهات كخطوة أساسية فى فهم رؤية الفكر الغربي للعالم الإسلامي والمسلمين.

وجون أسبوزيتو الباحث الأمريكي المشتغل بتاريخ الإسلام والمسلمين، وهو من أصحاب الخبرة العميقة بحركات الإسلام السياسي المعاصرة فى العالم. والثانية هي المؤلفة الأمريكية روبين رايت صاحبة كتاب "الغضب المقدس"، كبيرة المراسلين الدبلوماسيين فى صحيفة لوس أنجلوس تايمز.

وفى كتابه الجديد "التهديد الإسلامى خرافة أم حقيقة؟" يقدم الباحث الأمريكي أسبوزيتو مسحا موسعا ومتكاملا، يجمع بين العرض التاريخي والمسح الجغرافى والتحليل الهيكلي لمعظم الحركات والمنظمات الإسلامية فى العالم، ويناقش محاولات الإصلاحيين

إعادة تفسير المبادئ الأساسية الإسلامية، فى محاولة إيجاد حلول جديدة وعصرية للمشكلات التي يواجهها المسلمون فى العصر الحديث، فيستعرض حركات الإصلاح بداية من الوهابية والسنوسية والمهدية حتى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، كما يرصدها جغرافيا من شبه القارة الهندية حتى بلاد المغرب العربى.

ويرى أسبوزتيو أن عمر الأزمة فى تاريخ المسلمين يبدأ مع حركة الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر، وإن كانت قوة الدفع فى الحضارة الإسلامية تقلصت مع بدايات القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادي)، غير أن الدولة العثمانية حافظت على بلاد المسلمين عسكريا دون أن تستطيع فعل شيء لإعادة بعث الحضارة العربية الإسلامية. ولم يكن الاستعمار مجرد احتلال للأراضى، وإنما استهدف قيمتين من أهم قيم المجتمع هما: التعليم والقضاء، وذلك بدعوى الإصلاح.

وترى روبين رايت فى كتابها الجديد "الغضب المقدس" أن عمر الأزمة للمسلمين والغرب معا يبدأ من تقاعس الولايات المتحدة عن دعم حكومات العالم الإسلامى، ومن بينها حكومات الشرق الأوسط التي تناهض الإرهاب على أراضيها، وهو ما قد شجع على انتشاره فى أماكن أخرى؛ لتدفع هي أيضا ثمنا باهظا فاحش الغلاء فى هجمات أيلول الأسود ٢٠٠١.

قام المؤلفان بتفنيد الدعاوى الكاذبة والاتهامات الملصقة بالإسلام قبل وبعد هجمات سبتمبر الماضي، واستطاعا بالأدلة والبراهين إبراز صورة أكثر تركيبا وقربا من الصورة الحقيقية للإسلام، فيقول أسبوزيتو بأن وجود الإسلام كديانة عالمية وقوة أيديولوجية تحتضن أكثر من خمس سكان العالم وحيويته المستمرة ونفوذه فى عالم إسلامى ممتد من أفريقيا إلى جنوب شرق آسيا سوف يستمر. ومن المهم مع فجر القرن الحادى والعشرين عدم ملء الفراغ الناجم عن نهاية الحرب الباردة بالمخاوف المبالغ فيها من الإسلام، باعتباره بعثا لـ"إمبراطورية الشر" المشتبكة فى حرب مع النظام العالمي الجديد.

كما يرى جون أسبوزيتو أن إعلان الإسلام عدوا للولايات المتحدة الأمريكية سيكون بمنزلة إعلان حرب باردة ثانية، ولاشك أن هذا يتطلب السير على الخط الدقيق الفاصل بين الخرافة والحقيقة ما بين الفعل العنيف للأقلية فى ١١ سبتمبر والممارسات الشرعية للأكثرية.

بينما تنطلق روبين رايت فىكتابها "العنف المقدس" من مقولة مفادها أن الإسلاميين المتطرفين وفي مقدمتهم أسامة بن لادن وصناع السياسة الخارجية الأمريكية قد اشتركوا معاً فى أكبر عملية سطو على مفهوم الجهاد فى الإسلام، وقاموا باستغلال التباين الموجود بين الشرق والغرب لخلق صراع موجود أصلا؛ بهدف تحقيق أهداف ومصالح انتهت بأن دفع كلاهما الثمن.

وتؤكد رايت فى كتابها "العنف المقدس" أن الإسلام هو أكثر الديانات تسامحا ويلزم المسلمين بالاعتراف بالمسيحية واليهودية ورسلها كشرط واجب للانتماء للدين وحمل صفة المؤمن، وأنه لا علاقة بين صحيح الإسلام والإرهاب، وأن "التطرف الديني موجود في المسيحية واليهودية، ومن الخطأ اعتبار قلة متطرفة النموذج السائد والشائع لأصحاب ديانة بأكملها".

وتقول رايت: إنه لا توجد تلك الدولة العربية التي يمكن أن نطلق عليها المصطلح الذي سك عملته لأول مرة الرئيس الأسبق ريجان "الدولة الداعية للإرهاب".

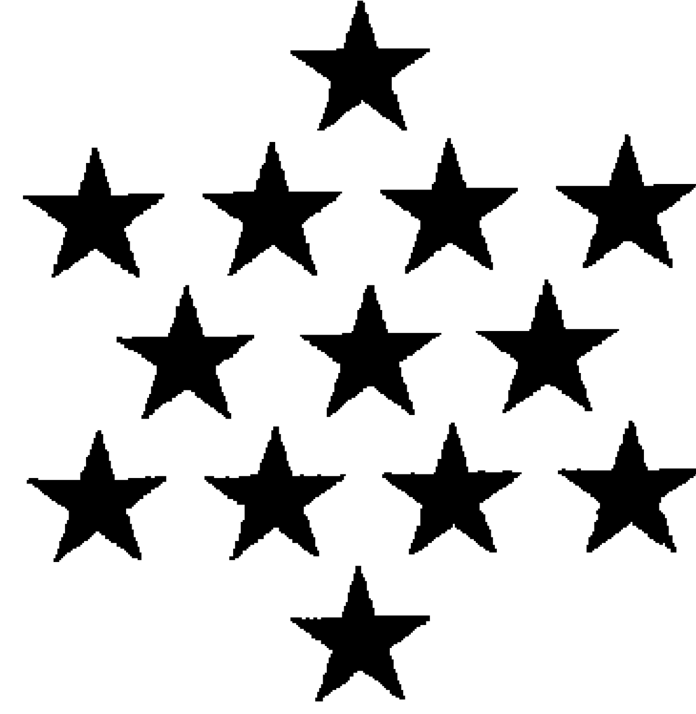
ويتوجه المؤلفان باللوم إلى السياسة الخارجية الأمريكية وأنها تتحمل الخطأ الأكبر فيما حدث؛ فـ"جون أسبوزيتو" يرى أنه من سوء الحظ أن صناع السياسة الأمريكية شأنهم شأن وسائل الإعلام غالباً ما برهنوا على أنهم قصار النظر حيث يصورون العالم الإسلامى والحركات الإسلامية على أنها كتلة صماء ولا يرونها إلا في ضوء التطرف والإرهاب. وأن هذه النظرة تبدو ظالمة مقارنة بالحقائق المركبة فى العالم الإسلامى، ومن ثم يجب على الغرب أن يعمق من فهمه الصحيح للإسلام والمسلمين.

أما روبين رايت فتؤكد من خلال تحليل موضوعي فى كتابها الغضب المقدس أن مثلث الرعب الذي أنتج هجمات سبتمبر ضد أمريكا هو صناعة أمريكية ١٠٠٪ (بن لادن- طالبان- أفغانستان)؛ لأن الأخطاء السياسية الخارجية الأمريكية القاتلة هي التي خلقت مثل هذا المثلث.

كما يعتقد المؤلفان أن موالاة إسرائيل على حساب الحقوق العربية المشروعة من أهم عوامل تفريخ الإرهاب وكراهية الغرب، ويتساءل جون أسبوزيتو: هل يكون انحياز الغرب ضد المسلمين لصالح القوى الأخرى خاصة إسرائيل نوعا من القدر الذي يجب أن نرضى به؟ أما روبين رايت فتؤكد أن الأمريكيين بتأييدهم المستمر لإسرائيل يقدمون لأي جماعة أصولية متشددة أو إرهابية الوقود الذي تستخدمه لتتحرك وسط الشباب الرافض لما يجري فى فلسطين على أيدي الإسرائيليين.

ويتفق الطرفان على أن الأمريكيين لا يتعين عليهم بعد أحداث سبتمبر وحرب أفغانستان توسيع حملتهم ضد الإرهاب ونقلها لأماكن أخرى؛ فالمهم والأكثر فاعلية هو معرفة أسباب الإرهاب ودوافع العداء للأمريكيين.

ولا يقتصر الأمر على هذين المؤلفين فحسب كأصحاب وجهات نظر معتدلة، وإنما هناك العديد من العقول الواعية والضمائر اليقظة في العالم الغربي التي أدركت- عن دراسة- حقيقة الإسلام والمسلمين.



"الصهيونية" و"المسيحية"

من "التدنيس" إلى "التقديس" !!

عندما تتحدث مع المسيحيين الصهاينة عن تدمير قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين من أجل بناء الهيكل يقولون لك إن هذا كله متنبأ به وأنه سيحدث، ويقول البعض منهم إن زلزالا يمكن أن يحدث لكي يزيل كل المباني الموجودة على جبل الهيكل، ويتنبأ البعض الآخر بإمكانية سقوط صاروخ أرض أرض على القدس خلال إحدى الحروب بين العرب وإسرائيل فيزيل قبة الصخرة.

جيف هالبر أستاذ علم الأديان بجامعة بن جوريون

" الصهيونية " و " المسيحية "
من " التدنيس " إلى " التقديس " !!

من أمة ملعونة إلي أبناء الرب !!

اعتاد الناس في عالمنا العربي الإسلامي أن يفسروا التحيز الأميركي لإسرائيل بأسباب سياسية وإستراتيجية، مثل المال اليهودي المؤثر في الحملات الانتخابية، والإعلام اليهودي المتلاعب بالرأي العام الأميركي، والصوت اليهودي الموحد في الانتخابات، ثم موقع إسرائيل رأس حربة في المنطقة العربية، ذات الأهمية الإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة.

لكن كل هذه التفسيرات -عند التأمل- تبدوسطحية وبعيدة عن الدقة، أوهي -على أحسن تقدير- ليست سوى مظاهر تعبر عن ظواهر أعمق وأرسخ.

ولاية (مينوساتا) الأميركية يمثلها يهودي دائما في مجلس الشيوخ منذ عام ١٩٧٨ رغم أن عدد اليهود بها لا يتجاوز ١٪. وأن المرشحين لهذا المنصب في الولاية يهوديان هما (نورم كولمان) و(ويلستون) الذي قتل في تحطم طائرة أثناء حملته الانتخابية"

فالمال اليهودي في الانتخابات لا يصلح تفسيرا للإجماع السياسي الذي يحظى به دعم إسرائيل في الأوساط السياسية الأميركية، حتى تنافس فيه المتنافسون من كل ألوان الطيف السياسي. إضافة إلى أن في أميركا من أهل الثراء غير اليهود ما يكفي وزيادة لمعادلة المال اليهودي.

والإعلام اليهودي لا يكفي تفسيرا لانحياز شعبي كامل يبلغ درجة الاعتقاد، بل هواعتقاد ديني عميق -كما سنرى لاحقا- في بلد فيه من التعددية الإعلامية وحرية الكلمة ما يكفي لبلورة رأي مخالف لوكان له أنصار.

وموقع إسرائيل في المنطقة العربية لا يكفي لتفسير التحيز الأميركي. فقد كانت إسرائيل دائما مصدر حرج للنفوذ الأميركي في المنطقة العربية، أكثر من كونها مصدر دعم، إضافة إلى أن بعض حكام الدول العربية أغنوا أميركا عن إسرائيل في هذا المضمار.

أما الصوت اليهودي فليس موحدا بالطريقة التي يتخيلها البعض، بل فيه تعدد وتباين واختلاف. كما أن التحيز لإسرائيل أعمق وأرسخ في بعض الولايات الأميركية التي لا تكاد توجد بها جالية يهودية أصلا.

وقد افتخرت صحيفة (جيروسالم بوست) الإسرائيلية مؤخرا بأن ولاية (مينوساتا) الأميركية يمثلها يهودي دائما في مجلس الشيوخ منذ عام ١٩٧٨ رغم أن عدد اليهود بها لا يتجاوز ١٪. وبأن المرشحين لهذا المنصب في الولاية يهوديان هما (نورم كولمان) و(ويلستون) الذي قتل في تحطم طائرة أثناء حملته الانتخابية (جيروسالم بوست ٢٠٠٢/١٠/٢٧).

ويكفي أن تعرف أن نسبة اليهود في أميركا أقل من ٣٪، وأن نسبتهم في مجلس الشيوخ ١٠٪ لتدرك أن الصوت اليهودي ليس أهم عامل هنا.

إن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين أميركا وإسرائيل، هووحده الذي يقدم تفسيرا مقنعا لتلك العلاقات. ومن الكتب التي تقدم رؤية تاريخية موثقة للعلاقات الأميركية الإسرائيلية كتاب (المسيح اليهودي) للكاتب المصري رضا هلال وكتاب (فرض إرادة الرب) Force Gods Hand للكاتبة الأميركية غريس هالسل Grace Halsell.

وقد ظل اليهود في نظر العالم المسيحي بأسره "أمة ملعونة" لمدة ألف وخمسمائة عام، لأنهم -في اعتقاد المسيحيين- هم قتلة السيد المسيح. وقد عانى اليهود صنوفا من الاضطهاد والازدراء بناء على هذا التصور الذي ترسخ في العقل المسيحي.

وقد صمد هذا التصورعلى مر القرون، مدعوما بنصوص كثيرة من الإنجيل، وظروف اجتماعية وسياسية خاصة.

لكن القرن الخامس عشر الميلادي أظهر تحولات عميقة في النفس المسيحية -الغربية على الأقل- مع بزوغ ما عرف بحركة الإصلاح، وما استتبعه ذلك من انشقاق سياسي وعقائدي داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثولوكية الغربية بشكل خاص.

كان من نتائج هذه التحولات أن أصبحت المسيحية الجديدة التي عرفت باسم البروتستانتية ربيبة لليهودية: فقد أصبحت للتوراة -أوالعهد القديم- أهمية أكبر في نظر البروتستانت من الإنجيل أوالعهد الجديد، وبدأت صورة الأمة اليهودية تتغير تبعا لذلك في أذهان المسيحيين الجدد.

ولم يكن الانشقاق داخل الكنيسة -رغم الطابع الأديولوجي الذي اصطبغ به- بعيدا عن صراعات السيادة بين الأمم الأوروبية يومها، خصوصا بين فرنسا وإنجلترا وألمانيا، فقد انحازت الكنيسة الكاثوليكية إلى جانب فرنسا، مما جعل الشعبين الإنجليزي والألماني يميلان إلى اعتناق المذهب البروتستانتي الذي يدعوللتحرر من سلطة الكنيسة.

وقد ظهر هذا التحول في النظرة المسيحية إلى اليهود في كتابات رائد الإصلاح البروتستانتي، القس الفيلسوف (مارتن لوثر). فقد كتب لوثر عام ١٥٢٣ كتابا عنوانه: "المسيح ولد يهوديا" قدم فيه رؤية تأصيلية للعلاقات اليهودية المسيحية من منظور مغاير تماما لما اعتاده المسيحيون من قبل، فكان مما قال في كتابه: "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها".

ومع ذلك لم يكن مارتن لوثر حاسما في موقفه من اليهود، بل كان مترددا مثقلا بتراث الماضي السحيق، ولذلك عاد فألف كتابا آخر في ذم اليهود سماه "ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم"، بعدما يئس من دفعهم لاعتناق المسيحية. لكن (لوثر) فتح ثغرة في تاريخ المسيحية لصالح اليهود ظلت تتسع إلى اليوم. وظلت كفة الصراع بين مدرسة "المسيح ولد يهوديا" ومدرسة "ما يتعلق باليهود وأكاذيبهم" تتأرجح في الضمير الغربي طيلة القرون الأربعة التالية لكتابة هذين الكتابين، حتى انحسم الأمر أخيرا للمدرسة الأولى."

ويقول الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر : إن علاقة أميركا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي.

ومما يلاحظ أن هذا المسار التاريخي لم يعرف العدل ولا التوسط: فاليهود تحولوا من "أمة ملعونة" إلى "أبناء الرب"، من "الغيتو" إلى قمة المجتمع، من "أمة مدنسة" ظلمها المسيحيون كثيرا، إلى "أمة مقدسة" يظلم بها المسيحيون شعوبا أخرى لا صلة لها بتاريخ التدنيس والتقديس هذا.

اليهودية جزء من لحمهم ودمهم !!

كما يلاحظ أيضا أن المذاهب المسيحية تفاوتت في استيعابها لهذا التحول تفاوتا كبيرا، فالبروتستانت (الأميركيون والبريطانيون) تمثلوا هذا التحول كأعمق ما يكون، حتى أصبحت اليهودية جزءا من لحمهم ودمهم، والكاثوليك (فرنسا وإيطاليا وإسبانيا) ظلوا أكثر تحفظا إلى حد ما، ولذلك لم يبرئ الفاتيكان اليهود من دم المسيح إلا عام ١٩٦٦، أما الأورثوذكس (الأوروبيون الشرقيون) فلايزالون يحتفظون بتلك النظرة المتوجسة تجاه اليهود واليهودية. وهذا ما يفسر التفاوت في

المواقف السياسية: حيث التماهي مع الدولة اليهودية في أميركا وبريطانيا (وأخيرا في ألمانيا البروتستانتية)، والتحفظ في أوروبا الجنوبية على السياسات الإسرائيلية (خصوصا من طرف فرنسا أكبر الأمم الكاثوليكية الغربية) والريبة في أوروبا الشرقية، وخصوصا روسيا، لكن ما يهمنا هنا هوالتماهي الأميركي مع الدولة اليهودية، ومحاولة فهمه.

وهناك يقرؤون التحيز الأميركي لإسرائيل بعيون سياسية وإستراتيجية، يغفلون حقيقة تاريخة على قدر كبير من الأهمية، وهي أن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية في الزمان. ويؤكد أصحاب هذا الرأي، ومنهم الباحث والكاتب المصري رضا هلال في كتابه "المسيح اليهودي".

الجماعات اليهودية بدأت في الأعوام الأخيرة تميل إلى الحزب الجمهوري، لأن ولاءه للمسألة اليهودية نابع من اعتقاد ديني ثابت، مجرد من الاعتبارات السياسية والإستراتيجية في الغالب، بخلاف الحزب الديمقراطي ذي الميول الليبرالية، الذي يتعامل مع إسرائيل باعتبارها "دولة دنيوية" إلى حد ما "ففي عام ١٨٤٤ وفد إلى القدس أول قنصل أميركي، (واردر كريستون)، وكان من الأهداف التي رسمها القنصل لنفسه أن "يقوم بعمل الرب، ويساعد على إنشاء وطن قومي لليهود في أرض الميعاد". وبذل (كريستون) جهدا مضنيا في الاتصال بالقادة الأميركيين وحثهم على العمل من أجل "جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود حتى يلتئم شمل الأمة اليهودية، وتمارس شعائرها وتزدهر". كما ألح على القادة العثمانيين للتعاون في هذا السبيل دون جدوى.

وعلى خطى كريستون جاء الرحالة الإنجيلي الأميركي (ويليام بلاكستون)، الذي نشر كتابا بعنوان "المسيح قادم" عام ١٨٧٨ بيعت منه ملايين النسخ، وأثر تأثيرا عميقا على البروتستانتية الأميركية. والفكرة الرئيسية للكتاب أن "عودة المسيح" التي ظل المسيحيون ينتظرونها على مر القرون لن تتم إلا بعودة اليهود إلى

أرض الميعاد. وفي العام ١٨٩١ تقدم بلاكستون بعريضة إلى الرئيس الأميركي يومها (بنيامين هاريسون) مطالبا بتدخل أميركا لإعادة اليهود إلى فلسطين. وجمع على العريضة توقيعات ٤١٣ من كبار رجال الدين المسيحي في أميركا، إضافة إلى كبير قضاة المحكمة العليا، ورئيس مجلس النواب، وعدد كبير من أعضاء مجلس الشيوخ، ورؤساء تحرير عدد من الصحف الكبرى.

ففكرة إنشاء "وطن قومي لليهود في فلسطين" آمن بها المسيحيون البروتستانت قبل إيمان اليهود بها، وسعوا إلى تنفيذها قبل أن يسعى اليهود إلى ذلك، بل قبل أن يؤمن اليهود بإمكانية تحقيقها. ويمكن الجزم بأنه لولا الدعم الاعتقادي لهذه الفكرة من طرف البروتستانت الأميركيين والبريطانيين لما اهتم بها اليهود اهتماما عمليا.

وحينما طرح تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية فكرة "الدولة اليهودية" لم تكن دوافعه دينية بالأساس، فهوقومي علماني في الصميم، ولذلك كان مستعدا لقبول استيطان اليهود في أوغندا أوالعراق أوكندا أوالأرجنتين. أما المسيحيون الصهاينة في أميركا وغيرها فقد آمنوا من أول يوم بفلسطين وطنا لليهود، واعتبروا ذلك شرطا في "عودة المسيح"، وأخرجوا "المسألة اليهودية" من الإطار السياسي إلى الإطار الاعتقادي. ولذلك فقد "انتقدوا الموقف المتساهل لهرتزل، والمؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧، حتى إن بلاكستون أرسل إلى هرتزل نسخة من العهد القديم، وقد علّم على صفحاتها، مشيرا إلى الفقرات التي عين فيها النبيون فلسطين تحديدا بأنها "الوطن المختار للشعب المختار"

وحينما بدأت فكرة الوطن اليهودي تتبلور سياسيا، وصدر وعد بلفور لصالحها، تلقف أغلب السياسيين الأميركيين الفكرة، وتعاملوا معها بمنطق الاعتقاد الديني الراسخ، ومن أمثلة ذلك خطاب ألقاه رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب الأميركي (هنري كابوت لودج) في مدينة (بوسطن) عام ١٩٢٢، حيث قال في

الخطاب "إنني لم أحتمل أبدا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين.. إن بقاء القدس وفلسطين المقدسة بالنسبة لليهود، والأرض المقدسة بالنسبة لكل الأمم المسيحية الكبرى في الغرب، في أيدي الأتراك، كان يبدولي لسنوات طويلة وكأنه لطخة في جبين الحضارة من الواجب إزالتها".

وزاد من تهود المسيحية الأميركية التحولات العميقة في الثقافة الدينية الأميركية منذ السبعينيات حتى اليوم، فقد خرجت الكنائس من الزوايا وهوامش المجتمع، إلى صدارة الحدث السياسي والاجتماعي، بفضل ثورة الإعلام والاتصال، وخصوصا عبر ما يدعى (الكنائس التلفزيونية)، وتوسعت الطوائف الأصولية كالمعمدانية Babtist والمنهجية Methodist وغيرها على حساب المسيحية التقليدية. وأصبح تيار "المسيحيين المولودين من جديد" Born Again Christians في اتساع مطرد، وهوأكثر التيارات المسيحية تماهيا مع اليهودية، وبالتالي مع عصمة الدولة اليهودية وقدسيتها. إن إسرائيل التي نعتبرها آخر جيوب الاستعمار والعنصرية، هي في أذهان أغلب الأميركيين مشروع إلهي لا يقبل الإدانة والنقد، فضلا عن المقاومة والنقض.

كارتر له موقف أيضاً !!

ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة وصل إلى البيت الأبيض عام ١٩٧٤ رئيس يعتز بانتمائه إلى هذا التيار، وهوالرئيس (جيمي كارتر)، الذي عبر عن حقيقة الرباط العقدي بين اليهود والمسيحية الأميركية في خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلي عام ١٩٧٩ قال فيه: "إن علاقة أميركا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة.. لقد كانت ولاتزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها، لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي"، ومن بعد كارتر زادت قوة هذا التيار رسوخا برئاسة بوش الأول، ثم بوش الثاني.

وقد توصل أحد الباحثين الأميركيين مؤخرا -بعد دراسته لكل أحاديث الرئيس الحالي بوش وخطاباته- إلى أن بوش "أصولي مسيحي، يؤمن بأن الضفة الغربية وقطاع غزة منحة ربانية لليهود لا يجوز التنازل عنها". وهونفس الاعتقاد الذي عبر عنه (التحالف المسيحي) بقيادة (بات روبرتسون) مؤخرا في مسيرة له بواشنطن العاصمة، طالب فيها القادة الإسرائيليين بعدم التنازل عن الضفة الغربية وقطاع غزة، لأن ذلك "مناقض لإرادة الرب".

ومما يدل على أصولية الرئيس بوش أنه أول رئيس أميركي يمول التعليم الديني من ميزانية الدولة الأميركية التي يفترض فيها أنها دولة علمانية تقف من الدين موقف الحياد. وحينما سأل الصحفي الشهير (جيم لهرر) جورج بوش أثناء مناظرة تلفزيونية مع (آل غور) عن برنامجه اليومي، رد بوش بأنه يبدأ يومه بقراءة في الكتاب المقدس، وإطعام كلبه، وإعداد القهوة لزوجته. كما صرح مرارا بأن المسيح هومثاله السياسي. وهذه مظاهر جديدة على السياسة الداخلية الأميركية، كما لاحظ البروفسور (جون أسبوزيتو) مدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة (جورج تاون)، في كتابه الجديد "الحرب غير المقدسة".

وقد شاهدت بنفسي الرئيس بوش خلال العام الماضي وهو يصرح بأن "اليهود هم شعب الله المختار الوحيد على وجه الأرض".

ورغم وجود يهود في الحزب الديمقراطي، نظرا لانقسام اليهود إلى ليبراليين ومتدينين -وأحيانا تفاديا لوضع البيّض في سلة واحدة- فإن الجماعات اليهودية بدأت في الأعوام الأخيرة تميل إلى الحزب الجمهوري، لأن ولاءه للمسألة اليهودية نابع من اعتقاد ديني ثابت، مجرد من الاعتبارات السياسية والإستراتيجية في الغالب، بخلاف الحزب الديمقراطي ذي الميول الليبرالية، الذي يتعامل مع إسرائيل باعتبارها "دولة دنيوية" إلى حد ما.

فكرة إنشاء "وطن قومي لليهود في فلسطين" آمن بها المسيحيون البروتستانت قبل إيمان اليهود بها، وسعوا إلى تنفيذها قبل أن يسعى اليهود إلى ذلك، بل قبل أن يؤمن اليهود بإمكانية تحقيقها

ولاحظت الكاتبة الأميركية غريس هالسل أن الأصوليين المسيحيين في أميركا "مستعدون لتقبل نقد موجه لفرنسا أو إنجلترا، أو ألمانيا، أو إيطاليا، أو الولايات المتحدة، أو أي بلد آخر في العالم، لأن ذلك شأن سياسي، أما نقد إسرائيل فهويساوي عندهم نقد الرب ذاته" حسب تعبيرها.

اليهود تحولوا من "أمة ملعونة" إلى "أبناء الرب"، من "الغيتو" إلى قمة المجتمع، من "أمة مدنسة" مقتها المسيحيون كثيرا، إلى "أمة مقدسة" يظلم بها المسيحيون شعوبا أخرى.

إن فهم المسار التاريخي الذي أدى إلى تهود المسيحية البروتستانتية هوالمدخل الصحيح -في اعتقادي- لفهم السياسة الأميركية في فلسطين، وفي العالم الإسلامي بشكل عام، فالوقوف عند المظاهر السياسية والانتخابية لهذه السياسة لم يعد مجديا اليوم، وتفسيره بمجرد "شطارة" الأقلية اليهودية في أميركا تفسير سطحي لظاهرة تاريخية عميقة ضاربة الجذور "متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأميركي" حسب تعبير الرئيس كارتر.

المساء العظيم لكوكب الأرض !!

وهكذا نجد أن إسرائيل التي نعتبرها آخر جيوب الاستعمار والعنصرية، هي في أذهان أغلب الأميركيين مشروع إلهي لا يقبل الإدانة والنقد، فضلا عن المقاومة والنقض.

وهناك قصة تروي يتعين التوقف عندها.. أبطال هذه القصة هما راي سانديرز وزوجته شارون نشأ في مزارع الغرب الأوسط الأمريكي ولكن إسرائيل أصبحت

موطنهما منذ وقت طويل، بدأت رحلتهما إلى فلسطين المحتلة في السبعينيات عندما قرآ كتاب هال ليندساي (المساء العظيم لكوكب الأرض) الذي احتل قائمة الكتب الأكثر مبيعا عند صدوره ولسنوات تالية، تضمن هذا الكتاب سيناريو نهاية العالم وفقا لنبوءات المسيحيين.

ويشرح ساندرز في مكتبه الفسيح بمدينة القدس، طبقا لتقرير نشرته صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور "الأمريكية يشرح رؤيته وتأثير هذا الكتاب عليه فيقول إنه، أي الكتاب، نبه إدراكنا لإسرائيل ودورها المحدد في نبوءات الأيام الأخيرة لهذا العالم، لقد كان هذا تحولا مثاليا في حياتنا.

هذا التحول كان قوياً لدرجة دفعت الزوجين إلى ترك أعمالهما والانضمام إلى كلية للدراسات اللاهوتية ثم انتقلا إلى القدس بعد ذلك حيث شاركا عام ١٩٨٥ في تأسيس منظمة مسيحية صهيونية تسمى (المسيحيون أصدقاء إسرائيل).

ومن خلال عدد من المنظمات المماثلة بدأت المساعدات المالية والمعنوية تتدفق من المسيحيين الإنجيليين حول العالم وبخاصة في الولايات المتحدة إلى إسرائيل من أجل القيام بما يعتبرونه دورهم من أجل تجميع كل يهود العالم في فلسطين تمهيدا لعودة المسيح وفقا لمعتقداتهم.

ومن بين المجموعات الفرعية للمسيحيين الإنجيليين، المسيحيون الصهاينة الذين يبلغ عددهم في الولايات المتحدة حوالي عشرين مليون شخص، وهؤلاء المسيحيون الصهاينة قدموا خلال العشرين سنة الماضية ملايين الدولارات من المساعدات إلى إسرائيل وشكلوا تحالفا وثيقا مع سياسيي حزب الليكود اليميني المتشدد في إسرائيل الذي يسعى إلى إقامة (إسرائيل الكبرى) ويحشدون قواعدهم الشعبية في الولايات المتحدة لإجبار الإدارات الأمريكية على تبني سياسة خارجية مساندة لإسرائيل.

ويتمتع زعماء المسيحيين الصهاينة حاليا بنفوذ كبير في البيت الأبيض والكونجرس بما في ذلك دعم اثنين من زعماء الأغلبية في مجلس النواب الأمريكي، والحقيقة أن غالبية اليهود يرحبون بهذا التأييد الحماسي من جانب المسيحيين الصهاينة لإسرائيل

وبخاصة عند تصاعد مشاعر العداء لليهود، ويطلق العديد من زعماء إسرائيل على المسيحيين الصهيونيين لقب (أفضل أصدقاء إسرائيل).

ولكن هناك مسيحيون كثيرون ويهود بدأوا يعربون عن رفضهم لهذا التحالف بين اليمين المسيحي واليمين اليهودي الذي يعتبرونه مزجا خطيرا بين الدين والسياسة سوف يضر كل من إسرائيل وآفاق التسوية السلمية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي.

ويعتقد المسيحيون الصهاينة أن قيام دولة إسرائيل الحديثة شرط أساسي من أجل العودة الثانية للمسيح وقيام معركة (أرمجدون) النهائية حيث يهزم المسيح أعداء المسيحية.

كما يعتقدون بعودة كل يهود العالم إلى فلسطين لإقامة دولة إسرائيل التي ستفرض سيطرتها على كل الأراضي الممتدة من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان في مكان قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين بمدينة القدس.. هذه المعتقدات التي يؤمن بها المسيحيون الصهاينة أدت إلى تبنيهم مواقف معارضة لأي تسوية سلمية وتتجاهل رغبة غالبية اليهود في إسرائيل في التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين، وفي هذا الصدد يقول جيرشوم جورنبرج كبير محرري مجلة "جيروزاليم ريبورت" الإسرائيلية: الضغط على حكومة الولايات المتحدة من أجل التخلي عن مفاوضات السلام وتأييد السياسة التوسعية لإسرائيل كان له آثار سلبية على احتمالات التغيير في الشرق الأوسط.

كما أن اثنين ممن شغلوا منصب كبير حاخامات إسرائيل سابقا وهما إبراهام شابيرا ومورد خاي إلياهوأصدرا مؤخرا فتوى تطالب أتباعهما بعدم قبول أي أموال من جماعات المسيحيين الصهاينة مشيرين إلى أن الهدف النهائي لهذه الجماعات هي تنصير اليهود.

ويعتقد المسيحيون الصهاينة بأنه في الأيام الأخيرة من عمر هذا العالم وبعد عودة المسيح سيكون على اليهود إما التحول إلى المسيحية وإما مواجهة الموت.

كما أن المسيحيين في فلسطين يعارضون تفسيرات المسيحيين الصهاينة التي يعتبرونها تفسيرا ملفقا للمسيحية يؤدي إلى زيادة التوتر في فلسطين.

ويقول القس رفيق خوري بطريرك الكاثوليك اللاتينيين في القدس : "المسيحية الصهيونية حولت الدين إلى أيديولوجيا سياسية وإلى دين يحتاج إلى عدو". ولكن المسيحيين الصهاينة يقولون إن على المسيحي أن يدعم إسرائيل بكل قلبه، لذلك فهذه الجماعات المسيحية المتصهينة ترعى هجرة آلاف اليهود من روسيا وإثيوبيا وغيرهما من دول العالم إلى إسرائيل.

كما أنها تضخ أموالا هائلة لتمويل الخدمات الاجتماعية للتجمعات اليهودية في فلسطين وتشجع الكنائس في الولايات المتحدة على دعم المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة.

ويقول القس مالكولم هيدينج مدير منظمة (سفارة المسيحية الدولية في القدس) وهي واحدة من أكبر منظمات المسيحية الصهيونية ولها فروع في ٥٥ دولة على مستوى العالم: لا يوجد شيء اسمه فلسطين.

وقد ظهر مصطلح المسيحية الصهيونية لأول مرة في أواخر القرن التاسع عشر للتعبير عن تيار ديني ظهر في المسيحية يعرف باسم ما قبل الألفية، يقسم التاريخ البشري إلى عصور دينية، وتنظر أغلب المجموعات المسيحية الأخرى إلى هذه

الكتابات وما بها من نبوءات باعتبارها نبوءات تحققت بالفعل منذ عهود بعيدة أوأنها نبوءات رمزية وليس لها أن تتحقق بالضرورة في الحياة الواقعية، ولكن تيار المسيحية الصهيونية يرى أن هذه النبوءات ستتحقق في المستقبل.

وقد أشعل قيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ وانتصارها في حرب الخامس من يونيو١٩٦٧ واحتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان، أشعل حماس هذا التيار المسيحي الذي يؤمن بعودة المسيح في نهاية الألفية واعتبروا أن الأيام الأخيرة التي تسبق ظهور المسيح بدأت.

وفي السبعينيات ظهر كتاب لندساي الذي حقق مبيعات هائلة ونشر تعاليم هذه الطائفة المسيحية المحدثة بين ملايين الأمريكيين وجعل قيام ما يسمى بإسرائيل والحفاظ عليها في قلب العقيدة المسيحية لهذه الطائفة كما يؤكد دونالد واجنر أستاذ الدراسات الدينية والشرق أوسطية في جامعة نورث بارك بمدينة شيكاغوالأمريكية.

يقول واجنر إن ليندساي أسس شركة كانت لها تعاملات واسعة مع وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاجون " ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية "سي. آي. إيه"وجنرالات إسرائيليين وأعضاء في الكونجرس الأمريكي.

ولكن لم يكن ليندساي أول كاتب من طائفة ماقبل الألفية الذي يترك مثل هذا الأثر، فقد سبقه إلى ذلك وليام بلاكستون وهومسيحي أصولي مهد الطريق أمام هذه الأفكار في الولايات المتحدة وأصدر عام ١٨٨٢ كتابا تحت عنوان "المسيح يأتي".

وفي عام ١٨٩١ نظم أول حملة من أجل تأييد إقامة دولة لليهود في الشرق الأوسط، وقد ضمت حكومة الإمبراطورية البريطانية في مطلع القرن العشرين عددا من أتباع هذه الطائفة مثل اللورد أرثر بلفور وزير المستعمرات وصاحب وعد بلفور الشهير الذي تعهد فيه بإقامة دولة لليهود في فلسطين عام ١٩١٧ ورئيس الوزراء البريطاني ديفيد لويد جورج.

وتنتشر تعاليم ماقبل الالفية أوالمسيحية في الولايات المتحدة هذه الأيام عبر شبكة كبيرة من القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية والصحف والمجلات، ويتراوح أنصار هذا التيار ما بين متطرفين وشركاء إيجابيين يؤمنون بالنبوءات ويرون أنها تتحقق بالفعل، والحقيقة أن تعاليم مثل هذا التيار يمكن أن تجذب المزيد من الأتباع في أوقات الأزمات والضغوط كما يقول المراقبون حيث إنها تقدم تفسيرات غيبية مريحة لأحداث العالم المضطربة.

يقول مارتن مارتي مؤرخ الأديان المدير المساعد لبرنامج المشروع الأصولي (فاندمنت ليست بروجكت) الذي يدرس تفاعلات الأديان المختلفة في كل أنحاء العالم مع الحداثة يقول: المسيحية الصهيونية قدمت رؤية للعالم تبناها الناس وهم لا يدركون حقيقة حجمها.

ولكنه أدرك كما أدرك غيره بما في ذلك بعض المسيحيين الإنجيليين أن المسيحيين الصهاينة أصبحوا نشطاء بصورة متزايدة وأن نشاطهم هذا قد يكون له عواقب خطيرة وكارثية.

يقول القس تيموثي فيبر رئيس الحلقة النقاشية الدينية في ولاية تينسي الأمريكية ومؤلف كتاب (الطريق إلى أرمجدون): كيف أصبح الإنجيليون أفضل أصدقاء إسرائيل؟.. الخطورة أنه عندما يعتقد بعض الناس أنهم يعرفون كيف ستسير الأمور ويتصرفون على أساس هذا الاعتقاد فإنهم يستطيعون توجيه الأحداث بالفعل في الاتجاه الذي يمكن أن يجعل مثل هذه النبوءات تتحقق تلقائيا فتبدو الأحداث وكأنها وقعت كما تنبؤوا.

ويضيف فيبر قبل حرب يونيو١٩٦٧ المعروفة باسم حرب الأيام الستة كان أتباع تيار ما قبل الألفية يعتمدون على التاريخ في شرح لعبة نهاية الزمن حيث كانوا يوجهون الأحداث ويحددون اللاعبين من بين ثنايا التاريخ.

ولكن بعد توسع إسرائيل في أعقاب الحرب بدأ هؤلاء المسيحيون في النزول إلى الميدان ليتأكدوا من اصطفاف الفرق في أماكنها المحددة وأصبحوا يشاركون على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والدينية بصورة لم تحدث من قبل.

والحقيقة أن تسلسل الأحداث خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين مهدت الطريق أمام هذا النشاط البالغ للمسيحيين الصهاينة.

فبعد حرب ١٩٦٧ انضم المسيحيون الكاثوليك ومجموعات كبيرة من البروتستانت إلى الرأي العام العالمي الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ مقابل تحقيق السلام مع الدول العربية.

في الوقت نفسه أصبح المسيحيون الإنجيليون أكثر نشاطا على الصعيد السياسي ولأول مرة يصل حزب الليكود اليميني إلى الحكم في إسرائيل، وأهم مبادئ هذا الحزب هواحتفاظ إسرائيل بالضفة الغربية المحتلة إلى الأبد.

ويقول كليفورد كيراكوف العضوالسابق في لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكية أنه في عام ١٩٧٨ أجرى باحث إسرائيلي دراسة عن دور الكنائس الأصولية الأمريكية.

وساعدت هذه الدراسة في التقريب بين حزب الليكود وزعماء المسيحية الصهيونية في أمريكا مثل القس جيري فالويل وبات روبرتسون.

ومنذ ذلك الحين أصبح رؤساء وزراء إسرائيل من حزب الليكود مثل إسحق شامير وبنيامين نيتانياهووآرييل شارون يستقبلون باستمرار الآلاف من المسيحيين الصهاينة الأمريكيين في القدس المحتلة ويلتقون مع زعماء المسيحيين الإنجيليين ومنظماتهم خلال زيارات هؤلاء الرؤساء الإسرائيليين إلى أمريكا، كما بدأ الزعماء المسيحيون الإنجيليون يسافرون إلى إسرائيلي وينظمون الرحلات السياحية لأتباع كنائسهم إليها، وقد تأسست بالفعل في أمريكا الآن أكثر من ٢٠٠ منظمة مسيحية موالية لإسرائيل تقدم لها كل ما تحتاج إليه من دعم مالي وسياسي ومعنوي.

بالنسبة لراي ساندیرز وغيره من آلاف المسيحيين الصهاينة الأمريكيين فإن دورهم هوتعلم كيف يمكنهم خدمة إسرائيل بأفضل ما يمكن. يقول ساندیرز نحن نتعامل مع الوصية الخاصة بإسرائيل بمنتهى الجدية ونحن نريد أن يدرك الشعب اليهودي حسن نوايانا تجاهه بعد قرون طويلة من العداء لليهود وتدير منظمة (المسيحيون أصدقاء إسرائيل) العديد من المشروعات الخيرية تضم مراكز لتوزيع المساعدات الإنسانية على المحتاجين من الإسرائيليين في القدس المحتلة حيث تستقبل هذه المراكز التبرعات القادمة من الولايات المتحدة لتوزيعها على حوالي ٢٥٠ ألف يهودي.

أما منظمة (التآلف الدولي للمسيحيين واليهود) التي تحصل على دعم كبير من تجمعات المسيحيين الصهيونيين في الولايات المتحدة، فقد بدأت في جمع التبرعات قبل ثماني سنوات وبلغ إجمالي المساعدات التي قدمتها للإسرائيليين أكثر من ١٠٠ مليون دولار منها عشرون مليون دولار العام الماضي فقط، كما رعت هذه المنظمة هجرة حوالي ١٠٠ ألف يهودي من روسيا وإثيوبيا إلى إسرائيل كما يقول ياشائيل إيكستاين مؤسس هذه المنظمة.

ويضيف إيكستاين لدينا أكثر من٣٥٠ ألف متبرع يدعمون عملنا كما نحصل يوميا على ما يتراوح بين ٢٠٠٠ و٢٥٠٠ شيك مصرفي بالبريد.

ويطوف القس إيكستاين قارات العالم لتعريف رعايا الكنيسة بالجذور اليهودية للمسيحية ويحث أتباعه على تأييد إسرائيل.

وعندما كانت محكمة العدل الدولية تناقش عدم مشروعية الجدار العازل الذي تقيمه إسرائيل في الضفة الغربية المحتلة قاد هذا القس آلاف المتظاهرين أمام مقر المحكمة للاحتجاج على مجرد النظر في مشروعية الجدار.

كما يشترك مخطط الحملات الانتخابية للحزب الجمهوري رالف ريد مع إيكستاين في تنفيذ برنامج يسمى (تأييد إسرائيل) يهدف إلى نشر ثقافة مساندة إسرائيل بين المسيحيين في الولايات المتحدة.

وتمارس لجنة الشؤون العامة الإسرائيلية (إيباك) وهي مجموعة ضغط موالية لإسرائيل ضغوطا على الكونجرس الأمريكي ليرفض أي محاولة لفرض أي قيود على حركة إسرائيل بما في ذلك خطة السلام الأمريكية المعروفة باسم خريطة الطريق.

وقد دعا ريتشارد هيلمان رئيس (ايباك) مؤخرا زعماء أمريكا إلى التوقف عن تقديم أي مقترحات جديدة لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي.

كما انضمت منظمة (أمريكيون من أجل حماية إسرائيل) إلى العديد من المنظمات الموالية لإسرائيل في أمريكا إلى حملة تحمل شعار (حل قائم على دولة واحدة) بهدف وقف محاولات تنفيذ خريطة الطريق حيث استخدمت هذه المنظمات المطبوعات واللافتات في مظاهرات بالقرب من البيت الأبيض مع نشر رقم هاتف البيت الأبيض ودعوة الأمريكيين إلى الاتصال بالإدارة الأمريكية لإعلان رفضهم تنفيذ خطة خريطة الطريق.

ويتعاطف أعضاء الكونجرس الأمريكي مع وجهة نظر المسيحيين الصهيونيين بشأن ضرورة انفراد إسرائيل بالسيطرة على فلسطين وهوما يتعارض مع السياسة المعلنة للإدارة الأمريكية التي تؤيد قيام دولة فلسطينية إلى جوار إسرائيل.

يقول توم ديلاي زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب الأمريكي خلال زيارته إلى فلسطين المحتلة (لم أر أي أراض محتلة ولكنني فقط رأيت إسرائيل).

أما عضومجلس النواب الأمريكي السابق ريتشارد أرمي فقال عام ٢٠٠٢ عندما كان زعيما للأغلبية في المجلس في برنامج (هارد بول) التلفزيوني الذي يقدمه كريس ماتيوس إنه يؤيد نقل الفلسطينيين من بلادهم إلى دول أخرى.

يقول جورنبرج: هذا الموقف في إسرائيل ينظر إليه كما ينظر إلى موقف جماعات كوكلوكس كلان العنصرية المتطرفة التي تطالب بطرد السود من أمريكا، ويضيف أن هؤلاء الأمريكيين يتخذون مواقف أكثر تطرفا من مواقف الإسرائيليين أنفسهم.

البيت الأبيض في قبضة الشياطين !!

يقول ديل هودسون رئيس تحرير مجلة (كرايسز) أو (الأزمة والمسيحي الكاثوليكي المحافظ) إن الحديث عن تأثير المسيحيين الصهاينة على السياسة الخارجية الأمريكية مبالغ فيه، ويضيف التزام الإدارة الأمريكية بإسرائيل بدأ منذ اليوم الأول لظهور الدولة العبرية وقبل صعود المسيحيين الإنجيليين إلى قمة السلطة في واشنطن خلال السنوات الثلاث ونصف السنة الماضية.

ويضيف قائلا: دور هؤلاء المسيحيين الصهيونيين بالنسبة للسياسة الخارجية الأمريكية تجاه إسرائيل مجرد دور مساعد.

ويشير جاري باور رئيس منظمة (أمريكان فاليوز) على سبيل المثال إلى انتقاد الرئيس الأمريكي جورج بوش للمحاولة الإسرائيلية الفاشلة لاغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي زعيم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين في يونيو٢٠٠٣، ولكن العديد من زعماء المسيحيين الإنجيليين أثاروا هذه القضية مع الرئيس بوش وأعربوا عن استيائهم من موقفه، كما دعوا أنصارهم إلى التعبير عن رفضهم لموقف الرئيس بوش حيث وصل بالفعل آلاف من رسائل البريد الإلكتروني إلى الرئيس بوش، وخلال ٢٤ ساعة فقط عدل الرئيس الأمريكي موقفه وأكد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

وفي أبريل عام ٢٠٠٤، عندما نجحت المحاولة الإسرائيلية الثانية في اغتيال الدكتور الرنتيسي أعرب البيت الأبيض عن تأييده للعملية الإسرائيلية علانية.

ونتيجة للتحالف الحالي بين المسيحيين الصهيونيين وبين حكومات حزب الليكود الإسرائيلية بدأ هؤلاء المسيحيون يعملون مع العديد من المنظمات اليهودية في أمريكا على الرغم من الخلافات التاريخية بين الجانبين بشأن العديد من القضايا الرئيسية.

ويقول مورتون كلاين رئيس المنظمة الصهيونية لأمريكا وأحد زعماء لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (إيباك) الموالية لإسرائيل إن أهمية الدور الذي تلعبه الجماعات المسيحية الصهيونية تتزايد.

ففي الكثير من الدوائر الانتخابية التي لا يوجد بها سوى عدد محدود من اليهود نجد ممثليها في مجلسي الشيوخ والنواب يؤيدون إسرائيل بفضل الحضور القوي للمسيحيين الصهاينة في تلك الدوائر.

وأكثر ما يثير القلق بالنسبة لمعارضي تيار المسيحيين الصهيونيين في إسرائيل هواحتمال أن يكون موقفهم متقلبا.

ويقول بعض المسيحيين الفلسطينيين إنهم يشعرون بتأثير المسيحية الصهيونية بشكل مباشر وإن بعض المسلمين الفلسطينيين يفترضون الآن أن هذه الرؤية المسيحية الغربية المناهضة لقيام دولة فلسطينية مقبولة من جميع المسيحيين.

وبالنسبة لغالبية المسيحيين الفلسطينيين فإن المسيحية الصهيونية مثيرة للقلق لأنها تنطلق من أفكار تتناقض تماما مع رغبتهم العميقة في تحقيق السلام العادل لكل من الفلسطينيين والإسرائيليين.

والكثيرون من المسيحيين الفلسطينيين ينتمون إلى عائلات إما تحولت إلى لاجئين وإما تحولت إلى الحياة في دولة إسرائيل التي تأسست عام ١٩٤٨، فعائلة نعيم عتيق اضطرت إلى ترك منزلها المريح في مدينة بيسان الفلسطينية على يد القوات اليهودية عندما كان في الحادية عشرة من عمره.

ويقول المسيحيون الفلسطينيون إن مما يزيد الموقف اشتعالا أن تجد جماعة مسيحية تقدم المساعدات اللازمة لبناء مستوطنات يهودية على أراض مصادرة من الفلسطينيين، فعلى سبيل المثال، وبعد توقيع اتفاق أوسلوللسلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين عام ١٩٩٣ الذي تضمن اتخاذ خطوات في اتجاه إزالة المستوطنات الإسرائيلية من الأراضي الفلسطينية المحتلة أسس تيد بيكيت المسيحي الأمريكي في ولاية كولورادو منظمة تسمى (المسيحيون أصدقاء المستوطنات الإسرائيلية) بهدف جمع التبرعات لمساعدة المستوطنين اليهود في الأراضي الفلسطينية المحتلة، قامت هذه المنظمة بنشاط كبير في مجال مساندة المستوطنين سواء من خلال جمع التبرعات أو تنظيم رحلات سياحية للمسيحيين الصهيونيين لزيارة هذه المستوطنات أوتمويل مشروعات خاصة في هذه المستوطنات.

وتقول ساندرا باراس وهي يهودية متطرفة ترأس أحد برامج دعم المستوطنين التي تنظمها (منظمة المسيحيين أصدقاء المستوطنات الإسرائيلية) إنها تنظم حوالي عشر جولات سياحية إلى المستوطنات في الشهر، وتضيف المجتمع الإنجيلي يقف إلى جوارنا بكل قوة وهو من خلال الدعم المالي أو الزيارات التي يقوم بها أعضاؤه يبعث برسالة تشجيع لهؤلاء الذين يعيشون في المستوطنات.

في المقابل فإن حركة السبيل التي أسستها الطوائف المسيحية في فلسطين قررت شن هجوم مضاد على المسيحية الصهيونية فعقدت مؤتمرا دوليا تحت عنوان (تحدي المسيحية الصهيونية) شارك في هذا المؤتمر الذي عقد في مدينة القدس المحتلة أكثر من ٥٠٠ شخصية مسيحية من ٣١ دولة لمناقشة طرق مواجهة النفوذ المتزايد للمسيحية الصهيونية، كما شهد المؤتمر تحذيرات من جانب بعض اليهود من هذا النفوذ بالفعل.

ويحذر جيف هالبر أستاذ علم الأديان في جامعة بن جوريون الإسرائيلية من أنه عندما يتحول الصراع السياسي إلى صراع ديني فإننا نفقد القدرة على التعامل معه ويصبح الحل الوحيد المتاح هوالحل النهائي.

ويضيف هالبر أن التحالف الحالي بين المسيحيين الصهاينة والأصوليين اليهود يثير قلق الإسرائيليين لأن غالبيتهم من العلمانيين، ولعل أخطر الاحتمالات المتعلقة بنبوءة عودة المسيح يتمثل في محاولة إعادة بناء الهيكل اليهودي في المكان الذي توجد به قبة الصخرة والمسجد الأقصى المقدس لدى المسلمين.

ويقول هالبر إن بعض المسيحيين الصهاينة في أمريكا (أصبحوا مشاركين بقوة سواء ماليا أوبأي طريقة أخرى في حركة تسمى حركة الهيكل) تهدف إلى إعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى.

ويضيف عندما تتحدث مع المسيحيين الصهاينة عن تدمير قبة الصخرة المقدسة لدى المسلمين من أجل بناء الهيكل يقولون لك إن هذا كله متنبأ به وأنه سيحدث، ويقول البعض منهم إن زلزالا يمكن أن يحدث لكي يزيل كل المباني الموجودة على جبل الهيكل، ويتنبأ البعض الآخر بإمكانية سقوط صاروخ أرض أرض على القدس خلال إحدى الحروب بين العرب وإسرائيل فيزيل قبة الصخرة.

مثل هذه الرؤى تثير فزع الخبراء بشدة، ويقول المؤرخ مارتن مارتي إن هذا الخلط بين النبوءة والسياسات يمكن أن تشعل حربا عالمية ثالثة لا قبل للبشرية بها !!

والمتتبع لدور النشر العربية والأجنبية يجد عددا هائلاً من الأبحاث والدراسات الجديدة التي تتناول الشرق الأوسط من جوانب وأبعاد عديدة لكن أغلب تلك الإصدارات لاتجد طريقها إلى من يستفيد منها ربما لأن العرب لايقرأون أوإذا قرأوا ينسون أولا يستوعبون. وعلى أي حال فقد صدرت حديثاً دراسة عن جذور الانحياز من إعداد د. يوسف الحسن تحدث فيها عن الشرق الأوسط وجذور الانحياز الأمريكي إلى جانب إسرائيل كما صدر عدد كبير من الدراسات والتقارير التي تتناول الإرهاب في الشرق الأوسط ودور الانحياز الأمريكي إلى جانب إسرائيل في تأجيج المشاعر ضدها. أما على الساحة الأمريكية فإن من أهم العوالم الجديدة المؤثرة على تلك الساحة وصول اليمين السياسي إلى الحكم وقد تجسد ذلك مع

تولي الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان الحكم عام ١٩٨٠. وقد تمكن اليمين المحافظ من تأسيس برامجه السياسية والاجتماعية والثقافية على مبادئ دينية وتحالف مع قوى الصهيونية المسيحية بصورة وثيقة وذلك من خلال منظمة تدعى "الأغلبية الأخلاقية" التي نجحت في تسجيل أكثر من مليونين ونصف ناخب جديد لصالح انتخاب الرئيس رونالد ريجان عام ١٩٨٠.

وقد تمكنت قوى الصهيونية المسيحية من تأسيس منظمات وجمعيات ومراكز أبحاث سياسية ضمت عددا كبيرا من وجهاء وقادة المجتمع وشملت رجال أعمال ورجال دين وخبراء ومفكرين وعسكريين من البروتستانت واليهود. وفي تلك المرحلة برزت مؤسسة بحثية يمينية صهيونية هي "مؤسسة التراث" والتي كان لها أكبر الأثر على قرارات وتوجهات كل من الكونجرس وإدارة الرئيس ريجان وقد غلب على تلك السياسات الإجحاف وعدم المبالاة تجاه دول العالم الثالث والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة ومنظماتها الأخرى كمنظمة اليونسكووكان أكبر المتضررين من تلك السياسات العرب. ليس هذا فحسب بل إن تلك المؤسسة مارست ضغوطاً صاغت مواقف أمريكا السياسية والاقتصادية والعسكرية تجاه منطقة الشرق الأوسط والأمتين العربية والإسلامية.

ولم تقف ضغوط تلك المنظمة عند هذا الحد بل إنها صاغت توجهات أمريكا تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وعززت الانحياز الأمريكي إلى جانب إسرائيل ومن التأثيرات الملموسة أنها ضغطت باتجاه انسحاب أمريكا من عضوية اليونسكووالتهديد بالانسحاب من الأمم المتحدة ومنظماتها إذا قررت تلك المنظمات طرد إسرائيل من عضويتها ووقفت إلى جانب إسرائيل بكل قوة خلال وبعد عدوانها على لبنان عام ١٩٨٢، وحتى الآن، وبدأت مؤسسة التراث بتقديم دراسات عن الإرهاب الفلسطيني وتحديات النفط العربي. ومن ذلك نجد أن مشروع حرب الإرهاب قد بدأ الإعداد له وبلورته وتأجيجه منذ ذلك التاريخ حتى يتسنى خلط الأوراق في منطقة الشرق الأوسط ومن البديهي أن ينشط الإرهاب المبرمج

تبعاً لذلك حتى عم المنطقة بكاملها حتى لا يبقى "أحد أحسن من الآخر" وحتى تتكاتف حسب منظورهم قوى العدوان مع القوى المتضررة من الإرهاب للحرب على الإرهاب الذي ضمنوه ظلماً وعدواناً قوى التحرر والدفاع عن النفس. وغرضهم من تلك اللعبة أن يجعلوا شعوب العالم تضيع بين أخبار التفجيرات وتصبح لا تميز بين ما هو إرهاب وما هو مقاومة وبالتالي تضيع المقاومة وسط الزحام ليس هذا فحسب بل أرادوا من نشر الإرهاب إشغال حكومات وشعوب المنطقة بما يحدث لها من أبنائها عن القضية الكبرى وهي العمل على إحباط المخططات المشبوهة التي تحاك لكامل منطقة الشرق الأوسط بدوله وشعوبه ونسف جميع مقوماته الأساسية من دينية واقتصادية وعسكرية وثقافية لكي تستطيع إسرائيل أن تكبر وتترعرع وتحقق حلمها المشهور من النيل إلى الفرات، أليس هذا ما خططوا له ويخططون له؟ ومن ناحية أخرى فقد حرصت مؤسسة التراث على أن تكون رموز العمل الصهيوني ورموز الفكر المعادي للعرب والمسلمين هم من يتولى أنشطتها وإعداد دراستها ومحاضراتها ومن أبرز هؤلاء جين كير كباتريك وصومويل فراسيس وإدوارد لوتواك وريتشاد باربيس والأستاذ الجامعي النيوزيلندي المتخصص في شئون الخليج والذي ينادي بإعادة ترتيب خارطة الشرق الأوسط بما فيها تقسيم العراق. وخير دليل على دور تلك المؤسسة في السياسية الأمريكية ما شهدت به مجلة تايم عام ١٩٨٤ وكذلك صحيفة واشنطن بوست على أن إدارة الرئيس ريجان قد نفذت أكثر من ٦٠٪ من مقترحات "مؤسسة التراث" التي رشحت معظم القيادات للمناصب العليا كما عملت وتعمل على إعداد جيل جديد من الكوادراليمينية المحافظة وذلك حتى تضمن استمرار ثورة ريجان المحافظة بعد مغادرته الحكم وقد نجحت تلك المنظمة في ذلك حيث إن الإدارة الأمريكية الحالية هي استمرار لتوجهات الرئيس ريجان إلا أنها أكثر تطرفاً وتطبيقاً للتوجهات اليمينية المحافظة لذلك نستطيع أن نقول إن القوى الصهيونية المسيحية لعبت دوراً رئيسياً في وضع الأيديولوجيات والفلسفات الأخلاقية لقوى اليمين المتطرف.

فبالأمس القريب كان الاتحاد السوفيتي يعتبر "إمبراطورية الشر" وإسرائيل هي واحة الديموقراطية لذلك جعلوها مركز الاهتمام والرعاية أما اليوم فإن إيران وكوريا الشمالية هما محور الشر بعد أن قضوا على العراق كما أنهم اليوم يعتبرون العرب والمسلمين رعاة الإرهاب ويعتبرون إسرائيل حمامة السلام، وهي الجديرة بالدعم والحماية والآخرون يستحقون الحرب والقتل والدمار، ناهيك عن أنهم تبنوا الشعار الإسرائيلي الذي يقول إن أي نقد لسياستها وتوجهاتها هو معاداة للسامية وهذا يمثل خيانة لكل قيم الحضارة الغربية.

ونتيجة للتحالف الوثيق الذي نشأ في عقد الثمانينيات من القرن المنصرم بين قوى الصهيونية المسيحية واليمين المحافظ المتطرف قدمت حكومة ريجان لإسرائيل من المساعدات المالية والفنية والدعم السياسي مالم تقدمه أية حكومية أمريكية سابقة وقد ذهبوا الى أبعد من ذلك حيث وقعت الحكومة الأمريكية وإسرائيل على معاهدة التحالف الاستراتيجي، والتي شملت أول اتفاق من نوعه في تاريخ أمريكا تعقده مع دولة أجنبية وهواتفاق التجارة الحرة الذي أصبح ساري المفعول منذ عام ١٩٨٥ كما تم في آخر يوم من حكم الرئيس ريجان اتخاذ قرار بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس كما صارت في عهده محاضر الكونجرس في أمريكا مشابهة لمحاضر الكنيست في إسرائيل أليسوا وجهين لعملة واحدة؟

ريجان أيضاً في خدمتهم !!

وقد عكست أقوال الرئيس ريجان إيمانه بدعوى الصهيونية المسيحية ولاسيما ما يتعلق بالنبوءات التوراتية وعودة المسيح المرتبطة بمعركة هرمجدون التي سوف تجري حسب زعمهم على أرض فلسطين، والتي سوف تلعب فيها إسرائيل دوراً مهماً وبالتالي فهم يبررون مساعدتهم لإسرائيل أمام أتباعهم بأن ذلك تسريعاً لحدوث تلك المعركة التي يترتب عليها العودة الثانية للمسيح وهذه وسيلة يضحكون بها على البسطاء من المسيحيين.

وقد أكد ذلك التوجه حديث الرئيس ريجان الذي أدلى به لصحيفة واشنطن بوست عام ١٩٨٤م والذي وضح فيه مدى التزاوج المدهش بين الصهيونية المسيحية والسياسة الأمريكية في أواخر القرن العشرين. كما وضح كيف يعالج رئيس أكبر وأعظم دولة في العالم أزمة الصراع العربي الإسرائيلي، بأسلوب توراتي وأسطوري ومما قاله في هذا الصدد ما يلي "حينما أتطلع إلى نبوءات اليهود القديمة في العهد القديم وإلى العلاقات المرتبطة بمعركة هرمجدون، أجد نفسي متسائلاً عما إذا كنا نحن الجيل الذي سيرى ذلك واقعاً، ولا أدري إن كنت لاحظت مؤخراً أن هذه النبوءات تنطبق على زماننا الذي نعيش فيه".

وقد تطرق الحديث إلى أبعد من ذلك مما تضيق المساحة عن ذكره وقد أعيد نشره في وثائق البيت الأبيض ونشرته الأسبوعية كما كرر ما قاله في عشرات المناسبات. حتى إنه أثار الهجوم عليه من قبل مجموعات دينية كاثولوكية في وسائل الإعلام. إذاً السؤال الذي يطرح نفسه حين ذاك ويطرح نفسه الآن هوكيف يمكن الاقتناع بجدية وحيادية دولة عظمى مثل أمريكا نحو بناء سلام عالمي أوسلام إقليمي في الشرق الأوسط وهي تتبنى فكرا لاهوتيا يسيطر على قرارات البيت الأبيض وكذلك على الغالبية في الكونجرس كما أنه يشكل ضغوطاً على المجتمع من خلال منظمات نافذة مثل مؤسسة التراث وغيره من المنظمات الصهيونية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل الأدهى والأمرُّ أن ذلك الفكر قد تسرب إلى المؤسسة العسكرية وهي المؤسسة التي تملك أقوى قوة مدمرة عرفها التاريخ. وجاء ذلك من خلال المحاضرات التي تلقى على كبار قادة الجيش من قبل المبشرين بنظرية معركة هربجدون ومن أبرز أولئك المبشرين الصهيوني المسيحي البارز هيل لندسي صاحب كتاب "كوكب الأرض العظيم الراحل" الصادر عام ١٩٧٠، كما انعكس هذا الفكر في الخطاب السياسي لعدد من القادة عند وصف المعارك بين العرب وإسرائيل وغيرها من صراعات ومشاكل الشرق الأوسط.

والجيل الجديد من المسيحية الصهيونية أصبحوا أقل صراحة من رونالد ريجان وأقل لباقة منه كما أنهم أقل منه مهارة وذكاء لذلك جاءت تصرفاتهم متضاربة ومتناقضة وغير منطقية لكن في سبيل مجد إسرائيل وحمايتها يصبح كل شيء جائزاً لذلك نجد أن المسيحية الصهيونية اليوم مدعومة بعدد لا يحصى من المنظمات ورجال الأعمال والإعلام ناهيك عن دور المنظمات الصهيونية التي تعتبر الاحتياطي العام والنظامي لها بل الداعم لوجودها وشرعتها في كل من السياسة والاقتصاد والإعلام وحتى داخل المؤسسة العسكرية. وهذه السيطرة أصبحت محكمة حتى أصبح الجميع يؤدون قسم الولاء والطاعة لإسرائيل قبل أن يؤديه لأمريكا فمن استمع أو يستمع إلى مرشحي الرئاسة الأمريكية في أي دورة من الدورات الانتخابية يجد أنهم يتحدثون عن كل شيء بهامش لابأس به من الحرية حتى يصلوا إلى إسرائيل حيث تجدهم جميعاً ينطقون بلسان واحد ولايختلفون عليها وخير شاهد على ذلك سباق كل من المرشح الديموقراطي جون كيري والرئيس الأمريكي جورج دبليوبوش حيث أن كلا منهما في سباق مع الآخر في تبني كل شيء يمت لإسرائيل بصلة ومن ناحية أخرى تجدهم يكادون يختلفون على كل شيء يخص مصلحة الشعب الأمريكي.

إن تحالف المسيحية الصهيونية مع اليمين المتطرف ومن خلفها المنظمات الصهيونية هو الذي خلق ما يسمى اليوم حرب الإرهاب وهي الحرب التي في حقيقة الأمر لا تحارب الإرهاب بقدر ما تزرعه وتغذيه، لتستغله في النهاية، وللأسف نحن نساعدهم بما يصدر عن متطرفينا من فتاوى مسمومة، وعمليات إرهابية تقوم بها قلة، تقدم لأعداء الإسلام مصوغات الحرب على الإسلام والمسلمين !!

وحتى نتفهم أبعاد ظاهرة المسيحية الصهيونية يجدر بنا التوقف عند قضية شائكة أهمها عودة المسيح في الأدبيات اليهودية بما تتضمنه من حوادث تتزامن مع عودة المسيح وشروط عودة المسيح والمعركة القادمة.

تقول التوراة: "يولد لنا ولد، ونعطى ابناً، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجبياً مسيراً إلهاً قديراً أباً أبديّاً، رئيس السلام لنمو رياسته. وللسلام لا نهاية على كرسي داوود، وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، من الآن إلى الأبد، وغيرة رب الجنود تصنع هذا".

وقد تحدث التلمود أيضاً بالطريقة نفسها التي تحدثت بها التوراة حيث جاء: "سيأتي المسيح الحقيقي، ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المسيح حينئذ الهدايا من كل الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة، لأنها قد حصلت على جميع أموال العالم".

ومما جاء في التلمود كذلك: "حين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً، حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة. وفي ذلك الزمن ترجع السلطة إلى اليهود، وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح، وسوف يملك كل يهودي ألفين وثلاثمائة عبد لخدمته، ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني إسرائيل".

ويتحدث التلمود عن الحرب التي ستشتعل في زمن غير بعيد من مقدم المسيح: "وقبل أن يحكم اليهود نهائياً، يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، وسيأتي المسيح الحقيقي ويحقق النصر القريب".

وفي هذا الكلام مفارقة واضحة عمّا تدعو إليه الأديان السماوية من الرحمة بدل اعتماد أسلوب القتل والإرهاب، حيث لا يعقل أن يكون هذا نهج الأنبياء والرسل، ولا ماجاءوا به من كتب ورسالات، كما يتبين أن في هذا الكلام تمييزاً عنصريّاً يحاسب فيه غير اليهود (الأغيار).

وهذه النظرة العنصرية الاستعلائية تعكسها بروتوكولات حكماء صهيون وتحديداً في البروتوكول ٢٣: "إن ملك إسرائيل سيصير البابا الحق للعالم، بطريرك الكنيس

الدولي. إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومعيناً من أعلى كي يدمر كل الأفكار التي تغري بها الغريزة لا العقل. إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل، ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا، وحينئذ يجب أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أي قذر في طريق ملكنا، وحيئنذ سنكون قادرين على أن نصرخ في الأمم: صلّوا واركعوا أمام ذلك الملك الذي يحمل آية التقدير الأزلية للعالم، والذي يقود الله ذاته نجمه، فلن يكون أحد آخر إلا هونفسه قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة".

وقد تأثر المسيحيون المتهوّدون بهذه الأفكار، وخاصة بعد ثورة مارتن لوثر الذي ربط بين العهدين، القديم والجديد من الكتاب المقدس، لا يفرقان ولا يفترقان في تقديس الهيكل. فالنصرانية في نظرهم امتداد لليهودية، وما تنظر إليه التوراة بعين التقديس، ينبغي لأصحاب العهد الجديد (الإنجيل) أن يقدسوه كذلك. وهذا ما جعل بعض الطوائف النصرانية تستعجل إعادة بناء الهيكل، لأن ذلك سيعجل بظهور المسيح (عيسى ابن مريم) للمرة الثانية. لذا فهم يتضامنون مع اليهود لتحقيق ذلك الهدف المشترك (هدم المسجد الأقصى والصخرة، وبناء الهيكل، وانتظار المسيح الوشيك، الذي يطمعون أن ينخرط اليهود في دعوته هذه المرة). وعلى الرغم من اختلاف النظرة بين الفريقين حول هوية المسيح، فإن ذلك لم يعرقل مسار العمل بينهما، وهذا ما عبّر عنه يهودي زعيم لزملائه المسيحيين بالقول: "إنكم تنتظرون مجيء المسيح للمرة الثانية، ونحن ننتظر مجيئه للمرة الأولى، فلنبدأ أولاً ببناء الهيكل، وبعد المسيح ورؤيته نسعى لحل القضايا المعلقة سوياً".

هذا الانسياق المسيحي وراء الدعاوى اليهودية الباطلة، تضمنه التقرير الذي تقدمت به اللجنة المختصة ببحث علاقة اليهود بالكنيسة، لدى انعقاد المجمع العالمي الثاني للكنائس المسيحية في (افانستون) سنة ١٩٥٤، تضمن ما يلي: "إن الرجاء المسيحي بالمجيء الثاني للمسيح لا يمكن بحثه عبر فصله عن رجاء شعب إسرائيل الذي لا نراه بوضوح فقط في كتب العهد القديم، بل فيما نراه من عون إلهي دائم

لهذا الشعب، ولا نرتاح قبل أن يقبل شعب الله المختار المسيح كملك". وذلك قبل بداية الألفية الثالثة للميلاد، ليقيم مملكة الله على الأرض، والتي ستدوم ألف عام (العصر الألفي السعيد)، حيث سيحكم العالم من مقره في مدينة القدس، ويعتقد المسيحيون الأصوليون أنه لا بد من حدوث بعض الأمور كمقدمة لهذه العودة، واستناداً للعقيدة السائدة.

ومن شروط عودة المسيح: أن تصبح إسرائيل دولة، بحدودها التوراتية من النيل إلى الفرات. وأن تكون القدس عاصمتها. وأن يعاد بناء الهيكل. ولعل أهم كتاب ظهر حتى الآن، وكشف النقاب عن معلومات مذهلة حول تعاون اليهود والنصارى في سياق العمل المشترك من أجل الأهداف الثلاثة السابقة، وهوكتاب "النية القاتلة" وعنوانه الفرعي "المبشرون البروتستانت على درب الحرب النووية"، ومؤلفة الكتاب هي الكاتبة الأمريكية "جريس هالسيل".

وتقول الكاتبة: "إن التفسير التوراتي للمذهب البروتستانتي في الولايات المتحدة، تحول إلى مصدر تستمد منه عشرات الملايين من الناس هناك نسق معتقداتهم، من أولئك المبشرين الذين لهم الآن في الولايات المتحدة محطات تلفزيونية وإذاعية، وبعضهم في المراكز الحكومية، وفي الكونجرس الأمريكي، ومن بينهم أناس يرشحون أنفسهم لانتخابات الرئاسة الأمريكية. كلهم يعتقدون بقرب نهاية العالم كأمر لا مفر منه، بل كأمر ينبغي تشجيعه، لا لشيء إلا لتحقيق النبوءات. ولهذا فهم يشجعون التسلّح النووي، ولا يهمهم أن يكون عجز الميزانية الأمريكية هائلاً، على اعتبار أن ذلك يقرب مجيء يوم (الهرمجدون) وبالتالي عودة المسيح. والعالم في نظرهم يقترب من نهايته، والمعركة النهائية الفاصلة قادمة، وستدور رحاها في الشرق الأوسط، وبالتحديد في (مجدو) بفلسطين. ولهؤلاء المبشرين مؤسسات تخدم الحركة الصهيونية. وبعضها متخصص بجمع المال من أجل إزالة المسجد الأقصى وبناء الهيكل اليهودي في مكانه".

أما كلمة مجدو أو حلبة الصراع القادمة بين قوى الخير والشر، فهي منطقة في فلسطين تبعد ٥٥ ميلاً من تل أبيب و١٥ ميلاً من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

وأهمية هذه المعركة تنبع من كون غالبية أتباع التيار المسيحي الأصولي في أميركا يؤمنون بقرب حدوثها.

وكان الاعتقاد السائد منذ أقدم العصور، أن من يسيطر على هذه الأرض، سيتمكن من رد الغزاة. ويؤمن المسيحيون واليهود بأن جيشاً قوامه مئتا مليون مقاتل سيحتشدون في "مجدو" هذه لخوض حرب نهائية. أما عن علاقة هذا اليوم(هرمجدون) بقضية الأرض المقدسة وبناء الهيكل ومجيء المسيح، فإنّ النصارى الإنجيليين يعتقدون بأنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط ولا في العالم إلى أن يأتي المنتظر الموعود، ويجلس المسيح على عرش داود في القدس ويحارب أعداء إسرائيل.

وفي الحقيقة أن هذا الاعتقاد أصله في التوراة التي عند اليهود، والنصارى تبعوهم فيه، وجاءت الإشارة إليه في التوراة في سفر حزقيال. فعن قدوم قوى الخير تقول التوراة: "بعد أيام كثيرة تفتقد في السنين الخيرة، تأتي إلى الأرض المستردة من السيف المجموعة من شعوب كثيرة على جبال إسرائيل التي كانت ضربة للذين أخرجوا من الشعوب آمنين كلهم، وتصعد وتأتي كزوبعة، وتكون كسحابة تغشى الأرض، أنت وكل جيوشك وشعوب كثيرون معك".

ويعتقد الإنجيليون أن في كتابهم نبوءة تفيد برجعة عيسى (عليه السلام) بعد حدوث الكوارث والحروب: "ويكون في ذلك اليوم مجيء جوج على أرض إسرائيل. يقول السيد الرب: إن غضبي يصعد، وغيرتي في نار سخطي تكلمت، إنه في ذلك اليوم يكون رعش عظيم في أرض إسرائيل، فترعش أمامي سمك البحر وطيور السماء ووحوش الحقل، والدبابات التي تدب على الأرض، وكل الناس الذين على وجه الأرض، وتندك الجبال، وتسقط المعاقل، وتسقط كل الأسوار إلى الأرض، وأستدعي

السيف عليه في كل جبالي. يقول السيد الرب: سأجعل سيف كل واحد على أخيه، وأعاقبه بالوباء وبالدم، وأمطر عليه وعلى جيشه، وعلى الشعوب الكثيرة الذين معه مطراً جارفاً وحجارة برد عظيم وناراً وكبريتاً) (حزقيال / الإصحاح الثامن والثلاثون).

وتبلغ الهلوسة العقائدية ذروتها مع التصور التلمودي للمعركة الحتمية القادمة: "قبل أن يحكم اليهود نهائيّاً، لا بد من قيام حرب بين الأمم يهلك خلالها ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر، وحينئذ تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم".

وقد تحدثت بروتوكولات حكماء صهيون عن: "إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل، إن كان في معسكر أعدائنا عبقري فقد يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكون كفؤًا إلا لأيد عريقة كأيدينا... إن القتال المتأخر بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم مثيلاً لها من قبل، والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم".

وربما قد يجد البعض أن هذه المقولات محكومة بالمبالغة، ولا نصيب لها من الواقع، وتصب أولاً وآخراً في دائرة الخيال، ولكن هذا التصور غير صحيح، فمسألة "مجدو" أو "هرمجدون"، ليست نتاج مخيلة حفنة من الهامشيين ذوي الأطوار الغريبة، بل هي المكونات المعتقدية الأساسية لتيار مسيحي يصعب حصره بدقة. ولكي نكون أكثر تحديداً، فإن هذا التيار يتشكل خارج الكنائس الأرثوذوكسية والكاثوليكية والبروتستانتية التقليدية. هم مسيحيون أصوليون محافظون يرون المستقبل بعين النبوءات الواردة في الكتاب المقدس على نحومحدد. إنها تدين بمعتقد (الألفية) أو(ما قبل الألفية) المستند الى أسفار حزقيال ودانيال والرؤيا القاتلة. إن العالم كما نعرفه، أشرف على النهاية، وإن ألفاً من السنين سيبدأ بعد هذه النهاية. وهويتميز بالسلام ووفرة الخيرات والأخوّة بين الناس، وسيحل السلام بين الحيوانات أيضاً.

العالم آت إلى نهاية، لا بفعل جنون جنرال أوسياسي يشعل الحرب النووية، بل لأن هذا هو(قصد الله). ونهاية العالم ليست مدعاة (للقلق) بنظر (الألفيين)، لأنها تمهد لمجيء المسيح الثاني، لكن كما سبق القول، فلا بد قبل المجيء، من وقوع بعض الأحداث، إنها علامات زمنية: تبشير العالم، وعودة اليهود، وإعادة بناء الدولة، وظهور المسيح الدجال، وموجة من الصراعات والتقلبات. كل هذا يتوج بمعركة "هرمجدون".

وبالنسبة لفلسطين في النبوءات التوراتية.. أوالألفيون والعودة إلى فلسطين البروتستانتية وتفسير النبوءات التوراتية ، فمنذ منتصف عام ١٦٠٠، بدأت الحركة البروتستانتية دعوة اليهود إلى مغادرة أوروبا والعودة إلى فلسطين لإقامة مملكة الله، أوليفر كرمويل راعي الكومنولث البريطاني في انطلاقته الأولى دعا إلى تهويد فلسطين تمهيداً لعودة المسيح.

أما بالنسبة إلى فكرة (الألفية)، فيرى المحللون الدينيون أنها ترعرعت في كنف القراءة الحرفية للكتاب المقدس، واعتقد بها مسيحيون في الغرب، واعتبروا أن ما من شيء حصل في فلسطين سوى ما جاء ذكره في الكتاب المقدس (العهد القديم). وأول إشارة إلى الرؤية "الألفية" التي تتضمن اعتقاداً بأن عودة اليهود إلى فلسطين ستسبق مجيء المسيح الثاني، ظهر في أواخر القرن السادس عشر في كتابات عالم اللاهوت الإنجليزي توماس براتيمان الذي تأثر به القاضي هنري فنش. الذي نشر في عام ١٦٢١ كتاباً بعنوان "البعث العظيم للعالم" قال فيه: "حينما تذكر إسرائيل ويهوذا وصهيون وأورشليم في التوراة، فالله لا يعني بذلك إسرائيل روحية ولا يعني كنيسة الله تجمع في صفوفها الأمم واليهود المتنصرين، ولكنه يعني بإسرائيل تلك التي تحدرت من نسل يعقوب. وقل الأمر نفسه في ما يخص العودة إلى أرضهم وانتصارهم على أعدائهم، فاليهود هم المعنيون حقًّا وصدقاً بالتحرير، وليس المسيح هوالذي يحرر البشر".

وكان اللورد شافتسبري أحد أبرز قادة حركة تأسست في لندن سنة ١٨٠٧، لنشر المسيحية بين اليهود، وقد عارض اندماج اليهود في المجتمع الإنجليزي، لأن عليهم أن يظلوا غرباء في كل البلدان عدا فلسطين، حيث إنه كان مؤمناً بضرورة قيام دولة يهودية في فلسطين تحقيقاً للنبوءات التوراتية، وقد جاء في مذكراته، حيث رد بنفسه على تساؤل عن القوة التي يمكن إعطاؤها فلسطين، وهل ستكون أمريكا أم إحدى دول الشرق؟ فنفى بشدة هذا الاحتمال. بقوله: "هناك بلد بلا شعب، والله يفرضها الآن بحكمته ورحمته نحوشعب بلا وطن. "وقد تبنى الصهاينة فيما بعد هذه الجملة، وأصبحت أول الشعارات الصهيونية، كالآتي: "أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض".

وراحت تظهر مستندات الصهيونية المسيحية كأسسٍ ثابتة للتوجه نحواستعمار فلسطين والقدس. وأهم تلك المستندات الوعد الإلهي بامتلاك الأرض الموعودة ومقولة شعب الله المختار، والتي تشير صراحة إلى اليهود.

وحتى تكون هذه المقولات مكيّفة حسب الهوى الشعبي المسيحي ومزينةً الأمر لعقول الغربيين، فقد أضفت الحركة على مقولاتها نوعاً مما يسمونه بالمعجزة. فالمسيح لابد أن يعود من عليائه ليقود المؤمنين من اليهود والمسيحيين ليحارب المسلمين الكفار ويقيم مملكة داود الجديدة في القدس. وتلك المملكة سوف يدوم ازدهارها ألف عام. وأطلقوا على هذه المدة الألفيةَ السعيدةَ.

وخلال القرون الأربعة الماضية، وحتى هذه اللحظة، تطورت النظرة البروتستانتية حول تفسير نبوءات التوراة المتعلقة بالقدس وفلسطين. وقد تباينت فيها عدة تيارات وعدة تفسيرات. وبرز التيار الأصولي المسيحي من بين تيارات البروتستانتية كأكثر تيار نشيط ومحافظ في تفسيراته اللاهوتية. وهوالأكثر تطرفاً تجاه مناصرة اليهود. ومن ضمن هذه التيارات التيار القدري، الذي يزعم أن الله قد جعل في التاريخ مسارين متوازيين، أحدهما يعمل من خلال إسرائيل والثاني من خلال الكنيسة.

وبرأيهم، فإن هناك سبعة أقدار والقدر الحالي هو سادس هذه الأقدار، وهودور الكنيسة والنعمة، وينتهي بعودة المسيح لإقامة مملكته الألفية، وذلك هو الدور السابع. وعندها سوف تختطف الكنيسة من التاريخ وتستأنف "إسرائيل" دورها الأصيل كأداة الله في الأيام الأخيرة، وسوف تحدث إعادة مسيحانية لعرش داود لمدة سبعين أسبوعاً بعد إعادة بناء "أورشليم" القدس، وذلك حسب الفقرتين الكتابيتين الأساسيتين اللتين تستعملان لتسويغ هذه العقيدة «دانيال ٧ـ ٩ ورؤيا ١٦»

ولعل أخطر ما طرحته القدرية جاء على لسان جون نيلسون داربي عام ١٨٠٠ ـ ١٨٠٢ وسايروس سكوفيلد. فقد استند الأول في دعوته الصهيونية إلى مقولة أن الكنيسة سوف تختطف وستبقى "إسرائيل" لتقود العالم. أما سايروس سكوفيلد فقد طرح قدريته في كتاب له سماه "آخر كرة أرضية"، ويطرح فيه نظرية الحرب الكونية المسمّاة "هرمجدون"، ويرى فيه أن لله مخططاً على الأرض من أجل إسرائيل ومخططاً في السماء من أجل خلاص المسيحيين. ويرى في هذه النظرة أن على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه. ويعتبر أتباعه المعاصرون أن الإرهابيين اليهود الذين حاولوا مراراً تدمير المسجد الأقصى أبطالاً وقديسين.

وخلال تلك الفترة، لم يكن اليهود الأوروبيون شديدي الحماس للذهاب إلى فلسطين. لكن الموقف تغير بعد قيام الحركة الصهيونية وتأييد آرثور بلفور، وبالرغم من أن اللورد بلفور كانت له دوافعه السياسية والعسكرية التي سعى إلى تحقيقها من وراء إعطاء هذا الوعد للحركة الصهيونية، فإننا يجب أن لا نغفل أثر ثقافته الدينية التي لعبت دوراً حاكماً لصالح صدور هذا الوعد، في وقت لم تكن فيه فلسطين تخضع للسيادة البريطانية، تقول أخته بلانش دوغويل عن ثقافته: "وكلما اشتد عوده زاد إعجابه بالفلسفة اليهودية، وكان دائماً يتحدث باهتمام عن ذلك، وما زلت أذكر أنني في طفولتي اقتبست منه الفكرة القائلة، بأن الدين النصراني والحضارة النصرانية، مدينة بالشيء الكثير لليهودية.

ويقول عنه د. جروبر في كتابه "إسرائيل في العقل الأمريكي": "لقد كان بلفور أكثر فهماً من هرتزل لطموحات الصهيونية".

ومن المؤسسات المسيحية الصهيونية التي تمثل الذراع الطويلة لهذا التيار الشيطاني:

١ - المصرف الأمريكي المسيحي من أجل إسرائيل The American Christian trust for Israel: ومهمَّته تمويل استملاك الأراضي العربية في فلسطين، وبناء المستوطنات الصهيونية عليها.

٢ - مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية من أجل إسرائيل The national Christian leadership conference for Israel : ورئيسه فرانكلين ليتل صاحب شعار: "لتكون مسيحيّاً يجب أن تكون يهوديّاً" ومهمَّته نشر بيانات في الصحف والمجلات المشهورة تأييداً لإسرائيل.

٣ - الاتحاد المسيحي من أجل سلامة أمريكا Christian united for American security ومهمَّته ربط سلامة أمريكا بسلامة إسرائيل، وتأكيد نظرية رضا الله عن أمريكا من خلال حسن معاملتها لإسرائيل.

٤ - تاف الرعويات الإنجيلية TAV Evangelical Ministries ومهمَّتها تجييش الرأي العام الأمريكي وراء إسرائيل من خلال المؤتمرات والمنشورات والإعلانات.

الخطاب الصهيوني المزيف !!

ومن المهم هنا أن نتوقف عند موضوع مهم، وهوما أسماه الأستاذ الدكتور محمد مرسي بـ "تزييف المصطلح في الخطاب الصهيوني". فالخطاب الصهيوني – كما يقول - يتسم بعدم التجانس والإبهام والمراوغة نظراً لاستخدامه آليات أسلوبية

عديدة مثل استخدام أسماء ذات مسميات مختلفة، أوعدة أسماء لها في واقع الأمر مسمًّى واحد، أوكلمات لها معنى مبهم تخبئ التحيزات والمفاهيم الصهيونية العنصرية، أوترك فراغات عديدة داخل الخطاب الصهيوني. أواستخدام عبارات وديباجات متنوعة ومختلفة.

والخطاب الصهيوني له سمات محدودة أهمها المراوغة النابعة من تعدد الجهات التي يتوجه لها هذا الخطاب:

١ - الصهيونية حركة تابعة يدعمها ويمولها الاستعمار الغربي، ولذلك يتوجه الخطاب الصهيوني إلى الدول الاستعمارية الراعية.

٢ - لا تتوجه الصهيونية لهذه الدول وحسب أولنخبها وحسب وإنما للرأي العام غير اليهودي فيها، الذي لا يدرك الأبعاد الاستراتيجية للتحالف بين إسرائيل والحضارة الغربية.

٣ - لابد أن يتوجه الخطاب الصهيوني للمادة البشرية المستهدفة، أي تلك الجماعات اليهودية في العالم التي تنتمي إلى تشكيلات ثقافية وحضارية واجتماعية مختلفة.

٤ - تعود الصهيونية إلى أصول ثقافية ودينية واجتماعية وطبقية متباينة وهوما يجعل لكل فريق صهيوني رؤية وأولويات مختلفة.

٥ - تركت التيارات الصهيونية بعض القضايا الأساسية دون اتفاق، فلم يتم الاتفاق على هوية اليهودي بل لم يتم الاتفاق على هوية الصهيوني، كما لم يتحدد التوجه الاجتماعي أوالاقتصادي للعقيدة الصهيونية.

والمشكلة التي واجهها الخطاب الصهيوني هي كيف يمكن التوجه لكل هذه القطاعات في وقت واحد إذا كان على الدولة الصهيونية أن تقدم نفسها باعتبارها دولة ديمقراطية تنبع من أيديولوجية ليبرالية وتنتمي إلى الحضارة

الغربية العقلانية، ولكنها أيضاً دولة يهودية استبعادية حصرية، ولذا فهى تقوم بطرد الفلسطينيين وهدم قراهم وديارهم وخوض حروب توسعية تذكر الإنسان بدولة مثل إسبرطة أوبروسيا لا بأثينا وكان على الدولة الصهيونية أن تقدم نفسها باعتبارها دولة علمانية متطرفة في علمانيتها، ولكنها في الوقت نفسه تدعي أنها دينية متطرفة في تدينها ورأسمالية مغالية في رأسماليتها، واشتراكية مغالية في اشتراكيتها. والحركة الصهيونية تقبل اندماج اليهود في غرب أوربا (حتى لا تثير حفيظة يهود أوحكومات هذه البلاد) ولكنها في الوقت نفسه تطالب بتهجير يهود شرقها.

ويعتمد تزييف مفهوم المصطلح في الخطاب الصهيوني على عدد من الأمور، منها ما يلي:

- إخفاء مرجعية المصطلحات والمفاهيم الكامنة وراءها:

حينما يتحدث الصهاينة عن السلام "أو عن" الحكم الذاتي" فهم يخفون تماماً مرجعية هذه المصطلحات، فهل مرجعية هذا السلام هو قرارات هيئة الأمم المتحدة، أم المفهوم الإسرائيلي للسلام وهل الحكم الذاتي للفلسطينيين يعنى حق تقرير المصير أيضاً، أم أنه يعني قيام سلطة خاضعة لتوجيهات النظام الصهيوني؟

- محاولة تجاهل الأصول التاريخية أوتزييفها:

على أساس أنه يبدوالواقع كما لوكان مجرد عمليات وإجراءات وأحداث ليس لها تاريخ واضح ولا سياق تاريخي محدد، وبالتالي فليس لها سبب معروف أواتجاه محدد فالسبب لا علاقة له بالنتيجة، والنتيجة لا علاقة بسياقها التاريخي والمعلومة لا تنضوي تحت نمط ومن ثم يمكن أن يتحول الهامشي إلى جوهري والجوهري إلى هامشي، ويمكن فرض أي معنى على أية واقعة وأن توضع داخل نمط ما (عادةً نمط يهودي متكرر).

- تغليب عنصر المكان:

ويرتبط بالاتجاه السابق نحوإنكار الجذور التاريخية للظواهر تغليب عنصر المكان على عنصر الزمان فتتحول "فلسطين "إلى "أرض" أوحتى "إرتس يسرائيل" و"الوطن العربي" إلى "منطقة" وتبحث إسرائيل عن "الحدود الآمنة" الجغرافية التي لا تأبه بالتاريخ.

- النظر للظواهر الصهيونية من الداخل فقط:

حينما يتعامل الصهاينة مع ظاهرة يهودية فإنهم يعزلونها عن الظواهر المماثلة في المجتمعات الإنسانية فالإبادة النازية هي حدث وقع لليهود ولليهود وحدهم، دون الإشارة إلى ما حدث للغجر والمثقفين البولنديين والعجزة، واضطهاد أعضاء الجماعات اليهودية في بولندا وروسيا القيصرية يُعزَل عن اضطهاد أعضاء الأقليات الأخرى. وكل هذا بقصد عزل الواقعة عن النمط، حتى يمكن فرض معنى صهيوني عليها، وهي أن الأغيار، كل الأغيار، يضطهدون اليهود، واليهود وحدهم، ولذا فلا بد من أن يوجد لهم وطن قومي يأويهم.

- استخدام مصطلحات تبدومحايدة ولكنها في جوهرها تقوم بتغييب التاريخ والواقع العربيين:

. من التزييف الصهيوني البلاغي استخدام مصطلحات تبدوكما لوكانت بريئة محايدة تحل محل المصطلحات ذات المضمون التاريخي والإنساني العربي. ولعل أهم هذه المحاولات بطبيعة الحال هو الإشارة إلى فلسطين باعتبارها "أرضاً بلا شعب" فهذه عبارة محايدة للغاية، ففلسطين قد لا تكون أرض الميعاد التي وعد بها اليهود ولكنها ليست فلسطين أساساً وإنما هي مجرد أرض والسلام، مكان بلا زمان ولا تاريخ.

- استخدام مصطلحات دينية يهودية في سياقات تاريخية زمنية:

هذا التزييف البلاغي هوأيضاً محاولة لنزع الظاهرة من سياقها التاريخي، ولكنها من الأهمية والشيوع بمكان بحيث قد يكون من المفيد معالجتها بشكل مستقل. ويمكن القول إن الخطاب اليهودي الديني الحلولي لا يفرق بين الإله والشعب. ولذا فهو لا يفرق بين التاريخ الزمنى والتاريخ المقدس ولا بين المطلق والنسبي. وهذا ما يفعله الخطاب الصهيونى حين يشير إلى فلسطين باعتبارها الأرض المقدسة أو "أرض الميعاد" أو "إسرائيل" واستخدام المصطلحات الدينية في سياق زمني يخلق استمرارية تقع خارج إطار التاريخ.

- إخفاء مصطلح معين تماماً أومحوه من المعجم السياسي والحضاري أواستخدام مصطلحات تؤدي إلى تغييب العرب:

يلجأ الصهاينة لمحوبعض المصطلحات أوالمفردات تماماً من المعجم السياسي والحضاري حتى يمكن محوالمفهوم أوالشيء الذي تشير إليه، وإخفاؤه من الخريطة الإدراكية... وهذه الاستراتيجية تضرب بجذورها في الخطاب الاستعماري الاستيطاني الغربي الذي يستخدم ديباجات توراتية، يقال مثلاً: المستعمرون الاستيطانيون هم "عبرانيون" أو "الشعب المختار" و "البلاد التي يفتحونها (سواء في أمريكا الشمالية أوجنوب أفريقيا أوفلسطين) هي "صهيون" أوإسرائيل" ويشار إلى سكان هذه البلاد ب "الكنعانيين" لذا فمصيرهم الإبادة. ثم تمت علمنة هذا الاتجاه وأصبح المستعمرون الاستيطانيون" حملة مشعل الحضارة الغربية والاستنارة "وأصبح سكان البلاد المغزوة هم السكان الأصليين" أوالبدائيين" أوالهمجيين" أو "المتخلفين" أو "الهنود الحمر"...

- الخلط المتعمد بين بعض المصطلحات وفرض نوع من الترادف بينها:

يعمد الصهاينة إلى الخلط بين بعض المصطلحات التي لها حدود معروفة.

فهم يحاولون الخلط بين مصطلحات "يهودي""وصهيوني" و"إسرائيلي" وأحياناً "عبراني". وذلك على الرغم من أن كل مصطلح له مجاله الدلالي الواضح. وقد جرى الخلط بينها لتأكيد مفهوم الوحدة اليهودية الذي يشكل جوهر الرؤية الصهيونية. وقد شاع استخدام كلمة الصهيونية في العقول حتى أصبح من الممكن الحديث عن "الدولة اليهودية" و"دولة اليهود" و"الدولة الصهيونية" باعتبارها عبارات مترادفة.

- استخدام اسم يشير إلى مسميات مختلفة:

يُستخدم اسم مثل "الشعب اليهودي" دون تعريف هذا الشعب اليهودي، وأرض إسرائيل "إرتس يسرائيل" دون التحدث عن حدودها. وحيث أن لكل صهيوني تعريفه الخاص فإن الاسم هنا يشير إلى مسميات مختلفة، وتختلف باختلاف من يستخدم المصطلح: توطينياً كان أم استيطانياً، علمانياً كان أم متديناً. وهذا الإبهام يعنى أن الصهيوني يمكن أن يكون معتدلا إن شاء فيصرح بأن الشعب اليهودي هومن هاجر بالفعل إلى إسرائيل، ويمكنه أن يكون متطرفاً فيقول إن الشعب اليهودي هوكل يهودي أينما كان.

- استخدام أسماء مختلفة تشير إلى مسمى واحد أو إلى مسميات مختلفة توجد رقعة عريضة مشتركة بينها:

يستخدم الصهاينة اصطلاحات كثيرة مثل "الصهيونية الدينية" و"الصهيونية التصحيحية" و"الصهيونية العمالية" و"الصهيونية الدينية"... إلخ وهي عدة تيارات صهيونية يمكن اختزالها في نوعين اثنين، كما يشار إلى فلسطين المحتلة باعتبارها "اليشوف" أوارتس يسرائيل" أو"إسرائيل".

والأسلوبان السابقان في التعامل مع المصطلحات يهدفان إلى خلق فراغات يملأها كل صهيوني بالديباجات الملائمة وبالمضمون المناسب على أن يظل الإطار النهائى هوالإجماع الصهيوني والثوابت الصهيونية.

- استخدام مصطلحات لكل منها معنيان، معنى معجمي مباشر ظاهر ومعنى آخر حضاري كامن:

يستخدم الصهاينة عبارات تبدو بريئة وساذجة إن عُرفت حسب مجالها الدلالى المعجمي المباشر وحسب، ولكن معناها الحقيقي يتضح إن عرف مجالها الدلالى من خلال المعجم الحضارى وسياقها التاريخى المحدد، فتعبيرات مثل "القانون الدولى العام" أو "القانون العام" أو "قانون الأمم" تعنى في المعجم اللفظى دلالاتها الحرفية- ولكنها في المعجم الحضاري الغربي في القرن التاسع عشر تعنى "قانون الدول الغربية الاستعمارية" أو "القانون الاستعمارى الدولى".

الجذور الإرهابية للمسيحية الصهيونية !!

وقد نقل لنا الأستاذ خضر عواركة في ترجمته لأجزاء من كتابات شخصية لكاتبة مسيحية أميركية "عن أوراق باولا ستاكويل "وضع لها عنوانا يقرأ : الإباحية والعنف والإرهاب في جذور المسيحية الصهيونية وكتبها المقدسة جانباً من أفكار هذا التيار التكفيري المدمرة. وقال :

"ليس الغرض منه الإساءة للمسيحيين العرب أو حتى الأمريكيين، أنما هو لتبيان استناد العنصريين الصهاينة من أصحاب الإيمان المسيحي الألفي التكفيري الذي يدين كفر المسيحيين الشرقيين والغربيين من غير المنتمين إلى عقيدتهم العنصرية المجنونة عن قرب نهاية العالم بنفس المقدار الذي يدين به كفر المسلمين وهلاكهم المحتم في بحيرة النار والكبريت.

ونظرة فاحصة على الفضائح المزعومة التي تلاحق رجال الكنيسة الكاثوليك في أميركا ومقدار التشهير الإعلامي بهم ثم التعتيم على فضائح وجرائم حقيقية تقوم بها كنائس الموت القادم من الغرب الإنجيلية التكفيرية ليس أقلها منع عملية السلام من الانطلاق حتى ولوقبلت بها عشيقتهم إسرائيل.

بعد إيقاف الخلاف المسيحي المسيحي من" فوق" وبالقوة في القرن الرابع عن طريق القيصر الروماني أتم أسقف روما تركيز أرجحيته على حساب أساقفة أكثر أهمية وعلما منه بطريقتين اثنتين،قربه من القيصر وقتل المخالفين بالتعاون والتنسيق مع رؤساء الكنائس الغربيين الذين كانوا أكثر انقيادا إليه من الأساقفة الشرقيين الذين قبل من بقي منهم على قيد الحياة بمقررات نيقية التأليهية الثنائية غصبا (الله هو الأب والابن أما الروح القدس فلم يكن القيصر قد بت بأمره بعد واستمرت الثنائية إلى العشر الأواخر من القرن الرابع أي بعد حوالي الستين عاما من إقرار ألوهية المسيح) ولكن كان على السلطة الكنسية أن تجبر العامة على احترام سلطاتها والعامة في الأساس لم تكن راضية خصوصا في مصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى عن الإيمان المسيحي الغربي بتاتا لذا أرسل البابا فرقا من العسكر الروماني وضعها الإمبراطور تحت تصرفه ليخضع الجماعات المسيحية الشرقية للدين الجديد ومن يرفض يحرق ويصلب ويسلخ جلده ويرمى للضباع والغربان وقد ذكر التاريخ المسيحي الكثير من المفاخر الإجرامية التي قضت بموجبها مسيحية إمبراطورية على أتباع تلاميذ المسيح الحقيقيين الذين كانوا يستوطنون مصر والشام وغيرها فهدمت كنائسهم وأحرقت كتبهم التي كان أشهرها إنجيل متى العبراني الذي يعتقد على نطاق واسع أن متى الحقيقي هو كاتبه وكان الأبيونيون ومعنى اسمهم الفقراء إلى الله لا يعترفون بأي كتاب آخر غيره وقد أحرق الأبيونيون عن بكرة ابيهم وليس كتبهم فقط لأنهم يكفرون ببولس ويعتقدون أن بطرس مات في القدس وليس في روما وبالتالي أسطورة قبر بطرس المقدس لا معنى لها وهم يعتبرون كما معظم المسيحيين قبل نيقية أن المسيح نبي ورسول وأنه ام يمت ولم يصلب بل مسح بيده على وجه الخائن فصار شبهه ونجا هو أما صلاتهم فهي ثلاث في الصبح والظهر والمساء ويغسلون أيديهم وأرجلهم ويسجدون الى الأرض منكبين على وجوههم (راجع ابيفانوس السلامي في البانوريون - وتاريخ أباء الكنيسة الأوائل) ملاحظة: كشفت مخطوطات نجع حمادى المصرية عن كتب قبطية منها إنجيل بطرس الغير

معترف به من المسيحيين اليوم وفيه نفس القصة ونفس الأحداث عن أن المسيح لم يصلب بل وقف يسخر من المصلوب والصالبين من على شجرة وهذا الكتاب وجد مع غيره في منتصف القرن العشرين بالصدفة ومن أناس لم يعرفوا قيمته حتى تعرف عليه وترجمه عالم أميركي وقال معلقا على المخطوطات(إنها تعود إلى فترة اضطهاد الكنيسة الرومانية للمسيحيين الأوائل الذين على ما يبدو أخفوا بعضا من كتبهم التي أحرقت مثيلاتها «لفائف وصحائف» وقتل من لم يفعل)

وقد استند القتلة الى نصوص في الكتب فسروها بغير معناها ووضعوا إجرامهم على مخارج حروفها التي تقلبت على جلود الماعز وترجمت إلى لغات عدة وأصلها مفقود ومعانيها مرتبطة بذاكرة الحافظين فما هي النصوص التي ادعى القتلة البرابرة أنها تبرئهم من دماء المؤمنين أمام الرب وابنه لأن الروح كما قلنا سابقا لم تكن قد دخلت في الفريق حتى ذلك الوقت؟؟

• صموئيل الأول أصحاح ٢٢ ملك إسرائيل المؤمن شاوول يذبح الكهنة خدمة الرب في الهيكل لمخالفتهم أمر الملك !! (١٧ثُمَّ أمرَ الحرَسَ الواقفينَ حولَه: «تقدَّموا واَقتُلوا كهنةَ الرّبِّ لأنَّهُم هُم أيضًا وضَعوا أيديَهُم بيَدِ داوُدَ، ولأنَّهُم عَلموا أنَّهُ هاربٌ ولم يُخبروني». فرفَضَ الحرَسُ أنْ يَرفعوا أيديَهُم على كهنَةِ الرّبِّ. ١٨فقالَ المَلِكُ لدُواغَ الأدوميِّ: «تقدَّمْ أنتَ واَقتُلِ الكهنَةَ». فتقدَّمَ دُواغُ وقتَلَهُم وقتَلَ في ذلكَ اليوم خمسةً وثمانينَ رجلاً لابسي أفودِ كتَّانٍ. ١٩ثُمَ ضربَ شاوُلُ نُوبَ، مدينةَ الكهنَةِ، بِحَدِّ السَّيفِ فسقَطَ الرِّجالُ والنِّساءُ والأطفالُ والرضَّعُ والبقَرُ والحميرُ والغنَمُ.)

في هذا الفصل استجار قتلة المسيحيين الأوائل على أساس نموذج شاوول الملك المعين من الله وقتله كهنة معبد الله لخلاف في الرأي ليس هم فقط بل دخل حيهم وبيوتهم ومسحهم من الوجود على طريقة القصف الجوي البميركي لهيروشيما وسجادات القنابل في فيتنام وتسميم المزروعات والمحاصيل من الجو برشها بمواد صنعت خصيصا في أميركا أم الحضارة ورمز التسامح والحرية الدينية.

هل سمعتم بقوم إن أجرم كبيرهم وعظيمهم سامحوه وإن سرق قشرة بصلة ضعيفهم وضعوا قصته على السي إن إن ؟؟ من هذا النص أخذوا مثالهم اصحاح ٢٤ صموئيل الأول، داوود يعفوعن شاوول بعد أن اعتقله وبعد مجازر شاوول وجرائمه يعفوعنه عصبا عن شريعة موسى التي تقول العين بالعين والسن بالسن (خرَج داوُدُ وراءَهُ منَ المَغارةِ وناداهُ: «يا سيِّدي المَلك». فالتفتَ شاوُلُ إلى خلفه، فانحنى داوُدُ حتى الأرض، ١٠وقالَ لَه: «لماذا تُصدِّقُ القائلينَ لكَ إنَّ داوُدَ يَطلبُ أذاكَ؟ ١١ها عيناكَ رأتا،وأشارَ عليَ رجالي أنْ أقتُلَكَ، ولكنِّي أشفَقتُ عليكَ وقُلتُ: لا أرفَعُ يَدي على سيِّدي الذي مسحَهُ الرَّبُّ. ١٢فانظُرْ يا أبي، ها طرَفُ جبَّتكَ في يَدي. قَطعتُهُ ولم أقتُلْكَ فتَعلَمُ أنيٌ لا أُضمرُ لكَ شرا ولا خيانةً. ولم أُذنبْ إليكَ، وأنتَ تُطاردُني لتَقتُلَني. ١٣فليَحكُم الرَّبُّ بَيني وبَينكَ وينتقمْ لي منكَ، وأمَّا يَدي فلا أرفَعُها علَيكَ. ١٤كما يقولُ المَثَلُ القَديمُ: «منَ الأشرارِ سيخرُجِ الشَّرُّ»، لذلكَ لن أرفَعَ يَدي علَيكَ. ١٥فمَنْ تُطاردُ إذًا على مَنْ خرَج مَلكُ إسرائيلَ أنظُروا مَنْ يُطاردُ كلبًا ميتًا أوبرغوثًا. ١٦فليكُنِ الرَّبُّ ديَّانًا يَحكُمُ بَيني وبَينَكَ، ولينظُرْ إلى دَعوايَ ويُدافعْ عَنها، ويُنقذْني منْ يَدكَ».

• ١٧فلمَّا انتَهى داوُدُ منْ كلامه هذا، قالَ شاوُلُ: «أهذا صوتُكَ يا ابني داوُدُ؟» ورفَعَ صوتَهُ وبكى. ١٨ثُمَ قالَ لداوُدَ: «أنتَ أحسَنُ منِّي، أنتَ جازيتَني خيرًا وأنا جازيتُكَ شرا. ١٩والخيرُ الذي صَنعتَ إليَ اليومَ عظيمٌ، لأنَّ الرَّبَّ أسلمَني إلى يَدكَ ولم تَقتُلْني. ٢٠فأيُّ رجلٍ إذا تمكَّنَ منْ عدُوِّه يعفوعَنهُ؟ ألا جازاكَ الرَّبُّ خيرًا لما صَنعتَ معي اليومَ.)

صموئيل الثاني ١٣

وحتى نختم بفصل يبين مقدار الإباحية في كتب الصهونية المقدسة سنقرأ معا من العهد القديم ما يلي :(فأرسلَ داوُدُ يقولُ لتامارَ في القصرِ: «اذهبي إلى بَيتِ أمنونَ أخيكِ واعمَلي لَه طَعامًا». ٨فذهَبت إليهِ وهوَ مُستَلقٍ، فأخذَت دقيقًا وعجنت

وعَملَت كَعكًا أمامَهُ وقَلَتْهُ. ٩وأخذَت المِقلاةَ وسكبَت أمامَهُ، فرفضَ أنْ يأكُلَ وقالَ لِمَن حَولَهُ: «اخرُجوا كُلُّكُم مِنْ عِندي». فخرَجوا جميعًا. ١٠فقالَ أمنونُ لتامارَ: «أَدخلي الطَّعامَ إلى غُرفَتي فآكُلَ مِنْ يَديك». فأخذَت تامارُ الكعكَ وجاءت بهِ إلى أمنونَ أخيها في غُرفَتِه. ١١وقدَّمَت لَه ليأكُلَ فأمسَكَها وقالَ: «تَعالَي نامي معي يا أُختي». ١٢فقالَت لَه: «لا تُغصبْني يا أخي. هذه فاحِشَةٌ لا يفعَلُها أبناءُ إسرائيلَ، فلا تَفعَلْها أنتَ. ١٣فأنا أينَ أذهَبُ بعاري؟ وأنتَ، ألا تكونُ كواحدٍ مِنَ السُّفَهاءِ في إسرائيلَ ١٤ فرفَضَ أنْ يَسمعَ لِكلامِها، وهجمَ علَيها واغتَصَبها.)

وبعد هذا المرور السريع علي الصهيونية المسيحية أخطر آفات العصر، نستطيع القول أن اليمين المسيحي الصهيوني داخل الولايات المتحدة الأمريكية استطاع أن يزيد الموقف في المنطقة العربية تعقيدًا لا سيما على محاورها الثلاثة العراق والشام ومصر)من النيل إلى الفرات(وذلك تمهيدًا لإقامة ما يعرف بمملكة الرب.

وللتدليل علي هذا ننقل ما ذكره موقع مفكرة الإسلام علي الانترنت. يقول في العراق: مرر الاحتلال الأمريكي الانتخابات في مشهد هزلي أسفر عن صعود التيار الشيعي السيستاني –الموالي للاحتلال- إلى قمة السلطة رسميا في العراق ليكون ظهيرا للتواجد الأمريكي ليس فقط في بلاد الرافدين وإنما في المنطقة العربية كلها– بحسب الأولويات- ولم ترض المقاومة العراقية السنية بدور المتفرج بل صعدت هي الأخرى وتيرة ضرباتها المؤثرة، لتستمر العراق كلها في سيرها على جمر مستعر!

وفي الشام: كان التصعيد أشد وطأة في لبنان وسوريا وفلسطين : اغتيال الحريري وتبعاته المتلاحقة من تأزم للموقف السوري بازدياد التحرش الأمريكي الصهيوني متمثلا في مواصلة الضغط عليها وتوجيه إنذارات متوالية لها بسحب قواتها من لبنان على خلفية من الاتهامات بالتورط في اغتيال الحريري فضلا عن التلميحات– شبه الرسمية – باتهام سوريا بالضلوع في عملية تل أبيب الأخيرة

مما أدى في نهاية الأمر إلى الرضوخ السوري وإعلان الأسد سحب قواته من لبنان معلناً أنه (ليس صدام حسين!).

وأثناء ذلك وتحت الضغط الشعبي المتزايد على الحكومة اللبنانية قدمت حكومة كرامي استقالتها متخلية عن السلطة وعادت لبنان مرشحه بقوة للدخول في نفق مظلم جديد من التناحر بين فصائله المختلفة.

وفي سيناريو قريب من الوضع العراقي صعد التيار الأقرب إلى الكيان الصهيوني قمة السلطة في فلسطين بانتخاب أبي مازن رئيسا للسلطة الفلسطينية ومستمرا في محاولاته لتقويض المقاومة وإنهاء (عسكرة) الانتفاضة في ظل موجة من الإطراء والمديح الصهيوني الرسمي لأبي مازن واعتباره جديراً بدور الشريك في العملية (السلمية)

وأما في معظم ما لم يكن جميع البلدان العربية والإسلامية، فالأحداث فيها تشعر وكأنها في طور الارتقاء على سلم اهتمام المحافظين الجدد وحلفائهم الصهاينة!

فيما سبق تم استعراض المخطط الصهيوني لتطويق الدول المحيطة بالمملكة المزعومة المسماة بمملكة الرب (من النيل إلى الفرات) حسب النبوءة التوراتية المزعومة، وخلال هذا الجريان المتلاحق للأحداث على الساحة العربية الإسلامية، وخصوصا على محاورها الثلاثة الرئيسة العراق والشام ومصر (من النيل إلى الفرات)!

المسيح يدعوك لتبني مستوطنة !!

ومما يوضح ذلك النداء الذي فوجئ به العالم علي الانترنت ويقرأ عنوانه : "يسوع المسيح يدعوك لتبنّي مستوطنة" .. "لكي تفوز بملكوت السماء ورضا الرب يسوع، ادعم مستوطنات السامرة". وتحت هذا النداء صورة لعائلة يهودية مكونة من أب وأم وثلاثة

من الأولاد متكئين على حجر أمام إحدى المستوطنات، وحولهم عبارة تخرج من عين دامعة تقول:- "تذكرهم في صلواتك".. وظللت أتابع هذا الموقع الغريب على شبكة الإنترنت فقرأت العنوان التالي: اتصل بنا الآن كي تعرف كيف تستطيع أنت وكنيستك وطائفتك التي تنتمي إليها شد أزر هؤلاء المستوطنين الشجعان. وبالفعل اتصلت بهم فوجدت صفحة كبيرة - باللغة الإنجليزية طبعًا - عبارة عن خطبة لرئيس المنظمة التي تقوم على الموقع والتي تطلق على نفسها اسم "منظمة النبي يوشع" ويدعي تد باكت، عرفت فيما بعد أنه من كبار أساقفة البروتستانت في الولايات المتحدة الأمريكية وليس حاخامًا يهوديًا، ورحت أقرأ ما قال فكانت كلماته الطويلة والمسهبة حول عملية السلام الدائرة رحاها الآن في الشرق الأوسط وكيف أنها - على حد تعبيره - تزييف وخداع، واختتم مقالته بقوله:- هذا هوالوقت المناسب الذي يتوجب على المسيحيين فيه أن يتوجهوا لعملية السلام الحقيقية التي ستؤدي للمصالحة والحب، ودعم الشعب اليهودي الذي تنحصر رغبته في الإقامة على الأرض التي أعطاها له الرب، وأضاف الأسقف تد باكت أن هؤلاء اليهود لا يسعون لطرد العرب، ولا يقومون بتدمير القرى والبيوت، ولا يقصفون الأحياء السكنية!! كل ما يبتغونه هوأن يعيشوا حياتهم "داخل مستوطناتهم "بسلام حقيقي.!! دفعني الفضول لمتابعة الموضوع نفسه في الصحف الإسرائيلية فوجدت فيها الكثير من المقالات والإعلانات الموجهة لمسيحيي الغرب تناشدهم استكمال هذه المستوطنة أوتلك، فعلى سبيل المثال نشرت صحيفة "هآرتس" مقالة بقلم "بارونه قرا" تذكر فيها أن حملة التبرعات التي تقوم بها المنظمات المسيحية البروتستانتية في الولايات المتحدة وأوروبا وبلدان الشرق الأقصى أسفرت عن بناء ٤٥ مستوطنة من بينها مستوطنة عيناب التي تكلفت ٤,٥ مليون دولار. وتضيف الصحيفة أن هذه التبرعات تمت تحت شعار "تبنَّ مستوطنة"، وعن الفلسفة المسيحية التي دعت الأسقف تد باكت للقيام لتأسيس تلك المنظمة يقول :- هنالك مقولة للنبي يوشع تؤكد أن الكثير من غير اليهود - الغويم - يأتون إلى البلاد قبيل الخلاص لإيمانهم أن الخلاص سيأتي من إسرائيل، واستنادًا

إلي هذه المقولة تؤمن طائفتنا أن بقاء دولة إسرائيل وازدهارها خطوة هامة تمهد الطريق لعودة المسيح وتخليصه لليهود، ولهؤلاء المؤمنين من غير اليهود، ويضيف باكت أن الرئيس الأمريكي نفسه من أنصار هذا المذهب. أما الجمعية الأخرى التي تنشط في جمع التبرعات داخل الأوساط المسيحية لصالح المستوطنات اليهودية فهي جمعية "شوفا يسرائيل" أو "عودة إسرائيل" وهذه المرة الجمعية يهودية وليست مسيحية كسابقتها، وتتبع مركز السامرة لاستيعاب المهاجرين الجدد، ويبدي بعض أفرادها تخوفهم من أن تتحول التبرعات التي تقوم "شوفا يسرائيل" بجمعها من المسيحيين في الولايات المتحدة إلي وسيلة تبشيرية في أيدي البروتستانت، إلا أن ميل بورنشتاين - مستشار تجنيد الموارد في الجمعية وصندوق تنمية السامرة - طمأنهم بقوله : حسب الطريقة التي نعمل بها لا نواجه تلك المشكلة بالمرة، والفكرة ببساطة تقوم على أننا لا نجمع التبرعات من منظمة أومن شخص واحد فقط بل نكلف أتباعنا بالتنقل بين كل الطوائف الإنجليكانية في كل الولايات المتحدة، ويجمعون من الأفراد كل بقدر طاقته حتى ولوكان خمسة أوعشرة دولارات، وبالتالي لا يمكن لجهة بعينها أن يكون لها تأثير علينا.

أما الحاخامات فيقولون إن المشكلة في الشريعة التوراتية عندنا ليست في عملية جمع التبرعات في حد ذاتها، ولكن في الطريقة التي تجري بها؛ ولذا نراهم قد نشطوا في إعطاء الإرشادات الدينية لمن يتولون عملية الجمع والتي منها تأكيدهم على ألا ينشأ موقف من عملية الجمع يظهر فيه المسيحي في صورة المتفضل على اليهودي، على طريقة المثل الشائع الذي يقول: "أعطني حسنة وأنا سيدك" ويقولون تبريرًا لذلك "لأن المعروف لا يأتي إلا من قبل اليهودي فقط.!!" ويضيفون موجهين كلامهم لجامعي التبرعات من المنظمات اليهودية: "..عليكم ألا تقولوا إن هذا المال لمساعدة اليهود الفقراء أوالمهاجرين الذين ليس لديهم مال أوأنه تفضل منكم وإنما هوتبرع.. تبرع وفقط.!! وفي إحدى الحملات التي أقيمت في الولايات المتحدة لجمع التبرعات كانت هناك صورة كبيرة للصليب وضعت كخلفية خلف المنصة، فأبي حاخام ولاية

فلوريدا أن يبدأ الحفل إلا بعد أن يغطوا الصليب حتى لا يظهر، وفعلوا ما أراد ونجح الحفل، وأعلنت تلك الصحف عن إقامة حفل آخر الشهر القادم ينظمه موقع "النبي يوشع" للعديد من أصحاب مواقع الإنترنت في الولايات المتحدة تحت شعار "ليس هناك مسيحي في العالم لا يؤمن أن اليهود هم الذين سيستقبلون المسيح في نهاية المطاف". أغلقت جهاز الكمبيوتر ورحت أتساءل :-كيف استطاع اليهود أن يغيروا العقيدة المسيحية التي ظلت ألفي عام تؤمن أن اليهود اشتركوا في قتل المسيح عليه السلام، وأن أيديهم ملطخة بدمائه الطاهرة، وأن جريمتهم تلك تتوارثها الأجيال اليهودية جيلاً بعد جيل.؟! وسرعان ما تأتينا الإجابة على لسان البابا نفسه الذي أصدر وثيقة تبرِّئ اليهود من دم المسيح وتفند تلك "الأكذوبة" التاريخية، بل وتُحمِّل الضمير المسيحي عبء ظلم اليهود بهذه الفرية مما مهد الطريق الآن لأن يُكفِّر المسيحيون عن ظلمهم بدعم الدولة العبرية في فلسطين، ولا غرابة في ذلك فنحن في زمن العجائب. !!

وفي غفلة –شبه مُرتّبة- كان ثمة تربص آخر خفي بمصر ينذر بما هو أخطر من سابقيه!

إذ عقدت منظمة معروفة باسم (الغرفة الدولية التجارية المسيحية) ICCC مؤتمرا تحت عنوان (التجارة...الطريق السريع إلى مصر) في قلب القاهرة وفي إطار رسمي تحت رعاية رئيس الوزراء وبتمثيل رسمي من وزارة التجارة الخارجية وبالتعاون مع (جمعية رجال الأعمال المصريين EBA) وبدعوة رسمية من كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية.

والحدث له عدة مشاهد : المشهد الأول: حقيقة الغرفة المسيحية (من موقعهم الرسمي على الشبكة ووثائقهم المطبوعة والمنشورة). International Christian Chamber of Commerce (ICCC)وهي منظمة إنجيلية تنصيرية هدفها المُعلن تذليل كافة السبل في عالم التجارة الدولية لنقل البعد الديني إلى المجالات الاقتصادية والمالية تمهيدا لإقامة إسرائيل الكبرى التي يعتقدون حتمية قيامها لنزول المسيح لإقامة (مملكة الرب) التي تدوم ألف سنة ثم يعقبها نهاية العالم.

والغرفة تنتمي فكريا وعقديا للتيار (الصهيومسيحي) وهوالتيار الأكثر تطرفا في النصرانية الغربية المعاصرة ويأخذ على عاتقه التبشير بعقيدة قرب نزول المسيح المُخلّص ونهاية العالم بمعركة هرمجدّون، ويعتمد خطاب هؤلاء المنصّرين التوراتيين على رؤية مفادها أن العالم الآن أصبح تملؤه الشرور والخطايا، وهوما سيعجّل بظهور جيوش الشر بقيادة المسيح الدجال، وليس هناك حل لإنقاذ البشرية من الشرور والمهلكات إلا بعودة المسيح الذي يخلص المسيحيين المؤمنين به من هذا العالم المليء بالخطيئة والشر، وتحقق النبوءة عندهم رهن بقيام دولة إسرائيل الكبرى وتجميع كل يهود العالم، وعندها سينتشر السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة مدة ألف عام.

أما سياسيا واقتصاديا فاعتقاد هؤلاء النصارى أنه لابد من تقديم وحشد كل التأييد المادي والمعنوي، المطلق وغير المحدود أوالمشروط للكيان الصهيوني وتلك العقيدة بمثابة القوى المحركة لكافة توجهاتهم السياسية ونشاطاتهم الاقتصادية – ومنها المؤتمر الذي نحن بصدد الحديث عنه- كما أن (الغرفة التجارية المسيحية) تمثل الامتداد الاقتصادي التجاري للتيار الصهيومسيحي الذي نجح في نقل عقائده والتبشير بها على أعلى مستوي سياسي وعسكري في العالم منذ عهد رونالد ريجان حتى تقلد المحافظين الجدد قمة الهرم السياسي في الولايات المتحدة.

لذا نجد أن المنظمة لا تمارس الدور التنصيري التقليدي في دعوة الناس لاعتناق النصرانية ولا سيما في أوساط الفقراء والبؤساء والمنكوبين في أماكن الكوارث بل إنها لا تكترث كثيرا بإثارة الشبهات حول الأديان الأخرى صدا عنها فهذا ليس هوالنهج الذي تراه.

وأخطر جانب في الدور الذي تقوم به الغرفة المسيحية هوقدرتها على اقتحام المجالات الاقتصادية في كافة بلاد العالم- حتى وصلت إلى مصر قلب العالم الإسلامي- بشكل علني بخلاف غيرها من المنظمات التنصيرية.

وقد صرح بذلك رئيس الغرفة المسيحية «ديل نيل» على موقعهم الرسمي في خطاب له قائلا: (ما كنا لنحصل على مثل هذه الفرصة العظيمة – من التواجد الرسمي المعلن في قلب القاهرة بدعوة من الحكومة المصرية المسلمة كرجال ونساء مسيحيين لولا أننا جئنا باسم التجارة والأعمال !!)

ولعل كلمة 'ديل نيل' توضح لنا شيئا من مقصود الغرفة المسيحية بإطلاق هذا العنوان على المؤتمر (التجارة.. الطريق السريع إلى مصر)

المشهد الثاني: تعتيم إعلامي مريب ! المؤتمر عُقد في ظل غفلة إعلامية مريبة على جميع المستويات الإعلامية مصريا وعربيا غير أن 'مفكرة الإسلام' كان لها السبق والانفراد الإعلامي في تغطية فعاليات المؤتمر وكشف أبعاده – بخمسة أخبار حية متتابعة– من قلب الحدث وبحضور مراسلها لجلسات المؤتمر والمعرض المقام على هامشه وعقده للقاءات عابرة مع قيادات الغرفة المسيحية في ردهات فندق (جراند حياة)، حتى إن وجوده كان محل تساؤلات صامتة خاصةً في أعين ممثلي الغرفة الغربيين، ووصل الأمر بأحدهم وهورئيس الوفد الألماني 'كلاوس فيلبين' إلى أن تبسم له – بتهكم– قائلًا: (إن لحيتك تعجبني !) وقد أصر 'كلاوس' على تصويره بالكاميرا الخاصة به !

وبالرغم من حضور عدد من مراسلي الصحف الرسمية والمعارضة (الأهرام – الأخبار– العالم اليوم– الرأي العام الكويتية– الأسبوع– القناة الفضائية المصرية) إلا أن أحدها لم يبرز من خلفيات وأبعاد المؤتمر شيئا!

وللتمثيل على هذا التجاهل الإعلامي لم تكتف الصحف بعدم إبراز النشاط الحقيقي للغرفة المسيحية وأبعاد مؤتمرها فحسب وإنما تعمدت عدم ذكر اسم الغرفة بشكل صريح !

ففي أول إشارة عن المؤتمر نشر إعلان مُبهم تحت عنوان: (فرصة كبيرة للقاء

أكثر من ١٠٠ مستورد ومصدر ومستثمر أجنبي لأول مرة بجمهورية مصر العربية.. تتعاون "جمعية رجال الأعمال المصريين" و"الغرفة التجارية الدولية" ! ولم تذكر "المسيحية")

فقد نشرت الصحف عدد الأربعاء ٢٠٠٥/٢/٢٣ خبرا عن افتتاح المؤتمر والكلمات الملقاة وفيه أيضا نفس التعتيم المتعمد (الغرفة التجارية الدولية) فقط.. دون أن إكمال (المسيحية).

المشهد الثالث: عنوان المؤتمر مقتبس من الكتاب المقدس والشعار ماسوني !

لا يخفى أن مثل هذه الأحداث المنظمة من قبل مؤسسات ذات أساس فكري وعقدي كتلك الغرفة المسيحية المذكورة لا تتخذ الشعارات ولا العناوين هكذا مصادفةً وإنما يراعى جيدا أن تكون ذات مدلول رمزي يخدم أهدافها.

شعار المؤتمر : مع شيء من التأمل لهذا الشعار الهرم ذو القمة الذهبية المتلألئة! نجده هو نفس الشعار الماسوني الشهير المطبوع على ظهر عملة الدولار الأمريكي (فئة دولار واحد-أي الأكثر تداولا).

وقد ثارت في مصر ضجة شهيرة شارك فيها مثقفون وأثريون في أواخر أيام القرن الميلادي المنصرم تركزت حول الرموز الماسونية التي واكبت الاحتفالات المقامة بمناسبة الألفية الجديدة على سفح الهرم مثل وضع هُريم ذهبي أعلى الهرم الأكبر في منتصف الليلة الأخيرة من ديسمبر.

في تلك الآونة وصف الدكتور على رضوان -عميد كلية الآثار السابق ورئيس اتحاد الأثريين العرب- (أن هذا الهريم هو رمز ماسوني وقد تم وضعه على الدولار الأمريكي من قبل الماسونية العالمية) وقال أثريون آخرون-قبيل الاحتفال- (إن هذا الهريم سيكون مطليا بالذهب، وسيكون مصمما بطريقة تجمع أشعة الشمس لتعكسها باتجاه القدس في إشارة ماسونية أخرى ، أضف إلى ذلك أن الهريم سيتضمن نقشا لعين

عوراء- وهي نفس العين الموجودة على الهرم المرسوم على الدولار- وهوما اعتبره البعض إشارة إلى عين المسيح الدجال)

وقد امتدت المعركة بين المثقفين والأثريين من ناحية ووزير الثقافة من ناحية أخرى إلى وسائل الإعلام المقروءة والمرئية، ووصلت إلى مجلس الشورى الذي طلب من وزير الثقافة الرد على الانتقادات الموجهة إلى الاحتفالية

ورغم أن وزير الثقافة المصري فاروق حسنى أكد أنه رفض طلبا من إحدى الجماعات الماسونية لاستئجار خيمة بجوار الهرم بهدف ممارسة بعض الطقوس الدينية المشبوهة إلا أن المنتقدين أكدوا تواجد تلك الجماعات بالفعل وأنهم قاموا بممارسة طقوسهم الغريبة منذ عدة أسابيع وأن هذه الطقوس تبدأ عادة قبيل الفجر!

إذا فالاهتمام الماسوني بمصر ليس بمستغرب، لكن العجيب حقا هوعلامة الاستفهام الكبيرة التي تثيرها هذه الإشارة الرمزية من الغرفة المسيحية في اختيارها لذلك الشعار الماسوني. فماهي علاقة الغرفة الصهيومسيحية بالماسونية؟ وهل صارت العقيدة الصهيومسيحية والماسونية وجهان لعملة واحدة ؟

فهل الاختراق الماسوني قد أحكم سيطرته على التوجه المسيحي (الإنجيلي- البروتستانتي) وهذا في الواقع أحد التفسيرات !

في الواقع هذا الرأي له مؤيدون ولا يعكر إثبات أي شيء على الماسونية إلا أن الماسونية في حد ذاتها تنظيم قامت ركائزه على الإيغال في السرية والتكتم حتى لا يكاد أحد يصل إلى حقيقة واحدة عنها إلا بعض أمور قد حصل عليها شبه اتفاق بين الباحثين في الشؤون الماسونية منها أن الماسونية أصلها من يهود وقد صارت هي والصهيونية متلازمتين عند معظم من تكلموا عنها

أما توغلها في صلب التوجه المسيحي (الإنجيلي البروتستانتي) فهومما لم يتكلم فيه كثيرون.

في عام ١٢٩٢ وبعد أن أخرج المسلمون الصليبيين من القدس فقد فرسان الهيكل (وهم تشكيل عسكري على أساس ديني شارك مع الصليبيين في محاربة العرب المسلمين) أساس وجودهم.

ثم دعا البابا (كليمونت الخامس) أستاذ الماسونية الأعظم (جاك ديموليه) إلى باريس وبالتعاون مع (فيليب الخامس)، تمَّ في أكتوبر عام ١٣٠٧م اعتقال فرسان الهيكل في فرنسا، حيث صُودرت أملاكهم، واقتلِعت جذورهم، دخل من بقي منهم تحت الأرض، لكنَّ زملاءهم في بريطانيا تعلموا من الدرس، فاختبؤوا، وتحولوا بعد ذلك إلى ما يسمى البنائين الأحرار(الماسونيين) بنى هؤلاء أول محفل ماسوني في العالم، وكان ذلك في إنجلترا عام ١٧١٧.

أسعد السحمراني (أستاذ الفلسفة بجامعة بيروت) يقول في تصريح لقناة الجزيرة منذ عدة سنوات: ولعلّ ما يعزز هذا الكلام هوأن الوثائق الماسونية تبدأ من هذا التاريخ، والعامل الحاسم في نشأة الماسونية كان هو نشر الأدبيات العبرية في أوروبا، حيث قامت الكنيسة البروتستانتية بفعل هذه الأدبيات العبرية، وفي رحم البروتستانتية نشأ عددٌ من الشيع، أولها كانت الماسونية، لهذا نجد أن الماسونية والبروتستانتية تشتركان في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية. " ألف هاء "كانت تلك إشارة أريد بها إلقاء الضوء على اللغز المثير الذي ظهر لنا من التأمل في الشعار *الذي اتخذته الغرفة المسيحية لمؤتمرها في مصر عنوان المؤتمر: (التجارة..الطريق السريع إلى مصر)*

فيه إشارة رمزية واضحة تُبيّن أهداف الغرفة وأسلوبها في تحقيق تلك الأهداف وقد صرحوا بهذا على إحدى مواقع الغرفة الفرعية وهوموقع الغرفة المسيحية الكندية، وعلى هذا الرابط نجد:

الفقرة المذكورة هي نص من التوراة (العهد القديم) في سفر آشعيا الإصحاح التاسع عشر، العدد ٢٤-٢٦:

وفي ذلك اليوم يكون هناك طريق سريع من مصر إلى آشور (أي العراق) فيجيء الآشوريون (وهم نصارى العراق بالتعبير الحالي) إلى مصر والمصريون إلى آشور ويعبد المصريون مع الآشوريين.٢٤ في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثُلثاً لمصر ولآشور بركة في الأرض.٢٥ بها يبارك الرب الجنود قائلا مبارك شعبي مصر وعمل يدي آشور وميراثي إسرائيل.٢٦ '

وهذا النص بالضبط هو النّبوءة التوراتية التي يريد الصهيومسيحيون تحقيقها، وهي مملكة الربّ (من النيل إلى الفرات) ، فالنيل في مصر، والفرات في أرض آشور (بابل) أي العراق، وهوالحلم الكبير الذي يجتمعون عليه.

وعلى ظهر إحدى المطبوعات- التي حصل عليها مراسلنا - من الجناح الكندي للغرفة عن مؤتمرهم القادم في كندا تحت عنوان (مفاتيح عالم تجارة الرب من بابل إلى مملكة الرب) وُجد مكتوبا على ظهرها هذا النص :

" اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك "اهـ

والنص الأخير موجود في سفر المزامير الإصحاح الثاني وهو دلالة على النزعة الاستعمارية والتبشيرية التي يسعون إليها من أجل نشر أفكارهم وعقيدتهم وبسط نفوذهم على العالم.

المشهد الرابع: الغرفة المسيحية الدولية تطرح قضية سيادية عليا (ماء النيل وإيجاد حلول بديلة له) داخل كنيسة قصر الدوبارة في اجتماعات غير معلنة !!

في وثيقة الغرفة المسيحية حول المؤتمر المنشورة على موقعهم الرسمي أكدوا أن من بين القضايا التي ستطرح للنقاش في اجتماعات الكنيسة (الممنوعة على غير الأعضاء) "× كيف يؤثر الاقتصاد في أمة ؟ × الاقتصاد العالمي من منظور مملكة الرب. × كيف كانت مصر سلة الغذاء قديمًا في فترات المجاعة.. × العالم الإسلامي من منظور مملكة الرب. خامسًا: تحديد مصادر مائية بديلة أقل اعتمادًا على النيل. × التعاون الدولي بين البشر لتحقيق ميثاق الرب. "

وقد كانت هذه الوثيقة هي الخيط الوحيد الذي علمنا منه في 'مفكرة الإسلام' بأمر هذه الاجتماعات المغلقة (داخل الكنيسة)، فإن كل ما نشر أوذكر في مصر لا يشير من قريب ولا بعيد إلى أمر هذه الاجتماعات.

وعندما أراد مراسل "مفكرة الإسلام" الاستفسار عن الجلسات السرية المزمع عقدها في كنيسة قصر الدوبارة الإنجيلية – وسط القاهرة- الأيام التالية لم يجبه أحد من منظمي المؤتمر، إلا بعدما أخرج صورة من الوثيقة المنشورة على موقع الغرفة المسيحية على الإنترنت، والتي تؤكد أن جانبًا من المؤتمر سيعقد في الكنيسة.

ومما يذكر حول خطورة مسألة المياه تلك التصريحات التي أدلى بها وزير الري السوداني الأسبق الدكتور يحيى عبد المجيد مؤخرا على الجزيرة نت قائلا : (إن مصادر المياه في العالم تكتنفها الكثير من التعقيدات والتحديات الطبيعية والبيئية والمتغيرات الديموغرافية والسياسية التي ينبغي إدراك أبعادها والتحسب لها)

ونصح عبد المجيد دول حوض النيل بالنظر إلى ما يحاك في الظلام باسم العولمة والتجارة الحرة لجر دول الحوض إلى عراك من غير معترك !

وتجدر بنا الإشارة إلى قول رئيس الغرفة المسيحية الأمريكي "ديل نيل" : (إن اهتمام العالم في هذه الآونة بمصر وجيرانها ينبئ بأن هذه الدولة ذات الثقل التاريخي على وشك الدخول في تحول إلهي مقدس) (هذا هوالوقت المناسب لأن تجد المعجزات الإلهية طريقها للانتشار، لتكون مصر هي المباركة من العالم أجمع من حولها).

وهذه التصريحات تغني عن كثير من التحليل والشرح فهي غاية في الصراحة والوضوح...

إنهم باختصار يريدون أن يضعوا الحدود الغربية للمملكة المزعومة، وقد أيقنوا أن (التجارة) واستغلال الفقر والبؤس الذي يضرب بأطنابه على أهل مصر هوالطريق لتركيع مصر التي تعد قلب العالم الإسلامي وبوابته.. فماذا بقى إذن بعد انهيار الأسوار وتهاوي البوابات؟

كنائس الشرق الإنجيلية تتبرأ من المسيحية الصهيونية !

وقد أعلنت الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط براءة المسيحية مما يسمى بالمسيحية الصهيونية، مؤكدة أن المسيحية في مبادئها السامية لا تتفق مع الصهيونية الاستعمارية، وطالبت المسيحيين الغربيين بأن يرفعوا أصواتهم لرفض الظلم الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، حتى يصل صوتهم للإدارة الأمريكية التي تتبنى هذا الفكر المساند لدولة إسرائيل.

جاء ذلك خلال مؤتمر الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط الذي انعقد في العاصمة الأردنية عمان في الفترة من ٣٠مارس - ٢ أبريل عام ٢٠٠٦ بعنوان «الإنجيليون وما يسمي بالمسيحية الصهيونية» وحضره قساوسة وقيادات من الكنائس الإنجيلية في مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين والكويت.

وأوضح البيان الختامي للمؤتمر أن المسيحية ترفض كل أشكال العنف والعدوان وكل صور القهر والظلم وتشريد الأبرياء وترويع الآمنين ومن ثم لا توجد «مسيحية صهيونية»، حيث إن الكلمتين متناقضتان. فالمسيحية ديانة مبادئ وقيم وأخلاقيات بينما الصهيونية حركة سياسية استعمارية توسعية عنصرية ظالمة ترتدي ثوباً دينياً وهي تقوم على احتلال وسلب ونهب ما للغير.

وأضاف البيان: بدأ بعض المسيحيين في إنجلترا في القرن الثامن عشر يدافعون عن الحركة الصهيونية ثم امتد الدفاع في مرحلة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومن ثم فإنه يوجد بعض المسيحيين في الغرب يدعمون الحركة الصهيونية وهم يعملون بجد من أجل عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين وسيادة اليهود على الأرض منهم القس جيري فالويل ووالتر ريغتر وغيرهما وهم يفسرون بعض آيات الكتاب المقدس التي تتحدث عن عودة اليهود، بطريقة حرفية لا تتفق وعلم تفسير الكتاب المقدس، حيث إن هذا التفسير الحرفي يغفل السياق العام للنصوص والخلفية التاريخية والقرينة العامة لهذه النصوص.

وأكدوا أن من يفسرون الكتاب المقدس بهذه الطريقة الحرفية والتي تدعوللاستيطان الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية هم بعض وليس كل الإنجيليين الغربيين فالكنيسة الإنجيلية المشيخية في الولايات المتحدة الأمريكية - على سبيل المثال - ترفض رفضاً باتاً ما يحدث في الأراضي الفلسطينية من ظلم وقهر وعنف وقد سبق لهذه الكنيسة أن سحبت استثماراتها والتي تقدر بملايين الدولارات من الشركات التي تتعامل مع إسرائيل.

وأعرب المشاركون عن تضامنهم الكامل مع الكنائس الإنجيلية الغربية في رفضها للاحتلال الإسرائيلي وفي نبذها لكل أشكال الظلم والعدوان التي تمارسها الحكومة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين.

وعن موقف الروم الأرثوذكس من المسيحية الصهيونية كتب الأب د. عطا الله حنا يقول: "إن الكنيسة الأرثوذكسية ترفض رفضا مطلقا تسمية هذه الجماعات المتصهينة (بالمسيحية الصهيونية) إذ أننا لا نعترف بوجود شيء اسمه الكنائس المسيحية الصهيونية أوالمجموعات المسيحية الصهيونية، ذلك لأن هنالك تناقضا كبيرا بين ما تعلمه وتنادي به المسيحية وما تقوله وتنادي به الصهيونية، فالمسيحية نَصِفها بأنها رسالة سلام ومحبة ووئام وخلاص أراده الله للإنسان وانعتاق من الإثم والخطيئة والغرور، ناهيك عن القيم السامية التي تنادي بها المسيحية والتي لا مجال لذكرها الآن، أما الحركة الصهيونية فهي حركة عنصرية حاقدة هدامة محرفة لتعاليم الكتاب المقدس وتنظر بعين البغض والكراهية لكل من ليس يهوديا، إنها حركة عنصرية بامتياز تكرس الفكر العنصري والتمييز العرقي وتمارس أساليب خبيثة شيطانية بهدف تمرير مشروعها وسياساتها المشبوهة، ولذلك نحن في الكنيسة الأرثوذكسية ننظر بتحفظ شديد علي ما توصف به هذه الجماعات في كثير من الأوساط الإعلامية وغيرها علي أنها جماعات مسيحية صهيونية، إذ أنه في تراثنا الروحي الأرثوذكسي الشرقي لا وجود لشيء كهذا ونرفض وصم المسيحية وربط اسمها المقدس بحركة لا تمت إلى القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية بشيء وأعني بذلك الحركة الصهيونية، واستنادا

على هذا الموقف الذي لا تتبناه فقط الكنيسة الأرثوذكسية فحسب وإنما كافة الكنائس المشرقية أيضا فإننا نطالب وسائل الإعلام وبنوع خاص المفكرين العرب والمسلمين عندما يريدون كتابة شيء ما عن هذه الجماعات يمكنهم أن يصفوها (بالمجموعات المتصهينة التي تدّعي المسيحية) أما أن نقول إنها جماعات مسيحية صهيونية فهذا أمر يستفز مشاعر المسيحيين المشرقيين، وهوأمريمس المسيحية المشرقية الأصيلة في الصميم. ومن الواضح بأن الحركة الصهيونية ومنذ مؤتمرها الأول في (مدينة بازل السويسرية) وخلال مؤتمراتها المتعددة وضعت أمامها هدفا سعت لتمريره وهومحاولة اختراق المسيحية وتسخيرها في خدمة مشروعها الصهيوني العنصري، وهذه الجماعات المتصهينة التي تدعي المسيحية زورا وبهتانا هي جماعات أسست وأوجدت بهدف تسخير العقيدة المسيحية وتزوير وتحريف تعاليمها بما يتناسب والمشروع الصهيوني العنصري في منطقتنا العربية عامة وفي فلسطين خاصة، وهذه الجماعات هي أقرب إلى اليهودية الصهيونية منها إلى أي شيء آخر، لا بل نحن نعتقد بأن تأسيس هذه الجماعات المشبوهة أتى أيضا بهدف ضرب الكنائس الشرقية لا سيما الأرثوذكسية منها، حيث إن هذه المجموعات تستهدف فيما تستهدف ضرب الكنائس الشرقية والمساس بها وبحضورها وبهويتها وبأصالتها، وقد أسست في القدس قبل أكثر من ثلاثين عاما سفارة تتسمي بالسفارة المسيحية الصهيونية، وهدف هذه السفارة هواستقبال هذه المجموعات المشبوهة التي تأتي من الغرب وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية بهدف تمويل بناء المستوطنات ودعم المؤسسات الصهيونية ومساعدة إسرائيل ماليا، وكذلك تمويل نشرات وفعاليات وتجمعات ذات طابع مسيحي في الأراضي المقدسة بهدف اقتناص المسيحيين الشرقيين من أصولهم المسيحية المشرقية الأصيلة، فقد افتتحت خلال العشرة الأعوام الأخيرة مجموعة من الأبنية التي يسميها أصحابها بأنها كنائس تحت مسميات ومفردات متعددة متخذة من التبشير بالمسيحية شعارا لها ولكن هدفها الأساسي هواقتلاع المسيحيين الشرقيين من جذورهم وأصولهم وهويتهم وتسميم أفكارهم وغسل دماغهم في محاولة يائسة هادفة إلي إبعاد المسيحيين عن

قضاياهم العربية وعن انتمائهم وجذورهم القومية، وكنيستنا تواجه هذه الجماعات وطالبت ومازالت تطالب أبناءها رفض ولفظ هذه المجموعات التي تدعي المسيحية والتبشير بها ولكن هدفها مبيّت وهوينصب في خدمة المشروع الصهيوني وأهدافه الشيطانية، وإن كنائسنا في فلسطين تعاني الأمرين من هذه المجموعات المدعومة من الحركة الصهيونية.

إننا نرفض التفسيرات والتحليلات الصهيونية للكتاب المقدس فهي تفسيرات وتحليلات سياسية وغير روحانية، ونحن نعتقد بأن الكتاب المقدس يوصلك إلى المسيح، أما التفسيرات الصهيونية فهي مزيفة ومحرّفة لتعاليم الكتاب المقدس، وهدفها تبرير الاحتلال والعدوان وكأن هذه الأرض هي لهم وليست لسواهم، وقد كان البابا شنودة محقا عندما قال بأن هؤلاء احتلوا فلسطين بوعد من بلفور وليس بوعد من الله، وإنهم يتخذون من آيات كتابية يحرفونها ويفسرونها كما يحلو لهم تبريرا لأفكارهم ومواقفهم العنصرية.

إن هذه الجماعات الموجودة في الولايات المتحدة تقوم بجمع التبرعات لإسرائيل وتقيم المؤتمرات وتصدر المطبوعات التي تتحدث عن إسرائيل التي أتت على حساب شعب منكوب اُقتلع من أرضه ومن دياره، وإنهم يستعملون مفردات إلهية روحية لتبرير ما لا علاقة له بالله وبالروحانية، فالله لا يقبل الاحتلال ولا يقبل العدوان ولا يقبل أن يُقتلع الناس من بيوتهم وأرزاقهم ومن أراضيهم، ودور هذه الجماعات هو دور مشبوه.

ورسالتي إلى إخوتي المسلمين هي أنه يجب أن يميزوا بين المسيحية الأصيلة التي من الشرق نبعت ومن الشرق انطلقت إلى مشارق الأرض ومغاربها وبين هذه الجماعات المشبوهة، وإنني أقترح ما ذكرته آنفا تجنب استعمال مصطلح المسيحية الصهيونية لأنه غير صحيح أصلا، واستبداله بمصطلح الجماعات المتصهينة التي تدّعي المسيحية من دون حق. (إلى هنا انتهى مقال الأب دكتور عطا الله حنا).



التطرف الإسلامي الحرام بملابس الإحرام وخدمة أعداء الإسلام باسم الدفاع عن الإسلام !!

إن الذين يستغلون عواطف الشباب، للقيام بأعمال العنف في الوطن والعالم الإسلامي، لا يمتون إلى الإسلام بصلة ؛ لأن الإسلام جاء ليبني لا ليهدم، وليحيي لا ليقتل !!

أحمد ديدات

التطرف الإسلامي الحرام بملابس الإحرام

وخدمة أعداء الإسلام باسم الدفاع عن الإسلام !!

دون وازع من ضمير أو رادع من دين !!

في الوقت الذي أثارت فيه التفجيرات الأخيرة في لندن وشرم الشيخ موجة من الإدانة والغضب ضد الفكر "التكفيري " وما يسمى بالاستشهاديين، لاستهدافها مدنيين أبرياء، طالتهم قوي الغدر دون أي وازع من ضمير أودين، فتح آية الله محمد تقي مصباح يزدي مُنظِّر المحافظين الجدد في ايران، والأب الروحي للرئيس الإيراني الجديد محمود أحمدي نجاد، باب التطوع للانتحاريين، وذلك بنشر إعلان رسمي في صحيفة «برتوسخن» (ضوء الكلام) الصادرة في مدينة قم.

وكان الياس نادران، رئيس تكتل المحافظين الجدد في البرلمان الإيراني والضابط السابق في استخبارات الحرس الثوري، قد أنشأ قبل حوالي ستة أشهر تنظيما تحت اسم «زيتون» للرجال والنساء، الراغبين في القيام بعمليات «استشهادية» ضد أعداء الإسلام والثورة لا سيما الاميركيين والبريطانيين والإسرائيليين فضلا عن الدول الإسلامية والعربية الصديقة لأميركا.

وكشف محمد رضا سياري، أحد المتطوعين، الذي هرب من إيران أخيرا في حديث هاتفي مع «الشرق الأوسط» من مدينة فان التركية، أنه و٨٠ شابا من متطوعي الدفعة الأولى لـ«الاستشهاديين» زاروا مصباح يزدي في مكتبه بقم.

وقالت صحيفة "الشرق الأوسط "التي نشرت النبأ، الذي بعث به مراسلها علي نوري زادة أن التدريبات التي يخضع الانتحاريون لها في أربعة معسكرات تابعة للحرس و"فيلق القدس " تشمل تدريبات جسدية وتعليمات آيديولوجية وكيفية صنع القنابل والمتفجرات وقراءة الشيفرة واللغات الأجنبية لا سيما العربية والإنجليزية.

والمحنة هنا مزدوجة. فمن ناحية يتم دعم الإرهاب الإسلامي من جانب دول إسلامية، ومن ناحية أخري تغذي مثل هذه المواقف التيارات المسيحية الصهيونية بالوقود اللازم لشحذ همم الغرب لإعلان الحرب على المسلمين كافة، وعلى الإسلام الذي يحوله التطرف الإسلامي، وما يستتبعه من إرهاب يتخفي وراء الدين، والدين منه براء، يحول الإسلام في عيون الغرب الخاضع تحت آلة الدعاية الصهيونية الرهيبة إلى دين الكراهية والدم، ويبشع صورة المسلمين في العالم.

إن التطرف الديني يولد كل أشكال العنف وصولا للإرهاب، وإذ تحول الإرهاب الإسلامي إلى حرب شاملة على الحضارة وعلى الشعوب.

وتشكل ظاهرة التطرف الديني في المجتمعات العربية والإسلامية أحد مظاهر التطرف بصورة عامة فلا يمكن بأي حال الحديث عن تطرف باتجاه واحد وبلون واحد حتى وإن حاولت جهات كثيرة تصويره بهذا الشكل بل إن التطرف في الجهة الأخرى المناقض تماما للتطرف الديني لايقل شأنا عنه وقد يكون أحد أسباب بروزه باعتباره رد فعل طبيعي عاكسه في الاتجاه وزاد عليه قوة وجعل منه ضدا نوعيا ومعادلا موضوعيا.

ويقول الأستاذ قاسم محمد جبار إن التطرف الذي يشهده العالم لم يخلق من عدم بمعنى أنه لم يبدأ من الصفر فهو يكتسب وجوده وقوته من حيث انتهى الآخرون فهونتاج لمجموعة مكونات المجتمع وحزمة التاثيرات المكونة للأفراد والجماعات على المستوى التاريخي والثقافي والعقائدي بمعنى أن هناك عقائد ولنقل (مذاهب)إذا أردنا أن نسمى الأشياء بأسمائها مؤهلة أكثر من غيرها لإنتاج التطرف،يكفي أن تطل اطلالة سريعة على الفتاوى الصادرة من شيوخهم وكيف تبيح قتل الآخر المختلف مذهبيا وإن كان متحدا إسلاميا وكيف ترفض التعامل معه تحت عنوان واحد،هذه الأرضية تدفع بالتطرف إلى أقصى مداه حين يكون القتل "واجب ديني"!! وفي نفس الوقت تعطي المبرر المادي لاتهام الإسلام ككل بالتطرف والإرهاب.

التطرف صناعة حكومية !!

ومع هذا المناخ تساهم مجموعة المسلمات الفكرية والتاريخية الجاهزة لصناعة متطرفين يجدون في منظومة العقائد ما يبيح لهم هذا التطرف (الجهاد في حساباتهم وهوعند الآخرين تطرف وإرهاب).

تطرف حكومات ما بعد الاستقلال ودكتاتوريتها وتسلطها على شعوبها بعد أن وصلت إلى السلطة على أكتافهم، والإهمال المتعمد للأوضاع البائسة التي يعيشها هؤلاء مع التهميش السياسي والاجتماعي والتهميش الاقتصادي مما خلق مناطق واحياء للفقراء تمتاز بكثافة سكانية عالية ونسب بطالة مرتفعة مع خدمات معدومة كان من المفترض على هذه الحكومات أن تقدمها،مما جعل إمكانية تحول هذه المناطق إلى بؤر للتطرف احتمال لايمكن الاستهانة به لوجود المناخ العام الملائم لتقبل أفكار متطرفة،هذا على المستوى الاجتماعي والاقتصادي أما على المستوى السياسي فإن المعروف عن حركات التحرر في العالم العربي والإسلامي أنها كانت تتخذ من الدين محفزا وسندا للتخلص من الاستعمار على المستوى التعبوي والسوقي لتحريك الجماهير للانخراط في عملية المقاومة (خصوصا إذا لم نهمل حقيقة كون الدين مكوناً رئيسياً وحيويا جدا في هذه المجتمعات) كما حصل في ثورة العشرين في العراق التي قادها علماء الدين وثورة عمر المختار في ليبيا وعبد القادر الحسيني في فلسطين وعبد القادر الجزائري في الجزائر ودور الأزهر والزيتونة ....إلخ وما حصل أن من مهدوا لقيام حكومات مستقلة قد جرى إقصاؤهم عن مجرد المشاركة السياسية بل عملت هذه الحكومات على تصفيتهم جسديا ولعل أبرز نموذج يستشهد به ما حصل في مصر إذ ساهم الإخوان مع الضباط الأحرار في إسقاط الملكية إلا أن (العسكر)أقصت الإخوان عن أي مشاركة في السلطة بل جرى قمعهم وتصفية قادتهم كما حصل مع سيد قطب، وبالنتيجة فإن الإخوان المسلمين في مصر اندفعوا باتجاه التطرف في طريقة التعامل مع الحكومات السياسية (العلمانية) و(انظر مثلا استخدامهم لمصطلح الجاهلية في أدبياتهم)، هنا انتعش الفكر التكفيري ليس

مع الحكومات فقط بل مع أطراف أخرى من المفترض أنهم من نفس المنظومة التي ينتميان إليها. وبعد انتهاء الحقبة الاستعمارية، عاد المستعمرون القدامى والجدد ليتسللوا عائدين، بمساعدة ما كان من المفترض أن تكون أنظمة وطنية، حيث بدأت مرحلة دعم الحكومات الدكتاتورية المتسلطة على شعوبها وتوفير فرص البقاء لها وإنعاشها في حالات التدهور والاقتراب من السقوط واحتمال فقدان السلطة، كل هذا دفع هذه المجتمعات إلى نظرة عدائية للغرب.

وعن العلاقة بين الاستبداد وجذور ثقافة الكراهية يقول الأستاذ عبد المالك التميمي أستاذ التاريخ المعاصر بجامعة الكويت، إنه من المهم تحليل مظاهر الاستبداد في المجتمع العربي والإسلامي بوجه عام، وعلاقتها بثقافة الكراهية عبر تتبع جذورها التاريخية البعيدة في التراث، ثم كيفية تجاوز تلك الثقافة المعوّقة لاستنبات شجرة الديمقراطية. إن الانفراد بالرأي في الشأن العام أوفيما يتعلق بالغير ودون أي اعتبار لرأيه، فهذا هوالطغيان الذي حذّر منه القرآن "كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى".

ولا يقتصر الاستبداد بهذا المعنى على الجانب السياسي أوالسلطة الحاكمة وإنما يمتد ليشمل كافة جوانب المجتمع التنظيمية؛ اقتصاداً وتعليماً وتربية وإدارة وتشريعاً وثقافة.

الاستبداد في المجتمع العربي له جذور تاريخية، وما نظام (الخلافة) بالصورة التاريخية الممتدة عبر قرون متطاولة إلا نموذجاً من نماذج الاستبداد السياسي.

وأما "ثقافة الكراهية" فترجع إلى عناصر عديدة، دينية ومذهبية وقومية وقبلية وسياسية وثقافية : منها حديث افتراق الأمة وعقيدة الفرقة الناجية، والنزعات التعصبية بكافة أشكالها وأوهام التفوق الديني والعرقي والخطاب التحريضي ضد الآخر المختلف والخطاب الإعلامي والثقافة الذكورية السائدة. وفي النهاية إذا كنا نحن أبناء هذا العصر الذي يفرض علينا تحديات ثقافية عديدة فكيف نستطيع

مواجهة هذه التحديات بالصورة الإيجابية التي تسهم في تقدم مجتمعاتنا وحفظ مستقبل أجيالنا.

هذه الخلفية التاريخية يضاف لها السبب الأهم في تطرف النظرة والسلوك تجاه الغرب وهي قضية فلسطين وزرع إسرائيل في قلب العالم العربي بل والإسلامي على يد بريطانيا ثم الولايات المتحدة الامريكية بعد التطورات الدولية اللاحقة والعلاقة العضوية بين أمريكا وإسرائيل وتغليب مصالح إسرائيل على طول الخط على مصالح العرب وهذا وإن كان يرضي الحكومات في المنطقة فإنه في نفس الوقت يدفع المجتمعات العربية والإسلامية إلى التطرف تجاه الغرب وتجاه حكوماته أيضا الراضخة للواقع العالمي المحكوم بمنطق القوة العسكرية والاقتصادية.

وهناك دور الإعلام العالمي في تضخيم وصناعة رموز متطرفة أكبر من حجمها الحقيقي بعد انتهاء الحرب الباردة لحاجة الولايات المتحدة إلى عدو افتراضي "فكان من سوء حظ المسلمين والإسلام أن يفرض عليهم هذا الدور وينبغي هنا عدم إغفال الظاهرة الجديدة في العالم الغربي والانتشار السريع للإسلام فيه (الهروب من العالم الثالث أحد أسبابه) فيما عرف بظاهرة (الإسلامفوبيا) وخطرها على الغرب الذي اشعل الحرب على (الإرهاب) للحد من انتشار هذه الظاهرة على أراضيه.

وهناك دعم بعض الانظمة العربية وحكومات بلدان العالم الثالث لمنظمات وحركات متطرفة للاستفادة منها سياسيا وعسكريا كما يحصل الآن في العراق حيث إن المشروع العربي ومشروع دول الجوار الذي تتضح معالمه يوما بعد آخر بحاجة إلى توظيف هؤلاء المتطرفين من أجل تحقيق أهدافهم في العراق.

وهناك عدم قناعة (أصوليي) العلمانية بإمكانية التعايش المشترك والتداول السلمي للسلطة ضمن أجواء من الانفتاح والديمقراطية وترك الخيارات مفتوحة أمام الناخبين لتقرر صناديق الاقتراع القوة السياسية المنتخبة بالإرادة الحرة كما هو مفترض في ادعاءات العلمانيين وهذا ما حصل في الجزائر حين تم إقصاؤهم

بالقوة بعوامل داخلية وخارجية بعدما أفلحوا في كسب أصوات الناخبين وهذا ما دفع بالإسلاميين الجزائريين نحواتباع اساليب العنف والتطرف.

وهناك أيضاً عدم وضوح الرؤية السياسية للحركات الدينية المتطرفة وافتقارها لبرامج العمل السياسي المعلن وتقديم برامج عمل سياسية تستعير مفاهيم ومصطلحات سلفية جامدة لاتتوافق مع التطورات الاجتماعية والفكرية في العالم ووقوعهم في إشكالية يمكن تسميتها (التاويل التعسفي للنص) باتجاهات محددة سلفا وهي مشكلة عامة تحتاج إلى بحث مفصل يأتي فى حينه.

أما الأستاذ سيف الدين البحري فيقول إنه إذا أردنا أن تحدد بدقه أسباب تلك الظاهره فهي أولا سبب فكري في جوهر فهم المسلمين للإسلام ذلك الفهم الذي لايراعي البعد الإنساني والتاريخي لنصوص الفقه الإسلامي والنص الديني فبسبب سنوات الشلل الفكري في العالم الإسلامي الممتد ما يقارب ألف سنه ميلاديه تعطل فيها العقل الإسلامي عن العمل والعطاء والإنتاج ووقع أسير التكرار والاجترار لنفس المفاهيم القديمة للحياة والآخر والمرأة والجنس والكون والدين بالعموم ، شلل فكري تشبهه الكوما الثقافيه أدت كنتيجه طبيعية إلى أن يواجه الإنسان المسلم ابن القرن العشرين زمانه بمفاهيم القرن الأول والثاني الهجري، هذان القرنان الذي ولد بهما معظم تراثنا الفكري والإنساني ، لانقول بتاتا بخطأ ذلك التراث انما نقول ان الثقافه عملية تراكمية وفعل إنساني مستمر غير متوقف يضيف بستمرار ويطور المفاهيم والمعاني والتصورات للحياة والكون، الثقافه ليست حقيقة تسقط من السماء لمرة واحدة كما يحاول الإسلاميون إفهامنا باستمرار ويكلموننا كمن يمتلك الحقيقة الإلهية محتجين علينا بالنص الديني المقدس، لأننا نعلم علم اليقين أن النص الديني بحاجة لبشر حتى تفهمه وتتعامل معه إذ هو عملية سيسيولوجية عمل، عمل مجتمع وبشر، إذا كانت استقالة المسلمين من الحياه الثقافية والعطاء الفكرى الإنساني لمده ألف عام قد ولد صعوبة الاندماج وحتى تفهم ما وصل إليه الآخرون، ببساطة

السبب هذا الانقطاع عن العالم مع اعتداد عالي بالذات ، والحل هنا الإصلاح الديني تبدأ بدراسة نقدية للتراث الإسلامي والنص الديني حتى يتصالح فهمنا للدين مع العالم ويتماشى مع اللحظة التاريخية

ثانيا لايمكننا إلا أن نقول إن فشلنا أمام الغرب وحجم الهزيمة كان أكبر من تصورنا فكان الرد هو حالة نكوص وارتداد إلى الخلف نتستر بالتراث لنحمي شخصيتنا الإسلامية والعربية حماية مرضية بعد هزائمنا العسكرية ، هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وهزائمنا الاقتصادية بفشل مشاريع التنمية العربية والدليل الأرقام المتاحة بسهولة ، وهزائمنا السياسية والقومية بسقوط المشروع القومي العربي، وفشلنا في تاسيس حياة سياسية تؤسس لتداول السلطة وسيادة القانون.

ثالثا لاننسى ابدا ونحن نمر على ظاهرة التطرف الإسلامي دور الغرب وأمريكا وإسرائيل في انتشار التطرف الإسلامي ضمن سياسات دولية غربية أمريكية غير عادلة متحالفة مع الأنظمة العربية ومع إسرائيل. ولايستطيع أحد أن يقول إن الحرب الأمريكية على العراق سوف تساعد على التخفيف من التطرف في العالم الإسلامي ولااستخفاف إسرائيل بمطالب العرب سوف يساعد على الاعتدال بمواجهة التطرف..

طبعا انتصار الثورة الإيرانية ١٩٧٩ شجع الحركات الإسلامية باعتبار الإسلام حلاً.

ودعم أمريكا لمجاهدى أفغانستان أيام السوفيت ساعد أيضا ودعم إسرائيل للحركات الإسلامية الأولى حتى تواجه (فتح) معروف أيضا.

حرب استنزاف حتى الإفلاس !!

وقد اكد مركز بحثي متخصص على ضرورة البحث في أسباب ما اعتبره تصادما وتشابكا وتعقيدا بين الإسلام والغرب لا سيما مع دعوة ما وصفته بزعيم المتطرفين أسامة بن لادن إلى شن حرب استنزاف حتى الإفلاس.

وقال مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في نشرته (أخبار الساعة) أن ما يبرر ضرورة البحث في هذه المسألة دعوة بن لادن إضافة إلى تصاعد وتيرة (الجهاد الالكتروني) عبر الإنترنت.

وأضافت النشرة أن الإنترنت تحول إلى "ساحة حرب حقيقية زاخرة بالأسماء والشخصيات الوهمية من عشاق الإرهاب إلى محبي الزرقاوي وابن لادن" بدلا من أن يكون نافذة للتفاعل الحضاري والثقافي بين الإسلام والغرب.

وتساءلت عن أسباب توجه العلاقة بين الإسلام والغرب إلى "مزيد من التعقيد والتشابك والتصادم ولماذا أصبحت هذه العلاقة على مفترق طرق حقيقي".

وطرحت تساؤلا اخر حول الاسباب التي أثرت على بعض دول أوروبا المعروفة بتسامحها بحيث جعلها تشهد توترات طائفية إضافة إلى تنامي ظاهرة التطرف الإسلامي فيها.

وأشارت إلى أهمية البحث في الأسباب التي دعت ٤٠ في المئة من الهولنديين إلى رفض وجود نحو ٩٠٠ ألف مسلم من أصل ٦١ مليون نسمة هم عدد سكان البلاد.

وأكدت النشرة على أهمية البحث في أسباب صعود ظاهرة التطرف بين أبناء الجاليات الإسلامية وما إذا كان سبب هذا الصعود يكمن في إشكاليات سياسة الدمج متعددة الثقافات أم أن هناك اسبابا أخرى.

وطرحت سؤالاً حول الأسباب التي تجعل من الخطاب الراديكالي المتطرف يجد

طريقه إلى عقول وقلوب بعض أفراد الجاليات المسلمة في الغرب رغم ما وصفته "بربط الإعلام الغربي قسريا بين التطرف والممارسات السياسية في الدول العربية والإسلامية".

ودعت النشرة المفكرين في العالمين العربي والإسلامي إلى ضرورة البحث في هذه التساؤلات وإيجاد صيغ للتفاعل الحضاري والثقافي بين الإسلام والغرب.

وشدد المركز على ضرورة أن يسعى المثقفون والعلماء المسلمون إلى إثبات وإبراز القيم الأصيلة والنبيلة للدين الإسلامي وعدم الاكتفاء بالبحث عن تبريرات لما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما بعدها من أحداث شوهت صورة الإسلام ونالت من المسلمين.

وأضاف مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أن الخطاب الديني في مختلف صوره وأشكاله "لم يزل يدور" في فلك الدفاع ومحاولة البحث عن تبريرات لأحداث ١١ سبتمبر "ولم ينتقل بعد إلى مرحلة الهجوم لإثبات وإعلان القيم الأصيلة والنبيلة لديننا الحنيف".

وأضاف أن العلاقة بين الإسلام والغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر تعتريها "إخطار وتحديات" مطالبا بضرورة إجاد جهد جماعي ولقاءات عديدة لتصحيح ما يعتري هذه العلاقة من أخطار وتحديات لاسيما في المرحلة الراهنة.

وأوضح أن اللقاءات والندوات والجهود البحثية والفكرية "مطلوبة وبالحاح للتعرف على أخطاء الماضي وتفاصيل الواقع ووضع خطط عمل للمستقبل".

وانتقد عدم تعرض نتائج وتوصيات لقاءات المثقفين والدعاة والعلماء المسلمين التي تنتهي إلى تأكيد انفتاح الإسلام وتصحيح صورته ومواجهة التطرف والمتطرفين إلى مسائل وقضايا مثل تطوير الخطاب الديني والحوار مع الآخر باللغة التي يجيدها وبالأسلوب الذي يتفق مع ثقافته وعاداته وتقاليده.

وأكد أهمية تكريس ثقافة الاعتدال والتسامح في الدين الإسلامي لمواجهة الانغلاق الفكري والغلو والتشدد والتطرف مطالبا في هذا الصدد بضرورة ترجمة هذه الدعوات إلى برامج وخطط تنفيذية.

وأود أن أنقل هنا ما ذكره الأستاذ الفاضل خالد القشطيني قي مقال له تناول فيه هذه القضية الشائكة.. يقول : اشتبكت في نقاش طاحن مع مجموعة من المتشددين استمر عشر ساعات حول سؤال محدد: لماذا تقدم الغرب وليس معه كتاب وسنة؟ ولماذا تخلف المسلمون؟ وكان الجواب أن الغرب غير متقدم لأنه غير مسلم. وأن التقدم ليس في إنتاج الطائرات والكمبيوتر. وهكذا وقعنا في فخ المنهج الأرسطاطالي. فكل تقدم غير الإسلام هوتخلف. والغرب غير مسلم. الغرب إذاً متخلف. وبناء على التعريف السابق يصبح البرلمان الأوربي حسب رؤية المتشددين تخلفا. وفخر الصناعة الألمانية في إنتاج سيارات المرسيدس في شتوتجارت تخلفا، والصدق في المعاملة، والالتزام بالمواعيد، واحترام حقوق الانسان، وإتقان العمل، ونظافة دورات المياه العامة، والعدل في الرعية فلا يعتقل المواطن على الشبهة ويوضع على الخازوق.. يصبح كل هذا على حد تعريف المتشددين تخلفا. ألا ساء ما يحكمون.

وفي المانيا افتتح كاتب مقالته في مجلة إسلامية بهذه الجملة: (المسلم الحق لا ينطق إلا حقا). وهذا التقرير لا يوجد إلا في دماغ الكاتب فلا يوجد (المسلم الحق) والله وصف نفسه بالحق فقال (ذلك بأن الله هوالحق). والمغالطة الثانية أن المسلم الأرضي ينطق حقا وباطلا. وهنا يحصل خلط بين ثلاثة أمور: الإسلام والمسلمين. البشري والإلهي. الذات ومسألة الآخر. فالإسلام هونموذج مثالي والمسلمون بشر يصعدون ويهبطون يحققون ويفشلون. وعمل البشر يخضع لقوانين اجتماعية.

وهذا يفسر ثلاثة أمور: لماذا استوردنا سيارات ولم نستورد الديموقراطية؟ ولماذا نبايع الزعيم السياسي مثل شيخ الطريقة الصوفية الى الأبد؟ وتوزع البطاقات

الانتخابية مثل الحروز والتمائم على حد تعبير مالك بن نبي؟ وثانيا لماذا ينجح البرلمان الأوربي في إنقاذ حياة أوجلان الكردي وتغيير قانون الإعدام في تركيا بعد أن لاح فوق رأسه حبل المشنقة، ولم تنجح كل مظاهرات الأكراد في إنقاذ رقبته؟ وثالثا لماذا توقفنا عن الإنتاج المعرفي وتحولنا إلى كوكب تائه في الفضاء التاريخي الموحش بدون جاذبية وتوازن؟

إن أعظم أزمة ساحقة يتعرض لها الانسان هي عجزه عن الاستفادة مما حوله. واعتبر القرآن ان كثيرا من الآيات يمر عليها الناس وهم عنها معرضون. كما اعتبر أن الحمار لوحمل على ظهره موسوعات المعرفة كلها لم يحمل سوى اسفار. والكنيسة باعت تذاكر لمقاعد وهمية في الجنة وهي تتلو الإنجيل. والذي فك رموز حجر رشيد لم يكن المصريين بل شامبليون الفرنسي. والبترول موجود تحت أقدامنا منذ الأحقاب الجيولوجية والذي كشف عنه الغرب لحاجته لهذه المادة. وثروتنا المتواضعة تعود إلى صدفة جيولوجية أكثر من العمل. فهذه كلها شواهد على قانون نفسي اجتماعي يفيد أن أعظم المناظر لا يراها الأعمى. وأن انهيار الأسواق المالية لا يعني شيئا لفقير لا يملك يورو أو دولارا. وأن معجزات موسى التسع بتحويل الأنهار إلى دماء وقفز الضفادع فوق رؤوس الأنام لم تزد قلب فرعون إلا قسوة فصلب الناس على جذوع النخل وقال لتعلمن أينا اشد عذابا وأبقى.

وهذا السؤال في إشكالية تخلف المسلمين دفع (حسين أحمد أمين) أن يضع عنوانا لكتابه (دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين) كما كتب (شكيب أرسلان) (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم) وقدم الكتاب (رشيد رضا). وتعالج سلسلة كتب مالك بن نبي مشكلة الخسوف الحضاري التي انتبه اليها ابن خلدون منذ عام ١٤٠٨م حينما أشار في (مقدمته) «إن لسان الكون نادى بالخمول والانقباض فاستجاب». وهويعني به كسوف شمس العرب من سماء الأحداث الكونية. ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. و(موت الأمم) هنا حسب القرآن يختلف عن (موت الأفراد البيولوجي). فالجسم

الحي عندما يموت تعتريه مجموعة من الصفات تسمه بالموت، تبدأ بتوقف (وظيفة الشيء) ثم يتبعه (تحلل الشكل) وموت الأمم يشبه ذلك فتتقطع شبكة العلاقات الاجتماعية ويعجز المجتمع عن السيطرة على مشاكله اليومية قبل أن يتم ابتلاعه حضاريا من أمم أخرى قوية. عندها لا يبقى للأمة سوى مدافن التاريخ. أما (الأفراد) فيبقون (بيولوجيا) ولكنهم يندمجون كقطع (بلوك) في بناء أمم جديدة حية. وهكذا تهلك الأمم في التاريخ والأمة العربية لا تخرج عن هذا القانون.

وبالنسبة للعالم العربي فقد انتهوا كحضارة منذ منتصف القرن الثالث عشر وخرجوا من مسرح التاريخ حينما انهار جناحا العالم الإسلامي اشبيلية وبغداد. وما زال مخطط الانحدار مندفعا إلى الأسفل بقوة ودون رحمة. وخيل للعرب منذ نصف قرن أنهم تخلصوا من الاستعمار ولم تنتبه القيادات السياسية أن معركة الاستقلال الفعلي لم تبدأ بعد، لأن الاستعمار رصيد النفوس قبل الاحتلال العسكري. وعندما فشل العرب في حل المعادلة استبدلوا بالاستعمار الخارجي استعمارا داخليا أدهى وأمر. مثل من استبدل الإيدز بمرض السل.

وحسب مقالة للصحفي الإسرائيلي أوري افنيري عن المنطقة فإنها ستصبح في قبضة المارد الأمريكي وينتهي الاستقلال العربي وتتبخر أحلام الوحدة وتقرر أمريكا سعر البترول وتلتهم الأوبيك وتدفع دول الخليج إلى حافة الإفلاس ويفتح ملف الحرب الصليبية الثامنة ويعيد التاريخ دورته كما كانت أيام صلاح الدين. وكما بدأنا أول خلق نعيده.

التكفير بديلاً عن التغيير!!

وتمثل ظاهرة التكفير مكوّناً عقائدياً لدى الحركات الإسلامية المتطرفة، فيشير الشيخ حسين الخشن في كتابه "الإسلام والعنف" إلى جذور هذه الظاهرة التي

تعود إلى المراحل المبكرة من تاريخ الإسلام وتطوره، فينسب إلى الخوارج المسؤولية عن إطلاقها بكل ما يترتب عليها من عنف، يصل بأصحابه إلى إهدار دم المخالف لرأيها. يرى الخشن أن النظرة السطحية إلى النص الديني والتشدد في أحكامه، تشكّل عنصراً مركزيّاً في فكر هذه الحركات. يحوي التراث الإسلامي مادة خصبة تؤسس للتكفير عبر الطريقة الانتقائية في قراءة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بما يخدم أهداف هذه الطائفة أوتلك. فالحركات الأصولية تكاد تتشابه في نظرتها الاستعلائية التي ترى بموجبها أن فهمها للدين يحمل وحده الحقيقة، فيما يقف الآخرون في المكان الخاطئ، وكل فرقة تصنّف نفسها بالفرقة الناجية، فيما مصير سائر الفرق إلى جهنم وبئس المصير.

يفسر علي حرب في كتابه "الإنسان الأدنى: أمراض الدين وأعطال الحداثة"، بعض الأسس الأيديولوجية للإسلام السياسي وتوجه بعض فصائله نحو الإرهاب، فيجد أن هذا الإرهاب ينبع من "أزمة الهوية والمعنى"، وهو ثمرة العقول المغلقة.

فالإرهاب "حصيلة أوامرنا. وتكمن جذروه في المحاولات الهادفة إلى أسلمة الحياة المعاصرة انطلاقاً من معتقدات "اصطفائية" تدّعي امتلاك الحقيقة، وفي شعار الحاكمية الإلهية وإقصاء الآخر. أما الخلافات المذهبية بين السنّة والشيعة فكان محورها ولا يزال الصراع على السلطة واندفاع هذا الفريق إلى تكفير الآخر.

ويشدد عبد الوهاب المؤدب على وجوب العودة الى الجذور العميقة الضاربة في الماضي العربي والإسلامي التي تساعد في فهم أفكار الحركات المتطرفة، ويرى أن المشكلة الرئيسية في هذا الفكر تكمن في كيفية قراءته النصوص الدينية المقدسة في الإسلام. ذلك أن قراءة النص بحرفيته ستلقي الضوء على الآيات الداعية إلى العنف وتضع جانباً الآيات الكثيرة الداعية إلى العفو والرحمة والمغفرة. وهو ما يفسر تمسك هذه الحركات الأصولية بآيات العنف وجعلها منطلقاً أيديولوجياً تبرر به إرهابها تحت اسم "الجهاد"، ويفصل الآيات عن السياق التاريخي التي نزلت به والأسباب التي استوجبت هذا النزول.

ويحاول عبد الحسين شعبان في كتابه "فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي"، مجادلة الحركات الإسلامية في تركيزها على التعصب والعنف، فيرى ان بعضها يعتمد آيات العنف فيما يغيّب آيات التسامح، ويشدد على أن الآيات القرآنية والممارسات العنفية التي شهدها التاريخ الإسلامي والمتناقضة مع مبدأ التسامح، جرت قراءتها بعيداً من الظروف التاريخية وسياق الصراعات آنذاك، مما يعني عدم جواز إدراجها كمكوّن جوهري وحقيقي للدين الإسلامي.

ويرصد تركي الربيعو في كتاب "الحركات الإسلامية" آراء كتّاب تطرقوا إلى أفكار الحركات الإسلامية وعقائدها، فيشير إلى ما يقوله فؤاد زكريا من تضاد مطلق بين الصحوة الإسلامية والعقل، وإلى تركيز بعض هذه الحركات على تمجيد العنف وعدم الاستماع إلى الرأي الآخر، والتشديد على الطاعة المطلقة للقادة واستخدام القوة ضد معارضيها. أما رضوان السيد فيفسر عنف هذه الحركات بوصفها من نتائج لامعقولية الاستبداد السائد في البلدان العربية وتوظيف النصوص الدينية والفقهية بما يخدم نضالية هذه الحركات. في المقابل يعتبر نبيل عبد الفتاح أن العنف مكوّن أساسي في بنية الخطاب الإسلامي في شتى فروعه، ويرى "أن الإخوان المسلمين" يختزلون الإسلام السياسي ويقدّمون رؤية تقليدية لنموذج أهل الذمة بالنسبة إلى الأقباط. وسط ذلك، يقترح نصر حامد أبوزيد وصفاً لخطاب الحركات الإسلامية يقوم على خلفية أيديولوجية أساسها التضاد بين المتنور والمتخلف وبين العقلاني والخرافي. فالانتكاسة التي شهدتها حركة النهضة والتنوير العربي ارتدّت صعوداً لقوى الخرافة والأسطورة التي منعت القراءة العقلانية للنص الديني.

تسويغ قرارات الحكام والسلاطين !!

ولا تخفي حركات الإسلام السياسي توجهاتها وأهدافها التي تختصرها بشعار مركزي ومحوري عنوانه "الإسلام هوالحل". تقدم نفسها بديلاً من السلطة القائمة وتطرح شعارات تتسم بالعمومية في قضايا لا علاقة لها بالإسلام والأهداف الدينية

التي أتى من اجلها. يكاد شعار الوصول إلى السلطة جامعاً لهذه الحركات، بصرف النظر عن فكرها وعن التلاوين والخلافات في توجهاتها، وتشكل العلاقة بين الدين والسياسة، ومن ضمنها خضوع السياسة للدين، نقطة رئيسية في خطاب الإسلام السياسي. يشير تركي الربيعو إلى وجهة نظر الشيخ علي عبد الرازق في كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، القائلة بأن السياسة شأن تدبيري وليس عقائدياً، ويفند الرأي القائل بكون الإسلام ديناً ودولة، ويرفض هذه المقولة مشددا على أن الخلافة مقام ديني. ويضيف الشيخ عبد الرازق أن الإسلام لم يعرف يوما دمجاً بين الدين والسياسة بمقدار ما عرف استخداما للدين في تسويغ قرارات السلطان السياسي. في المقابل يبدو هشام جعيط قلقاً على مستقبل الدين في الدولة العلمانية العربية، فيشدد على وجوب اعتراف الدولة بالدين وحمايته، في مقابل رفض استخدام الدين أداة في يد الدولة التي تتلاعب به لغايات سياسية.

ويشدد عبد الوهاب المؤدب على خطورة التوجه السياسي لبعض الحركات الإسلامية في نظرتها إلى الغرب، بفكره وعلمه وحضارته، فتراه العدوالرئيسي للإسلام وعائقا أمام انتشار مبادئه، مما يدفعها إلى الدعوة إلى قطع العلاقة مع هذا الغرب والانكفاء على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية واعتماد النص القرآني وحده بوصفه مصدر الحقائق الكاملة. يرى المؤدب في هذه الدعوة خطر انعزال إسلامي عن المجتمعات الغربية التي يعيش أعداد واسعة من المسلمين وسطها، وتبريرا لرفض اندماجهم فيها، بما يعني البقاء على هامشها ويزيد من التنافر بين المسلمين وسكان البلاد الأصليين، مما يهدد بتحوله تصادما وعنفا، كما باتت تعرفه العديد من بلدان أوروبا الغربية. وهذه حالة لن تصبّ في مصلحة الإسلام والمسلمين، بل ستؤكد الصورة السلبية التي تسم هذا الدين بالانعزال والإرهاب والتطرف.

من موقع معاد للإسلام، تقدم إرشاد منجي في كتابها "مسلمون وأحرار" وصفا للإسلام، مقارنة بالديانتين المسيحية واليهودية، فتسم الإسلام بالتعصب واللاتسامح،

وتنتقد إصرار المسلمين على احتكار دينهم للحقيقة ووصفهم الأديان الأخرى بالهرطقة والضلال. فتقارن بين الإسلام واليهودية التي ترى فيها مثال الحب والرحمة والابتعاد عن كره الآخر، فيما تضع المسيحية في موقع الوسط بين الديانتين.

يقدم فرنسوا بورغا شرحا وافيا عن أهداف الحركات السياسية الإسلامية، فيرى أنها تجمع كلها تقريبا على الوصول إلى السلطة وإعادة بناء الدولة الإسلامية وفقا لمبادئ الشريعة. لذلك تشكل الأنظمة العربية القائمة عدوها الرئيسي نظرا إلى اعتمادها العلمانية أساسا لقوانينها تحت تأثير الاستعمار الغربي وانتشار أيديولوجيته وثقافته. تتفاوت النظرة بين حركات تدعو إلى بعث "السيادة الإلهية" أو سيادة "قانون الله"، بكل ما يعنيه من رفض كامل للقوانين المدنية، وحركات تحاول أن تتكيف مع الواقع فتلجأ إلى الضغط المتدرج لاحلال القوانين الإسلامية من خلال تعديلات متتالية على القوانين المدنية وتستند إلى الشريعة الإسلامية.

وقد أعجبني مقال للأستاذ ياسر لطفي العلي الكاتب والباحث السوري أكد فيه أنه لا يمكن تجاهل الدور الذي يلعبه بعض المسلمين في تعزيز التزييف الثقافي للقيم والمفاهيم الإسلامية، وذلك من دون الانتباه الى أن المفاهيم والقيم السامية والنبيلة، كثيراً ما يُساء إليها الى حد حملها على أضدادها، سواء أكان ذلك من خلال التأويل المغلوط والفهم المتعسف، أم من خلال تجاوز حد الاعتدال بالتطبيق. فمفهوم التقوى مثلاً بدلالته الإيمانية قد يتحول إلى سلبية وانعزال وتدمير لمعاني الاستخلاف الإلهي للإنسان، بدعوى شدة الحرص على التدين، وكذلك مفهوم الجهاد قد يتحول من معاني الدفاع عن الحرية، ونشر العدل، وتحقيق معاني الأمن بكل أشكاله ومستوياته، إلى نشر الرعب، وترويع الآمنين، وإرهاب المؤمنين والمستأمنين، وإباحة للدماء البريئة، واستحلال للأموال المعصومة.

ومن جهة أخرى ليس خافياً على أحد الدور الذي يلعبه الإعلام الغربي والعربي – في بعض الأحيان – من تشويه وخلط وتلاعب بالمفاهيم والمصطلحات، ومزج في

الاستخدام والتجريم بين كل من الظاهرة الإرهابية، والممارسات الجهادية، أوما يسمى وفق الرؤية القانونية بالمقاومة المشروعة، ونتيجة لذلك التشويه والخلط أصبح مصطلح الإرهاب بصورته المتداولة مهيّأ لاستيعاب كل الممارسات الصادرة عن المنتسبين إلى الإسلام، الجهادية منها وغير الجهادية.

وللتعبير عن ارتباط الإسلام بالعنف (الإرهاب) – من دون تمييز بين عنف مشروع وعنف غير مشروع – بتنا نسمع ونقرأ الكثير من التعابير والاصطلاحات، التي تطالعنا مع بداية كل يوم جديد، كـ «الأصولية الإسلامية»، و«التطرف الإسلامي»، و«المتطرفين الإسلاميين»، و«الإسلام المتطرف»، و«الإرهاب الإسلامي»، و«الإرهابيين الإسلاميين» و«الجهاد الإرهابي»، و«العنف الإسلامي»، وغير ذلك من العبارات الكثيرة التي لا يمكن أن تُحصى أوتنتهي، وذلك بسبب سطوة الواقع المشحون بعوامل العداء ضد الإسلام والمسلمين.

وكما يرى أستاذ الأديان في جامعة هارفارد الأميركية مايكل ساليس أن الإعلام في أميركا يعدّ سبباً رئيساً من أسباب جهل الأميركيين بالإسلام وبالعالم الإسلامي، وقد أشار إلى أن الإعلام دائماً يحاول البحث عن الصورة النمطية التي تُظهر المسلم بصورة الإرهابي والمتطرف، في وقت تغيب صور جميلة كثيرة – على حد تعبير ساليس – عن الإسلام عن عيون الأميركيين، ولكنّه في الوقت نفسه يحمّل جزءاً من مسؤولية التجهيل تلك للمسلمين.

فمثلاً، كثيراً ما يتم تفسير العنف (الإرهاب) على أنه جزء من بنية الخطاب التشريعي والعقائدي للدين الإسلامي، وأنه تجسيد لما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبويّة من تشريعات وأحكام دينية، وفي هذا السياق قد يرى البعض – من غير المسلمين – أن العنف (الإرهاب) يمتلك جذوراً تشريعية ملازمة للدين الإسلامي منذ المراحل الأولى لظهوره ونشأته. وتُعد التصريحات الأخيرة لبابا الفاتيكان الحالي بينيديكتوس السادس عشر، الألماني الجنسية، من أشهر وأخطر الخطابات الغربية

الموجهة ضد الإسلام، والتي ساهمت في نشر روح الحقد والعداء للدين الإسلامي، بوصفه ديناً يتغذى في دعوته وانتشاره على العنف اللامشروع (الإرهاب).

بيد أن الفكرة السائدة في الثقافة الغربية حول علاقة الإسلام بالعنف اللامشروع، وأنّ هذا العنف (الإرهاب) يمتلك جذوراً تشريعية أصيلة في الديانة الإسلامية ليست وليدة الخطاب البابوي الأخير، بل إنّ هناك أعداداً كبيرة من مثقفي العالم الغربي ونخبه عملوا على ترسيخ هذه الثقافة في مخيلة الغرب، أمثال الأب موريس يورمان، وبرنارد لويس، وصمويل هنتنغتون، وغيرهم كثير.

ومن أهم المرتكزات التي حاولوا الاستناد إليها في ذلك، بعض الآيات القرآنية التي تؤصّل للعلاقة بين الأنا والآخر، والتي تتحدث عن طبيعة التعامل مع غير المسلم، أوبعض النصوص القرآنية التي تشرّع مسألة الجهاد. إذ تمّ تلبيس مفهوم الجهاد بدلالات خاصة، وبتفسيرات براغماتية متأثرة بالمصالح السياسية والعقائدية (الأيديولوجية) حتى أصبح هذا المفهوم مرادفاً في أذهان كثير من الناس لمعاني الإرهاب والتطرف، وارتبط بالاعتداء والتخريب، وقتل الأبرياء وسفك دمائهم، وترويعهم بغير حق مشروع.

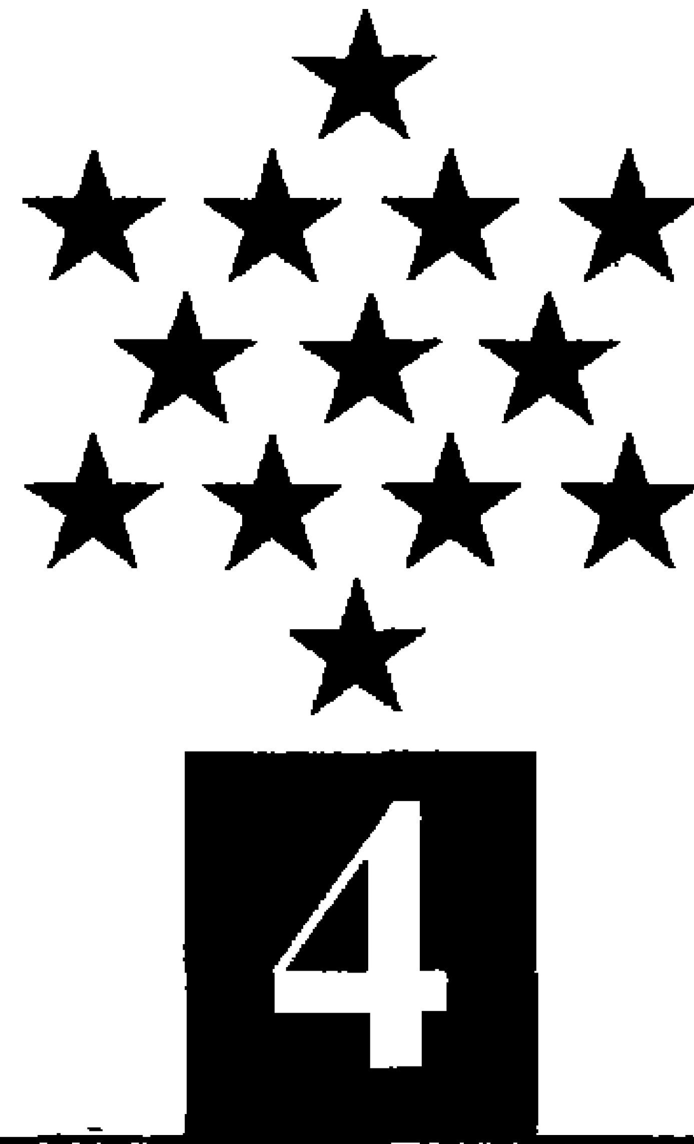
ولم يكن مصطلح الإرهاب أحسن حالاً من ذلك، حيث ناله ما نال مفهوم الجهاد من تزييف مفاهيمي، وتفسير براغماتي متأثر بالمصالح السياسية، مما أدى الى جعله الاسم اللصيق بالديانة الإسلامية.

ونتيجة لذلك أخذت حملة مكافحة الإرهاب والتحذير من مخاطره والتشديد على خطورته، وأهمية تجفيف منابعه، تحدد مسارها وتضيّق من أطرها شيئاً فشيئاً، حتى كاد ينحصر كل ذلك بالإسلام والمسلمين، فصارت أصابع الاتهام تشير إليهم في كل مناسبة، وعلى مختلف المستويات والانتماءات الثقافية والسياسية والدينية أحياناً.

كما أن تزايد العنف والأعمال الإرهابية في الآونة الأخيرة أدى إلى تصعيد حملة مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه – بغض النظر عن مزاجية المكافحة وبراغماتيتها، التي تحولت من مكافحة الإرهاب إلى إرهاب المكافحة – وقد أخذ في سبيل ذلك أشكالاً مختلفة ومتعددة من أهمها ما يحمل بُعداً ثقافياً.

وقد تجلى ذلك في صور كثيرة، منها حملة تغيير المناهج الدينية (الإسلامية) بدعوى أنها تساعد على تزايد الإرهاب وتفريخ الإرهابيين، وتساعد على تنمية غريزة العنف في نفوس دارسيها، وأن هذه المناهج سبب رئيس لما يحدث من أعمال تخريب وتدمير في العالم الإسلامي وغير الإسلامي.

والسؤال الأهم الذي يبقى مطروحاً: هل سنبقى كمسلمين نشير بأصابع الاتهام إلى العالم الغربي ممثلاً بكل أطيافه النخبوية والفكرية والسياسية، لنحمّله المسؤولية كاملة في نشر ثقافة التزييف، أو في تزييف ثقافتنا وحضارتنا وقيمنا ومفاهيمنا وصورتنا في مخيلة العالم الغربي وغير الغربي، وإلى متى سنبقى مختبئين خلف أصابعنا، من دون أن نجرؤ على القيام بأي محاولة للوقوف مع الذات، وتحميلها جزءاً من المسؤولية تلك، بدلاً من تلك الخطابات الطهورية والتنصلية التي دائماً تحاول إلقاء اللائمة على الآخرين، والتي دائماً ما نختبئ خلفها؟!



الخطاب السياسي الأمريكي
وخرافة "العدو الأخضر" إسلاموفوبيا..
وموضة الخوف من الإسلام وكرهه !!

"لقد انتصرنا على العدو الشيوعي،
ولم يبق لنا عدو إلا الإسلام"

نيكسون في كتابه " الفرصة السانحة "

الخطاب السياسـي الأمريكي وخرافة "العدو الأخضر"

إسلاموفوبيا.. وموضة الخـوف من الإســلام وكرهـه !!

العزف علي أوتار التاريخ !!

حاولت الولايات المتحدة ربط العنف الدولي في البداية تحت مسمى الإرهاب ووصفت هؤلاء العنفويين بأنهم (إرهابيون متطرفون) وانتقلت بالخطاب السياسي الأمريكي من الإرهاب إلى الحرب ضد التطرف الإسلامي فقط، رغم وجود تيارات متطرفة مسيحية ويهودية والمسيحيين الصهاينة – كما يطلقون حتى هم على أنفسهم – ثم انتقلت الإدارة الأمريكية بالخطاب السياسي الأمريكي من الحرب ضد التطرف الإسلامي إلي الحرب ضد كل ما هوإسلامي، وأصبح المسلمون على إطلاقهم هم الهدف، وليس المتطرفين منهم.

وكما نجحت إدارة بوش في استغلال هجمات سبتمبر الإرهابية لتجييش الأمريكان والغرب ضد الإسلام، حاولت حكومة توني بلير تجييش البريطانيين والأوربيين ضده بعد تفجيرات لندن الإرهابية . وكان من البديهي أن ترسخ إدارة بوش صورة نمطية عن المسلم لدي الغربيين، تجعل منه وحشاً يريد تدمير الحضارة الغربية بمن فيها، ومن هنا أصبح من الشائع في الغرب أن تسمع أوتقرأ مصطلحاً معيناً في كل مناسبة، وهو "إسلاموفوبيا "أوالخوف من الإسلام !!

ويقول الأستاذ خالد سليمان وهو باحث عربي في قضايا الاجتماع والسياسة عن ظاهرة الخوف من الإسلام وهي المعروفة بـ "ظاهرة الإسلاموفوبيا "أن مصطلح "الإسلاموفوبيا" يعد من المصطلحات الحديثة التداول نسبياً في الفضاء المعرفي المعني بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب. وقد تم نحت المصطلح الذي استعير في جزء منه من علم الاضطرابات النفسية للتعبير عن ظاهرة الرهاب أو الخوف

المرضي من الإسلام. وهي في الواقع ظاهرة قديمة جديدة، قديمة قدم الدين الإسلامي نفسه، وإن كانت قد تصاعدت حدتها في عالم اليوم، خاصة في دول الغرب بعد التفجيرات الشهيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأميركية في الحادي عشر من أيلول – سبتمبر ٢٠٠١، وربما كان من الممكن القول إن تلك الظاهرة تضرب بجذورها عميقاً في تاريخ قديم حافل بمسلسل طويل من العلاقات المضطربة بين الغرب والإسلام، استقر فيه هذا الأخير في الذهنية الغربية بوصفه تعبيراً عن خطر داهم محدق يهدد كل ما هوغربي، ربما انطلاقاً من الاقتران المتكرر الذي يمكن ملاحظته في مسيرة التاريخ، الذي يوحي وكأن هناك نوعاً من العلاقة الحتمية بين صعود نجم الحضارة الإسلامية وانحدار نظيرتها الغربية!.

هذا، ولا تعد تلك الظاهرة حكراً على مجال العلاقات بين الإسلام والغرب كما قد يتبادر للذهن، بل إنها تمتد لتطال رقعة العالم الإسلامي نفسه أيضاً، إذ إن ظاهرة الخوف المرضي من الإسلام قد نشأت في الأصل بين أوساط العرب واليهود في جزيرة العرب، وثمة من المؤشرات ما يؤكد استمرار حضورها على ساحة الأرض العربية والإسلامية حتى الآن!.

ومصطلح "الفوبيا" أوالرهاب، مستمد في الأصل من علم الأمراض النفسية، ليتم التعبير بواسطته عن نوع من أنواع العصاب القهري، بحيث لا يملك المريض القدرة على التحكم في ردود أفعاله عند تعرضه لموضوع خوفه، فيضيق صدره ويجف ريقه وتتزايد ضربات قلبه ويشحب وجهه وترتعش أطرافه، ليدخل في حالة فعلية من الفزع غير المسيطر عليه.

كما تجدر الإشارة أيضاً إلى أن مخاوف المريض بالرهاب لا تستند إلى تهديد جدي وفعلي في أغلب الحالات، وهذا يعني أن المرض يعبر في حقيقته عن اضطراب نفسي وإدراكي.

ولظاهرة "الإسلاموفوبيا" أسباب عدة تتفاوت في أهميتها وقوتها، بيد أنها تتضافر في ما بينها لتشكيل الظاهرة على النحوالذي تتراءى به، وفي ما يلي محاولة لاستعراض أبرز الأسباب التي يمكن أن تكون مسؤولة عن إيجاد تلك الظاهرة:

- احتشاد التاريخ بالكثير من وقائع الصراع بين الإسلام والغرب

ويزخر التاريخ بسلسلة لا تكاد تنتهي من الخبرات غير السارة التي اتخذت طابعاً دموياً في كثير من الحالات، التي كرست النظرة المرتابة، بل العدائية.

ويبدوأن التفاعل المباشر لأبناء الغرب مع المسلمين لعقود طويلة، سواء في سياق احتلالهم بعض الديار الإسلامية إبان ما عرفت عند بعض المؤرخين بالحروب الصليبية، أوفي إطار استفادتهم عن طريق رحّالتهم وطلابهم من النهضة العلمية والحضارية التي ازدهرت في كثير من مدائن العالم الإسلامي، يبدوأنه لم يكن كافياً للنجاح في تبييض الصورة القاتمة التي رسموها في أذهانهم تجاه الإسلام وأتباعه، بوصفه "ديناً دموياً" لا يمكن أن يقترن إلا بالعنف والتخلف والإرهاب!.

الجهل بالإسـلام: وفقاً لمقولة دارجة لا تخلومن الصحة، يميل الإنسان في العادة إلى معاداة ما يجهل، بوصفه يشكل خطراً غامضاً يحسن الاحتراس منه وتجنبه. وهذا ما قد يفسر خوف الكثيرين من الإسلام وميلهم إلى معاداته والنفور منه، حتى بين بعض أبناء المسلمين أنفسهم، الذين يملكون معرفة سطحية بالإسلام!. والواقع أن هناك جهلاً صارخاً بحقيقة الإسلام، بخاصة في العالم الغربي، الذي يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والنزاهة والتجرد، أوالإحاطة الكافية بحقيقة الإسلام وجوهره، فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي، ما تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام، التي تعود في جذورها إلى نتاجات المدرسة الاستشراقية، إحدى الأذرع التقليدية الرئيسة للاستعمار الغربي. التي يوجد من الشواهد ما يؤكد انطلاقها من مرجعيات قروسطية مصطبغة بروح الحروب "الصليبية"، لا ينقصها الكثير من التعصب والتحيز وتزييف الوقائع وليّ أعناق الحقائق لإثبات مزاعم وافتراضات قَبْلِيَّة عارية عن الصحة.

صور مضللة عن المسلمين !!

ويشكل الجهل بالإسلام وحمل تصورات مغلوطة عنه، مع ما يترتب عن ذلك من الحيلولة دون تشكل أرضية ملائمة لفهمه وتفهمه والتواصل الإيجابي مع معتنقيه، معلماً بارزاً من معالم الحياة في العالم الغربي، وربما كان هذا هوما دفع عضومجلس النواب الأميركي السابق (بول فندلي)، الذي خبر العالم الإسلامي عن قرب، إلى أن يأخذ على عاتقه السعي إلى كسر حاجز الجهل الغربي بالإسلام، والعمل على تصحيح المفاهيم والصور النمطية الخاطئة المتصلة به، ودحض الأضاليل التي تستوطن أذهان الغربيين بشأنه، بخاصة في المجتمع الأميركي.

ويجمل (فندلي) الأسباب التي تقف خلف جهل الأميركيين، والغربيين عامة، بالإسلام وتبنيهم صوراً نمطية مضللة عنه فيما يلي:

١ - دور اللوبي اليهودي في تقديم صورة سيئة عن المسلمين، وتصوير إسرائيل، على أنها دولة ضعيفة يهدد العرب والمسلمون أمنها ووجودها

٢ - الاقتصار على الحديث عن الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأميركي، بوصفها الأخلاق العالية المقبولة الجديرة بالاتباع، مع تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، وتصويرها بشكل سلبي منفر في حال الحديث عنها، بحيث غدت اليهودية والمسيحية في نظر الأميركي أنموذجاً للتقدم والحضارة والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلفة والخطرة.

٣ - وسم الإسلام بالإرهاب والتعصب، واحتقار المرأة، والافتقار إلى التسامح مع غير المسلمين، ورفض الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي.

٤ - تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد، وخشيتهم من الحرب الإسلامية الغربية المقبلة، وتغذية الهيئات الصهيونية لتلك المخاوف، حتى لا يتراجع الدعم الغربي للكيان الصهيوني في فلسطين.

٥ - تركيز وسائل الإعلام الغربي على تصوير الحركات الإسلامية، بخاصة حركات المقاومة، على أنها حركات إرهابية لا تحترم الديموقراطية وحقوق الإنسان، وعمل تلك الوسائل في بعض الأحيان على فبركة برامج يتم عن طريقها تضخيم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أميركا وإسرائيل والغرب، وإخراج تلك الدعوات عن سياقها الأصلي.

× تضارب المصالح واختلاف المنطلقات القيمية على الرغم من أن الجهل بالإسلام قد يشكل سبباً أساسياً للخوف منه ومعاداته، إلا أنه ليس السبب الوحيد بكل تأكيد، فقد سجل التاريخ أن معرفة الكثيرين بالإسلام لم تحل دون الخوف منه ومناهضته، بل ربما يمكن القول إن تلك المعرفة كانت المدخل الرئيسي لاتخاذ موقف سلبي منه، فقد جاء الإسلام ليشكل مشروع رؤية تجدد ما دأبت تعاليم السماء على الدعوة إليه والمناداة به مذ وجد الإنسان على الأرض، رؤية تقوم على إنهاء معاقل التظالم بين البشر ونشر قيم العدالة والأخوة والمساواة والفضيلة بينهم. وبطبيعة الحال، كان من المحتم أن يصطدم ذلك المشروع بمصالح كثير من الفئات الانتهازية التي كانت تحرص على استمرار الأوضاع المختلة القائمة، بكل ما فيها من استغلال وظلم واعوجاج، فاليهود في الجزيرة العربية على سبيل المثال، وهم الذين احترفوا العمل بالمراباة والدعارة وتجارة الخمور... الخ، كانوا متأكدين من صدق النبي محمدﷺ وصدق رسالته، حسب ما جاء في أسفارهم المقدسة من نبوءات، إلا أنهم أصروا على معاداة الإسلام والكيد له، استناداً إلى رفضهم التضحية بالمكاسب غير المشروعة التي لا يقرها الإسلام، التي كانوا يجنونها جرّاء استغلال الناس وإشاعة الرذيلة بينهم.

وتتداخل التعارضات المصلحية والحضارية لترسيم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب إلى حد بعيد، فبينما يمكن الإقرار - إلى هذا القدر أو ذاك - بأن الصراع الذي يحكم علاقة العالم الغربي بالإسلام يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ، كما تزعم نظرية صراع الحضارات الشهيرة

لصاحبها المنظر الأميركي صامويل هنتجتون، فإن من الممكن أيضاً القول إن جزءاً مهماً من ذلك الصراع يرتكز على تضارب المصالح بين الإسلام والغرب، بحيث يبدوهذا الأخير على درجة من الاستعداد للقبول بإسلام معتدل يضمن مصالحه السياسية والاقتصادية ولا يشكل تهديداً لها.

× الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين: ليس من الخافي على أحد أن الأمة الإسلامية تعاني منذ قرون عدة واقعاً مأزوماً على الأصعدة والمستويات المختلفة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهوما ينعكس في وقوف تلك الأمة في ذيل سائر أمم الدنيا على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء الإنسانية وتقدمها.

وإزاء الواقع المتردي الذي يتخبط فيه العالم الإسلامي، ومع أخذ الجهود الصهيونية والاستعمارية في تعميق ذلك الواقع وإبرازه وتضخيمه، بعين الاعتبار، يغدومن الطبيعي انبعاث حالة من المماهاة التلقائية بين الإسلام من جهة، والفقر والتخلف من جهة أخرى، ليتم تحميل الإسلام جرائر ضعف أبنائه وتخلفهم. وعليه؛ يبدوأن من العسير أن يتعاطف الغربي الذي لا يعرف إلا صورة مشوهة عن الإسلام مع هذا الدين، بل إن من الطبيعي أن يتخذ منه - وهويظنه سبباً رئيساً لتخلف أرجاء واسعة من العالم - موقفاً سلبياً عدائياً، ويولي جزءاً من اهتمامه لمحاربته واستئصال شأفته!.

- تبني صورة نمطية سلبية للمسلمين: في الأصل، تتمتع المبادئ والنظريات، بخاصة العقائدية منها، بطابع مثالي يتيح هامشاً معقولاً من الانفصال بينها من جهة، وبين أتباعها وتطبيقهم لها على أرض الواقع من جهة أخرى. إلا أنه وفي كثير من الأحيان، يتم الخلط بين الأفكار ومعتنقيها، فيتم عزوما يقترفه هؤلاء من أخطاء وتجاوزات إلى الأفكار التي يزعمون تبنيها، وهذا يظهر واضحاً تماماً في حالة الإسلام والمسلمين، إذ يتم تحميل الإسلام مسؤولية السلوك غير السوي

الذي يصدر عن بعض المسلمين، وبالإضافة إلى الجهل بحقيقة الإسلام، كما سلفت الإشارة، فإن من مصلحة الكثيرين من أنصار التوجهات الاستعمارية والصهيونية استغلال السلوك السئ للمسلمين للنيل منهم ومن دينهم، وإثبات صحة الصور النمطية المرتسمة في أذهان الكثيرين من أبناء الغرب عنهم.

وبتسليط الضوء على تلك الصور النمطية الماثلة في الذهنية الغربية عن المسلمين، التي تطورت عبر قرون طويلة ظللتها أجواء التصارع والتفاعل المتوتر غير المتوازن بين الجانبين، فإنها تسقط على الشخصية المسلمة كماً هائلاً من الافتراءات والخيالات المريضة، فتصورها بالجشع والنهم والغباء والسفه والمكر واحتقار المرأة والتكالب على الشهوات.. الخ.

وقد لعبت السينما العالمية ووسائل الإعلام المغرضة التي تخضع لسيطرة واضحة من جانب الدوائر الصهيونية في العالم دوراً أساسياً في ترسيخ معالم تلك الصور النمطية وتضخيمها وتعميمها، حتى غدت بمثابة الحقائق الثابتة التي لا تحتمل النقاش، التي تحكم تعاطي كثير من أبناء الغرب مع الإسلام والمسلمين!

11 سبتمبر وأخواته!!

وللحقيقة، فقد لعب بعض أبناء المسلمين أنفسهم دوراً لا يستهان به في تصديق تلك الصور النمطية الشائهة، وذلك عن طريق سلوكهم المتخلف والمنحرف أثناء تجوالهم في عواصم الدنيا، مقدمين بذلك الأنموذج الأسوأ عن الشخصية المسلمة، ومن ثم عن الإسلام نفسه!.

وجاءت التفجيرات الدموية على أهداف مدنية في عدد من البلدان الغربية، كالولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وإسبانيا، والإسلامية أيضاً، كالسعودية ومصر وباكستان والأردن، التي تبنتها جماعات تزعم انتماءها للإسلام، كتنظيم

القاعدة بتفرعاته، لتصب في تيار تصعيد المخاوف من الإسلام، ولتعطي لأعدائه المزيد من المبررات لمحاربته وتضييق الخناق عليه، بحجة مسؤوليته المباشرة عن توليد الإرهاب والإرهابيين!

وفي عام ٢٠٠٧، دعا رئيس الوزراء الإسباني السابق خوسيه ماريا أزنار

ونقلت صحيفة يديعوت احرونوت عن أزنار قوله في كلمة له في مؤتمر هيرتزليا السنوي الذي يناقش القضايا الاستراتيجية الإسرائيلية، إن التطرف الإسلامي عبارة عن تسونامي وأن الغرب بحاجة إلى ضم مواقع جغرافية من ضمنها إسرائيل، لمحاربة الإرهاب العالمي، على حد تعبيره.

جاءت تصريحات أزنار بعد أسبوع من دعوة وزير الشؤون الاستراتيجية الإسرائيلية المتشدد افغيدور ليبرمان الحكومة الإسرائيلية إلى بذل مزيد من الجهود للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي "ناتو".

ويعتبر ليبرمان من صقور اليمين الإسرائيلي المتطرف حيث يطالب باجتياح الأراضي الفلسطينية بالإضافة إلى طرد العرب خارج حدود إسرائيل.

ونقلت صحيفة هآرتس الإسرائيلية عن ليبرمان رئيس حزب إسرائيل بيتنا قوله: "إن الحرب التي نخوضها في الشرق الأوسط ليست حرب إسرائيل وحدها بل هي حرب العالم الحر بأسره"، مضيفا أن إسرائيل تقف في الخطوط الأمامية في جبهة الحرب تلك، حسب تعبيره.

وأضافت هآرتس أن ليبرمان رفض في مقابلة مع الإذاعة الإسرائيلية مقترحات أشارت إلى أن انضمام إسرائيل للاتحاد الأوروبي وحلف الناتوسيترتب عليه تنازل إسرائيل عن حريتها بالتصرف في حربها ضد الإرهاب.

وأضاف ليبرمان: "إن الإرهاب الفلسطيني تغذيه القاعدة وحزب الله وإيران وهو جزء من الجهاد العالمي."

وأكد ليبرمان أن الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي سيمنح إسرائيل حريتها المطلقة في استخدام قوتها العسكرية.

وفي السادس والعشرين من فبراير عام ٢٠٠٧ ، تم الكشف عن خطة سرية وافق عليها سفراء الاتحاد الأوروبي في اجتماع لهم في بروكسل ونصت على شن حملة على من وصفتهم برجال الدين المتشددين و"لغة الخطاب التي تنطوي على كراهية" في الإنترنت وتدريب الشرطة والمعلمين على مواجهة مخاطر ما أسمته التشدد الإسلامي.

وحثت الخطة الخاصة بمكافحة التطرف دول الاتحاد على مراقبة "الأئمة الذين يحضون على العنف وراصدي المواهب ومن يقومون بتجنيد الأشخاص وغيرهم من الشخصيات البارزة وتحركاتهم داخل الاتحاد الأوروبي" .

وحسب الوثيقة السرية التي أوردت وكالة رويترز للأنباء مقاطع منها فإنه يتعين على دول الاتحاد الأوروبي جمع وتبادل المعلومات بشأن "هذه الشخصيات المتشددة" وأن تولي اهتماما خاصا للحد من تأثيرهم داخل السجون.

وجاء في الوثيقة أيضا "يتعين على الدول الأعضاء تشجيع الجاليات الإسلامية على عدم الاعتماد على أئمة من الخارج ولكن أيضا ضمان أن يكون الأئمة من جالياتهم وأن يتم تدريبهم" .

وتفيد خطة الاتحاد الأوروبي بأنه يجب على سلطات الأمن الوطني أن تسعى لتبادل مزيد من المعلومات مع الدول المشاركة بشأن "الأشخاص الذين قد يكونون ضالعين في الحض على التشدد بما في ذلك القيام بتدريب محتمل لإرهابيين داخل أوخارج الاتحاد الأوروبي" .

ومنذ بروزها الذي تزامن مع بدايات الفتوحات الإسلامية، عبرت ظاهرة الخوف المرضي من الإسلام عن نفسها عبر جملة من المظاهر، التي تفاوتت ما بين فترة

زمنية وأخرى وحيز مكاني وآخر في طبيعتها، وفي درجة سلبيتها وحدتها. ويمكن الحديث في هذا الإطار عما يلي من مظاهر:

- الطعن في رسالة الإسلام والتشكيك بنبوة الرسول (عليه الصلاة والسلام): منذ انبعاث رسالة الإسلام، لم تكد تتوقف الأصوات التي تشكك بصحة تلك الرسالة وصدق صاحبها فكما هومعلوم، تعرض الإسلام منذ بزوغ نجمه إلى حملة شرسة من جانب كثير من قبائل العرب واليهود لمحاربته وإجهاض دعوته حيث أسند إلى الرسول الكريم الكثير من الصفات والنعوت الباطلة التي تطعن فيه على المستوى الشخصي، وترميه بالكذب والجنون والكهانة والسحر والاستبداد والتهالك على الشهوات...الخ.

وبطبيعة الحال، لم تقف تلك الاتهامات المغرضة عند حدود الرسول ﷺ، بل تعدته لتطال الإسلام أيضاً، الذي اتهم من بعض الحاقدين بأنه دين مادي لا يأخذ الأبعاد الروحية بعين الاعتبار، وأنه دين دموي قام وانتشر بقوة السيف، وأنه دين يخلومن الأصالة فيسرق أفكاره من الأديان السابقة عليه كاليهودية والمسيحية...الخ.

وفي الواقع، فإن من نافل القول إن من المحال الفصل بين الإسلام ورسوله، فالرسول ﷺ هو صاحب الدعوة إلى الإسلام وهو رمزها الأهم وهو التجسيد العملي لتعاليمها، ومن ثم فإن الإساءة إلى الرسول لا يمكن إلا أن تعد إساءة للإسلام نفسه، والعكس صحيح بكل تأكيد.

وكأمثلة عارضة على ما تقدم، كان التنويري الفرنسي الشهير (فولتير) قد نشر في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي كتاباً بعنوان: التعصب أوالنبي محمد، وصف فيه الرسول الكريم بأنه "منافق وخداع ومحب للملذات الجسدية ومستبد" وقبل ذلك بقرون، أي في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، كانت ملحمة الكوميديا الإلهية لكاتبها دانتي أليغري قد تطاولت على شخص رسول الإسلام وصورته بما لا

يليق به، وهوما كرر فعله قبل سنوات عدة الكاتب الهندي سلمان رشدي. عندما نشر سنة ١٩٨٨م روايته الشهيرة آيات شيطانية، التي حظيت وصاحبها وما يزالان بدعم الغرب وحمايته وتكريمه، بدعوى الانتصار لحرية التعبير!.

وتأتي الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة يولاندز بوسطن الدنماركية في الثلاثين من شهر أيلول- سبتمبر العام ٢٠٠٥ لتنضاف إلى قائمة الإساءات المتعمدة ضد الإسلام ورموزه. فقد نشرت تلك الصحيفة ١٢ رسماً هزلياً للرسول محمد ﷺ، وصفت من جانب الكثيرين بأنها في منتهى الصفاقة والانحطاط، واقترن نشر تلك الرسوم مع مقال لرئيس تحرير الصحيفة يعرب فيه عن دهشته واستنكاره لهالة القداسة التي يتوج بها المسلمون نبيهم، معتبراً أن ذلك لا يعدوكونه ضرباً من ضروب الهراء المستند إلى جنون العظمة، وداعياً إلى التحلي بالشجاعة للإقدام على كسر ذلك (التابو)، عن طريق فضح (التاريخ المظلم) لصاحب الرسالة الإسلامية، وإبراز حقيقته إلى الرأي العام العالمي.

ويجدر التنويه إلى أن تلك الرسومات لا تعد الأولى من نوعها، فهي ليست إلا حلقة في سلسلة ممتدة من الحلقات التي لا تريد أن تنتهي، فعلى سبيل المثال، نشرت إحدى دور النشر البريطانية عام ٢٠٠١ كتاباً لمؤلف يدعى (عبد الله عزيز)، يتضمن صوراً هزلية في منتهى السخرية والتطاول على عقيدة المسلمين وقرآنهم وسنة نبيهم؛ إذ عرضت تلك الصور بمنتهى الفحش والابتذال النبي الكريم وزوجته عائشة وبعض الصحابة أثناء تطبيقهم العديد من تعاليم الإسلام وأحكامه، بل إنها تجرأت على تصوير الذات الإلهية على شكل هلال يجلس على كرسي، ويقوم النبي محمد (عليه السلام) بالسجود له!.. (وهكذا كفر والعياذ بالله)

- إثارة النزاعات بين المسلمين: ما انفكت الدول الغربية، وبخاصة الاستعمارية منها، تبدي حرصاً واضحاً على تسليط الأضواء على مواطن الاختلاف القائم على أسس دينية في العالم الإسلامي والعمل على تضخيمها وتطويرها إلى مستوى

الخلاف، سعياً إلى إثارة الصراعات بين المسلمين أنفسهم من جانب، والمسلمين والأقليات غير المسلمة من جانب آخر.

- السعي إلى إخضاع بلاد المسلمين واحتلالها: كانت حروب الفرنجة على العالم الإسلامي، التي سماها البعض حروباً صليبية، قد انطلقت بذريعة تحرير المدينة المقدسة، أي القدس، من أيدي المسلمين (الوثنيين) في زعمهم.

والواقع أن المجازر التي ارتكبها (الصليبيون) في المدن الإسلامية خلال تلك الحملات قد لا تعكس مجرد الخوف المرضي من الإسلام وأتباعه، بل تعكس درجة متقدمة من الحقد والرغبة في الانتقام. وكأن في الانتقام الدموي البشع من المسلمين ضرباً من ضروب التعويض عن الخوف المزمن منهم ومن دينهم. فقد روي عن أحد شهود العيان من رهبان الفرنجة الذين شهدوا احتلال (الصليبيين) لمدينة القدس سنة ٤٩٢ هـ قوله: "كان قومنا يجوبون الشوارع والميادين وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خطفت صغارها! كانوا يذبحون الأولاد والشباب، ويقطعونهم إرباً إرباً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون كل شيء يجدونه فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية !!! فيا للشره وحب الذهب، وكانت الدماء تسيل كالأنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث.

ويصف راهب آخر المجزرة نفسها دون أن يخفي شماتته بقوله: "حدث ما هوعجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم؛ فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار؛ فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا".

هوس أسمه محاربة المسلمين !!

ويبدوأن تلك الروح (الصليبية) الحاقدة على الإسلام والمذعورة منه قد ظلت تتلبس العالم الغربي حتى أيامنا، وربما كان هذا يفسر جزءاً من الهوس الغربي بمحاربة المسلمين وإخضاعهم إلى هيمنته، فقد ظل العالم الإسلامي محط أنظار المطامع الغربية التي تقنعت خلف الرغبة في نشر رسالة المسيح وإنقاذ ذلك العالم من تخلفه وانحطاطه!. وهوما ترجم على شكل عشرات الحملات والمؤامرات الاستعمارية التي انتهت باحتلال معظم أرجاء العالم الإسلامي وتمزيق وحدته، بإسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية العام ١٩١٨

وقبل ذلك بسنوات قليلة، وفي ظل الشعور المستمر بالتهديد المحتمل للإسلام، كانت بريطانيا قد دعت العام ١٩٠٧ إلى تشكيل لجنة عليا تألفت من سبع دول استعمارية غربية، وذلك لمناقشة الخطر الذي تشكله الخلافة العثمانية الإسلامية على تلك الدول، وقد خلصت اللجنة إلى تقرير أكدت فيه أن مصدر الخطر الحقيقي على تلك الدول يتمثل في "الولايات العربية في الدولة العثمانية، وفي الشعب العربي المسلم الذي يعيش في تلك الولايات". وقد خلص التقرير المذكور إلى الخروج بجملة من التوصيات أبرزها:

- العمل على خلق حالة من الضعف والتمزق والانقسام في المنطقة.

- إقامة دويلات مصطنعة تتبع لتلك الدول الاستعمارية وتخضع لها.

- محاربة أي شكل من أشكال الوحدة والاتحاد الروحي أوالثقافي أوالتاريخي بين أبناء المنطقة.

- وكسبيل لتحقيق كل ذلك، ينبغي إقحام حاجز بشري غريب يتمتع بالقوة على المنطقة، بحيث يجسد قوة معادية لسكانها، تنسجم في مصالحها مع مصالح الدول الاستعمارية الراعية لذلك الكيان المختلق، الذي لعب دوره بإتقان مميز الكيان الصهيوني الغاصب.

- تفعيل أنشطة التنصير: ربما كان من الجائز القول إن هناك علاقة طردية بين ازدياد المخاوف الغربية من الإسلام وتصاعد وتيرة الأنشطة التنصيرية التي يلجأ إليها، وكأن في السعي إلى تنصير المسلمين وإدخالهم في "المحبة المسيحية" شكلاً من أشكال الحيل الدفاعية للتعويض عن كراهيتهم.

وفي كتابه " موضة الخوف الجديد من الإسلام وكرهه "يشرح الباحث الفرنسي فانسان جيسير المؤلف سبب الخوف، بل وحتي الذعر، من الإسلام الذي أصبح يشكل الآن الدين الثاني في فرنسا بعد المسيحية بمذهبها الكاثوليكي، وكيف ازداد هذا الكره للإسلام أوالخوف منه بعد هجمات ١١ سبتمبر، ويقول إن ظاهرة الخوف من الإسلام وكرهه ليست مقتصرة علي فرنسا وإنما هي شائعة في شتى أنحاء أوروبا.

ويقول : لقد أصبح المسلمون الملتزمون بالشعائر والطقوس الدينية علي لائحة الاتهام، فالذين يؤدون الصلوات الخمس يوميا أويصومون رمضان بالكامل أصبحوا يخيفون الفرنسيين أكثر من ذي قبل.

ويدلل علي ذلك بقصة الحجاب وأقامت فرنسا ولم تقعدها حتى الآن على الرغم من أن عدد الفتيات اللواتي يلبسن الحجاب في فرنسا لا يتجاوز الثلاثمائة في فرنسا كلها، ولكن وسائل الإعلام من إذاعة وتلفزيون وجرائد ركزت عليهن فقط ونسيت ان عدد الجالية الإسلامية يناهز الستة ملايين نسمة! فما معني ثلاثمائة حالة بالقياس إلى ستة ملايين؟

ويتحدث عن دور وسائل الإعلام والصحفيين والمثقفين الفرنسيين في نشر الخوف من الإسلام وكرهه، وهنا يقيم صلة وصل بين كره الإسلام أثناء العصر الاستعماري، وبين الموضة الجديدة لكره الإسلام، فهناك نقاط تشابه ونقاط اختلاف.

ويتحدث أيضاً عن دور خبراء الأمن والاستراتيجية في تضخيم الخوف من الإسلام بعد ١١ سبتمبر، وقد زادت أهمية هؤلاء الخبراء في شؤون الأمن والمخابرات في الآونة الأخيرة وأصبحوا يظهرون على شاشة التلفزيون أكثر فأكثر.

ويذهب الفيلسوف الفرنسي المعروف، اندريه غلوكسمان، الذي أصدر مؤخرا كتابا هاما عن عالم ما بعد ١١ سبتمبر بعنوان «دستوفسكي في مانهاتن» أن الحقيقة التي كثيرا ما حجبها الإعلام الغربي، وكذلك المثقفون الغربيون هي أن ظاهرة الإرهاب الأصولي قسمت المسلمين بقدر ما قسمت باقي العالم، واستهدفتهم أكثر من غيرهم.

ولذا فزلزال ١١ سبتمبر لم يكن حرب الحضارات الموعودة، وإنما حربا داخل كل حضارة بين نزعة التواصل والانتماء للكونية من جهة، والنزعة العدمية التدميرية من جهة أخرى، والنزعتان موجودتان، حاضرتان في كل فضاء ثقافي، سواء كان إسلاميا أو أوروبيا أو آسيويا.

ولذا فإن بن لادن، من هذا المنظور، هووريث اليسار الراديكالي الذي اعتمد الإرهاب في السبعينيات باسم المثل الماركسية، وله نظراؤه حاليا، في اليمين الأمريكي وفي التنظيمات المتطرفة في اليابان والهند وأمريكا اللاتينية.

ويمكن القول إن بعض علماء الدين لا ينظرون لفقه الواقع ولمتطلبات الحياة، فتصدر عنهم بعض الفتاوى الناقصة والبعيدة عن فهم الواقع، حيث لا تنظر للحياة كجزء من الدين، علماً بأن الإسلام دين يشمل الحياة، وهم بذلك ينفرون الناس من الدين، فما رأيكم بمثل هذه الفتاوى !!



"المبشِّر .. التاجر .. والعسكري"

الثلاثية التي تحكم الغرب الأمريكي الآن

"إن الذين لا يؤمنون بيسوع المسيح لن يدخلوا الجنة"

جورج بوش الابن

"المبشّـر.. التـاجـر.. والعسكـري "

الثلاثية التي تحكم الغرب الأمريكي الآن

نشيد المسيح في مؤتمر الحزب !!

هناك الآن ثلاثية تحكم توسعها في الولايات المتحدة الأمريكية وهي فكرة الدين.. الثروة.. القوة.. أوالمبشر والتاجر والعسكري !!

في غمار حملته الانتخابية منذ نحو٩ سنوات كمرشح لمنصب حاكم ولاية تكساس، نشرت الصحف تصريحا لجورج بوش الابن أكد خلاله "أن الذين لا يؤمنون بيسوع المسيح لن يدخلوا الجنة "، غير أنه سرعان ما اضطر إلى إرسال تصحيح لجمعية "بناي برث" اليهودية - بعدما أدى تصريحه السابق إلى تأليب اليهود عليه - قال فيه: "إنني أقصد أنني أعتقد أنه لكي أدخل الجنة فيجب أن أكون مسيحيًا ".

وبعد أن فاز بوش على منافسه جون ماكين بترشيح الحزب الجمهوري في مارس عام ٢٠٠٠، كشف الأخير عن وقوف الائتلاف اليميني المسيحي بقيادة القس بات روبرتسون خلف بوش ؛ وذلك ردًا على مساندة ماكين للجنرال كولين باول الذي دخل مرشحًا للرئاسة في انتخابات ١٩٩٦، ثم اضطر للعدول عن ترشيحه تحت ضربات اليمين المسيحي المتلاحقة.

ومن هنا لم يكن غريبا إذن أن يتصدر "نشيد المسيح "افتتاح أعمال المؤتمر القومي للحزب الجمهوري لاختيار بوش مرشحًا رسميًا للرئاسة، ولا أن يدعوبوش خلال المؤتمر ابن القس بيل جراهام - أحد مؤسسي اليمين المسيحي - ليؤم الحضور في صلاة البركة، معلنا تبنيه صراحة لأجندة اليمين المسيحي الدينية المحافظة التي يعد دعم إسرائيل ركيزتها الأولى، باعتبار أن هذا الدعم أمر إنجيلي له صلة بنهاية العالم ومعركة "هرمجدون" الكبرى.

كما فوجئ العالم في الثلاثين من مارس عام ٢٠٠٣ بتوزيع إدارة بوش كتيبات تحمل عنوان "واجب المسيحي" على الآلاف من رجال مشاة البحرية الأميركية "المارينز"، تحتوي على أدعية وعلى جزء ينزع من الكتيّب لإرساله بريدياً إلى البيت الأبيض لإثبات أن الجندي الذي أرسله يصلي من أجل بوش".

وقال أحد الصحافيين المرافقين لقوات "التحالف"، إن هذا الجزء يقول: "لقد صلّيت من أجلك ومن أجل عائلتك وموظفيك وجنودنا في هذه الأوقات التي تسودها حالة عدم اليقين والاضطراب. ليكون سلام الله دليلك". وكان الأمر المثير للغرابة في هذا الخبر أن دولة علمانية، كالولايات المتحدة، تقحم الله بهذا الشكل في حياة مواطنيها وهم متدينون من مختلف الأديان والطوائف، وغير متدينين.

وفي كتابه "عقيدة جورج دبليوبوش" يتناول الكاتب الأميركي ستيفن مانسفيلد السيرة الذاتية للرئيس الأميركي الحالي جورج دبليوبوش، خاصة في ما يتعلق بدور الدين في التأثير على شخصيته ومسيرته السياسية، والآمال التي يعقدها عليه اليمين الأميركي المتدين خاصة في فترة ما بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١.

يبدأ الكتاب بمحاولة للبحث عن جذور التدين في عائلة الرئيس الحالي، ويشير المؤلف إلى أن بوش الأب مر بتجربة دينية هامة خلال مشاركته في الحرب العالمية الثانية عندما أسقطت طائرته وهو في مهمة ضد اليابان وأنقذته غواصات أميركية بمعجزة، كما أن بوش الأب صديق للداعية الأميركي المعروف جيري فالويل الذي يعد أحد أشهر قادة اليمين الأميركي المتدين.

ولكن بوش الأب حافظ دائما على ثقافة سياسية صارمة تنظر إلى الدين على أنه أمر "شخصي" لا يجب مناقشته في الحياة العامة، مما وضع حاجزا بينه وبين قوى اليمين الأميركي المتصاعدة سياسيا، التي مالت بعيدا عن بوش الأب خلال حملته للفوز بفترة رئاسة ثانية عام ١٩٩٢ في مواجهة مرشح الحزب الديمقراطي بيل كلينتون "سريع الدموع" ومرشح اليمين الأميركي بات ربرتسون، وهو داعية معروف ومؤسس منظمة التحالف المسيحي.

وحدث مرة أن سأل صحفيون بوش الأب عما كان يفكر فيه حين أسقطت طائرته خلال الحرب العالمية الثانية فقال "أبي وأمي، وبلدنا، والله.. وعن الفصل بين الدين والدولة"، وهي إجابة لم ترض بالطبع المتدينين الأميركيين.

هاجر بوش الأب في بداية حياته إلى ولاية تكساس لبناء حياة مستقلة بعيدا عن والده السيناتور ورجل الأعمال الثري بنيويورك، ورزق بوش الأب بجورج دبليوعام ١٩٤٦ أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بعام واحد.

وتأثر جورج دبليوكثيرا بفترة تربيته الأولى في مدينة ميدلاند بولاية تكساس التي امتزجت فيها صناعة البترول بثقافة رعاة البقر، إذ مرت ميدلاند خلال فترة نشأة جورج دبليوبتحول كبير من مدينة رعاة بقر إلى مدينة بترول تدفق عليها آلاف العمال والمهاجرين للاستفادة من صناعة البترول الجديدة.

ولذا تميزت الحياة بميدلاند بكونها حياة صعبة يملؤها العمال وصراعات الشوارع، وبها اختلاط اجتماعي كبير، وأفضل ما يمثلها –كما يقول المؤلف– هوصورة راعي بقر يرتدي بذة عمل رسمية معها قبعة وحذاء راعي بقر ويركب سيارة لموزين فارهة. كما شارك بوش الأب في بعض لجان الكنيسة المحلية وقامت باربرا بوش بتقديم أطعمة للكنيسة وبتعليم الأطفال في مدرسة الأحد التي حضرها جورج دبليوبشكل منتظم.

بعد ثراء بوش الأب انتقل إلى مدينة كبيرة بولاية تكساس وهي هيوستن، ومع الانتقال بدأت متاعب جورج دبليوالذي ارتبط دائما بميدلاند.

إذ سرعان ما فشل جورج دبليوفي التأهل لأفضل مدارس هيوستن، وبدأ في رفض النظم التعليمية الصارمة، كما واجه صعوبة الخروج من عباءة والده الناجح وذائع الصيت، ودخل خلال مراهقته مرحلة تجارب ثقافية وأخلاقية مستمرة تواكبت مع فترة الستينيات التي شهدت ثورة ثقافية وأخلاقية عمت المجتمع الأميركي.

فشل جورج دبليوفي الالتحاق بإحدى جامعات تكساس لدراسة القانون وبدأ في حياة مضطربة. وبعد ذلك ترك جورج دبليومنزل الأسرة لدراسة المال والأعمال بجامعة هارفارد، وخلال تلك الفترة صدرت دراسات تؤكد أن أعلى الوظائف أجرا هي في مجال البترول فعاد جورج دبليوإلى تكساس بعد التخرج.

وفي العام ١٩٧٧ تعرف جورج دبليوعلى لورا وتزوجها، ووضع أصدقاء بوش ومعارفه آمالا عريضة على لورا -التي كاتب تعمل كمكتبية- لتنظيم حياة جورج دبليوالذي كانت تعرف شقته بأنها "ملقى النفايات السامة"، إشارة إلى ما يحتسى فيها من خمور وغير ذلك.

وفي سن الحادية والثلاثين قرر جورج دبليو ترشيح نفسه للكونغرس ضد الديمقراطي كينت هانس الذي صور جورج دبليو- خلال سباق الانتخابات- على أنه شخص غير أخلاقي وغير متدين، خاصة بعد أن نشر أصدقاء جورج دبليوإعلانا يدعولحضور مظاهرة مساندة له توزع فيها بيرة مجانية.

وخسر جورج دبليو الانتخابات، ولكنه "لم ينس الدرس" كما يقول المؤلف.

وعاد إلى مجال النفط وظل يحفر آبارا خاوية حتى وصل سن الأربعين تقريبا وهو في عداد الفاشلين، ثم بدأ تحول كبير يطرأ على حياته.

يقول ستيفن مانسفيلد إن التغير في شخصية بوش بدأ خلال اجتماع عقد عام ١٩٨٤ في إحدى كنائس ميدلاند مع القس أرثر بليسيت الذي كان يجوب العالم حاملا الصليب للدعوة إلى المسيحية.

وحضر الآلاف من أهالي ميدلاند محاضرة بليسيت، وبعد المحاضرة طلب جورج دبليولقاء بليسيت. وخلال اللقاء وضح لجورج دبليوأنه غير متأكد من موقفه من المسيحية، ولكنه مع نهاية اللقاء شعر بالرغبة في التوبة وطلب من بليسيت الدعاء له.

وسرعان ما بدأ جورج دبليو في قراءة الإنجيل والصلاة يوميا، وفي المشاركة بحلقة لدراسة الإنجيل مع بعض أصدقائه توقف عن شرب الخمور، وبدأ الجميع يرون تحولا في حياة بوش على نحوأكثر جدية.

في تلك الفترة كان جورج دبليومازال يعمل في مجال استكشاف النفط، واحتلت شركته أربوستوعام ١٩٨٣ المرتبة رقم ٩٩٣ بين شركات إنتاج النفط بولاية تكساس.

وعام ١٩٨٤ اتحدت أربوستو مع شركة أخرى هي سبكتروم ٧، ولكن الشركة الجديدة لم تسر بشكل جيد، وعام ١٩٨٦ اشترت شركة هاركين أنرجي شركة سبكتروم ٧ وأعطت جورج دبليوراتبا قدره ١٢٠ ألف دولار سنويا، وأسهم بمقدار نصف مليون دولار، الأمر الذي دفع البعض إلى القول إن هاركين أنرجي سعت لتوظيف بوش من أجل اسمه لكونه أحد أبناء نائب الرئيس.

وعام ١٩٨٨ انتقل جورج دبليوإلى واشنطن لمساعدة والده في حملته الرئاسية، وهناك اكتسب خبرة واسعة، وساعد أباه في التواصل مع الجماعات المسيحية المتدينة لكونه أحد أعضائها، وذلك خلال فترة شهدت صراعا سياسيا كبيرا على اجتذاب أصوات اليمين الأميركي المتدين الصاعدة سياسيا.

وبعد فوز بوش الأب بفترة رئاسته الأولى عاد جورج دبليو إلى تكساس وقام بشراء وإدارة أعمال فريق بيسبول محلي معروف. وعام ١٩٩٣ قرر جورج دبليو ومساعده كارل روف خوض انتخابات حاكم ولاية تكساس، وهو قرار عارضه فيه الجميع خوفا من وقوع انتكاسة إضافية للأسرة بعد خسارة بوش الأب أمام بيل كلينتون عام ١٩٩٢، ولكن جورج دبليو أصر على خوض الانتخابات التي فاز فيها.

ويقول المؤلف إن الدين لعب دورا كبيرا في تمييز حملة جورج دبليو عن منافسته الديمقراطية آن ريتشاردز التي حاولت تصوير جورج دبليو على أنه شاب سليل عائلة

ثرية ومستهتر، ما دفع جورج دبليو إلى إضفاء طابع ديني قوي على حملته في مواجهة انتقادات منافسته الديمقراطية.

يقول ستيفن مانسفيلد إن فكرة ترشيح جورج دبليو نفسه للرئاسة جاءته أول مرة خلال حضوره صلاة بإحدى كنائس تكساس، وكان القس مارك كرايج يتحدث في تلك الصلاة عن قصة موسى (عليه السلام) ويقول إن موسى "تردد بعض الشيء في قبول دعوة الله له لقيادة الناس"، في حين أن الناس في أشد الاشتياق لقيادة تمتلك رؤية وشجاعة أخلاقية.

خلال الصلاة شعر جورج دبليو بأن الدعوة كانت موجهة إليه، وذلك قبل أن تلتفت إليه أمه الجالسة بجواره وتقول له إن القس "كان يتحدث لك"، وبعد فترة قصيرة اتصل جورج دبليو بالقس جيمس روبيسون وقال له "لقد سمعت الدعوة، أعتقد أن الله يريدني أن أرشح نفسي للرئاسة".

كما أشار ستيفن مانسفيلد إلى أن التدين في إدارة جورج دبليو لم يقتصر عليه، فكونداليزا رايس التى كانت رئيسة مجلس الأمن القومي -على سبيل المثال- هي ابنة قس، وجون أشكروفت وزير العدل هو عضو نشط بجماعة دينية معروفة، وإندرو كارد كبير موظفي البيت الأبيض متزوج من سيدة دين، ووزير التجارة دون إيفانز كان زميل بوش في حلقة لدراسة الإنجيل بتكساس.

كما تحرص إدارة جورج دبليو على الصلاة يوميا بالبيت الأبيض، ويحرص جورج دبليو نفسه على قراءة الإنجيل وتدارسه كل يوم، وعلى عدم ترك الصلاة حتى وهو مسافر على متن طائرته الخاصة.

كما تميزت سياسته بطابع ديني واضح سواء في مجال التعبير عن عقائده الدينية بشكل علني، أو في ما يتعلق بوضع قوانين تسمح للجماعات الخيرية الدينية بالتنافس على المنح الحكومية المقدمة في مجالات عملها.

يقول ستيفن مانسفيلد إن عبارات جورج دبليوعن الإسلام، خاصة في ما يتعلق بوصفه للإسلام على أنه "دين سلام" - خلال زيارة جورج دبليوللمركز الإسلامي بواشنطن في ١٧ سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١ - أثارت عاصفة من النقد في أوساط اليمين المتدين إلى حد قول أحد رجال الدين "يمكننا أن نتحمل ٩/١١ ولكن لا يمكننا أن نتحمل ٩/١٧". كما انتقد اليمين المتدين موقف جورج دبليومن المسلمين الأميركيين بعد أن مدحهم والتقى قادتهم.

كما وقف قادة اليمين المتدين موقفا أكثر تشددا تجاه الإسلام والمسلمين بعد أحداث سبتمبر/ أيلول عبر عنه فرانكلين جرام -الذي ألقى دعاء افتتاح حفل تنصيب جورج دبليووهوأيضا ابن القس بيلي جرام-، وذلك خلال مقابلة أجرتها معه قناة NBC الأميركية في ١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠١ إذ قال "لا أعتقد أن هذا (الإسلام) دين رائع ومسالم.. عندما تقرأ القرآن فإنه يدعولقتل الكفار وغير المسلمين.. من قاموا بالطيران في أبنية ليسوا طائفة مسيحية (ما). الهجوم كان على بلدنا من قبل أعضاء بالديانة الإسلامية".

مخاوف وآمال اليمين الأميركي المتدين

من هذا المنطلق كان من الطبيعي أن يسيطر المنتمون إلى هذا اليمين المسيحي على أغلب مناصب إدارة بوش، وأن ترتهن السياسات الداخلية والخارجية للإدارة الأمريكية بأجندة هذا التيار اليميني المتطرف (يطلق عليه أحيانا اسم "المسيحيين الجدد") الذي نجحت الصهيونية في اختراقه وتشكيل تحالف معه لخدمة أهداف إسرائيل بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.

وخلال رحلة البحث عن التنظيم والانتشار، بدأ اليمين الديني ينشط في المجتمع المدني الأمريكي مستعينا بالتحالف مع اللوبي الصهيوني بوصفه صاحب الخبرة الأبرز والأكبر في التنظيم من خلال الهيئات والمؤسسات والجمعيات المدنية، فضلا عن إجادته للعبة ممارسة الضغوط وتوظيف المصالح، وهوما تمخض في نهاية

الأمر عن ظهور تيار قوي ومهم داخل المذهب البروتستانتي عرف باسم "المسيحية الصهيونية أو "الصهيونية المسيحية الأصولية "، والتي يقودها الآن في أمريكا القس "بات روبرتسون" تحت ما يسمي باسم "التحالف المسيحي " (يضم في عضويته مليون عضو) ويدير إمبراطورية هائلة تهيمن علي عدد كبير من المؤسسات الإعلامية، منها شبكة «فوكس» الإخبارية وشبكة «إن. بي. سي» وشبكة «سي. إن. إن» التليفزيونية.

وترتكز المقومات العقائدية لتيار الصهيونية المسيحية على اعتناق ثلاثة مبادئ رئيسية : الإيمان بعودة المسيح وبأن تلك العودة مشروطة بقيام دولة إسرائيل، وأن قيام إسرائيل لن يتحقق إلا بتجمّع اليهود في فلسطين، وأن شريعة الله وحدها (التوراة) هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين بوصفهم شعب الله المختار.. وقد لعبت هذه الأفكار الثلاثة دورا أساسيا ومحوريا في صناعة وعد بلفور وقرار قيام إسرائيل وتهجير اليهود إليها، وفي دعمها ومساعدتها وإعفائها من الانصياع للقوانين والمواثيق الدولية فيما بعد.

ويعد جورج بوش الابن أحد أبناء هذا اليمين الديني الأصولي، إذ على الرغم من أن بوش كان شخصا بعيدا عن الله وعن الإيمان، إلا أنه اكتشف فجأة في صباح أحد أيام عام ١٩٩٥ أنه لابد أن يعود إلى الله، وهوما يعني حسب التعبيرات الدينية البروتستانتية "التجدد "، بمعنى أنه أصبح شخصا قد ولد من جديد، وأصبح شخصا متدينا.

ووفقا لهذا المعنى أيضا يمكن القول أن هذه هي المرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي يصبح فيها اليمين الديني مشاركا في الإدارة الأمريكية ومكونا أساسيا في تشكيلها بعد أن أصبح يسيطر الآن علي أغلب الوزارات في إدارة بوش، فضلا عن انتماء نائب الرئيس ووزير الدفاع ووزير العدل ونائب وزير الدفاع إليه.. كما شهد شهر يناير ٢٠٠١ للمرة الأولى كذلك تحالف الجناح المتشدد في الحزب الجمهوري الأمريكي مع اليمين الديني، بيد أن هذا التحالف لم تنتبه المنطقة العربية إلى تأثيره

وتداعياته على السياسة الأمريكية الخارجية وعلى العلاقات الدولية بشكل عام إلا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

"الحركة التدبيرية " الرهيبة !!

وربما كان إلقاء الضوء على فكر (الحركة التدبيرية) - التي تعد واحدة من بين أهم وأخطر الحركات الصهيونية المسيحية الأصولية - كافيا لفهم المعتقدات الدينية والأيديولوجية الفكرية لعشرات الحركات والمنظمات التي تنتمي للصهيونية المسيحية (وبالمناسبة فإن الرئيس الأمريكي السابق رونالد ريجان كان ينتمي إلى هذه الحركة)، فهذه الحركة نشأت في الولايات المتحدة بعد قيام دولة إسرائيل، وكانت تضمّ في أواسط الثمانينيات نحوأكثر من أربعين مليون أمريكي في عضويتها، وهي تسيطر الآن على قطاع واسع من المنابر الإعلامية الأمريكية وتمتلك محطات تلفزة خاصة بها، ويشارك قادتها كبار المسئولين في البيت الأبيض ومجلس الأمن القومي الأمريكي ووزارة الخارجية في صناعة القرارات السياسية والعسكرية المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي.

وتعتقد هذه الحركة أنّ الله قد وضع في الكتاب المقدس نبوءات واضحة حول كيفية تدبيره لشؤون الكون ونهايته، تتمثل في قيام دولة إسرائيل وعودة اليهود إليها، ثم هجوم أعداء الله على إسرائيل ووقوع محرقة هرمجدون النووية (وأعداء إسرائيل هم الروس والعرب، أوبعبارة أدق الشيوعيون والمسلمون بشكل عام)، التي سيعقبها انتشار الخراب والدمار ومقتل الملايين، ومن ثم يظهر المسيح المخلص لتخليص أتباعه (أي المؤمنين به) من هذه المحرقة، وهوما سيترتب عليه إيمان اليهود الذين نجوا من المحرقة بالمسيح، وانتشار السلام في مملكة المسيح في أرض جديدة وتحت سماء جديدة لمدة ألف عام.

كما يؤمن أعضاء تلك الحركة ـ مثل باقي حركات ومنظمات اليمين الديني والصهيونية المسيحية المختلفة ـ بأن قيام الدولة اليهودية في فلسطين إشارة إلى قرب مجيء المسيح عليه السلام، وبأنه ما لم يسيطر اليهود على فلسطين كاملة وتصبح القدس عاصمة لهم، فإن ذلك سيعطل مجيء المسيح، الذي لابد أن يسبق ظهوره حرب نووية مُدمرة ستقع بين إسرائيل وأعدائها، تحصد ما لا يُعدّ ولا يُحصى من أرواح البشر وتنتهي بخراب الأرض.. ولعل هذا الاعتقاد هوما يفسر لنا بوضوح هذا الإصرار الأمريكي الشديد على الالتزام دوما بتسليح إسرائيل بأضخم ترسانات الأسلحة وأحدث التقنيات التكنولوجية، وبدعمها في كل مخططاتها داخل فلسطين وخارجها، استعدادا لتحقيق مزاعم تلك النبوءة، وضمان انتصار إسرائيل وحلفائها في هذه الحرب المدمرة ضد أعداء الله حسب زعمهم.

وقد ساعد على تعزيز تلك المعتقدات في نفوس الأمريكيين بصفة عامة وفي أوساط اليمين الديني بصفة خاصة ـ مثلما تؤكد الكاتبة الأمريكية "غريس هالسل" في كتابها "النبوءة والسياسة" تتابع انتصارات إسرائيل على دول الجوار العربية، والتي بلغت ذروتها بعد الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، لدرجة أن استطلاعا للرأي أجرته مؤسسة "باتكيلوفيتش" عام ١٩٨٤ أظهر أن ٣٩ بالمائة من الشعب الأمريكي يؤمنون بأن (تدمير الأرض بالنار يعني أننا نحن أنفسنا ـ أي الأمريكيين ـ سوف نُدمّر الأرض بـ "هرمجدون "نووية)، في حين أظهرت دراسة أخرى أجرتها مؤسسة "نلسن "الأمريكية أن ٦١ مليون أمريكي يستمعون بانتظام إلى مُبشّرين يقولون : إننا لا نستطيع أن نفعل شيئا لمنع حرب نووية تتفجر في حياتنا (من المعروف أن الشعب الأمريكي يبلغ عدد سكانه ٢٧٠ مليون نسمة، منهم ٥٠ مليون كاثوليكي و١٥ مليون ملحد وخمسة ملايين يهودي وستة ملايين مسلم تقريبا و١٩٩ مليونا ينتمون للعديد من الطوائف والمذاهب والمعتقدات الأخرى).

وفي عام ١٩٩٨ ارتفعت نسبة المؤمنين بهذه النبوءة بين صفوف الشعب الأمريكي، حيث أظهر استطلاع للرأي أجرته مجلة (تايم) الأمريكية أن ٥١٪ من الشعب

الأمريكي يؤمن بهذه النبوءة، وأن من بين هؤلاء عددا كبيرا من أعضاء النخبة الحاكمة في الولايات المتحدة، بعضهم وزراء وأعضاء في الكونجرس وحكّام ولايات، فضلا عن إيمان عدد من الرؤساء الأمريكيين مثل جيمي كارتر ورونالد ريجان وجورج بوش بهذه النبوءة، لدرجة أن ريجان كان يتخذ معظم قراراته السياسية أثناء توليه الرئاسة الأمريكية على أساس النبوءات التوراتية.

ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى أن هناك نحو٢٠٠ معهد في أنحاء الولايات المتحدة تخرّج طلّاباً مؤمنين بأفكار الحركة التدبيرية وبقرب هرمجدون النوويّة، وأنه من بين كل أربعة أصوليين إنجيليين هناك ثلاثة أشخاص ينتمون للحركة التدبيرية ويعتقدون أن وقوع كارثة نووية هووحده فقط الذي يمكن أن يعيد المسيح إلى الأرض.. فضلا عن أنه من بين ٨٠ ألف قسّيس إنجيلي يذيعون يوميا برامج فإن الأكثرية الساحقة منهم ينتمون إلى التدبيريين، وهم يبثون عبر ١٤٠٠ محطة دينية في أمريكا رسالة تحت عنوان "هرمجدون قادمة "، مفادها أنه "لن يكون هناك سلام حتى يعود المسيح، وأن أي تبشير بالسلام قبل هذه العودة هوهرطقة (تخريف وكفر)، وضد كلمة الله والمسيح ".

ويعد بات روبرتسون من أشهر هؤلاء الأصوليين الإنجيليين الذين يُبشرون على شاشة التلفزيون بنظرية (هرمجدون)، إذ يملك شبكة تلفزيونية مسيحية مكونة من ثلاث محطات، وتبلغ عائداته السنوية ٢٠٠ مليون دولار، وهومساهم أيضا في محطة تلفزيون الشرق الأوسط في جنوب لبنان، ويشاهد برامجه أكثر من ١٦ مليون عائلة أمريكية.. بينما يمتلك جيمي سواجرت ثاني أكبر المحطات الإنجيلية شهرة، ويشاهد برامجه نحو٩ ملايين منزل، في حين يملك جيم بيكر ثالث أشهر محطة تبشيرية، وتتراوح عائداته السنوية ما بين ٥٠ و١٠٠ مليون دولار، ويشاهد برامجه حوالي ٦ ملايين منزل.

أشرطة الكاسيت والفيديو!!

كما تشهد أشرطة الفيديوالكاسيت التي تحمل برامج هؤلاء المنصِّرين التوراتيين رواجًا شديدا للغاية في أوساط الطبقة المتوسطة الأمريكية (معظم المؤمنين بهذه النبوءة ينتسبون لتلك الطبقة وهم بالملايين)، وكذلك الكتب الخاصة بها والتي صارت تباع في شوارع كبريات المدن والولايات الأمريكية كالخبز؛ لدرجة أن كتابا مثل (الكرة الأرضية العظيمة المأسوف عليها) للمنصّر التوراتي هول ليفدسي بيعت منه أكثر من ٢٥ مليون نسخة بعد أيام من طرحه في الأسواق.

هؤلاء المنصّرون التوراتيون التلفزيونيون الذين يمثّلون الصهيونية المسيحية استطاعوا من خلال نشاطهم - الذي يُعدّ أكبر وأهم حركة تنصير في تاريخ المسيحية - إقامة ما يعرف باسم (حزام التوراة) في مجموعة ولايات الجنوب والوسط الأمريكي، التي تكونت فيها قطاعات واسعة من المسيحيين المتشددين دينيًّا والمؤمنين بنبوءة (هرمجدّون)، أونهاية العالم الوشيكة المرتبطة بنزول المسيح المخلص من الشر والخطيئة، والتي سيسبقها اندلاع حرب نووية ستزهق أرواح أكثر من ٣ مليارات إنسان، وتندلع شرارتها من جبل الهرمجدون الواقع على بعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب ومسافة ١٥ ميلاً من شاطئ البحر المتوسط، وهوالمكان الذي أخذ أكبر حيز من اهتمام المسيحيين بعد الجنة والنار!.

وقد أفرزت تلك الصهيونية المسيحية أكثر من ألف ومائتي حركة دينية متطرفة، يؤمن أعضاؤها بنبوءة نهاية العالم الموشكة في معركة هرمجدّون، وهذه الحركات تنتج أفلاماً سياسية على أنها أفلام دينية (حتى يضمنوا بثها مجاناً في الإذاعات الأمريكيّة) تخدم فكرة دعم إسرائيل بوصفها ساحة المواجهة الأخيرة قبل نزول المسيح عليه السلام، مثل فيلم "إسرائيل مفتاح أمريكا إلى النّجاة"، وفيلم "القدس د.س"، الذي أجمع كل من شاهده على أنه يبعث رسالة واضحة مفادها : اشكروا الله وأرسلوا الذخيرة !!!.

ومما لا شك فيه أن الصهاينة قد نجحوا في توظيف هذه المنطلقات العقائدية والفكرية لتيار اليمين الديني الأمريكي لخدمة أهدافهم الاستيطانية والاستعمارية، حيث برعوا - على سبيل المثال - في استغلال نبوءة "هرمجدون" التي تمنع المسيحي الأمريكي المؤمن بها من التعامل الراشد مع الواقع، وتجبره على رؤية الواقع والمستقبل في إطار محدد ومعروف سلفا، وهوما انعكس بدوره في التأييد المطلق للمشروع الصهيوني العنصري القائم على الاستيطان وتهجير الآخرين وطردهم من أرضهم (ولواقتضى الأمر القيام بمذابح جماعية ضدهم)، وفي التعاطف الذي أبداه المسيحيون التوراتيون مع السفاحين اليهود إلى حد المشاركة في المجازر التي يرتكبونها ضد الفلسطينيين، مثلما فعل بات روبرتسون الذي شارك مع إريل شارون في غزولبنان وفي المذابح الوحشية التي ارتكبها هناك، كما شارك معه متطوعون من المسيحيين التوراتيين حاربوا مع الجيش الصهيوني، وفقا لما كشفته الأمريكية "غريس هالسيل" في كتابها "النبوءة والسياسة".

والأدهى من ذلك أن معظم المحاولات التي جرت لحرق المسجد الأقصى أوالتي تجري لهدمه - ناهيك عن بقية المقدسات الإسلامية في القدس - من أجل إقامة الهيكل مولَها وخطط لها مسيحيون توراتيون من المؤمنين بنبوءة هرمجدّون، بل وشارك بعضهم بنفسه فيها!! كمايرجع الفضل أيضا لتيار اليمين الديني والصهيونية المسيحية في حصول إسرائيل عام ١٩٥٦ على ٧٥٢ باوند من اليورانيوم، وهي كمية تكفي لصنع ٣٨ قنبلة نوويّة كقنبلة هيروشيما.

التشكيك في القرآن الكريم !!

وبالتوازي مع هذا التأييد والدعم المطلق لإسرائيل، لم تتوان رموز هذا التيار بالمقابل في شن الحملات المنتظمة ضد العرب والمسلمين، ولم يكن غريبا ولا عجيبا أن ينعت المبشر التلفزيوني الشهير "بات روبرتسون" - أحد قادة هذا التيار، وصاحب

الفضل في وصول جورج بوش الابن إلى الرئاسة - الإسلام بأنه "دين النخاسين، وهو ليس أكثر من هرطقة مسيحية يهودية، والغريب هواعتناقه من قبل بعض الأمريكيين من أصل أفريقي.. هذا لا يقل عن الجنون.. لقد كان الشعب الإسلامي والعرب هم الذين أسروا الأفريقيين وباعوهم لنا "، بل وامتد الهجوم على الإسلام ليشمل بعض وزراء الإدارة الأمريكية أنفسهم، مثل وزير العدل جون اشكروفت الذي كان أول من هاجم القرآن علنًا، وهاجم الدين الإسلامي معتبرا أنه دين الموت : (إله المسيحية يضحي بابنه من أجل الحياة..أما إله المسلمين فيأمرهم بأن يرسلوا أولادهم للموت).

وكشفت مجلة "موثر جونز" في شهر يونيوالماضي عن أن العديد من الدوائر الثقافية الأمريكية المؤثرة اعتمدت فكرة إشاعة التشكيك في القرآن من جانب المثقفين الغربيين، وانتقدت عدم قيام العالم النصراني والإعلام الغربي عقب ١١ سبتمبر بـ "التشكيك في صحة القرآن" كحل لإنهاء التعصب الإسلامي وإيجاد بدائل له !.

وقد نجحت هذه الحملة في دفع العديد من الصحف والمجلات الأمريكية والغربية والعديد من القساوسة للهجوم علي الدين الإسلامي، واعتباره منبع الشر الذي يغترف منه "الإرهابيون"، كما عادت القنوات التلفزيونية الأمريكية والمجلات والجرائد لنصب محاكمات للقرآن والهجوم عليه، وظهر بعض القساوسة الشواذ ليهاجموا الإسلام والعرب بطريقة جنونية مثل القسيس "فالول".

هذا العداء الكاسح الذي يكنه اليمين الديني الأمريكي للعرب والمسلمين تجاوز كل الحدود وبلغ ذروته، دفع صحيفة (لوس انجلوس تايمز) أوائل الشهر الماضي إلى تأكيد أن الإدارة الأمريكية بمؤسساتها وأفرادها أصبحت واقعة تحت تأثير ممثلي الفكر اليميني الديني المتطرف، حيث تدعوهذه الرموز إلى عدم التدخل في الشرق الأوسط لصالح السلام "وتحث الرئيس بوش على إعطاء إسرائيل الحرية كاملة في التعامل عسكرياً مع الهجمات الانتحارية - وفقا لوصف الصحيفة - الفلسطينية ".

وكشفت الصحيفة عن أنه "في سلسلة من المقالات في الأسبوعين الماضيين استخدم مفكرون محافظون من أمثال وليام كريستول ووليام بينيت ووسائل إعلام محافظة ونافذة مثل (وول ستريت جورنال) و(ناشونال ريفيو) عبارات مثل (ساعة الهواة) و(الاضطراب الأخلاقي) و(التمني الكلنتوني) لوصف المبادرات الأخيرة من قبل الإدارة لإحياء عملية السلام".

أما مؤسسة "إكسيكتف انتيليجنس ريفيو" وهي مؤسسة أمريكية يشرف عليها السياسي الأمريكي المخضرم ليندون لاروش. فقد أشارت في مجلتها الأسبوعية مؤخرا إلى أن "الحرب الدينية في الشرق الأوسط لن تقع ما لم يكن وراءها تحالف القوى بين المنظمات اليهودية اليمينية المؤمنة بشعار "إسرائيل الكبرى" ممثلة بشخصيات ذات النفوذ مثل إدجار برونفمان رئيس المجلس اليهودي العالمي واليمين المسيحي الأمريكي المتطرف الذي يعرف جمعاً باسم "الألفيين" لإيمانهم الشديد بحلول الألفية السعيدة بعد حرب هرمجدون".

وهكذا يتم خلط الدين بالسياسة هنا، فهناك نوع من توجه إمبراطوري فيما يتعلق بمسألة الحرب بما يسمى بالإرهاب و"فرانكلين غراهام" هوصديق "بوش" وأحد مسؤولي حملة أبيه جورش بوش الأب عام ١٩٨٨ يصف الإسلام بالشرير ويقول: "إن الإسلام هوالظلمة" كما صرحت "الساندي تايمز" اللندنية. هنا المسيحي يعترف بالإسلام هناك نوع من الاعتراف بالدين الآخر ولكن عندما يقول هذا الرجل "غراهام" إن الإسلام هو دين الظلمة وإن الإله هو إله الإنجيل وليس إله القرآن وما شابه ذلك من المصطلحات التي قالها هذا يعني بان هناك عدم اعتراف ومخطط مسبق لمحاربة الدين الآخر على القاعدة التي يؤمن بها بغض النظر عن مواضيع الإرهاب و١١ سبتمبر وعن أي مواضيع اخرى لها علاقة بالمصالح؟

وهناك أمران لابد من التطرق إليهما، الأمر الأول: وهذا متفق عليه في كثير من الدراسات هو استبدال الخطر الأحمر بما يسمى بالخطر الأخضر وهذا امر

موجود بالكثير من الأدبيات التي تحدثت عن كيف على الولايات المتحدة الأمريكية أنها تتعامل مع الخطر الأخضر أي الإسلام باعتباره هو الخطر القادم والتالي الذي حل محل الخطر الأحمر أي الاتحاد السوفيتي بالتحديد فهذا أمر لابد أن يؤخذ في الحسبان والامر الثاني: هو ما ترتب على أحداث ١١ من سبتمبر واختزال الإسلام في أحداث إرهابية وأشخاص قاموا بهذه الأحداث.

وهكذا أصبحت هناك فكرة مسبقة بمحاربة الدين الآخر "الإسلام" بغض النظر عن سبتمبر وكل هذه الاعتبارات هنا كيف يمكن أن نفسر هذا التوجه العدائي ضد الإسلام؟

ويمكن أن نتعرف علي المسوغات الدينية للسياسة الأميركية إزاء الشرق الأوسط من خلال ما يرد إلينا من أخبار، وما يصدر أمامنا من تصريحات، لم يخجل أصحابها من إعلانها. فقد أظهر استطلاع للرأي العام الأميركي أجراه معهد بيو لاستطلاعات الرأي في مارس/ آذار ٢٠٠٣، قبل أيام قليلة من الحرب في العراق أن نسبة ٧٧٪ من الإنجيليين البيض يؤيدون استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية للإطاحة بنظام حكم صدام حسين.

ويجب الإشارة هنا إلى أن مجموع الإنجيليين بلغ أكثر من ٦٠ مليون شخص خلال عام ٢٠٠٠ وهو في تصاعد مستمر، وهوما يظهر مدى تأثير الكنائس الإنجيلية والقساوسة في بلورة رأي هذه الشريحة الاجتماعية التي تشكل قاعدة انتخابية رئيسة للرئيس بوش والمحافظين الجدد، وذلك من خلال الترويج للفكرة التي تعتبر أن الولايات المتحدة بقيادة الرئيس بوش "القائد المتدين والتقي الورع" تعمل على تطبيق مشيئة الله في الأرض.

يعتبر تيم لاهاي أحد أبرز الإنجيليين المقربين من الرئيس بوش وقال عنه معهد دراسة الإنجيليين الأميركيين إن لاهاي يعتبر الزعيم الإنجيلي الأكثر تأثيرا في الولايات المتحدة على مدى السنوات الـ٢٥ الأخيرة من القرن العشرين.

ظهر لاهاي مرات عدة على شاشات التلفزيون والبرامج الحوارية الإذاعية للتصريح بأن الحرب سواء في أفغانستان أو العراق ضرورية بالنسبة للمؤمنين. وذهب إلى حد القول خلال العديد من المناسبات إن "العراق يشكل نقطة محورية خلال أحداث نهاية العالم" حيث إن العراق سيلعب دورا أساسيا في معركة هرمجدون التي ستقع في مجدو في فلسطين.

وقال في سلسلة مقالات وتصريحات صحفية بوصفه أكبر خبير ديني في شؤون الحشر ويوم القيامة إنه "بعد غزو العراق وتخليصه من حكم الطاغية وإعتاق شعبه وإعادة إعماره سيصبح العراق الدولة العربية الوحيدة التي لن تدخل في حرب ضد إسرائيل وضد جيش الله خلال الحرب الأخيرة".

بناء على رؤية أن العراق يمثل جزءا محوريا من الصراع الهادف إلى تحضير منطقة الشرق الأوسط للحرب الأخيرة، حاول بعض القساوسة الإنجيليين ومن أبرزهم بات روبرتسون وهو مؤسس ورئيس شبكة التلفزيون المسيحية CBN ومؤسس بعض المراكز والجامعات الخاصة بتدريس المسيحية، الربط بين صدام حسين و"نبوخذ نصر"، وهو الملك الكلداني الذي حكم بابل خلال القرن الخامس قبل الميلاد وقام بغزو القدس وأحرق هيكل سليمان وأخرج اليهود من أرضهم وقام بتهجيرهم خلال ما يعرف بالسبي البابلي. وقد نصت عليه التوراة (وثيقة العهد القديم) في رؤية دانييل (إصحاح٤:٤-١٨).

وحاول روبرتسون مرات عدة خلال برنامجه الشهير "نادي السبعمائة" تهويل الخطر الذي يشكله صدام حسين على إسرائيل وقال إنه يمثل قوى الشر المعادية للمسيح التي تحاول تقويض قيام الدولة الموعودة "دولة الله في الأرض" التي ستقام لمدة ١٠٠٠ سنة بعد عودة المسيح وذلك بطبيعة الحال وفقا لمعتقدات المسيحيين الذين يؤمنون بالألفية.

وقبيل الحرب في العراق خصص روبرتسون حيزا واسعا من برنامجه نادي السبعمائة وخطبه لتوضيح أهمية موقع العراق والشرق الأوسط عبر التاريخ وعبر توافد العديد من الإمبراطوريات عليها وكان يُظهر خرائط للعراق مشددا على الإشارة إليه باسمه القديم ومثلما ورد في الإنجيل وهوبلاد الرافدين.

يعتبر جيري فالويل من أبرز الإنجيليين اليوم في الولايات المتحدة ومن مجموعة القساوسة القلائل المقربين من الرئيس بوش. هورئيس قساوسة كنيسة طريق توماس المعمدانية في لينش بورغ بولاية فيرجينيا، وهومؤسس بعثات فالويل المسيحية ومستشار ومؤسس جامعة الحرية الدينية بفيرجينيا أيضا، ولديه برنامج تلفزيوني وآخر إذاعي. وقال مرة تلوالأخرى عقب هجمات ١١ سبتمبر إنه يتعين على الرئيس بوش والقوات الأميركية تعقب أسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة وجميع من وصفهم بالإرهابيين في جميع أنحاء العالم مهما استغرق ذلك من وقت وقتلهم باسم الله.

حرب العراق نبوءة دينية !!

وفي الوقت الذي كانت فيه حكومة الرئيس بوش تدق طبول الحرب التي ستشنها على العراق كان فالويل يشدد خلال عظات يوم الأحد على ضرورة تأييد قرار الحرب لأنها حرب مقدسة، وقال "إننا عندما نشن الحرب في العراق سنقوم بذلك لإعادة المسيح إلى الأرض لكي تقوم الحرب الأخيرة التي ستخلص العالم من جميع الكافرين".

كان يقول فالويل دائما إن الإنجيل ينص على أن الله يوجب على المؤمنين معاقبة الكافرين مستشهدا بسور من الإنجيل. وقد أصدر مقالا مثيرا للجدل أطلق عليه عنوان "إن الله مؤيد للحرب" يبرر فيه سبب وضرورة غزوالعراق والإطاحة بنظام حكم

صدام حسين، وقال إن المسيحيين كانوا يجادلون بشأن قضية شن الحرب ضد قوى الشر منذ عقود طويلة وأضاف أن "الإنجيل لم يلتزم الصمت بشأن هذه القضية"، وأضاف أنه في الوقت الذي نص فيه الإنجيل مرات عدة على ضرورة أن يجنح المرء للسلم نص أيضا على الحرب. وقال "إنه في الوقت الذي يعتبر فيه رافضوالحرب أن السيد المسيح مثال للسلام غير المتناهي، يتجاهلون الرواية بكاملها التي وردت في الرؤية التاسعة عشرة ويظهر فيها المسيح في يده سيف حاد يصعق الأمم ويحكمهم". وأضاف أن الإنجيل ينص على أن هناك وقتا للسلم ووقتا للحرب.

القس ريتشارد لاند هورئيس لجنة الأخلاق والحرية الدينية في مجمع الكنسية المعمدانية الجنوبية التي يبلغ عدد أتباعها أكثر من ١٦ مليون شخص ولديها أكثر من ٤٢ ألف كنيسة عبر الولايات المتحدة. ويعتبر أيضا من أبرز الزعماء الإنجيليين المقربين من الرئيس بوش والمدافعين الشرسين عن سياساته خلال ظهوره بشكل مستمر على البرامج التلفزيونية على شاشات MSNBC وCNN وABC وCBS وFox News وغيرها ولديه برنامجان إذاعيان يوميان وثالث أسبوعي تذاع جميعها على موجات عدد من الإذاعات المسيحية.

وبالإضافة إلى تسخير جميع تلك البرامج لحشد التأييد لسياسات الرئيس بوش المحافظة، ما يتعلق منها بقضية الإجهاض وزواج المثليين والأبحاث العلمية الخاصة بالخلايا الجذعية، كانت برامج لاند الحوارية بوقا للتسويق لقرار الرئيس بوش شن الحرب في أفغانستان والعراق وحشد التأييد الشعبي لها ومنحها التبريرات الدينية.

خلال العام ٢٠٠٢ وجه لاند رسالة نيابة عن خمسة قساوسة إنجيليين تناقلتها وسائل الإعلام الأميركية بشكل واسع يعتبر فيها أن شن الحرب الاستباقية ضد العراق حرب مشروعة لأنها تتوفر على جميع شروط "الحرب العادلة" المنصوص عليها في الدين المسيحي. وقال في الرسالة "إننا نؤمن بأن سياساتك المعلنة والمتعلقة

بصدام حسين هي سياسات حذرة وتتدرج في الإطار الزمني النزيهة الذي تنص عليه نظرية الحرب العادلة".

قال تشارلز ستانلي القس بالكنسية المعمودية الأولى بأتلانتا خلال إحدى عظات الأحد التي يشاهدها ملايين المشاهدين عبر شاشات التلفزة "يتعين علينا أن نقدم المساعدة في شن هذه الحرب بأي شكل من الأشكال".

وأضاف ستانلي وهوزعيم سابق لمجمع الكنسية المعمدانية الجنوبية "إن الله يقاتل ضد الذين يعارضونه ويقاتلون ضده وضد أتباعه". ليكون بذلك القس ستانلي قد أضفى الشرعية الدينية الكاملة على الحرب ومباركة الله لها، وبالتالي فإن تأييد الحرب التي يقودها بوش هوواجب ديني ومعارضتها هي معصية لمشيئة الله.

مثلما ذكرت أصبحت الفكرة الرئيسة والمحورية التي يرددها القساوسة الإنجيليون خلال عظاة يوم الأحد هي أن الولايات المتحدة بقيادة الرئيس بوش تعمل على تطبيق مشيئة الله في الأرض.

وهذه المسألة لم تقتصر على رجال الدين الإنجيليين وحسب بل رددها العديد من السياسيين سواء بشكل مباشر وواضح أم بشكلي ضمني. ففي أكثر من مرة قال النائب توم ديلي عندما كان يتولى منصب زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب إنه يتعين دعم الحرب ضد العراق لأنها "البشير الذي يسبق عودة المسيح إلى الأرض ويفسح المجال لحدوثها".

فالجنرال بويكن قائد العمليات السرية في الجيش الأميركي ذكر في العديد من التصريحات أن الحرب التي تشنها الولايات المتحدة ضد ما تصفه بالإرهاب هي صراع بين القيم المسيحية اليهودية والشيطان.

وكان الجنرال يويكن يتولى مهمة القضاء على أسامة بن لادن وصدام حسين وعُين فيما بعد نائبا لوزير الدفاع لشؤون الاستخبارات قال في يونيو/ حزيران ٢٠٠٢ في كلمة

بإحدى الكنائس بأوريغان إن "المتطرفين الإسلاميين يكرهوننا لأننا أمة مسيحية، ولأن أساسنا وجذورنا تنبعث من القيم اليهودية المسيحية". وتابع يقول إن الحرب التي تخوضها الولايات المتحدة ضد الإرهاب "هي حرب ضد عدواسمه الشيطان".

وقال إن الرئيس بوش "تولى منصب الرئاسة في البيت الأبيض لأن الله اختاره لتولي ذلك المنصب". وقال في كلمة بإحدى الكنائس عام ٢٠٠٢ وهويرتدي الزي العسكري الأميركي "إننا جيش الله، في بيت الله، وقد أقيمت مملكة الله لمثل هذه الأوقات التي نعيشها".

الشيطان جيري فالويل !!

السيد رئيس الوزراء، أريد أن أهنئك على المهمة التي جعلتنا فخورين جداً بإنتاج طائرات إف-١٦. بهذه الكلمات أنهى جيري فالويل مكالمته مع رئيس وزراء إسرائيل بيغن الذي اتصل به بعد قيام الطيران الإسرائيلي مباشرةً بضرب المفاعل النووي العراقي سنة ١٩٨١ وذلك حتى يرى رد الفعل الأمريكي تجاه الضربة الإسرائيلية.

ترى من هوجيري فالويل؟ ولماذا اتصل به بيغن بدلا من أن يتصل بأي من مسؤولي الإدارة الأمريكية وقتها؟

تذكر الدكتورة غريس هالسل مؤلفة كتاب النبوءة السياسية الذي صدر في منتصف الثمانينيات أن فالويل هوأحد أهم مبشري المسيحية الصهيونية وأن دروسه التبشيرية تصل إلى حوالي ٦,٥ مليون منزل وهويملك محطة تلفزيونية للبث بالكابل تدعى الحرية "كما أنه زعيم إحدى أهم المنظمات المسيحية الصهيونية وهي منظمة الأكثرية الأخلاقية الأمريكية.

وقد مثلت معركة الرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٠ مؤشرا كبيرا على العودة الكبيرة للخطاب الديني إلى الساحة السياسية فقد أعلن جورج والكر بوش أن فيلسوفه

المفضل هو يسوع المسيح بينما أعلن منافسه آل غور أنه قبل أن يتخذ قراراً يتساءل: ماذا كان ليفعل يسوع؟، وكان كل من فالويل وبات روبنسون وهو أيضاً من زعماء الجناح المتعصب في اليمين الأمريكي قد ساعدا بوش على هزيمة جون ماك كين في الانتخابات التمهيدية.

وهنا يمكن فهم استخدام بوش لمصطلحات محددة مثل الحرب الصليبية على الإرهاب أوتقسيمه العالم إلى محور خير وآخر للشر مما يدل على إسقاط الدين على السياسة الخارجية الأمريكية في فكر بوش.

ولا تتوقف قائمة الرؤساء المتعاطفين مع الصهيونية عند هذا الحد فهناك جيمي كارتر الذي كان أحد معلمي الأحد في الكنائس المعمدانية الجنوبية والذي كان معتمدا في انتخابه عام ١٩٧٦ وإلى حد كبير على الأصوات الإنجيلية والأصولية وعندما دعا إلى إنشاء وطن للفلسطينيين قاموا بإسقاطه ليأتي رونالد ريغن الذي كان أحد أكثر المتحمسين للأفكار المسيحية الصهيونية وكان هذا الحماس يؤثر بشكل كبير على أفكاره وقراراته السياسية، تقول غريس هالسل استناداً لجيمس ميلز الرئيس السابق لمجلس الشيوخ في ولاية كاليفورنيا بأن ريغان كره ليبيا لأنه رأى فيها واحدة من أعداء إسرائيل الذين ذكرتهم التنبؤات وبالتالي فإنها عدولله ويضيف إن ريغان كرئيس أظهر بصورة دائمة التزامه القيام بواجباته تمشياً مع إرادة الله... إن ريغان كان يشعر بهذا الالتزام خصوصاً وهويعمل على بناء القدرة العسكرية للولايات المتحدة وحلفائها.

والرئيس ويلسون أيضاً كان متأثراً وإلى حد كبير بهذا التيار فقد سارع بالقول بعد موافقته على وعد بلفور أنه ينبغي أن يكون المرء قادراً على المساعدة على إعادة الأرض المقدسة إلى أهلها. وفي خطاب لمندوب إسرائيل في الأمم المتحدة عام ١٩٨٥ بنيامين نتانياهوأمام المسيحيين الصهاينة قال إن كتابات المسيحيين الصهاينة من الإنجليز والأمريكان أثرت بصورة مباشرة على تفكير قادة تاريخيين مثل لويد

جورجوآرثر بلفور وودروويلسون في مطلع هذا القرن الذين لعبوا دوراً أساسياً في إرساء القواعد السياسية والدولية لإحياء الدولة اليهودية.

أين كان العرب في ذلك الوقت وأين كانت مراكز الدراسات العربية التي يجب أن يكون اهتمامها منصباً على رصد المجتمع الأمريكي والسياسة الأمريكية، ربما كانت تلك المراكز مشغولة بالدهشة من الموقف الأمريكي الداعم بشكل لا محدود لإسرائيل على الرغم من أنها دولة محتلة ومسيطرة على أراض لا تملكها وعلى الرغم من شدة الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني وعلى الرغم أيضاً من أن أمريكا هي بلد الحريات وحامية الديمقراطيات. كانت هذه المتناقضات مثار الدهشة دوماً بالنسبة إلى المثقفين العرب وكان الحلم دائماً أننا سنستطيع يوماً ما أن نوصل رسالتنا إلى المجتمع الأمريكي وأن نكسب تعاطفه فنحن أصحاب قضية عادلة والمسألة هي مسألة وقت لا أكثر، وبالمقابل لم يكن هذا الدعم اللامحدود وليد السيطرة اليهودية على وسائل الإعلام فقط وإنما كان في نظر الكثيرين واجباً دينيا مقدساً لا بد منه لضمان عودة المسيح إلى الأرض وبالتالي كان دعم إسرائيل بكل الوسائل نوعا من ممارسة المسيحية الحقة والالتزام بالتعاليم الدينية الصحيحة وتميزاً للمؤمن الملتزم عن غيره، وفي هذا المجال يقول فالويل: إن من يؤمن بالكتاب المقدس حقاً يرى المسيحية ودولة إسرائيل الحديثة مترابطتين على نحولا ينفصم، إن إعادة إنشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ لهي في نظر كل مسيحي يؤمن بالكتاب المقدس تحقيق لنبوءات العهدين القديم والجديد. ويضيف في خطاب له عام ١٩٧٨: إن الله يحب أمريكا لأن أمريكا تحب اليهود.

ولكي نوضح هذه العقيدة قليلاً فإنني أقتبس من القس إكرام لمعي في حديثه عنها: إن هذه العقيدة تقول بأن المسيح جاء لأجل اليهود وعندما رفضوه ذهب المسيح إلى الأمم وكان هذا أمراً مدبراً من الله أوبمشيئة الله كي تصل الرسالة إلى كل العالم وفي نهاية العالم قبل أن يأتي المسيح إلى الأرض على اليهود أن يبنوا الهيكل وأن يقدموا الذبائح ثم يأتي المسيح.

ويعتبر سايروس سكوفيلد مؤلف كتاب آخر كرة أرضية من أهم من صاغ نظرية الحرب الكونية المسماة هرمجدون وهويرى أن لله مخططاً على الأرض وآخر في السماء من أجل خلاص المسيحيين وأنه يجب على اليهود أن يدمروا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه وعندها ستقوم معركة هرمجدون وهي معركة كونية ستستخدم فيها القنابل النووية وعندها سيأتي المسيح وينقذ الكنيسة ويحكم العالم لألف سنة.

ولعلنا نستطيع أن نجمل مبادئ الصهيونية المسيحية بالقول: إن اليهود هم شعب الله المختار والأمة المفضلة على كل الأمم كما أكد مارتن لوثر في كتابه "المسيح ولد يهودياً "وأن هناك ميثاقاً إلهياً بين الله أو يهوه واليهود يربط اليهود بالأرض المقدسة، ثم يأتي الإيمان بعودة المسيح الإله هذه العودة المرتبطة بتجمع اليهود في فلسطين وإعادة بناء الهيكل وبالتالي مرتبطة بقيام إسرائيل ثم يقول أصحاب نظرية الدمار النووي أنه وبعد تجمع اليهود وبناء الهيكل ستقوم معركة هرمجدون بين اليهود وأعدائهم من المسلمين والكفار وستستخدم فيها الأسلحة النووية حيث سيباد أعداء إسرائيل بأكملهم ولن يبقى من اليهود سوى ١٣٣ ألفا سيقفون بين يدي المسيح ويعترفون بألوهيته وأما المسيحيون الحقيقيون فسيرفعهم المسيح إلى السماء ولن يصابوا بأذى وبعدها سيحكم المسيح الأرض لألف سنة من السلام.

ويرى فالويل أن السلام لن يحل قبل عودة المسيح وهولذلك يقف بشدة ضد السلام في الشرق الأوسط ففي معرض تعليقه على توقيع اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل:إننا نحترم كثيراً رئيسي حكومتي إسرائيل ومصر ولكن أنت وأنا نعرف أنه لن يكون هناك سلام حقيقي في الشرق الأوسط إلى أن يأتي يوم يجلس فيه الإله المسيح على عرش داود في القدس".

ولعل الرئيس ريغن في بنائه لمشروع حرب النجوم إنما كان يعد العدة لمعركة هرمجدون وهوقد صرح عام ١٩٨٠ أمام مجموعة من القادة اليهود: أن إسرائيل

هي الديمقراطية الثابتة الوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث معركة هرمجدون.

وكما قال أيضاً في مناسبة أخرى إن نهاية العالم قد تكون في متناول أيدينا... إن هذا الجيل بالتحديد هوالجيل الذي سيشهد هرمجدون.

ويقول ليندسي وهومن أكبر منظري نظرية الدمار النووي:لم يبق سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام إسرائيل لتقوم بدورها في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية وهوإعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم، ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى، في جبل موريا حيث الهيكلان السابقان.

وعندما نفهم هذه العقيدة بهذا الشكل نستطيع أن نفهم لماذا صوت الكونجرس الأمريكي على نقل السفارة الأمريكية إلى القدس والاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل ولماذا صدق الرئيس جورج بوش الابن على ذلك حيث يستمر اليمين المتطرف في الضغط من أجل تحقيق هذا الأمر ويقول مايك إيفتر وهويهودي تنصر لكي يدعم قضايا اليهود وتحول إلى قس كما أنه وللمصادفة العجيبة صديق لجورج بوش وذومكانة مرموقة في الحزب الجمهوري:إن الله يريد من الأمريكيين نقل سفارتهم من تل أبيب إلى القدس لأن القدس هي عاصمة داود...إذا لم تعترفوا بالقدس ملكية يهودية فإننا سندفع ثمن ذلك من حياة أبنائنا وآبائنا. إن الله سيبارك الذين يباركون إسرائيل وسيلعن لاعنيها.

عند هذا الحد يصبح حل اللغز الذي طالما أرق المثقفين العرب سهلاً وهو:لماذا تكيل أمريكا بمكيالين في الشرق الأوسط؟ إن هذا الانحياز الكامل للباطل وحتى مع وجود اللوبي اليهودي المتنفذ في أمريكا لا يجد ما يبرره إلا في هذه العقيدة الأصولية المتطرفة والمتحالفة مع اللوبي اليهودي حول هدف واحد وهوالحفاظ على دعم وبقاء إسرائيل.

إن الوقوف في وجه المخططات الصهيونية لا يحتاج إلى قنابل ودبابات بالضرورة وإنما وبكل بساطة يحتاج إلى وقفة مع الذات وتصحيح الأخطاء وبناء جديد للمجتمع والإنسان العربي لكي نستطيع أن ننتصر في هذه الحرب التي وصفها أحد قادتهم "حربنا مع الإسلام هي حرب بين الله ويهوه"

ويُعَدّ كتاب إجبار يد الله (Forcing of God's Hand) الذي صدر في عام ٢٠٠٠ أهم ما صدر في الشأن الديني الأمريكي، وربما كان من أهم الكتب التي عالجت باقتدار قضية التوظيف السياسي الذي يصل إلى حد الابتزاز - للنبواءت الدينية في العقد الأخير من القرن العشرين. والمؤلفة هي الكاتبة الأمريكية المعروفة "جريس هالسل" التي عملت محررة لخطابات الرئيس الأمريكي الأسبق "ليندون جونسون"، وهي صحفية مشهورة ومرموقة صدرت لها عدة كتب، أهمها وأكثرها شهرة (النبوءة والسياسة).

وتكشف جريس هالسل في كتابها عن أن هناك اقتصاديات ضخمة تقوم على هذه النبوءة التي تُدِرّ مليارات الدولارات سنويًّا على نجوم التنصير التوراتي، الذين يمتلكون عشرات المحطات التلفزيونية والإذاعية في أمريكا وأنحاء العالم، وأبرزهم "بات روبرتسون" الذي يطلق عليه لقب "الرجل الأخطر في أمريكا"، فقد أسس وحدة شبكة البث المسيحية (CBN)، وشبكة المحطة العائلية إحدى أكبر الشبكات الأمريكية، كما أسس التحالف المسيحي الذي يُعَدّ الأوسع نفوذًا وتأثيرًا في السياسية الأمريكية، بما مكّنه من الترشيح في الانتخابات الأمريكية بفضل ملايين الدولارات التي يحصل عليها كتبرعات من أتباعه ومشاهدي نبوءاته التلفزيونية، وكذلك "بات بيوكاتن" الذي كان مرشحًا لانتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة عن حزب الإصلاح.

وتُعَدّ برامج هؤلاء المنصرين التوراتيين من أمثال "هالويل، وجيري فالويل، وتشارلز تايلور، وبول كراوسي، وتشال سميث، وروبرتسون، وبيوكاتن..." من أكثر البرامج

جماهيرية في الولايات المتحدة. كما تشهد أشرطة الفيديووالكاسيت التي تحمل هذه البرامج رواجًا رهيبًا في أوساط الطبقة المتوسطة الأمريكية (ومعظم المؤمنين بهذه النبوءة منها وهم بالملايين)، وكذلك الكتب الخاصة بها والتي صارت تباع كالخبز؛ حتى إن كتاب "الكرة الأرضية العظيمة المأسوف عليها" للمنصّر التوراتي "هول ليفدسي" بيعت منه أكثر من ٢٥ مليون نسخة بعد أيام من طرحه في الأسواق.

وينتشر المنصّرون التوراتيون في معظم أنحاء الولايات المتحدة في عدة آلاف من الكنائس التي يعملون في كهانتها، عبر مؤسسة الزمالة الدولية لكنائس الكتاب المقدس.

ويؤمن أتباع هذه النبوءة بأنهم شعب نهاية الزمن، وأنهم يعيشون اللحظة التي كتب عليهم فيها تدمير الإنسانية، ويؤكدون قرب نهاية العالم بمعركة الهرمجدّون التي بشّرت بها التوراة، والتي سيسبقها اندلاع حرب نووية تذهب بأرواح أكثر من ٣ مليارات إنسان! وتبدأ شرارتها من جبل الهرمجدون الذي يبعد مسافة ٥٥ ميلاً عن تل أبيب بمسافة ١٥ ميلاً من شاطئ البحر المتوسط، وهوالمكان الذي أخذ أكبر حيز من اهتمام المسيحيين بعد الجنة والنار!.

وتحلّل جريس هالسل كيف أفرزت هذه الحركة المسيحية أكثر من ألف ومائتي حركة دينية متطرفة، يؤمن أعضاؤها بنبوءة نهاية العالم الموشكة في الهرمجدّون، وترصد سلوك وأفكار هذه الحركات الغربية التي دفعت ببعضها إلى القيام بانتحارات جماعية من أجل التعجيل بعودة المسيح المخلّص وقيام القيامة، ومنها جماعة "كوكلس كلان" العنصرية، والنازيون الجدد، وحليقوالرؤوس، وجماعة "دان كورش" الشهيرة، والتي قاد فيها "كورش" أتباعه لانتحار جماعي قبل عدة سنوات بمدينة "أكوا" بولاية "تكساس" من أجل الإسراع بنهاية العالم، وكذلك القس "جونز" الذي قاد انتحارًا جماعيًا لأتباعه أيضًا في "جوانا" لنفس السبب، وقد كان "ماك تيموثي" الذي دبّر انفجار "أوكلاهوما" الشهير من المنتمين لهذه الجماعات.

ويكشف الكتاب عن العلاقة العنصرية الغريبة التي تربط بين اليمين المسيحي المتطرف في أمريكا ونظيره اليهودي في إسرائيل على الرغم من التناقض العقائدي بينهما، العلاقة التي تقوم على استمرار الدعم والتأييد والمطلق رغم الكراهية المتبادلة! فتؤكد هالسل أن اللاسامية نوعان: نوع يكره اليهود ويريد التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل، ونوع آخر يكرههم، ولكن يريد تجميعهم في فلسطين مهبط المسيح في مجيئه الثاني المنتظر.

وتشرح هالسل كيف تستفيد إسرائيل من هذه النبوءة التي تمنع المسيحي الأمريكي المؤمن بها من التعامل الراشد مع الواقع، وتجبره على رؤية الواقع والمستقبل في إطار محدد ومعروف سلفًا، وهوما يؤدي إلى الوقوع في انتهاكات أخلاقية فاضحة تأتي من تأييد المشروع الصهيوني العنصري الذي يقوم على الاستيطان، وتهجير الآخرين، وطردهم من أرضهم، والاستيلاء عليها، بل والقيام بمذابح جماعية ضدهم، وهوما يظهر في التعاطف الذي يبديه المسيحيون التوراتيون مع السفاحين اليهود إلى حد المشاركة في المجازر التي يرتكبونها ضد الفلسطينيين، كما فعل بات روبرتسون الذي شارك في غزولبنان مع إريل شارون والمذابح الوحشية التي ارتكبها وشارك معه متطوعون من المسيحيين التوراتيين حاربوا مع الجيش الإسرائيلي، وهي المعلومات التي حرصت هالسل على ذكرها رغم الحظر المفروض عليها إعلاميًّا في الولايات المتحدة وإسرائيل.

كما تكشف هالسل عن أن معظم المحاولات التي جرت لحرق المسجد الأقصى أوهدمه وبقية المقدسات الإسلامية في القدس من أجل إقامة الهيكل موَّلَها وخطط لها مسيحيون توراتيون من المؤمنين بنبوءة الهرمجدّون إن لم يشاركوا فيها!!.

وفي فكر المنصرين التوراتيين تغيب كل معاني المحبة والتسامح المقترنة بالمسيحية، ويبدو المسيح في أحاديثهم في صورة جنرال بخمسة نجوم يمتطي جوادًا، ويقود جيوش العالم كلها، مسلحًا برؤوس نووية ليقتل مليارات البشر في معركة الهرمجدّون.

كما أن "الإملاءات الكنسية العقدية" لا تقبل الرفض أوالنقض، إذ هي بمنزلة "حكم إلهي" ، يعتقد المنظرون الجدد في البيت الأبيض من المحافظين والإنجيليين أن الولايات المتحدة صاحبة رسالة ومكلفة بأدائها، وأنه يشرع للولايات المتحدة استخدام كل الوسائل للوصول إلى غايتها بلا حرمة ولا عذاب ضمير، ولا ينبغي الاعتذار مما تقوم به أوالخجل، لأنه الحل والخلاص الذي لا بد منه،

حروب استباقية للتعجيل بالنبوءات !!

ولم تكن الحرب الاستباقية نظرية حديثة كما يرى كثير من الباحثين، وإن كانت هذه النظرية لاقت رواجا كبيرا في الآونة الأخيرة مع الحملة العسكرية على العراق وأفغانستان. بل إن هذه النظرية تعود ولادتها إلى الإمبراطورية الرومانية خلال عمرها الذي وصل إلى أربعة قرون، حيث استطاعت أن تحافظ على سلامة وجودها بفضل الحروب الاستباقية التي كانت تشنها بوجه أي دولة تتوجس منها خيفة.

إلا أن هذه النظرية كانت شبه غائبة بين الدول العظمى إبان القرن المنصرم، حيث وصفت العلاقة بين المعسكرين الشرقي والغربي بالحرب الباردة، فلم يتم توجيه أي ضربة عسكرية لأي معسكر من قبل المعسكر الآخر في حرب استباقية جنونية، إلا أن هذه النظرية كانت وما تزال الخيار الإستراتيجي الدائم في فكر الساسة الإسرائيليين، فقد قامت إسرائيل بتطبيق هذه النظرية في حرب ٦٧، وبضربها المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١.

إلا أنه مع قدوم المحافظين الجدد إلى البيت الأبيض (ريتشارد بيرل وبول وولفووتيز وكونداليزا رايس ورونالد رامسفيلد وديك تشيني) وخاصة بعد ١١ سبتمبر٢٠٠١، أصبحت هذه النظرية هاجس السياسة الأمريكية في علاقاتها مع الدول المارقة، حيث يجب معاقبتها ـ من وجهة نظرهم ـ وإجبارها عسكريا على

الانصياع والدوران في الفلك الغربي التي تقوده الولايات المتحدة. ولعقد من الزمان، نجحت الآلة الأميركية القوية في فرض أسلوب الحياة الأميركية في أنحاء كثيرة من العالم مستغلة ما لديها من قوة اقتصادية وتكنولوجية وعسكرية.

تقوم نظرية "الحرب الاستباقية" على فلسفة سياسية تفترض وجود خطر داهم من عدومجهول، يتهدّد الأمن القومي الأميركي في كل لحظة، كما تقوم على افتراض أن لا يكون التهديد بالضرورة، حاصلاً بالفعل من دولة أومن منظمة سياسية، لكي تخاض ضده الحرب الوقائية، وإنما يكفي أن يتم تصوّره من جانب مراكز التخطيط الإستراتيجي في البيت الأبيض والبنتاغون للمبادرة إلى تلك الحرب.

لقد أعلنت السياسة الأمريكية عن تبنيها هذه النظرية في ١١ سبتمبر٢٠٠٢، أي بعد سنة من الهجمات، والتي كشف النقاب عنها في وثيقة تحت عنوان "إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي"، حيث تبرر الوثيقة استخدام القوة العسكرية ضد أي طرف يتصور أنه عدوحالي أومستقبلي أويهدد مصالحها الإستراتيجية في العالم على المدى المنظور أوغير المنظور، وهذه الإستراتيجية طبقت في كل من العراق وأفغانستان.

تقول الوثيقة: "إن على الولايات المتحدة أن تحتفظ وتظل محتفظة بقدرتها على إحباط كل مبادرة يقوم بها أويفكر في القيام بها أي عدد من أعدائنا للنيل من قوتنا سواء كان هذا العدودولة أوغيرها، كالشبكات الإرهابية، وأن ننتزع منه القدرة على فرض إرادته علينا أوعلى حلفائنا أوأصدقائنا في العالم، بل ستبقى قوتنا القوة الكبرى التي تروع جميع خصومنا وتشل قدراتهم، سواء كانوا خصوما بالفعل أوخصوما محتملين أومن أولئك الذين يسعون إلى التسابق إلى التسلح، ليصبحوا معادلين لنا أوأقوى من قوة الولايات المتحدة".

بين المحافظين الجدد وقداسة البابا:

كما أن "الإملاءات الكنسية العقدية" لا تقبل الرفض أوالنقض، إذ هي بمنزلة "حكم إلهي"، يعتقد المنظرون الجدد في البيت الأبيض من المحافظين والإنجيليين أن الولايات المتحدة صاحبة رسالة ومكلفة بأدائها، وأنه يشرع للولايات المتحدة استخدام كل الوسائل للوصول إلى غايتها بلا حرمة ولا عذاب ضمير، ولا ينبغي الاعتذار مما تقوم به أوالخجل، لأنه الحل والخلاص الذي لا بد منه، كما كان خلاص البشرية بصلب المسيح، فلا بد من خلاص العالم الحر المتمثل بالحضارة الغربية وقيمها الليبرالية بصلب العالم أجمع.

يقول تشارلز كروثامر الكاتب في مجلة التايم: "ليست أميركا مجرد مواطن عالمي. إنَّها السلطة المهيمنة في العالم، وأكثر هيمنة من أي قوة أخرى منذ عهد روما. ووفقاً لذلك، فإنَّ أميركا في وضع يؤهِّلها لإعادة تشكيل المعايير وتغيير التوقعات وخلق حقائق جديدة. أمّا كيف يكون ذلك، فيكون ـ برأيه ـ عن طريق إظهار إرادة غير اعتذاريه لا سبيل إلى تغييرها؟".

ولذلك يجب على أمريكا أن تفعل أي شيء لتحقيق مآربها دون أن تعتذر، فالاعتذار بحسب هذا الاعتقاد، يشكِّل منقصة لصاحبه، وإخلالاً في شبكة المعايير والمفاهيم، التي عليها تتأسَّس إستراتيجيات التحكُّم بالأوضاع.

عقيدة البابا وعقيدة المحافظين الجدد !!

عقيدة للمحافظين الجدد هذه ليست بغريبة أوبعيدة عن عقيدة البابا، بل يرى البابا أن عقيدة المحافظين الجدد في البيت الأبيض ليست إلا صدى لتوجهات وأفكار الكنيسة، ويعتقد أنه ينبغي على الأوروبيين تبني هذا التوجه وإبعاد العلمانيين عن صناعة القرار في السياسة الأوروبية.

لقد روي عن قداسة البابا منذ وصول المحافظين الجدد بخلفيّتهم "الصهيونية

المسيحية"، أوما يوصف بالمسيحية التوراتية إلى السلطة في الولايات المتحدة الأميركية، أنه يرى في ذلك أنموذجا صالحا لأوروبا، أي أن تعود الكنيسة إلى صلب توجيه صناعة القرار السياسي.

ومن هنا يمكن أن تسهم إساءته إلى الإسلام والمسلمين من المنطلق الكنسي في الحملة الجارية لترسيخ هيمنة مطلقة على المنطقة الإسلامية.

هذه الإساءة البابوية جاءت متناغمة مع إساءات الكثيرين من زعماء الغرب الذين أعلنوا الحرب على الإسلام، فالرئيس الأمريكي جورج بوش اتهم الإسلام بالفاشية وكان قبل غزوأفغانستان نوه إلى حرب صليبية جديدة. بل إن الحملة التي وجهت لضرب القاعدة في أفغانستان، أطلق عليها جورج بوش اسم "النسر النبيل"، تلك التسمية التي تحمل دلالات ورموز يعرفها الدارسون للعهد القديم.

وسار على منوال بوش رئيس الوزراء الإيطالي برليسكوني، حين صرح بأن الحضارة الغربية تتفوق على الإسلام، وواكبت بل سبقت هذه الحملة للساسة الغربيين، أفكار لكبار المفكرين في الغرب والمنظرين للسياسة الأمريكية في التعامل مع العالم الإسلامي، أمثال برنارد لويس الذي لا يخفي في الكثير من كتاباته الحقد الشديد للإسلام، وهنتنجتون صاحب نظرية صراع الحضارات، وإن كان قد أشيع أنه تراجع عنها، إلا أن مقالته تلك ما زالت تمثل المورد الحيوي لكل الكتاب المنحازين إلى فكرة صراع الحضارات.

وتتمة لهذا السيناريو، فقد أتت انتقادات البابا للعقيدة الإسلامية بعد خمس سنوات من ورود كلمة "الحرب الصليبية" للمرة الأولى على لسان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جورج بوش، لتوصيف حربه التي شنها على المسلمين في أكثر من دولة من مجموع ٦٠ دولة "إرهابية"، وقبل مرور نحوشهر على إعلان الرئيس الأمريكي الحرب على ما أسماه الفاشية الإسلامية، وقبل أقل من عام مر على أزمة الرسوم الدنمركية المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم، والتي أشعل أوارها اليهود الذين اتخذوا من نجمة داود شعاراً للصحيفة المسيئة.

لم تقتصر الحرب الاستباقية للبابا على الإسلام، بل تتعداه إلى كل ما ليس غربيا، حتى ولوكان مسيحيا من مذهب آخر، فقد أساء إلى الأقباط الأرثوذكس قبل عدة أشهر كما يقول فهمي هويدي، حين قال في تصريح له إن الإيمان الكاثوليكي وحده هوالإيمان الصحيح، الأمر الذي أغضب الكنيسة الأرثوذوكسية في مصر، حتى اعتبر بعضهم كلامه إخراجا لأتباع الكنيسة من الملة المسيحية وتكفيرا لهم.

أما فيما يتعلق بالإسلام، فهناك دراسة نشرت بمجلة "فورين بوليسي" الدورية العلمية الأمريكية أعدها "سكوت أبليبي"، مدير "معهد كروك للدراسات حول السلام العالمي"، التابع لجامعة نوتردام الأمريكية، عام ٢٠٠٤ أي قبل اعتلاء البابا الجديد لمنصبه خلفا ليوحنا بولس الثاني، أشارت إلى أنه ينبغي عند اختيار البابا الجديد أن يكون على اطلاع عميق بالإسلام، وقادرا على التعامل مع تحدي انتشار الإسلام في الغرب.

وتورد صحيفة "الاندبندنت" البريطانية، مقالا مفاده أن هناك ديانتين كبيرتين فقط تحاولان تحويل العالم إليهما، وهما المسيحية والإسلام. ورأى الكاتب أن الإسلام فقط هوالذي يملك في هذه المرحلة الطاقة الحيوية لتكريس نفسه لهذه المهمة، بينما نجد المسيحية منشغلة تماما بمجرد الدفاع عن وجودها الروحي القائم.

وتشير الصحيفة إلى أن البابا بنديكتوس السادس عشر كان شديد الاقتناع بأن الديانتين على خلاف تام وهما في صراع قائم. وأشار المقال أن البابا الحالي لم يكن راضيا عن مدى دخول البابا السابق يوحنا بولس الثاني في "حوار مع الإسلام".

وقد أثارت تصريحات البابا بنيديكت السادس عشر بابا الفاتيكان بشأن الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم، ردود أفعالٍ غاضبة في أوساط العالمين الإسلامي والعربي، ووصفت هيئات إسلامية تصريحاتِ بابا الفاتيكان بأنها تصريحاتٌ خطيرةٌ وتتطلب الاعتذار للمسلمين، كما دعا علماء ومفكرون مسلمون بابا الفاتيكان بدراسةِ الإسلام بشكلٍ أفضل قبل أن ينجرف إلى هذه التصريحاتِ التي من شأنها

خلق أزمة بين المسلمين والمسيحيين، وقالوا إنَّ هذه التصريحات تؤكد كراهيةً شديدةً وحقدًا للإسلام والمسلمين وللنبي صلي الله عليه وسلم.

وقد اثارت محاضرة بابا الفاتيكان بندكت الثاني عشر ردة فعل عنيفة لدى المسلمين بل وحتى المسيحيين انفسهم ورفضت بعض الكنائس ما ذهب إليه البابا واعتبرته خطأ يجب التراجع عنه لأنه يثير الفتن ويغذي التطرف والعنف.. والسؤال هنا هل كان البابا مخطئا حقا وهل كان خطأه مقصودا ام عن جهل بالواقع العالمي...!؟

والأهم فيما قاله البابا هو نيته وضميره وإيمانه بما قال.. والذي لا يتسرب له الشك أن ما قاله البابا لا يخرج عن ثقافته أبدا لأن الإنسان دائما يقول بما يؤمن به خاصة إذا كان رجل دين أو صاحب فكر وليس سياسيا أو إداريا يعتمد المبدأ البرجماتي إذن البابا قال ما قال وهو تعبير أصيل عنه كما هوالحال عند رجال الدين المسلمين غير السياسيين.. والسؤال الأخطر هو.. هل نحن بني الإنسان على هذه الأرض يقودنا الدين ورجاله- أي العقائد- أم أن العقل هو الذي يقودنا وتكمن خطورة هذا السؤال في العدد الكبير لبني الإنسان الذين يتبعون رجال الدين ويؤمنون بما يقول هؤلاء الرجال.. ربما أمن العالم من خطر قيادة الدين للإنسانية من خلال تبني أوروبا لمبدأ العقل وحصر الدين بين الفرد وربه وخاصة في القرن الماضي من الزمن.. ولكن وللأسف عاد الدين هذه المرة برداء السياسة والعقل والعلم متخفيا من خلال أيدلوجية معاصرة تبناها أصوليون في أوروبا وأمريكا كما هو الحال مع جماعة الصقور في أمريكا والذين يتزعمهم بوش الذي ما فتئ يردد بأن الرب كلفه أو طلب منه أو أنه ينفذ إرادة الرب.. هذه الأصولية المسيحية الصهيونية كانت الزيت الذي أوقد التطرف الإسلامي وساهم في ولادة القاعدة "وأخواتها" وجاء جلوس البابا بندكت على كرسي البابوية داعما الأصولية المسيحية الصهيونية على عكس البابا السابق.. إذن هل تراجع الغرب عن مسلك العقل إلى المسلك الديني.. وإذا ما تأكد هذا التراجع فإن على العالم السلام كما يقال ذلك ليس لأن الديانة المسيحية

الحقيقية قاصرة أوسيئة أوعدوانية أبدا ولكن الفكر المسيحي الصهيوني الجديد وما يتبناه الإنجيليون صار يتبناه أيضا البابا الجديد وكشفت عنه محاضرته الأخيرة.. وهو فكر عدواني عنصري تدميري لأنه يؤمن بمبدأ عنصري هو مقولة - شعب الله المختار- والدم المقدس وضرورة انتصار اليهود على العالم.. لنعترف نحن المسلمين ان لدينا تطرفا ايضا وفهما خاطئا ليس للآخر بل لعقيدتنا الإسلامية نفسها والدليل تلك الفتاوى التي صدرت بتكفير بعضنا البعض ووصف بعضنا بأنهم أكثر عداء من الصهاينة لنا ناهيك عن سفك الدماء اليومي في أصقاع العالم الإسلامي على خلفية الاختلاف الطائفي.. ولكن أبدا وعلى اختلافنا المذهبي هذا وحتى المتطرف منا لا يمكنه التشكيك بأي من الأنبياء والرسل في الديانتين اليهودية والمسيحية.. وننظر للأنبياء على أنهم إخوة.. ولكن قد نختلف مع المؤمنين بتلك الديانات على أن دينهم شابه التحريف أو أنه لم يعد بعضه مناسبا للحياة.. وهذه تيمة في المسلم لا تتوفر - كعقيدة- في الديانتين السماويتين الأخريين..إذ أبدا ولا يستطيع أي مسلم مؤمن مهما كان مذهبه الإساءة إلى هؤلاء الأنبياء والرسل وبالتالي ليس لدى المسلم مشكلة مع هذه الشخصيات "الرسولية" على العكس تماما مع الديانتين- وكعقيدة- أيضا فهم لا يؤمنون بمحمد رسولا ولكنهم يحترمونه من أجلنا فقط ولو آمنوا بمحمد رسولا لكانوا مسلمين.. بينما المسلم هو دائما - كعقيدة- مؤمن بالرسالات السماوية ورسلها ولكنه يعتقد أن الإسلام خاتم الأديان أي أنه خلاصة رسائل الله السماوية للإنسانية

مع هذا كله لا ينبغي للمسلم أبدا أن يجبر أحدا على الإيمان بعقيدة الإسلام ذلك لأن الإسلام نفسه أقر بأن-لا إكراه فى الدين- وما على المسلم إلا النصيحة والرشد ودعوة الناس للإسلام من خلال طرح مبادئ الإسلام وأخلاقياته وشرائعه..

وأما قول البابا وغيره من أن الإسلام انتشر بحد السيف فإن في هذا الكلام ثمة جهل بالتاريخ الإسلامي وسوء فهم للعقيدة.. فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يشهر سيفا في بداية دعوته داخل مكة بل كانت الدعوة شخصية أي أنه شرع بإخبار

من يريدهم في دينه الجديد ودعاهم لذلك- بالعقل والبينة- ولكنه ووجه بالسيف والعنف من قبل أهل مكة وظل هكذا مسالما حتى خرج عن مكة إلى المدينة- وفي المدينة لم يشهر السيف أيضا من أجل إجبار الناس على الدخول في الإسلام بل كان سيفه دفاعا عن نفسه وعما يعتقده وهوحق مشروع له ليس آنذاك وحسب بل حتى في يومنا هذا فنحن نقر بحق الدفاع عن النفس ومقاومة المعتدي وهي حقوق اعترفت بها وأقرتها المنظمات الدولية.. وأكد محمد صلى الله عليه وسلم مرة أخرى أنه ليس رجل سيف بل رجل فكر ودين مسالمين ذلك عندما دخل مكة فكان متسامحا حتى مع قاتلي أهله وخاصة قاتلي عمه الحمزة بن عبد المطلب.. لم تكن تلك سياسة بل كانت عقيدة لأن محمدا ﷺ لم يبعث رجل سياسة بل بعث رسولا مبشرا ونذيرا.. أما غزواته فالكل يعلم أنها كانت لاسترداد حقوقه وحقوق أهله وأصحابه التي اغتصبها الآخرون أو أنها رد على سفك دم أو إهانة له ولرسله الذين بعثهم إلى الناس والدول هذا هو محمد ﷺ حتى وفاته.. أما ما بعد وفاته فالأمر يختلف تماما وخاصة في العصرين الأموي والعباسي ذلك لأن الفتوحات الإسلامية كانت تسير بخطين متوازيين الأول- وهو الشكل وفي الغالب كان- الدعوة للإسلام والخط الثاني هو سياسي غير ديني يهدف إلى توسيع الدولة وبسط النفوذ نعم فتح الأمويون والعباسيون بسيوفهم أقاليم عديدة وكبيرة من العالم من أجل توسيع دولتهم وبسط نفوذهم مثلهم مثل كل الأمبراطوريات في العالم وحتى اليوم ولكن الفرق أن الدين الإسلامي غالبا ما كان المخلص الرحيم والعادل لكل الناس في تلك الأقاليم أما من ظلم في أقاليمهم أو من أقاليم أخرى هذا إلى جانب أعداد كبيرة من القادة والجند المسلمين الذين يتخلقون بخلق الإسلام ولا يخرجون عنه فكان الإسلام خير عون وظهير لتلك الشعوب التي شملها الفتح الإسلامي ناهيك عن دول وشعوب كثيرة أخذت بالإسلام عن غير طريق الفتوحات.... وبالتقادم الزمني ظل مفهوم الدولة والسلطة يتوسع على حساب العقيدة الإسلامية التي ظلت كامنة حتى عندما بلغ مفهوم السلطة والدولة ذروته مع الدولة العثمانية التي وصل بها الحال

إلى اضطهاد العرب قوم محمد وأهل الدين الأوائل بل وسعى الأتراك إلى التتريك في محاولة لطمس لغة القرآن وهويته- العربية- إذن حدث الذي حدث وأصبح ماضيا أما الباقي فهو الإسلام دينا لما يقارب المليار ونصف الميار إنسان ولم تكن المسيحية كتاريخ مختلفة كثيرا عن الإسلام.. فهل يريد رجال الأديان العودة إلى التاريخ من أجل خلق صراع جديد...؟ قد يكون مدمرا لكوكبنا الأرض.. أم أنهم سيسمحون للعقل بالتدبير ويحصرون الدين بعقيدة ما بين الخالق والمخلوق فقط...!

أظن أن الإجابة على هذا السؤال قائمة ومعروفة وهي في طريقة نشر الدين الجديد الذي آمن به بوش وأصبح البابا بنديكت يؤيده.

"سيف محمد"....

ورد يهودى على البابا!!

وقد دفعت تصريحات البابا مفكر وكاتب يهودي شهير هو أوري افنيري، والذي أحل اليهود دمه، لأنه لايرضى عن مواقفهم وتوجيهاتهم، وينظرون إليه نظرة من كفر بيهوديته، دفعته هذه التصريحات لكي يرد عليها فى مقال، بعث به لصحف العالم فى شهر سبتمبر عام ٢٠٠٦، وأرى هنا أنه يستحق أن ينقل كما هو حتى تتضح الصورة أكثر.. كتب أوري أفنيري يقول:

"منذ أن كان قياصرة روما يقذفون بالمسيحيين إلى الحلبة، فريسة للأسود، شاهدت العلاقات بين القياصرة ورؤساء الكنيسة تقلبات كثيرة.

لقد حوّل القيصر قسطنطين الأكبر، الذى ارتقى السلطة عام ٣٠٦-قبل ١٧٠٠ سنة بالضبط- الدين المسيحى إلى دين الإمبراطورية، التي كانت تضم أرض إسرائيل أيضا، مع مرور الزمن انقسمت الكنيسة على ذاتها بين فرعيها الشرقى (الأرثوذكسى) والغربي (الكاثوليكى)، وقد طالب البطريرك الغربي، الذي أصبح البابا فيما بعد، من القيصر الاعتراف بسلطته العليا.

لقد تصدرت النزاعات بين القيصر والبابا، في العديد من الأحيان، مركز تاريخ أوروبا وجزأت الشعوب، لقد عرفت هذه النزاعات مدا وجزرا. كان هناك قياصرة أقالوا البابا أو نفوه وكان باباوات أقالوا أو نفوا القيصر. أحد القياصرة، وهو هاينريخ الرابع، "ذهب إلى كانوسا"، حيث وقف هناك حافي القدمين على الثلج لمدة ثلاثة أيام متواصلة أمام مقر البابا حتى وافق الأخير على إلغاء النفي الذي فرضه عليه.

غير أنه كانت هناك فترات طويلة عاش فيه القياصرة والباباوات بسلام أحدهم مع الآخر. نحن نشهد في الفترة الحالية انسجاما يثير الدهشة، بين البابا الحالي، بندكتوس السادس عشر، والقيصر الحالي، بوش الثاني،. علينا أن ننظر، على هذه الخلفية، إلى خطاب البابا الذي أثار ضجة عالمية: أنه يندمج بشكل جيش فى الحملة الصليبية التي يقودها بوش ضد "الفاشية الإسلامية"، في إطار "صراع الحضارات".

فى خطابه الذى ألقاه فى جامعة ألمانية، أراد البابا، المائتان الخامس والستين، أن يثبت أن هناك فرقا جوهريا بين المسيحية والإسلام: بينما ترتكز المسيحية على المنطق، فإن الإسلام ينكره. بينما يرى المسيحيون منطقا فى أعمال الله، ينكر المسلمون أية منطق فى أعمال الله. بصفتي ملحد يهودي، أنا لا أنوي أن أجز نفسي فى هذا النقاش، من أنا لأتتبع منطق البابا. غير أنى غير قادر على التزام الصمت حيال مقطع واحد من خطابه، متعلق بي كإسرائيلي يعيش إلى جانب خط الجبهة فى "حرب الحضارات".

لكي يثبت انعدام وجود المنطق فى الإسلام، يدعى البابا أن النبي محمدا قد أمر أتباعه بنشر دينه بقوة السيف، وهذا أمر غير منطقي، على حد تعبير البابا، لأن الروح هي مصدر الإيمان وليس الجسد، وكيف يمكن للسيف أن يؤثر على الروح؟

لتدعيم أقواله، اقتبس البابا أقوالا أدلى بها قيصر بيزنطي بالذات، وهو من أتباع الكنيسة الشرقية المنافسة، فى أواخر القرن الرابع عشر روى القيصر

عيمانوئيل الثاني عن نقاش أجراه، على حد زعمه (هذا الأمر مشكوك فيه) مع مثقف فارسي مسلم مجهول. وفي خضم النقاش قال القيصر بخشونة (على حد قوله) أمام شريكه في الحديث:

"أرني شيئا جديدا أتى به النبي محمد، وسترى أشياء سيئة وغير إنسانية فقط، مثل أمر نشر دينه بقوة السيف."

تثير هذه الأقوال ثلاثة أسئلة: (أ) لماذا قالها القيصر؟ (ب) هل هي صحيحة؟ و(ج) لماذا كررها البابا الحالي؟

عندما سجل عيمانوئيل الثاني هذه الأقوال، كان مليكا على إمبراطورية آفلة، لقد ارتقى السلطة عام ١٣٩١، حيث كانت قد تبقت محافظات قليلة من الإمبراطورية العظيمة. لقد هدد الأتراك باحتلال هذه المناطق أيضا في أي لحظة.

في تلك الفترة، كان الأتراك قد وصلوا إلى ضفاف الدانوب، لقد احتلوا بلغاريا وشمال اليونان وهزموا الجيوش التي أرسلتها أوروبا مرتين، بهدف إنقاذ القيصرية الشرقية. في عام ١٤٥٢، بعد بضع سنوات فقط من موت عيمانوئيل، احتل الأتراك عاصمته القسطنطينية (اسطنبول اليوم) وأدوا إلى نهاية الإمبراطورية التي دامت أكثر من ألف سنة.

في أيام حكمه، تجول القيصر عيمانوئيل في عواصم أوروبا طلبا للمساعدة، لقد وعد بتوحيد الكنيسة من جديد. لا شك في أنه كتب القصص عن نزاعاته الدينية ليثير حفيظة أوروبا ضد الأتراك وليقنعها بالخروج إلى حملات صليبية جديدة. كانت نيته سياسية، وما كانت اللاهوتية إلا لخدمة السياسة.

إن الأمور، من هذه الناحية تتوازى مع احتياجات القيصر الحالي، جورج بوش، فهو أيضا يحاول توحيد العالم المسيحي ضد "محور الشر" الإسلامي. إضافة إلى ذلك فإن الأتراك أيضا يطرقون باب أوروبا وفي هذه المرة بوسائل سلمية، من المعروف أن البابا يعارض القوى التي تطالب بانضمامهم إلى الاتحاد الأوروبي.

لقد شكك البابا ذاته بأقواله. كلاهوتي جدي له سمعته، لا يمكنه أن يسمح لنفسه بتزييف ما هو مكتوب. لذلك ذكر أن النبي محمدا قد منع في القرآن بشكل واضح نشر الدين بقوة السيف. لقد اقتبس عن سورة البقرة، الآية ٢٥٦. لقد جاء فيها: "لا إكراه فى الدين"!.

كيف يتجاهلون قولا بسيطا وقاطعا إلى هذا الحد؟ يدعي البابا أن هذه الآية قد كتبت في بداية طريق محمد، بينما كان ما زال يفتقر إلى القوة، ولكن مع مرور الوقت، أمر باستخدام السيف من أجل الدين. لا يوجد لمثل هذه الوصية أي ذكر في القرآن، صحيح أن النبى محمدا قد دعا إلى استخدام السيف فى معاركه ضد خصومه من القبائل- المسيحيين واليهود- في شبه الجزيرة العربية، عندما أسس دولته، غير أن هذا كان عملا سياسيا وليس دينيا، معركة على الأرض وليس على بسط الدين.

يسوع المسيح قال: "تعرفونهم من ثمارهم. "علينا أن ننظر إلى تعامل الإسلام مع الديانات الأخرى حسب اختبار بسيط: كيف تصرفوا خلال أكثر من ألف سنة، بينما كانت القوة بين يديهم، وكان بمستطاعتهم "نشر دينهم بقوة السيف" هم لم يفعلوا ذلك.

لقد سيطر المسلمون في اليونان طيلة مئات السنين. هل اعتنق اليونانيون الإسلام؟ هل حاول أي شخص إدخالهم فى الإسلام؟ على العكس، لقد شغل اليونانيون وظائف كبيرة في الحكم العثمانى، كما ان الشعوب في أوروبا المختلفة مثل البلغاريين، الصرب، الرومانيين، الهنغاريين، الذين عاشوا فترات طويلة تحت حكم الأتراك، قد تشبثوا بدينهم المسيحى، إن أحدا لم يجبرهم على اعتناق الدين الإسلامى، وظلوا مسيحيين متدينين.

لقد أسلم الألبان وكذلك البوسنيون، ولكن أحدا منهم لا يدعي بأنهم قد أكرهوا فى ذلك. لقد اعتنقوا الدين الإسلامي ليكونوا محببين إلى السلطة وليتمتعوا بخيراتها.

فى عام ١٠٩٩ احتل الصليبيون القدس وذبحوا سكانها المسلمين واليهود من دون تمييز وكانت هذه الأمور تنفذ باسم يسوع طاهر النفس، فى تلك الفترة وبعد ٤٠٠ سنة من احتلال المسلمين للبلاد، كان ما زال معظم البلاد من المسيحيين. طيلة كل تلك الفترة لم تجرى أية محاولة لفرض دين محمد على السكان. بعد أن طرد الصلبيون من البلاد فقط، بدأ معظهم بتبني اللغة العربية واعتناق الدين الإسلامي -وكان معظم هؤلاء هم اجداد الفلسطينيين فى أيامنا هذه.

لم تعرف أية محاولة لفرض دين محمد على اليهود. لقد تمتع يهود أسبانيا، تحت حكم المسلمين بازدهار لم يسبق له مثيل في حياة اليهود حتى أيامنا هذه تقريبا. شعراء مثل يهودا هليفي كانوا يكتبون باللغة العربية كذلك الحاخام موشيه بن ميمون (الرمبام). كان اليهود في الأندلس المسلمة وزراء، شعراء وعلماء. لقد عمل طلطيلية المسلمة مسلمون، يهود ومسيحيون معا على ترجمة كتب الفلسفة والعلوم اليونانية القديمة. لقد كان ذلك "عصر ذهبي" بالفعل.

كيف كان لهذا أن يحدث كله، لو كان النبي محمد قد أمر أتباعه "بنشر الإيمان بقوة السيف"؟ ولكن المهم هو ما حدث لاحقا، حين احتل الكاثوليكيون أسبانيا من أيدي المسلمين، فقد بسطوا فيها حكما من الإرهاب الديني. لقد وقف اليهود والمسلمون أمام خيار قاس: اعتناق المسيحية أو الموت أو الهرب، وإلى أين هرب مئات آلاف اليهود، الذين رفضوا تغيير دينهم؟ لقد استقبل معظمهم على الرحب والسعة فى الدول الإسلامية. لقد استوطن "يهود الأندلس" من المغرب فى المغرب وحتى العراق فى الشرق، من بلغاريا (تحت حكم الأتراك آنذاك) في الشمال وحتى السودان فى الجنوب. لم تتم ملاحقتهم فى أي مكان. لم يواجهوا هناك أي شيء يضاهي تعذيب محاكم التفتيش، لهيب المحارق، المجازر والطرد الذي ساد فى معظم الدول المسيحية حتى حدوث الكارثة.

لماذا؟ لأن محمدا قد منع بشكل واضح ملاحقة "أهل الكتاب" لقد تم تخصيص مكانة خاصة في المجتمع الإسلامي لليهود وللمسيحيين. لم تكن هذه المكانة مساوية تماما، ولكنها كادت تكون كذلك، كان يتوجب عليهم دفع جزية خاصة، ولكنهم قد أعفوا من الجيش مقابلها- وهذه الصفقة كانت مجدية جدا لليهود. يقولون إن الحكام المسلمين قد عارضوا محاولات إدخال اليهود في الإسلام حتى بالوسائل اللطيفة، لأن هذا الأمر كان منوطا بخسارة عائداتهم من الضرائب.

كل يهودي مستقيم، يعرف تاريخ شعبه، لا يمكنه إلا أن يشعر بالعرفان تجاه الإسلام، الذي حمى اليهود طيلة خمسين جيلا، في الوقت الذى كان العالم المسيحى فيه يلاحقهم وحاول في العديد من المرات إجبارهم على تغيير دينهم "بالسيف".

قصة "نشر دين محمد بالسيف" هى أسطورة موجهة، جزء من الأساطير التى نشأت في أوروبا أيام الحروب الكبيرة ضد المسلمين- إعادة احتلال أسبانيا من قبل المسيحيين، الحروب الصليبية وملاحقة الأتراك، الذين كادوا يحتلون فيينا، أشتبه فى أن البابا الألماني يؤمن هو أيضاً بهذه الأساطير إيمانا تاما. هذا يعنى أن زعيم العالم المسيحى، وهو لاهوتي مسيحي هام بحد ذاته، لم يبذل جهدا فى التعمق فى تاريخ أديان أخرى.

لا مناص من النظر إلى الأمور على خلفية الحملة الصليبية الجديدة التي يخوضها بوش ومؤيدوه الإنجيليون، وحديثه عن "الفاشية الإسلامية" و"الحرب العالمية ضد الإرهاب"، بينما يتم توجيه كلمة "الإرهاب" إلى المسلمين. إن هذا الأمر بالنسبة لمن يوجه بوش هو محاولة ساخرة لتبرير الاستيلاء على مصادر النفط، هذه ليست المرة الأولى التي تلبس فيها المصالح الاقتصادية الجرداء قناعا دينيا، وهذه ليست المرة الأولى التي تتحول فيه حملة نهب إلى حملة صليبية.

يندمج خطاب البابا بشكل جيد في هذه المساعي. ولا أحد يعرف ما هي النتائج الممكنة.

حكاية جنود الرب وشريط الفيديو!!

وتدور الآن معركة بين تيار المسيحيين الصهاينة ومنظمة مدنية أمريكية تدعى "مؤسسة الحرية الدينية العسكرية" ويمكن تلخيص سبب هذه المواجهة في قضية واحدة، هي إصرار المسيحيين الصهاينة الذين يسمون أنفسهم أيضا "المولودون مجدداً" على إظهار عقيدتهم الدينية خلال خدمتهم العسكرية، ورفض مؤسسة الحرية الدينية لذلك.

أما سبب إصرار المسيحيين المتشددين على إظهار عقيدتهم الدينية خلال وجودهم "على أرض" القوات المسلحة الأمريكية – باعتبارهم جنود الرب – فإنه يبدوسببا مفهوما، إذ إن ما يظهرونه على أي حال هوعقيدتهم، وتتمثل أشكال إظهار العقيدة في هذه الحالة في وضع رسوم دينية وشعارات من قبيل أن المسيح هوالمخلّص أو آيات من الإنجيل على جدران عنابر النوم أوقاعات الاجتماعات.

وأما سبب رفض مؤسسة الحرية الدينية العسكرية لذلك فإنه يأتي على لسان رئيسها ميكي ونشتاين الذي عقد مؤتمرا صحفيا في واشنطن أوضح فيه أن منظمته لن تتوقف عن إثارة هذه القضية حتى لو اضطرت إلى اللجوء للقضاء حسب قوله. وقال وينشتاين: "نحن هنا أمة علمانية، ودستورنا يمنع إظهار أي علامات دينية في أماكن عامة، وأعتقد أن هذه الممارسة تتناقض مع الدستور، وكنا نأمل أن يوقفها قادة القوات المسلحة من تلقاء أنفسهم إلا أن ذلك لم يحدث".

واستند وينشتاين إلى التراث التاريخي في معارضة ممارسات المسيحيين المتطرفين في القوات المسلحة، بيد أنه أضاف إليها بعدا معاصرا، بل معاصرا جدا.

ذلك أن وينشتاين قال في مؤتمر صحفي: "إن الجهاديين والمتمردين وكل الناس من قيادات حماس وقيادات حزب الله وكتائب شهداء الأقصى وحركة الجهاد سيرون فينا غزاة صليبيين يتحركون لأسباب دينية".

وعرض وينشتاين شريط فيديوسجله لمؤتمر عقده المسيحيون المتطرفون وظهر فيه ضباط وجنود بملابسهم العسكرية، وسأل الحضور: «من يمثل هؤلاء؟ هل يمثلون القوات المسلحة الأمريكية؟ وإذا كانوا لا يمثلون إلا أنفسهم فلماذا لم يتركوا ملابسهم العسكرية في منازلهم؟ ".

وينشتاين نفسه كان ضابطا في سلاح الطيران الأمريكي، بل إنه خريج أكاديمية سلاح الجو، وقد كرر ذلك مراراً قائلا: "رغم ذلك فإنني مقتنع بأن هناك مكانا ملائما ووقتا ملائما لكي يمارس المرء شعائره الدينية أولكي يتحدث عنها، وليست القوات المسلحة هذا المكان، وليس الآن هوالوقت ".

واتهم وينشتاين من ينتمون الى هذا التيار الديني المتشدد بأنهم ينظمون أنفسهم ويعملون بشكل منسق على نشر أفكارهم، واضاف: "هل يجوز مثلا ان يستخدم ضابط تأثيره المعنوي لإقناع جنوده بأفكاره الدينية؟ ".

وقال وينشتاين إنه يوجد نداء إلى وزير الدفاع الجديد روبرت جيتس للتدخل من أجل وقف هذه الممارسات «غير القانونية وغير الدستورية» حسب قوله، وهدد بتحويل القضية الى الكونجرس للتحقيق فيما وصفه بتنظيم "السفارة المسيحية" الذي ينشط في القوات المسلحة بدعم من جنرالات منهم الجنرال لوشيوس مورتون والجنرال جاك كاتون.

ويقول الكاتب والروائي المصري رؤوف مسعد على موقع "كفاية" على الإنترنت عن الصهيونية المسيحية : يتخوف بعض أصدقائي المسيحيين المصريين أن الكتابة عن المسيحية الصهيونية الدينية السياسية يمكن أن تستغلها بعض العناصر الإسلامية المتطرفة وتسيء استخدامها. وهذا بالطبع وارد ومنطقي أيضا في "صراع" يستحل المصارعون استخدام كل الأسلحة المتاحة وخاصة موقف مسيحي شرقي معاد للتطرف المسيحي السياسي الديني الصهيوني.

لكن الساكت عن الحق شيطان أخرس كما يقول الحديث النبوي الإسلامي. الحق هنا مؤلم لأنه يتعلق ب "آل البيت" "البيت المسيحي الشرقي الذي ظل منغلقا على ذاته قرونا وتحوطه شبهات الوطنية ودرجات أقل في المواطنة من مسلمي الشرق.

ومثلما سينزعج البعض من المسيحيين من هذا الكلام من المؤكد أنه سيزعج البعض من المسلمين أيضا. لكن ما باليد حيلة !

فحينما اعتبرت الكتابة مهنتي كنت قد اتخذت بضعة قرارات : أن لا تكون مصدر رزقي حتى لا أقع تحت إغراء ذهب المعز. نفذت هذا القرار في بيروت في العصر الذهبي لجمهورية الفكهاني أي سلطة المقاومة الفلسطينية التي كانت مكاتبها متركزة في منطقة الفاكهاني. فلم أعمل يوميا في منظمات المقاومة أو مكاتبها الثقافية. كنت زائرا مستديما لمكاتب دار الأنباء الفلسطينية وفا عند زياد عبد الفتاح وتعرفت عنده على الشهيد ماجد أبوشرار واتصلت بابي جهاد وتعاملت صحافيا مع أبي إياد لكن "رزقي "كان من عملي في صحيفة السفير اللبنانية وبعدها في مجلة اللوتس وبعدها في بيروت المساء الصادرة من منظمة العمل الشيوعي (محسن إبراهيم وفواز طرابلسي) وبالطبع ما زلت أتهيب سيف المعز !

ليست هذه المقدمة تفاخرا أوتيها.. فالرفاق والأصدقاء الذين عملوا في المقاومة هم رفاق وأصدقاء شرفاء لا تشوبهم شائبة.. ولم اندم من موقفي وواصلته حتى هذه اللحظة وأنا أخطو حثيثا نحو السبعين.. ولم أندم عليه لحظة رغم ما نالني من ضير.. وإلا لما استطعت أن أكتب ما كتبت وأواصل خطي في الكتابة الأدبية الذي لا يرضي البعض !

أتلقى اللوم والنقد أحيانا من بعض المسيحيين كما أتلقاه من بعض المسلمين. وأعتبر أن من يتصدر للكتابة في منطقة مثل أو طاننا ويكتب أو يحاول أن يكتب بصدق سوف ينال النقد كما ينال التقريظ.

الردود الإيجابية الكثيرة التي تلقيتها عبر كفاية وعبر الإنترنيت عن "طلب انضمام لحزب الله "أذهلتني في إيجابيتها وموضوعيتها وفي درجة الرقي العالي من الحوار. لم أكن أتوقع كل هذا.. وبالتالي "هذا "شجعني مرة أخرى على الكتابة في هذا الموضوع الحساس.. موضوع المسيحية الصهيونية.

بداية لابد أن أذكر واقعة خبرية رأيتها في ألبي بي شي منذ أيام قليلة وهي أن أسقف يورك البريطاني وهويعتبر في المنزلة التالية مباشرة لكبير الأساقفة، كان قد صام أسبوعا عن الطعام ولم يتناول سوى الماء القراح تعاطفا مع محنة الأطفال اللبنانيين والإسرائيليين. وبالمناسبة فإن جزءا من العائلات التي تتضررت من صواريخ حزب الله في حيفا هي عائلات عربية صمدت في حيفا ولم تغادرها منذ النكبة الأولى من أكثر من خمسين سنة وسمعت أحدهم يقول في التلفزيون باللهجة الفصحى "إنحن باقون في حيفا "وأعرف أن هذه عبارة الراحل العظيم إميل حبيبي التي طلب ان توضع على شاهد قبره الحيفاوي "باق في حيفا "

وفي حوار مع صديقة مصرية مسيحية عبر الشبكة حذرتني من أن الوضع في مصر حساس بين المسيحيين والمسلمين وانه من الأفضل أن لا أتناول موضوعا كهذا.

لكني وبرغم اقتناعي بقولها أرى أنه من الضروري مناقشة مواضيع حساسة الآن وليس غدا أليس "الآذ "هوالوقت المناسب ؟!

سوف يندهش البعض حينما يعرف أن بولس "الرسول "هو أول من أسس لجذور الصهيونية المسيحية ومرجعي في هذا كتاباته الموجودة في الكتاب المقدس.

وهومرجع لا يختلف المسيحيون في قدسيته ومصداقيته.

سأقتطف من رسائل "القديس بولس "دون المساس بالسياق. إنه هوالمؤسس الفعلي للديانة المسيحية بشكلها الكهنوتي والإيديولوجي فهويكتب باهتمام عن التفاصيل المتعلقة بزواج الكهنة أو عدم زواجهم وعن موقفه من المرأة.

لكن أهم ما كتبه هو عن فخره بيهوديته وعن رؤاه الفكرية لربط المسيحية - كديانة دولية - بالديانة اليهودية الأم التي خرجت من رحمها ومن تنبؤاتها.

ففكرة ظهور "مخلص "هوالمسيح هي فكرة أساسية في الديانة اليهودية. مخلص يخلص شعب الله المختار من أعدائهم ويحكمهم كملك ارضي ويعيد لهم أمجادهم السابقة قبل ان يهزمهم الرومان ويستعبدونهم.

أهم المقتطفات عن العلاقة بين اليهودية والمسيحية عند بولس نجدها متمثلة في استمرارية الشريعة اليهودية وتمسيحها (إن جاز القول) فهو يؤكد أهم قانون في الشريعة اليهودية وهو"الختان "الذي به كما يقول ميز الله اليهود عن "الأمم "

وكذا وفي مبدأ أن اليهود هم شعب الله المختار ولم يتخل الله عنهم حتى بعد أن بعث المسيح إليهم ورفضوه وقتلوه ويؤكد هذا في فكرة "صهيون" وتحويلها من مبدأ يهودي إلى مبدأ مسيحي.

بداية أقول إن "فكرة صهيون "هي فكرة يهودية قديمة قدم استقرار القبائل اليهودية في فلسطين. إنه جبل صهيون ويعتبره النبي داوود "الجبل المقدس "يقول في المزمور رقم ٢ بعنوان "الملك الذي مسحه الرب "(والمسح هنا يأتي من طقس يهودي قديم هم سكب الزيت المقدس على رأس الإنسان الذي يختاره الرب ليصبح ملكا ومن هنا جاء اصطلاح مسيح الرب للسيد المسيح) "الساكن في السموات يضحك

الرب يستهزأ بهم يؤنبهم في غضب ويستهزأ بهم

يقول أنا مسحت ملكي على صهيون جبلي المقدس "

وفي سفر أشعياء الإصحاح الأول وتحت عنوان المدينة الخاطئة وهويقصد أورشليم القدس يقول النبي "لذلك فإن الرب جبار إسرائيل يقول سأريح نفسي من خصومي وأنتقم من أعدائي فأرفع يدي عنك يا أورشليم أنفي زغلك بالنطرون وأزيل كل أقذارك فتدعين مدينة العدل المدينة الأمينة بالعدل تُفتدى صهيون "

في المسيحية نجد أن بولس يقول عن جبل صهيون "بل أنتم اقتربتم من جبل صهيون من مدينة الله الحي ومن أورشليم السماوية "رسالة إلى العبرانيين الأصحاح١٢

وفي سفر الرؤيا الذي يتنبأ بنهاية العالم يقول "ونظرت فرأيت حملا على جبل صهيون ومعه مئة وأربعة وأربعون ألفا.. وهم يرنمون ترنيمة جديدة امام العرش "(الرؤيا ١٤) والحمل هنا رمز المسيح عند مجيئه الثاني ليحكم العالم من فوق جبل صهيون الذي تقول الأساطير اليهودية إن الهيكل كان مبنيا عليه.

إذن – الصهاينة يؤمنون بضرورة وجود "أورشليم الجديدة "التي يتنبأ بها يوحنا في الرؤيا "قال لي الملاك تعال فأريك العروس امرأة الحمل فحملني بالروح إلى جبل عظيم شاهق وأراني أورشليم المدينة المقدسة نازلة من السماء من عند الله وعليها هالة مجد الله "ويقول إن المدينة تحتاج إلى نور الشمس لان مجد الله ينيرها والحمل هو مصباحها.

إذن.. هذا هو صهيون الجبل والفكرة والمبدأ.

بولس يقول بالنسبة للشريعة اليهودية ولأسطورة شعب الله المختار ""هل نبذ الله شعبه.. كلا فأنا نفسي من بني إسرائيل من نسل إبراهيم وعشيرة بنايمين ما نبذ الله شعبه وهوالذي سبق فاختاره(عشيرة المسيح) "

إذن فالمسيحية تؤكد على خصوصية اليهود كشعب مختار وفي نفس الرسالة يقول "هل زلت قدم اليهود ؟ليسقطوا إلى الأبد؟كلا بل بزلتهم صار الخلاص لغير اليهودى حتى تثور الغيرة في بني إسرائيل. فإذا كان في زلتهم غنى لكم فكم يكون الغنى في اكتمالهم ؟ ويقول "إني حزين جدا وفي قلبي ألم لا ينقطع وإني أتمنى لو كنت أنا ذاتي محروما ومنفصلا عن المسيح من أجل إخوتي بني قومي في الجسد وهم بنو إسرائيل الذين جعلهم الله أبناءه ولهم المجد والعهود والشريعة والعبادة والوعود. منهم كان الآباء وجاء المسيح في الجسد وهوالكائن على كل شيء إلاها مباركا إلى الأبد "(الرسالة إلى أهل رومه ٩)

الصهيونية السياسية كمبدأ لقيام دولة إسرائيل اليهودية لا تختلف عن الصهيونية المسيحية التي ترى في قيام دولة إسرائيل تحقيقا لوعد الإله المسيحي لمسيحيي العالم بالمجيء الثاني للمسيح كما ذكرنا.

المسيحيون في الشرق والغرب ينتظرون تحقيق النبوءة من فوق جبل صهيون. هم بالتالي – عدا الذين يعرفون اللعبة السياسية – يؤمنون ايضا بضرورة قيام دولة إسرائيل ثم بناء الهيكل حتى يتحقق المجيء الثاني للمسيح دون اعتبار لدماء الشعوب الأخرى غير المختارة مثلهم ومثل اليهود. بولس حوّر فكرة ومبدأ وحدانية الاختيار اليهودي بأن جعله يضم المسيحيين فهويقول "يقول الرب ها هي أيام تجيء أقطع فيها لبني إسرائيل وبني يهوذا عهدا جديدا "ويفسر بولس العهد الأول "بأنه كان عهد الشرائع وشعائر العبادة.. ولكن المسيح جاء وأصبح هوالوسيط في العهد الجديد ينال فيه المدعوون الميراث الأبدي.

المسيحيون الذين سيرثون العالم في الميراث الأبدي

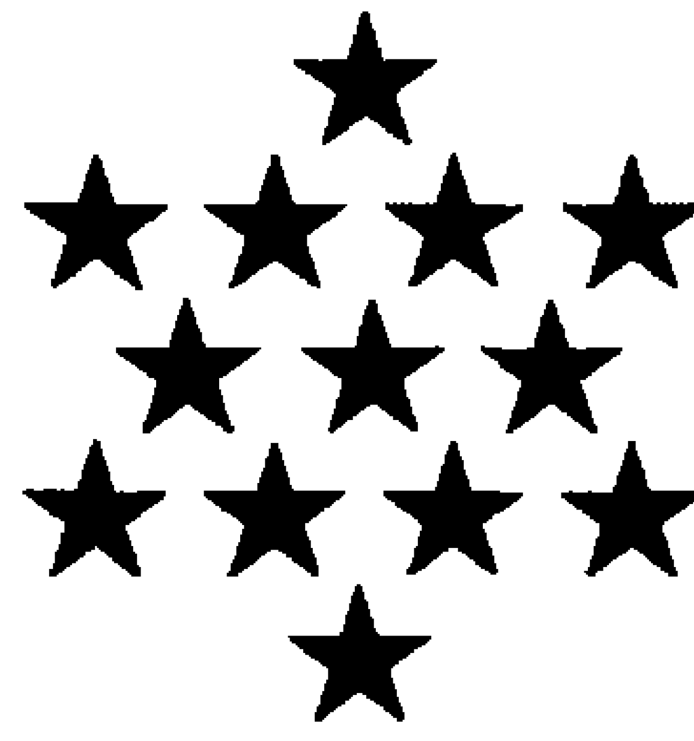
وبالطبع ! أي مسيحي يعرف أن الكتاب المقدس مكوّن من عهدين التوارة اليهودية ويسمى رسميا "العهد القديم "والأناجيل والرسائل وبقية الأسفار المسيحية وتسمى "العهد الجديد "

دراسات كثيرة مكتوبة وموثقة عن "الصهيونية اليهودية السياسية "لكن المسيحية الصهيونية هي فكر جديد ظهر في منتصف القرن الماضي مع ظهور دولة إسرائيل ورافقها ،أيدها ودعمها ماليا وسياسيا وعسكريا.

هو فكر يضرب بجذوره في البروتستنتية والكالفانية وأقل بعض الشيء في الكاثوليكية الغربية واقل كثيرا في القبطية المصرية الأرذوزكسية. لكنه موجود ويعشش في الأفكار الدينية المسيحية بشكل عام. فمسيحية القرون الوسطى الأوربية التي طاردت اليهود باعتبارهم "قتلة المسيح "وقادها الفاتيكان خاصة خلال

الحرب العالمية الثانية بإغضائه الطرف عن اضطهادهم وقتلهم المنظم في أوربا. هوالفاتيكان نفسه في عهد البابا السابق "برأهم" من دم المسيح.. رغم ان الكنائس المسيحية الشرقية - حسب علمي - لم تدينهم.

ليس هناك من سبيل مواجهة الصليبيين الجدد إلا بتآزر مسيحيي الشرق مع مسلميه. قنابل الأمريكان التي استخدمتها إسرائيل لم تهتم أن تفرق بين المسيحي والمسلم اللبناني. فنحن بالنسبة لهم عقبة في تحقيق أهدافهم السياسية التوسعية العرقية والمغطاة بغطاء ديني مسيحي ويهودي !!



واقع المسلمين اليوم..

أمة مستهدَفة وحكام مُغَيَّبون !!

"إله المسيحية يضحي بابنه من أجل الحياة..أما إله المسلمين فيأمرهم دينهم بأن يرسلوا أولادهم للموت"

جون اشكروفت وزير العدل الأمريكي

واقـع المسلمين اليـوم..

أمة مستهدفة وحكام مغيبون !!

الإسلام والسلطان أخوان توأمان !!

يعيش مجتمعنا الإسلامي اليوم في واقع مؤلم لا يحسد عليه، ونطلق عليه العالم الإسلامي لمجرد انتمائيته للإسلام، ولكن النظرة البديهية البسيطة لواقع أكثر بلدان هذا العالم يعطينا واقع التمزق السياسي والتفرق المذهبي، والتشاحن والتدابر، والتنازع والتقاتل، ومن ثم التخلف العلمي، والضعف الاقتصادي، والانقسام حسب الرغبات والأغراض الاستعمارية، التي مزقت العالم الإسلامي. ولذلك نظر العالم غير المسلم إلينا من خلال هذه الصورة المشوهة لحقيقة الإسلام وجوهره، فاعتقد العالم أن الإسلام هوالسبب في هذا التخلف والقهر، والضياع والفقر !!

إلى جانب كل ما قدمت، هناك الغزوالعقائدي والثقافي من خلال برامج التنصير والغزوالمادي والمعنوي من أعداء الإسلام، ومن خلال العادات والتقاليد التي نتعايشها. ولم يبق في عقول وقلوب بعض من علماء الإسلام إلا بقية من إسلام سطحي مذهبي جامد، وعرفان صوفي رهباني منعزل، أوتجمعات لشباب عاطفي متحمس متهور، تقوده زعامات لا كفاءة لها ولا حكمة ؛ لتصل به إلى نتائج كثيراً ما أحزنت، وكثيراً ما أضرت بالإسلام وبالمسلمين وما نفعت.

إن وضع الحكومات الإسلامية كوضع شعوبها، فالخلل واقع في أكثر الحكومات والشعوب، في أكثر العلماء والأفراد

إن أكثر علماء الدين الإسلامي يضعون المسؤولية على عاتق الحكومات وحدها

في واقع تردي حال المسلمين وتخلفهم، ولا شك أن هناك مسؤولية كبرى على الحاكم المسلم، حيث إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. لكن وفي رأيي أن مسؤولية علماء المسلمين أعظم، وتقصيرهم أكبر

المسؤولية مشتركة، فالحكومات مسئولة عن ضعف المسلمين، والعلماء مسئولون عن جهل المسلمين وتخلفهم، فعلى الفريقين أن يتلاقيا ويتعاونا، "الإسلام والسلطان أخوان توأمان، لا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه، فالإسلام أسٌّ والسلطان حارس، وما لا أسَّ له يهدم، وما لا حارس له ضائع "(رواه الديلمي عن ابن عباس، كنز العمال ٦/ ١٠

نعم إن العالم الإسلامي اليوم، يعيش أزمة حادة، ألا وهي فقدان هذه النوعية من العلماء، ويشهد المسلمون الخراب في مصانع الدعاة وضعف برامج التربية والتعليم في الكثير منها !

إن المسلمين اليوم ليسوا في أزمة جهل بكيفية الوضوء أوالطهارة أوأعمال العبادات الجسدية ؛ من صلاة وصيام وحج وتلاوة للقرآن، بل إن المسلمين في أشد الحاجة إلى فقه وحدتهم

ثم لابد من اتباع أسلوب الدعوة الذي دعا إليه القرآن الكريم، قال تعالى: (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هوأعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين) سورة النحل:(الآية: ١٢٥)، فبمنطوق هذه الآية الكريمة نجد أن الدعوة إلى الله تعالى خالصة صادقة «ادع إلى سبيل ربك، لا أن يكون العمل في ظاهره دعوة للإسلام، وفي حقيقته دعوة لشخص أوجماعة، أومبدأ غير الحق، أوللرياء والظهور والادعاء. وأن تكون الدعوة بالحكمة، وهي المنطق العقلي بداية، لأن كل إنسان يملك العقل، ومنطق العقل هوالبداية للإقناع وتحقيق الحق، ثم يسير الداعي مع الحكمة لفعل ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وعلى الشكل الذي ينبغي. والموعظة الحسنة، هي الكلمة الطيبة التي تنطلق من واقع

المحبة والصدق، لا بمنطق الكراهية والتعصب. ويجب أن تكون الموعظة الحسنة للخلق كلهم، حتى مع الذين يُظن فيهم عدم قبول الهداية، قال تعالى: "فقولا له قولاً ليناً" (سورة طه: الآية: ٤٤). لمن هذا القول الليّن؟ إنه لفرعون !!.

٤ - ثم "وجادلهم بالتي هي أحسن"، وليس بالحسنى فقط، وهذا هو الحوار الإيجابي البناء، ومن خلال هذا الحوار يمكن الوصول إلى الحق والخير. وإذا لم يصل الداعية إلى إقناع الطرف الآخر، يتركه لنفسه ولله تبارك وتعالى، لأن الله -كما ذكرت الآية - هو أعلم بالضالين الذين لا يمكن أن يصلوا إلى الهداية، ويعلم المهتدين الطائعين.

ولا يعني ذلك الارتكان والتقاعس عن النهوض لمواجهة الخطر، أو عدم الأخذ بأسباب القوة، فمثلاً ما يزال موضوع امتلاك الأسلحة التدميرية (كالقنبلة النووية) مثار نقاش ساخن، وترفض الدول الكبرى أن تمتلكه دولة إسلامية، بينما تسمح به لدولة تقوم على أرض مغتصبة (وهي إسرائيل).. والله تبارك وتعالى يطالب المسلمين بإعداد القوة الرادعة لأعدائهم، الذين يريدون بهم الشر والسوء.

فعلى المسلمين أن يمتلكوا القوة التي تدفع عنهم الظلم، وتحمي أرضهم وعقيدتهم، كما يجب عليهم أن يمتلكوها ليقيموا العدل بين الشعوب، ويناصروا المظلومين والمستضعفين في الأرض.

وكان قد صدر عن مؤتمر حوار المذاهب الإسلامية الذي عقد في الدوحة في ٢٠ يناير ٢٠٠٧، بيانٌ لخّص ما انتهى إليه المؤتمرون الذين مثلوا المذاهب الإسلامية، وذكر اسم هذه المذاهب (السُّنة- الشيعة- الزيدية- الإباضية). وأن اختلاف هذه المذاهب وبياناتها هوالسبب الرئيسي لفرقة المسلمين، وتحوير المقاصد الإسلامية النبيلة -كما وردت في القرآن والسُّنة- إلى غايات شخصية وسياسية أحياناً لن تخدم المسلمين في يوم من الأيام.

نظرة خاطفة على البيان الصادر عن المؤتمر تعطينا الانطباع الواضح بأن هناك نزاعات كبيرة بين المذاهب الإسلامية، ولعل أبرزها ما تلوّن بالمواقف السياسية، ومثال ما يجري في العراق -بين السُّنة والشيعة- أوضح الأمثلة. لذلك جاءت الرؤية الأولى للمجتمعين في البيان، كالتالي:

"إدانة ما يحدث في العراق من حرب طائفية بين السُّنة والشيعة، مما يؤدي إلى تفتيت العراق، وصرف الانتباه عن العدوالحقيقي المتربِّص بالأمة".

وللأسف، فإن الطرفين (سُنة وشيعة) يقذفون التهم، أو يُعلقون المسببات لاختلافاتهم على "العدوالخارجي"، أي يربطون العلاقات السياسية لبلدانهم مع هذا الطرف أوذاك. كما جاء على لسان العلامة محمد علي التسخيري الذي تحدث حديثاً عاطفياً تشكيكياً وتاريخياً عن أصول الخلاف بين السُّنة والشيعة. ولقد نشب خلاف بين المذكور والشيخ يوسف القرضاوي في الجلسة الختامية للمؤتمر.

وأخيراً، فإن ترك الداعية أهل السياسة لعملهم، وانكبابه على عمله هوخير وسيلة للقضاء على الخلافات القائمة بين السُّنة والشيعة، كما أن "تطهير" المدارس والجامعات من التدخل و"التغذية" الدينية المحرّضة خير وسيلة لتدريس القرآن والسُّنة فقط، دون أن نترك الفرصة للأموات أن يحكموا الأحياء.

ونختم بما جاء في ورقة للأستاذ الدكتور علي لاغا عميد كلية الدراسات العليا في لبنان: "إن كل الدول الكبرى فيها تعديدات بالأصول والفروع، ديانات ومذاهب وقوميات، والسياسة عندهم تنظيم لأحوالهم، بينما هي في بلادنا مع قلة تنوعها، شر مستطير تغذيه جهالة شعب ومهارة طامعين بخيرات أرضه ما ظهر منها وما بطن".

ويحضرني هنا ما قاله الأستاذ نبيل عبد الفتاح في مؤلفه الرائع سياسات الأديان من أن ثمة حاجة موضوعية حالة وحادة لإعادة بناء مناهجنا على محاور الحرية

والتعددية والاجتهاد والتطلع إلى موجات تلوأخرى من أسئلة وإشكاليات دينية وفلسفية ودهرية عاتية مع ما سبق أن أطلقنا عليه "ثورة المابعديات" في الفلسفات والنظريات والتقنيات والاصطلاحات وأساليب التفكير. العالم المابعدي لا يزال ينطوي على مكنوناته ومستوراته العديدة، ونحن لا نزال مولعين ومشدوهين بالأرحام المرجعية في الفقه، والأفكار، ومذعورين من مساءلة أنفسنا وأفكارنا ومراجعنا وفتاوانا و- بصراحة - خائفين من الأسئلة والمراجعات. تحولت منظومات الأفكار الفقهية أوالقيم التي أنتجها الأسلاف وكأنها منظومات مقدسة لا يجوز الاقتراب منها بالنقد أوالرأي المخالف، وإبداع اجتهادات تتلاءم مع عصرنا وتحولاته المعقدة.

ثمة غرابة ما في هذا الموقف النكوصي؛ حيث لا توجد سلطة دينية في الإسلام بحسب الأصل، إلا أنها أنتجت في التاريخ كمؤسسات وسلطات، والأكثر غرابة أن بعضهم في تمجيده لذاته وآرائه ومصالحه ومكانته، يمجد المؤسسة والسلطة الدينية والسياسية بالقطع لدى كُثر - كي يستمد من تمجيدها قوته وزهوه وتقليديته، وشراسته في اغتيال رؤى الآخرين، ولاسيما من المجددين - إن وجدوا - وغيرهم من رؤى المدارس والأفكار الحديثة.. إلخ.

المؤسسات الدينية السلطوية !!

إن سلطوية وتسلطية بعض المؤسسات والأفكار الدينية الوضعية بعضها تعتمد على مثالها المرجعي، وهوتسلطية وسلطوية السياسة، والصفوة الحاكمة، إن القمعيات والتسلطيات على اختلافها تتغذى من ينابيع موحدة، ويدعم بعضها البعض، وكلها تخشى الحرية، غلياناتها الإبداعية والفكرية والتعددية، إنهم مرعوبون من الحرية وأسئلتها وشكوكها ونسبياتها، وضماناتها، ولاسيما حريات الفكر والتعبير والبحث الأكاديمي، والإبداع عمومًا، إن حرية الفكر والبحث تمثل رعبًا وجحيما لغالب العقل النقلي، وخطاباته والماضيوية وأزمنتها المستعادة. ثمة متاهات للخوف، ينتجها

الفكر الديني الماضوي المتحجر، ومعه بعض أنماط أخرى تبدو علمانية ولكنها تحمل في داخلها ذات السمات المحافظة والانغلاق والخوف من الحرية في التفكير والبحث والتعبير بلا وجل من أجل تطوير المجتمع والدولة ومنظومات الأفكار السائدة، ولكنها تعتمد على جذور ومرجعيات ماضوية وعتيقة، وتبدو مستبدة بحياتنا وأذهاننا، إن إصلاح المؤسسات السياسية والدينية، وتجديد الفكر الديني أمرٌ بات ضرورياً وملحاً.

إن الإصلاح كمنظومة متكاملة في المجالات السياسية والدينية والأخلاقية، والتعليمية والاقتصادية.. إلخ، هو مدخلنا لإعادة هيكلة تبدأ إصلاحية النزعة وتستمر دون توقف، في مواجهة مع غيلان فاسدة ومستبدة تبدو أسطورة القدر والفعل والسطوة على حياتنا، ولكن الغيلان الأسطورية، يمكن التصدي لها بتجديد النظام السياسي، ومن خلال الشفافية والقيم والآيات الديمقراطية، ودولة القانون الحديث، والمساواة بين المواطنين في إطار المواطنة.

ويتساءل الأستاذ نبيل عبد الفتاح في النهاية متعجباً : أين نحن من كوكبنا المتحول، وإبداعات البشر في عالم المعرفة الكونية، أو بالأحرى عالم الوسائط المتعددة، وما بعدها، حيث العالم يتجلى عند لمسات أصابع اليد، العالم الرقمي "الديجيتال"، الذي لا تزال بيننا وبينه فجوات زمنية في الفكر والإبداع ونظام الحياة، والتعليم.. إلخ. العالم الرقمي حيث لا نزال عالة على إبداع واكتشافات الآخرين، ولا نزال نخشى مواجهة تخلفنا وعجزنا وترددنا.

وحول خطاب الإسلاميين ومعضلة مفهوم الدولة، يتساءل الأستاذ حسن ساتي في مقال له في صحيفة الشرق الأوسط قائلاً : هل كان النموذج التاريخي للدولة الإسلامية نموذجا عقديا يماثل الدولة الدينية التي عرفتها العديد من المجتمعات في التاريخ القديم والوسيط، أم هي دولة الجماعة المسلمة وليست لها في ذاتها طبيعة دينية؟

ويجيب : لا شك أن هذا السؤال قد شغل الفكر العربي ـ الإسلامي المعاصر أكثر من أي سؤال آخر. ومن دون الخوض فيه بالتفصيل نلاحظ إجمالا أن أغلب وجوه الفكر الإسلامي المعاصر وان أكدت صراحة ووضوحا على غياب الدولة الدينية في الإسلام، إلا أن تصوراتها لشأن الحكم لا تخرج إلا نادرا عن أحد نموذجين هما إما نموذج «الخلافة» بحسب مقاييس السياسة الشرعية الوسيطة أوالأحكام السلطانية، أونموذج «الحاكمية الإلهية» ـ أي الدولة التي يحكمها القانون الإلهي وتصبح فيها السيادة والشرعية للنص المنزل لا الأمة الشارعة.

ويوضح ساتي : لدى الجيل الأول من الإخوان المسلمين نلاحظ أنها بلورت لأول مرة المفهوم السياسي للإسلام شعار «الإسلام دين ودولة» لكنها لم تخرج في الغالب عن الأطر النظرية للأحكام السلطانية. فحسن البنا (مؤسس حركة الإخوان المسلمين) لم يركز في أدبياته على الشأن السياسي الذي لم يفرد له في أعماله سوى رسالة مختصرة حول نظام الحكم يجمل فيها دعائم هذا النظام في ثلاث هي: مسؤولية الحاكم (كمسؤول عن الرعية)، ووحدة الأمة، واحترام إرادتها.

ويكتفي البنا في عرض أفكاره بالاستناد إلى مفاهيم وشعارات عامة تحض على العدالة والشورى من دون أن يحدد الموقف من طبيعة النموذج الذي بدأ يتشكل في عصره، أي الدولة الوطنية الليبرالية، من حيث إشكالات الشرعية والتنظيم السياسي والعلاقة بالمجتمع. ومن الواضح أن مرجعية البنا الفكرية لم تخرج عن الأحكام السلطانية في نظرته لهذه الدولة ذات الخلفية والطبيعة المغايرة. فلئن كان يقف عند طبيعة النظام الدستوري النيابي للدولة الحديثة، ولا يرى فيه إجمالا ما يتعارض مع الإسلام، إلا أنه ينظر إلى هذه التحولات الحديثة من منظور اصطلاحات الماوردي (وزارة التنفيذ ووزارة التفويض ومشورة أهل الحل والعقد).

ولعل تلميذ البنا، عبد القادر عودة، هوأول من بلور النظرية الإخوانية للسلطة في كتابه المشهور «الإسلام وأوضاعنا السياسية» الصادر عام ١٩٢١. ولئن كان عودة

يرجع في تصوره للدولة الإسلامية المنشودة للأحكام السلطانية (دولة الخلافة الحارسة للدين والمقيمة لمصالح العباد) إلا أنه يدشن المقاربة الديمقراطية للشأن السياسي السائدة لدى الإخوان حاليا، أي التركيز على الجوانب المتعلقة بالقوانين والحدود الجنائية واعتبارها مصدر شرعية الدولة المسلمة.

يقول عودة: «إن الإسلام يلزم الناس اتباع ما أنزل الله ويوجب عليهم أن يتحاكموا إلى ما جاء من عند الله ويحكموا به وحده دون غيره، وليس لذلك معنى إلا أن الحكم هوالأصل الجامع في الإسلام، والدعامة الأولى التي يقوم عليها الإسلام.. إن الإسلام ليس عقيدة فقط، ولكنه عقيدة ونظام، وليس دنيا فحسب ولكنه دين ودولة».

وقد سعى يوسف القرضاوي في حتمياته التي صدرت منذ نهاية الستينيات إلى تفصيل هذه الأطروحة من خلال ثقافته الفقهية الواسعة وأسلوبه التعبوي المبسط. فبالنسبة للقرضاوي لا يستقيم المشروع الإسلامي من دون دولة تحتضنه، وهذه الدولة هي التي تحكمها الشرائع الإسلامية. ولئن كانت كتابات القرضاوي الأولى قد تزامنت مع أعمال الأخوين سيد قطب ومحمد قطب، إلا أنها اختلفت عنها في التركيز على هذا البعد التشريعي الفقهي، في حين أرست حاكمية قطب تصورا راديكاليا انقلابيا للنظام الإسلامي، يقوم على القطيعة مع المجتمع الإسلامي المنحرف (جاهلية القرن العشرين) ومع الحداثة الغربية التي لا يرى فيها إلا غزوا وافدا مرفوضا، فـ«الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات.. مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي».

إذن، فالمجتمع الإسلامي هوالمجتمع الذي يطبق فيه الإسلام، عقيدة وعبادة، شريعة ونظاما، وخلقا وسلوكا. والمجتمع الجاهلي هوالذي لا يطبق فيه الإسلام، ولا تحكمه عقيدته وتصوراته وقيمه وموازينه، ونظامه وشرائعه، وخلقه وسلوكه.

وقد سار الخطاب السياسي للحركات الإسلامية في الاتجاهين، فانتهي في صيغته «المنفتحة» إلى نمط من الأحكام السلطانية بالمنظور الجديد (رفع الشورى إلى مبدأ

الوجوب والإلزام مع قبول النظام النيابي ولو في ظل حكومة تحكم بالإسلام بحسب التصنيف المذكور). وانتهى في أكثر صيغة انغلاقا إلى الإرهاب الأصولي الراديكالي المدمر (نموذج التحالف بين حكومة طالبان وتنظيم القاعدة).

التهديد بنسف المسجد الأقصى !!

ويصاب المرء بالذهول عند استعراض بعض المقاطع الواردة في كتابيّ «غريس هالسل»، اللذين يتضمنان مقتطفات من كتابات«هول لندسي» وخطب «بات روبرتسون» و«جيري فلويل» (الذي رافق دايان في دبابته عام ٦٧، وشارون في دبابته عام ١٩٨٢) وسوف يزداد ذهوله، عندما يقرأ حوارات هذيانية مع أشخاص يرسمون معالم معركة هرمجدون، التي سيجتمع فيها ٤٠٠ مليون شخص في قرية، وعن الأسلحة التي ستستخدم من نووية وهيدروجينة ونترونتية.

لقد أعيد تفسير الرؤيا الواردة في الأسفار بمقاييس الحرب الحديثة وأدواتها، ويبدو أن المفسرين مقتنعون تماماً بما يقومون به. إنهم يعيدون تحديد الملوك والدول التي سيواجهها السيد المسيح، بما يترافق والتطورات السياسية عالمياً، لقد كان هؤلاء هم الروس وليبيا وصدام حسين، ثم جرى تحديدهم بأشخاص ودول أخرى. ما يدفع البعض إلى الافتراض بأن ما يجري هولعبة سياسية، تستخدم فيها التفسيرات للرؤى والنبوءات في خدمة السياسة الأميركية على المستوى العالمي.

لكن الأمر ليس كذلك تماماً، فهناك من يذكر أيضاً بأن هذه الرؤى وردت في «الكتاب المقدس» ولا يمكن أن يحاسب المؤمنون على إيمانهم حين يقومون بتفسير حرفي لتلك الرؤى.

وسط هذا التشابك تبدوالمسألة شديدة التعقيد. إنه لمن الجائز أن نستنتج: أولاً، أن الحرم القدسي يواجه مخاطر جدية، وأن هذا الحشد الهائل الذي يستهدفه

ويستهدف القدس، إنما يقتضي عملاً موازياً لحماية الحرم، وتثبيت المقدسيين في قدسهم. وهذا أمر يستطيعه المسلمون والعرب، إن هم أيضا وجهوا مواردهم لحماية بلادهم ومقدساتهم.

ثانياً: من المتوجب في التعامل مع هذه الظاهرة ظاهرة الصهيونية المسيحية، عدم الوقوع في أي تعميم، فمن المعلوم أن هناك كنائس أميركية عديدة ترفض توجهات الصهيونية المسيحية والكنيسة التدبيرية فضلا عن أن الكنائس العربية ومجلس كنائس الشرق الأوسط، وأيضا الفاتيكان، أعلنت مواقفها تجاه ما تقول به الكنيسة التدبيرية.

وربما يبدوالتأكيد على تعاون إسلامي – مسيحي في مواجهة الظاهرة أمراً تقليدياً وغالباً ما يقال به، لكن من المتوجب تفعيل هذا التعاون بشكل جدي، وهوتعاون لا يبنى على دحض حالة إيمانية، بقدر ما يبنى على عمل دائب من أجل توضيح مخاطر تفسيرات حرفية، وهلوسات تدميرية على مستقبل الوجود الإنساني.

هرتزل هومن أطلق تعبير الصهيونية المسيحية ، وكان المقصود به «المسيحي الذي يدعم الصهيونية»، وفي المضمون العملي، فإن الأنشطة الموجهة لتهجير اليهود إلى فلسطين بناء على معان دينية هي سابقة على هذا اليوم.

وبحسب ما يذكر محمد السماك فإن الصهيونيين المسيحيين تبنوا المفهوم لاحقاً، وعرفوا المسيحي الصهيوني على أنه «إنسان مهتم بمساعدة الله لتحقيق نبوءاته من خلال الوجود العضوي والسياسي لإسرائيل، بدلاً من مساعدته على تحقيق برنامجه الإنجيلي من خلال جسد المسيح». ويقول «والتر ريغانز» أحد قساوسة الحركة الصهيونية المسيحية: «إن الصهيونية التوراتية التي هي بالتأكيد أمنية كل مسيحي تتعلق بشكل أساسي بالله وأهدافه، ولذلك تفهم الصهيونية من خلال الرؤية المسيحية، على أنها مجرد البداية لما يفعله الله من أجل الشعب اليهودي ومن خلال الشعب اليهودي». وهويرى أيضا أن

«واجب المسيحيين ليس دعم إسرائيل فقط» إنما عليهم دعم سياستها أيضا، هذا يعني أن عليهم، من حيث المبدأ، دعم إسرائيل باعتبارها إشارة إلهية لرحمة الله واستجابة لإرادته وعلى أنها إشارة توراتية بأن الله منشغل جدا في قضايا هذا العالم».

وتلتقي الحركتان «الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، حول مشروع إعادة بناء الهيكل، في الموقع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، يوضح ذلك الحاخام شلوموأفنيزي بقوله: «علينا أن لا ننسى أن الهدف الأسمى من تجميع اليهود من المنافي، ومن إقامة دولتنا (إسرائيل) هوبناء الهيكل. إن الهيكل يقوم في رأس الهرم».

ثانياً: من حيث الفئات الناشطة: هذه الفئات هي بشكل أساسي المعمدانيون من أتباع «الكنيسة التدبيرية» حسب إحصائيات ١٩٨٢، يوجد في الولايات المتحدة/٩٠٠و٧٥٤ و٧٦/ بروتستانتي ينتمون إلى ٢٠٠ طائفة وأكثر هذه الطوائف مغالاة في تبني العقيدة الصهيونية هي الطائفة التدبيرية، التي يبلغ عدد أبنائها ٤٠ مليونا تقريبا. لكن هذا الرقم ليس ثابتا. فالبعض يقدر عدد أتباع الكنيسة التدبيرية بنحو٦٠/ مليونا (دون إغفال عامل النموالسكاني ما بين ١٩٨٢ – ٢٠٠٥) وتتحدث غريس هالسل عن عشرات ملايين العائلات التي تتلقى المواعظ التلفزيونية والإذاعية من قساوسة الطائفة.

«أما قادة الصهيونية المسيحية من أمثال فولويل وروبرتسون، فيدعون أن عدد أتباعهم في الولايات المتحدة يبلغ ١٠٠ مليون. ولكن منتقديهم من الكنائس» الإنجيلية الأميركية فيخفضون العدد إلى ما بين ٢٥ و٣٠ مليونا».

يمتلك قادة الحركة عشرات المحطات التلفزيونية والإذاعية، ويديرون عدداً مماثلاً من الكنائس، وتتبعهم نحومئتا منظمة ناشطة بأشكال مختلفة، ولهم أتباع خارج الولايات المتحدة، في أوروبا، كندا، أستراليا، وغيرها..

وعليه ينبغي عدم الوقوع في أي تعميم أولبس لدى تناول أنشطة منظمات الصهيونية المسيحية، والتي تنقسم أنشطتها العملية إلى قسمين غير مباشر يشمل التحريض والتعبئة وجمع التبرعات وتنظيم الرحلات إلى فلسطين المحتلة، ومباشر يشمل التجنيد والعمل مع المنظمات اليهودية التي تقوم بتنفيذ اعتداءات على الحرم القدسي.

لقد بينت الكاتبة الأمريكية «غريس هالسل» في كتابيها الهامين: «النبوءة السياسية» و«يد الله» كثيراً من الأنشطة التي يقوم بها أتباع الصهيونية المسيحية، سواء ما تعلق بالخطب التي يلقيها القساوسة والمبشرون عبر وسائل الإعلام، وفي كنائسهم، أوما تعلق بالرحلات التي ينظمونها لأتباعهم إلى فلسطين المحتلة والقدس تحديداً، وأيضاً ما يتصل بجمع التبرعات والمساعدات لإسرائيل عامة وللمنظمات اليهودية التي تعمل من أجل هدم الأقصى. ويمكن الرجوع إلى الكتابين للاطلاع على معلومات كثيرة حول أنشطة منظمات الصهيونية المسيحية.

لكننا سنشير هنا إلى تلك المنظمات التي خصصت أنشطتها للعمل من أجل إعادة بناء الهيكل. إن الجميع يدعون إلى ذلك، ولكن تلك المنظمات تتولى القيام بأنشطة مباشرة على هذا الصعيد. من المعروف أن «مايكل هانس روهانا» الذي قام بحرق الأقصى عام ١٩٦٩، هومن أتباع الصهيونية المسيحية وليس يهودياً، وأتباع هذه الحركة كانوا متورطين بشكل مباشر في سجل الاعتداءات التي تعرض لها الحرم القدسي منذ عام ١٩٦٧ حتى الآن، ففي عام ١٩٨٣، حاول «دان بيري» وهو فرنسي.

من أتباع الصهيونية المسيحية نسف المسجد الأقصى، وبعد اعتقاله قال: «إن القوات الإسرائيلية أخطأت حين لم تهدم المساجد على جبل الهيكل سنة سبع وستين وتقوم بتسليم حجارتها إلى العرب..

وفي الحالتين أخفت السلطات الإسرائيلية الصلة بين هذين الشخصيات ومنظمات محددة يتبعون لها، واكتفت باتهامهم بأنهم «مختلون».

مع اقتراب حلول العام ٢٠٠٠ للميلاد، وهو كان موعد حدده روبرتسون وفولويل وغيرهما لهدم المسجد، وتحدثوا عن دلائل ونبوءات على حدوث ذلك، حذر الباحث الصهيوني في معهد القدس للأبحاث «أمنون رامون» من قيام جماعات مسيحية متطرفة بهدم مسجدي الحرم في الذكرى الألفية لميلاد المسيح. وقال رامون: «إن هؤلاء أناس يؤمنون أن شروط المسيح، هي إقامة مملكة يهودا وبناء الهيكل، لذا فهم على استعداد لمساعدة الشعب اليهودي على هدم المساجد في الحرم القدسي.

وقد نقل رامون في حينه عن أستاذ الفيزياء «أشير كوفمان» أنه «أعد مخططاً متكاملاً لبناء الهيكل، دون المس بالمساجد، وعندما سئل عن كيفية تحقيق ذلك، قال: «إن المشروع قابل للتنفيذ لأن هذه إرادة الله». في حين تحدث دوغلاس كرايجر زعيم مؤسسة الهيكل الأميركية عن أن عودة اليهود إلى جبل الهيكل هي جزء من مخطط إلهي لن يستطيع المسلمون مقاومته أبدا.

تؤشر هذه الوقائع إلى انخراط فعلي لمنظمات الصهيونية المسيحية في الإعداد المباشر لبناء الهيكل، وعدم الاكتفاء بالتحريض من أجل ذلك. وكان الشيخ سعد الدين العلمي مفتي القدس قد كشف عام ٨٣ عن جمعيات مسيحية أميركية تساند منظمات يهودية للتخطيط لنسف الأقصى، وثمة دلائل على التنسيق القائم بين المنظمات الناشطة في إسرائيل، وتلك الناشطة في الولايات المتحدة.

لأسباب متعددة أهمها التقييم الذي تقوم به السلطات الصهيونية على المنظمات اليهودية وغير اليهودية، التي تنفذ الاعتداءات على الحرم القدسي، فإنه من الصعب تعيين حجم الدور المباشر الذي يقوم به أتباع الصهيونية المسيحية في الاعتداءات على الحرم. فغالبا لا يتم الحديث إلا عن الحالات الفاقعة، وعامة لا يتم الكشف عن منفذي الاعتداءات، ولكن من المعروف أن مؤسسة أميركية تتبع الصهيونية المسيحية، قدمت طلباً لمحكمة الاستئناف الشرعية الإسلامية من أجل الموافقة على

بناء الهيكل في منطقة الحرم بكلفة مائة مليون دولار، وذلك بعد أسابيع قليلة على حرب حزيران عام ١٩٦٧. وفي الوقت نفسه تقدم مواطن أمريكي يدعى «غرايدي تيدي» بعرض للمجلس البلدي في القدس لجمع مائة مليون دولار بناء الهيكل إلى جانب مسجد قبة الصخرة.

في عام ١٩٨٣، أعلن في إسرائيل والولايات المتحدة، عن تشكيل حركة تطلق على نفسها اسم «كيرن هارهبيت» ومهتمها إعادة بناء الهيكل في موقع المسجد الأقصى المبارك.

وتعمل هذه المنظمة إلى جانب منظمات أخرى مثل«المخلصون للهيكل»، «حركة مخلصي الهيكل» التي أعدت تصاميم كاملة للبناء المفترض. وأعلنت منظمة تطلق على نفسها اسم «مؤسسة الهيكل» عام ١٩٩٦ أنها «جمعت ما يكفي من الأموال من متبرعين أميركيين وكنديين كي تشرع في بناء الهيكل.

أما مؤسسة «جبل المعبد»، فلها امتداداتها داخل إسرائيل، وتركز على إنشاء الهيكل في القدس، ولها شبكة هائلة من المتعاونين معها من رجال أعمال وقساوسة، ولها فروعها في عدد من المدن الأميركية، كما أن لها تفرعاتها على شكل لجان كنسية، وتعمل في مدينة القدس، وتوفر الدعم المالي لغلاة اليهود العاملين على هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه، كما توفر دعماً قانونياً لأولئك اليهود الذين اقتحموا المسجد الأقصى واعتدوا عليه وتجميع الأموال المعفاة من الضرائب وتبعث بها إلى إسرائيل، كما تقوم بشراء أراض في الضفة الغربية المحتلة لمصلحة الإسرائيليين وبخاصة في القدس الشرقية وضواحيها، كما تقود هذه المؤسسة عمليات تدريب الكهنة اليهود وإعدادهم لخدمة الهيكل.

ومن المنظمات الأخرى: «منظمة مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل» (تأسست عام ١٩٧٥) و«الصندوق المسيحي الأميركي لأجل إسرائيل» و«الرابطة المسيحية لدعم إسرائيل» و«وسطاء لأجل إسرائيل» وتعمل على شراء الأراضي في القدس، ودعم المنظمات اليهودية العاملة لهدم الأقصى وبناء الهيكل.

عام ١٩٨٤، وقع اعتداء على الأقصى، قام به يهود، وتروي غريس هالسل في «النبوءة السياسية» أن إطلاق سراح هؤلاء بعد اعتقالهم تكلف أموالاً طائلة، وأن «هاجانا دانس» (صاحب معامل المثلجات) و«روني ماثيوس»(محرر الصحافة اليهودية) و«ماركوس كاتس» (تاجر سلاح) حولوا مئات آلاف من الدولارات إلى أعضاء التنظيم اليهودي الذين زرعوا المتفجرات في الأقصى.

كما تذكر أن «نتيري هوفر» (من أقطاب صناعة النفط) وجايمس ديلوخ (راعي الكنيسة المعمدانية في هيوتسن، ومن مؤسسي مؤسسة معبد القدس) أرسلا مع آخرين ٥٠ ألف دولار إلى مائير كهانا زعيم «عصبة الدفاع اليهودي» التي نفذت عدة اعتداءات على الحرم القدسي.

وتنشط في القدس منذ عام ١٩٨٢، ما تسمى «السفارة المسيحية الدولية» وقد جرى تأسيس هذه المنظمة في القدس في مؤتمر حضره ألف رجل ديني مسيحي من ٢٣ دولة، وتملك هذه المنظمة عشرين فرعاً في الولايات المتحدة. ومن بين أنشطتها فقد أعدت السفارة شريطاً تباع النسخة منه بخمسة دولارات يتضمن رسالة مسجلة حول خطط إعادة بناء الهيكل في مكان الحرم الشريف.

ومن المهم التذكير أن عمليات الاستيلاء على الأراضي والعقارات في القدس، تحظى بتمويل منظمات الصهيونية المسيحية بشكل أساسي. إذ أنها تشكل خطراً جدياً فعلياً، وتتسم بمغالاة شديدة، تدفع كثيرين إلى اعتبارها أشد خطرا من الصهيونية اليهودية ذاتها.

وثمة دلائل على الذهاب ففي هذا الافتراض عام ١٩٨٥، عقد المؤتمر الصهيوني المسيحي الأول في بال سويسرا (لاحظ اختيار المكان). وفي هذا المؤتمر دعا المتحدث باسم السفارة المسيحية الدولية، إسرائيل لإعلان ضم الضفة الغربية وغزة، فاقترح احد المشاركين الإسرائيليين تخفيف هذا الاقتراح الذي لا يلقى قبولاً لدى الإسرائيليين، فرد المتحدث باسم السفارة: «لا يهمنا تصويت الإسرائيليين، ما يهمنا

هوما يقوله الله» والله أعطى هذه الأرض لليهود «وفي ذلك المؤتمر تم تبني المطالبة بالضم. وسوف نكون مضطرين إلى السير طويلا، إذا أردنا تعداد المجالات التي تنشط فيها منظمات الصهيونية المسيحية، وحصرها. وربما يفي ما تقدم بالغرض.

النصاب الأمريكي آدمز ينتظر المسيح !!

وهناك قصة تستحق أن تروى هنا . وتدور أحداثها الواقعية في عام ١٨٦٦، حيث ظهر نصاب أميركي اسمه آدمز، أخذ يدعو رفاقه وعائلاتهم إلى السفر معه إلى القدس والاستيطان هناك في انتظار عودة المسيح، ونجح في حشد نحو١٥٠ من أبناء جلدته خلفه، وجمع منهم أموالا لهذه الغاية، وطلب آدمز من الباب العالي العثماني السماح له ولجماعته بالاستيطان في القدس، ولكنه لم ينتظر تلك الموافقة، فوصل ميناء يافا مع جماعته في أيلول (سبتمبر) ١٨٦٦، ولكن سكان المدينة المسلمين توجسوا من هؤلاء القادمين مع خيامهم ومن أشكالهم وأسمالهم، فأجبروهم على السكن في خيامهم حتى يتبينون حقيقتهم ويحددون مصيرهم.

وفجأة اختفى آدمز، مع الأموال، تاركا جماعته يعيشون في ظروف صعبة، حتى اضطرت للمغادرة من حيث أتت في شهر حزيران (يونيو) ١٨٦٧ بمساعدة القنصل الأميركي.

وإذا كانت محاولة آدمز لم تنجح في الاستيطان بالقدس لأسباب دينية، فإنها فتحت المجال واسعا لجماعات وأفراد آخرين ما زالوا يتوافدون إلى المدينة المقدسة ومعظمهم أميريكيون لديهم تفسيرات غريبة للكتاب المقدس، ترفضها الكنائس المحلية ويطلق عليهم (مجانين القدس).

وفي عام ١٨٨١ وصل إلى القدس اميركي من شيكاغواسمه (هوارتيوسبافرود) فقد أملاكه هناك ثم فقد أبنائه الأربعة في سفينة توجهت مع أمهم إلى أوروبا، في

حين نجت الام أكثر من مرة من الغرق، وفي مكان سكنه الجديد الأوروبي فقد ابنا له، فقرر أن يأتي إلى القدس على خطى المسيح.

وكان هذا أساس الجالية الاميركية التي عاشت حياة شبه اشتراكية في القدس بسبب فقرها ولتعاليم دينية تؤمن بها، ثم تطورت أحوالها ويملك بعض أفرادها الآن فندق الأميركان كولني التاريخي.

ولم تتوقف القدس عن استقبال أشخاص وجماعات، موسوسين بالقدس وقصص الكتاب المقدس، أشكالهم غريبة، يسكنون الفنادق المتواضعة، ويقدمون في أحيان كثيرة على طقوس غريبة، ويتفاوت ذلك بين جماعة وأخرى أو فرد وآخر.

ويرتبط هؤلاء، بما يمكن تسميته تجاوزا (التقليعات) الإنجيلية والتفسيرات الغريبة للكتاب المقدس التي يتبناها جماعات لا حصر لها خصوصا في الجنوب الأميركي، وكانت مناسبة عام ألفين ملائمة لسطوع أخبار هذه الجماعات، وبعضها وصل إلى فلسطين عشية عيد الميلاد لعام ٢٠٠٠م، لأسباب شتى اقتناعا منهم باقتراب نهاية العالم، وكان بعض هؤلاء يستعد لعمليات انتحار جماعي، واستأجروا مساكن لهذه الغاية على جبل الزيتون، حيث صعد المسيح إلى السماء، ولكن السلطات الإسرائيلية لاحقتهم وطردت العشرات منهم من القدس، في حين أن السلطة الفلسطينية التي تبسط نفوذها على الأماكن المقدسة في بيت لحم وأهمها كنيسة المهد التي تشهد سنويا الاحتفالات المركزية بعيد الميلاد، جندت كل طاقتها لعدم السماح لهؤلاء للتسرب إلى تلك الاحتفالات وارتكاب "حماقات" لا يمكن التكهن بها.

وما زال يتوافد على القدس الكثير من مرضى (الكتاب المقدس)، في حين أنه يعيش فيها وفي ضواحيها آخرون، حياة تقشف وعوز، ومن بين هؤلاء ريتشارد وهو، مثل غالبيتهم من الولايات المتحدة الأميركية ويحمل شهادة عليا، وصل فلسطين عام ١٩٩٥م، لتحذير اليهود من نهاية العالم، كما قال في حديث لإيلاف.

ولدى ريتشادر قناعة بأن نهاية هذا العالم ستكون على أيدي صدام حسين الذي سيصبح زعيما لأسباط يأتون من ١٣ دولة ويحرقون الأخضر واليابس.

وتوصل ريتشارد إلى استنتاجه هذا بعد وفاة زوجته، وتفكره في الكتاب المقدس، فأوحي إليه من السماء، كما يقول، بتفسير معين، فترك منزله الهادئ في المسيسبي وحضر إلى فلسطين، تاركا ابنه هناك، مبشرا بدعوته، واستقبله اليهود في القدس باحتقار وسرقه بعضهم واستولوا على حاجياته فحضر إلى بيت لحم، وأعطته الشرطة الفلسطينية تصريحا ليقف في ساحة المهد ليتمكن من عرض ما توصل إليه مكتوبا على لوحات كرتونية.

واتخذ ريتشارد له مكانا في ساحة المهد، حاملا لوحاته الكرتونية التي تحمل اسم صدام حسين، وتبشر بنهاية العالم على يديه ثم يأتي المسيح المنتظر ويقيم العدالة على الأرض وأمور أخرى شبيهة مثل هذه.

قدم له فلسطينيون محليون من المسلمين والمسيحيين المأوى والمأكل والمشرب، بعد أن رأوا حالته المادية الصعبة، وعمل في بعض المطاعم لكسب نقود تعينه على نشر فكرته ودعوته، وعلى أمل أن توافق قناة (السي.ان.ان) على إجراء مقابلة معه ليتحدث فيها عن أفكاره وبعد أربعة أعوام من مكوثه غادر إلى أميركا ليرى والدته التي كانت تصارع الموت، وبعد موتها عاد ليستقر في بيت لحم، عائشا على ما يقدم له من السكان المحليين الطيبين حتى يحدث السيناريو الذي تصوره لتفسيره للكتاب المقدس.

وعلى نفس الأرضية الأيديولوجية: التفسيرات المختلفة للكتاب المقدس وخاصة العهد القديم (التوراة) تقف مجموعات مسيحية أخرى يمكن أن توصف بأنها خطرة سياسيا لأنها مجموعات مسيحية صهيونية تؤمن بأن فلسطين هي أرض الميعاد التي يجب أن يتجمع فيها الشعب اليهودي من كل أنحاء العالم.

وتنتشر هذه المجموعات بكثرة في الغرب وخاصة في أميركا، وافتتحت هذه المجموعات سفارة لها في القدس أسمتها (السفارة المسيحية) عام ١٩٨٧، لدعم إسرائيل بما فيها إنشاء مستوطنات وأشكال دعم أخرى.

وخلال انتفاضة الأقصى نظمت السفارة المسيحية بالقدس مؤتمرها السنوي في تشرين أول أكتوبر عام ٢٠٠٠، بحشد من المشاركين غير مسبوق زاد عن ألف مشارك وذلك لتأكيد دعم المسيحية الصهيونية التي تمثلها السفارة، لإسرائيل خصوصا في ظروف انتفاضة الأقصى، التي رأت فيها السفارة لزاما عليها تأكيد موقفها الداعم لإسرائيل.

وألقيت، في المؤتمر كلمات تدعو دول العالم للوقوف مع إسرائيل ضد الفلسطينيين العرب، ونظمت جولات للمشاركين على مناطق متفرقة من إسرائيل وعلى عائلات القتلى من الجنود الإسرائيليين في انتفاضة الأقصى.

وكان من اللافت للانتباه مشاركة عرب في هذا المؤتمر الصهيوني أغلبهم يعيشون في أميركا ودول أوروبية ولكن منهم من يقطن في دول عربية مثل الأردن وآخرون من أصل عراقي.

وتعبر هذه السفارة عن اتجاهات مسيحية أصولية في الغرب وخصوصا في أميركا وتنطلق من تفسيرات معينة للكتاب المقدس وترى أن دولة إسرائيل هي تحقيق لما ورد في أسفار العهد القديم وتتمة لأقوال الأنبياء.

وكانت الكنائس المسيحية الصهيونية دشنت الإعلان عن نفسها في مؤتمرها الدولي الأول الذي عقد في بازل في سويسرا في نفس القاعة التي شهدت المؤتمر الأول للحركة الصهيونية بزعامة ثيودر هرتزل وذلك ما بين السابع والعشرين والتاسع والعشرين من آب (أغسطس) عام ١٩٨٥.

وصدر عن المؤتمر قرارات سياسية داعمة لإسرائيل وحث الدول في العالم بالاعتراف بمنطقتي (يهودا والسامرة) كجزء من إسرائيل وأشار المؤتمر إلى أنه

يطلق على هاتين المنطقتين خطأ مصطلح (الضفة الغربية) ودعت جميع الدول إلى نقل سفاراتها إلى إسرائيل وعن الكف عن تسليح أعداء إسرائيل وأقر المؤتمر إنشاء صندوق استثمار مسيحي دولي بهدف استثمار مئة مليون دولار لتطوير إسرائيل.

وعقد المؤتمر الثاني للمسيحية الصهيونية في القدس في الفترة ما بين ١٠-١٥ نيسان (أبريل) ١٩٨٨م وأصدر عدة قرارات كان من آخرها السعي للاستيطان وتنشيط النموالسكاني اليهودي وتشجيع "عودة" اليهود لإسرائيل ووجدت هذه القرارات طريقها للتنفيذ.

كنائس الشرق الأوسط ترفض !!

ولقيت هذه الجماعات المسيحية الغربية نقدا شديدا من الهيئات المسيحية المحلية ومجلس كنائس الشرق الأوسط، وأعربت الكنائس المسيحية المحلية أن الصهيونية المسيحية بدعة جديدة معادية ليس فقط للمسلمين بل أيضا للمسيحيين العرب.

وكانت الكنائس المحلية تؤكد في أكثر من مناسبة "أن الهيئة التي تدعو نفسها السفارة المسيحية لا تمثل كنائسنا، ولسنا بحاجة إلى أناس يأتوننا من الخارج ليتحدثوا باسمنا، كما نرفض أي تفسير سياسي للكتاب المقدس".

واعتبر مثقفون مسيحيون محليون، أن المسيحيين الصهاينة ينطلقون من تفسيرات متحيزة ومملوءة بالمغالطات اللاهوتية المرفوضة رفضا قاطعا من قبل الكثيرين من اللاهوتيين المسيحيين الغربيين ومن قبل المسيحيين الشرقيين الذين يراقبون بقلق بالغ تدخلهم الخطير في حياة سكان المنطقة.

وحذروا مما أسموه "الطرق الخبيثة المستعملة من قبل وسائل الإعلام الإسرائيلية وغيرها التي تركز كثيرا على دور المسيحيين الصهاينة ودعمهم لمشاريع الاستيطان اليهودية وذلك ليس بالضرورة حبا بهم ولكن بالتأكيد رغبة في زرع الطائفية وخلق

العنصرية بين أبناء الشعب الفلسطيني الواحد من خلال إبراز هذا الدور المسيحي الهزيل لمثل هذه الجماعات المأجورة".

ويقيم أقطاب بارزون من السفارة المسيحية في المستوطنات في الضفة الغربية وسجلت خلال السنوات الماضية محاولات لاختراق المجتمع الفلسطيني عن طريق نشر تعاليمهم الدينية ونشرها واستخدم هؤلاء أساليب ترغيبية مثل التدخل لإيجاد فرص عمل في إسرائيل لمن يؤيدهم أوالمساعدة لإعطاء تصاريح للتنقل بين الأراضي الفلسطينية وإسرائيل أوحتى للهجرة للخارج.

وفي أحيان كثيرة تختلط المرجعيات التي تستند إليها المجموعات المسيحية الصهيونية مع الموسوسين أومرضى الكتاب المقدس.

وعندما صدّق الرئيس الأميركي جورج بوش الابن على قرار الكونجرس بزعم أن مدينة القدس عاصمة رسمية لدولة "إسرائيل" بات واضحاً أن هناك العديد من العوامل الفكرية والثقافية المختلفة التي دفعت أعضاء الكونجرس والرئيس بوش للقيام بتلك الخطوة ومساندة الصهاينة ودعمهم في محاولاتهم المختلفة الهادفة إلى تهويد القدس وطمس معالمها. وأصبحت هذه العوامل تمثّل خطراً داهماً على القدس وعروبتها. وهوما ظهر خلال الاستفتاء العام الذي أجرته صحيفة "شيكاغوبوست" الأميركية عقب تصديق بوش على ذلك القرار. وأوضح أن ٦٣ في المئة من الأميركيين يدعمون بصورة مطلقة أن تكون القدس عاصمة أبدية لـ(إسرائيل)، معتبرين أن كل من يزعم أويدعي بعروبة القدس هوإنسان يخالف التاريخ والواقع.والواضح أن الكيان الصهيوني والعديد من الجمعيات الصهيونية المتشدّدة المؤيدة لها تقوم بمحاولات مضنية من أجل إقناع العالم بأن القدس يهودية وأن العرب لا يمتلكون أي حق فيها. وتحاول تلك الجمعيات التي تتلقى دعماً مادياً وسياسياً من الكيان ترسيخ ذلك في كافة الكتب والمراجع العلمية والثقافية، وتبث ذلك على صفحات الإنترنت. وشهدت الأخيرة نشاطاً ملحوظاً لتلك الجماعات التي

سعت إلى إقناع أي فرد يتصفح شبكة الإنترنت بصحة نظريتها والزعم بأن القدس عاصمة لدولة "إسرائيل" وأن اليهود هم أصحاب الحق الأول والأخير فيها، والغريب أن أهم وأشهر المواقع العالمية التي يشاهدها الآلاف يومياً تزعم ذلك بل وتعرض وثائق وكتباً وأبحاثاً علمية تهدف إلى إثبات صحة نظريتها المنحازة للكيان والمتحاملة على العرب. الكاتب شلوموفاكنين المحرر في مجلة هاويب التكنولوجية الصهيونية أصدر دراسة بعنوان (القدس.. التهويد.. الصهيونية.. الويب حلقات متصلة).. كشف خلالها عن المحاولات الصهيونية الهادفة إلى تهويد القدس وتغيير أسماء شوارعها ومعالمها الأثرية عبر شبكة الإنترنت. وهي المحاولات التي ينظر إليها مستخدمو الكمبيوتر من اليهود والمتعاطفون معهم وكأنها مهمة مقدسة يجب القيام بها. وتقع الدراسة في ١٥٠ صفحة وتنقسم إلى عددٍ من الفصول التي تتناول تلك المحاولات باستفاضة وترصدها، مشيرة إلى أهميتها لـ (إسرائيل) وجميع الدول المؤيدة لها. تهويد :يشير فاكنين في بداية الدراسة إلى مدى أهمية الإنترنت والكمبيوتر بصورة عامة في إقناع أكبر قدر ممكن من المواطنين في العالم بصحة وجهة النظر التي تريد أي جهة إثبات صحتها، وهوما جعل "إسرائيل" تعتمد على التكنولوجيا في الترويج لجميع النظريات المتعلقة بها، لا سيما مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في سبتمبر عام ٢٠٠٠ حتى الآن، وهوالصراع الذي امتدّ ليشمل العديد من المجالات والساحات أبرزها الإنترنت. ولقد دفع ذلك الكيان الصهيوني إلى تجنيد أكبر قدر ممكن من اليهود وأتباع الجماعات المؤيدة لهم في العالم من أجل مهاجمة العرب وتكذيب جميع النظريات التي يردّدونها، خاصة مع نجاحهم في إنشاء الكثير من المواقع عبر الويب، وقدرتهم على إحراج الكيان الصهيوني والرد على مزاعمه تجاه فلسطين والمتعلقة بأحقية اليهود في السيطرة على كل مدنها بل والمطالبة بطرد العرب منها. وقامت بإنشاء العديد من الهيئات المختلفة المعنية فقط بالردّ على النظريات والحقائق التاريخية العربية ومن أبرزها الهيئة اليهودية المخلصة التي يترأسها البروفيسور عاموس إسحاق أحد أبرز المهندسين ومعدّي البرامج

التكنولوجية في الكيان الصهيوني الذي يقوم بالاتصال باليهود والمتعاطفين معهم عبر العالم من أجل مهاجمة المواقع العربية عبر الويب وإنشاء مواقع صهيونية عبر الويب تؤيّد أحقية اليهود في السيطرة على مدينة القدس والزعم بأنها العاصمة التاريخية والأبدية لدولة (إسرائيل) ا.وتضمّ تلك الهيئة عدداً كبيراً من الخبراء وأساتذة التاريخ اليهودي الذين يعملون بصورة مستمرة من أجل ذلك الغرض ويعكفون على وضع الدراسات التاريخية المختلفة المؤيدة لذلك عبر الويب. وأبرزها دراسة القدس في جذورنا التي وضعها البروفيسور موشي برلمان. وأوضح فيها أهمية القدس في الفكر اليهودي القديم، حيث خرج منها كبار عظماء الفكر الذين أثّروا في العالم من ملوك وأنبياء جعلوا القدس أوحسب الوصف اليهودي "أورشليم" مركزاً لهم، إذ خرجت آراؤهم ونظرياتهم المختلفة إلى العالم كلّه لتصلح مساره وتغيره إلى الأفضل. ويزعم برلمان أن الشريعة والقانون الدولي الذي يحكم العالم مرتكزتان على التوراة والكتب الدينية اليهودية التي خرجت من القدس. وكذلك مفهوم الخير والشر والعدالة وغيرها من المبادئ الطيبة التي انتشرت في العالم كله، الوضع الذي اعتبره دليلاً واضحاً على يهودية القدس وحق "إسرائيل" في السيطرة عليها، ورأي برلمان مردود عليه بسهولة لأن القدس لم تكن على الإطلاق مهبط وحي أومصدر شريعة لليهود.فالتوراة أنزلت على سيدنا موسى في سيناء والتلمود وضع في جزأين : الأول في بابل وهوالأكبر ومعروف باسم التلمود البابلي، والثاني : في القدس ومعروف باسم التلمود الأورشليمي. ويتكوّن من بقايا النصوص التي سقطت من اليهود في بابل، مما جعل التلمود البابلي يسيطر على الفقه والفكر اليهودي منذ وضعه حتى الآن، بالإضافة إلى أن دعوات ملوك وأنبياء "إسرائيل" في القدس لم يكن لها أي تأثير، حيث حفلت بدعوات عنصرية وسعوا للارتقاء والسموبكل من هويهودي ولعن وتكفير كل من ليس يهودياً. بجانب محاولات اليهود طمس الهوية التاريخية للقدس حاول إسحاق ومن معه من علماء في الهيئة اليهودية المخلّصة تهويد القدس جغرافياً واستبدال الأسماء العربية الصحيحة لها بأخرى يهودية زائفة، وهوما قام به

البروفيسور إيلي بن مناحم أستاذ علم الحفريات في جامعة بن جوريون الذي وضع دراسة نشرتها صحيفة الـ "واشنطن بوست" عبر موقعها عبر الويب، وتم نشرها في الموقع الإلكتروني فقط وليس مع الجريدة الرسمية، وزعم سمحون أن العرب غيّروا الأسماء الأصلية للتضاريس اليهودية الخاصة بالقدس وشوارعها، وعلى رأسها وادي سلوان الذي يصل بين شمال المدينة حتى جنوبها. وأشار إلى أن الاسم الصحيح له هو وادي هنوم نسبة إلى قبيلة بني هنوم التي كانت تسكن في ذلك الموقع وورد اسمها في عدد من أسفار العهد القديم مثل أسفار الملوك الثاني وارميا ويشوع، علاوة على جبل الزيتون الذي يواجه أسوار المسجد الأقصى من جهة الشرق، وكان اليهود قديماً يجمعون زيتون هذا الجبل من أجل استخلاص الزيت منه والتبرك به وغسل الهيكل بصورة دورية من أجل الابتعاد عن أي ضرر أو شوائب تعلق به. وأوضح بن مناحم أن الاسم الحقيقي للجبل هو جبل المسح الذي ذكر في التوراة وكافة الكتب الدينية اليهودية الأخرى المختلفة، وكذلك زعم أن الاسم الحقيقي لجبل بيت المقدس الذي يوجد به المسجد الأقصى هو جبل موريا الذي ذكر اسمه في سفر التكوين بالتوراة. ويعتقد اليهود أن الله أوصى سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه على هذا الجبل، وهوما أضفى عليه قدسية دينية كبرى. وبجانب كل ذلك قام بن مناحم بمحاولة تغيير أسماء الشوارع والمدن والطرقات وحتى بوابات القدس، مثل بوابات العتيق والسمل الواقعة في شمال المدينة، وزعم أن الأسماء الحقيقية لها هي "إفرايم" و"حنئيل" وذلك كما ذكرت التوراة سفر نحميا.والمستفز أن بن مناحم نجح عقب نشره لتلك الدراسة على موقع الـ "واشنطن بوست" عبر الويب في توزيعها عبر البريد الإلكتروني على العديد من الجامعات والمعاهد العلمية المختلفة المتخصصة في دراسة التاريخ والمنتشرة في العالم، مثل جامعة السوربون في فرنسا، وصوفيا في بلغاريا، وهلسنكي في فنلندا. وساعد بن مناحم في ذلك اليهود في هذه الجامعات والمعاهد الذين ساهموا في نشر الدراسة وتوزيعها على أكبر عدد من الأساتذة والخبراء والطلبة بها. وأوضح بن مناحم أن ما يقوم به من مجهودات من أجل إثبات

يهودية القدس سيؤدّي إلى ترسيخ حقيقة يهوديّتها في أذهان الكثيرين، خاصة الشباب والطلبة من صغار السن، الأمر الذي ينعكس إيجابياً في النهاية على الكيان الصهيوني ويحقق هدفه في مزاعمه بشأن يهودية القدس وأحقيته المزعومة في أن تكون العاصمة الأبدية له. المسيحيون.. الصهاينة :أشارت الدراسة إلى أن الكيان الصهيوني لم يعتمد فقط على اليهود في العالم من أجل دعم محاولاته لتهويد القدس عبر الإنترنت، لكنه اعتمد أيضاً على كثير من الجماعات المؤيدة له والمتعاطفة معه في قضيته مثل الجماعات المسيحية - الصهيونية التي تقوم بدعم "إسرائيل" في سياستها الهادفة لتهويد القدس، لاعتقادها بأن ذلك سيؤدّي لبعث السيد المسيح من جديد وتدميره للعالم إلا اليهود، حيث سيرتقي ويصعد بهم إلى الجنة في السماء. ويبلغ عدد أتباع هذه الجماعات قرابة ٧٠ مليون فرد يتمركز أغلبهم في الولايات المتحدة، وتقوم بالتنسيق مع أعضاء الهيئة اليهودية المخلصة وغيرها من الهيئات الأخرى المختلفة من أجل ذلك، حتى أنها قامت بإنشاء مواقع متطورة على الإنترنت، خاصة بها من أجل ذلك، أبرزها الموقع الرسمي لها الخاص بالسفارة المسيحية الصهيونية التي أنشأتها هذه الجماعات في القدس من أجل دعم "إسرائيل". ويقوم بالتحاور مع أكبر عدد ممكن من اليهود والمسيحيين وحتى المسلمين في العالم، ويرسل إليهم الدراسات والأبحاث التي يتم القيام بها عبر البريد الإلكتروني من أجل محاولة إثبات يهودية القدس وصحة المزاعم المختلفة التي تسوقها "إسرائيل" في ذلك الصدد، حتى إن عدد الزائرين للموقع بلغ عام ٢٠٠١ فقط قرابة ٢٥٠ ألف زائر. وهورقم كبير للغاية لووضع في الاعتبار حداثة إنشاء الموقع الذي بدأ عمله في يناير عام ٢٠٠٠.ولقد نجح الموقع في جمع قرابة ٢ مليون ونصف المليون دولار من تبرعات من اليهود والمسيحيين في العالم من أجل المساهمة في تهويد القدس، ومحاربة أي نشاط أوأي محاولة تهدف إلى إثبات أحقية العرب والمسلمين فيها، ولم تتوقف مجهودات تلك الجماعات عند هذا الحد، ولكنها وصلت إلى حد إنشاء المواقع المختلفة لها عبر الويب في دول العالم من أجل ذلك، ومن أبرز هذه المواقع الذي

ينطلق من النرويج "IKAJ.NO" وموقع WWW.AMBASSADEN.NU الذي ينطلق من السويد، وموقع آخر ينطلق من التشيك، وتقوم جميع هذه المواقع بجمع التبرعات والأموال اللازمة والدعم من أجل مساعدة الكيان الصهيوني في تهويد القدس، وتقوم بنشر مادتها بلغة الدول التي تنطلق منها.وأوضحت الدراسة أن كل موقع من هذه المواقع السابق ذكرها يرتكز على هدف معين يسعى إلى تحقيقه بجانب الهدف الأساسي الذي أنشئ من أجله وهوجمع التبرعات ومساعدة الكيان الصهيوني.. فالموقع الأول يهدف إلى إقناع مشاهديه بعدم وجود أي حقوق للعرب في القدس، والزعم بأن اليهود هم الذين سيطروا على المدينة قديماً. وأن كلّ من سيطر عليها قبلهم كان من الغزاة أوالمحتلين، مما يفرض ضرورة مساندة الصهاينة في السيطرة بصورة كاملة على القدس والاعتراف بها كعاصمة لهم. أما الموقع الثاني فيهتمّ بعرض تاريخ الملوك والزعماء اليهود الذين حكموا القدس والإنجازات التي قاموا بها في حياتهم ويقدّم شرحاً مفصلاً لتاريخ كل ملك أوزعيم منهم. ويهتم الموقع الثالث بحث اليهود، سواء في التشيك أوفي جميع أنحاء أوروبا، على الهجرة إلى الكيان الصهيوني، ويقوم بعرض الكثير من الإغراءات أمامهم من أجل القيام بذلك مثل صرف المبالغ النقدية الكبيرة لهم وتوفير كل ما يحتاجونه من متطلبات في "إسرائيل"، سواء منزل جيد أوسيارة أووظيفة مناسبة.وكشفت الدراسة أن ذلك الموقع ساهم في تهجير أكثر من ٥٠ ألف يهودي من أوروبا إلى الكيان منذ شهر مارس ٢٠٠١ وحتى مارس من العام الحالي بعدما أقنعهم بفوائد الهجرة إلى هناك والتمركز بصورة أساسية في مدينة القدس ومواجهة الوجود العربي المتزايد بها، خاصة في شرقي المدينة.. وبجانب تلك المواقع يوجد موقع "مودلا" الذي ينطلق من فرنسا وعنوانه WWW.MODLA.ORG ويقوم بوضع الدراسات والنظريات المختلفة من أجل إثبات أحقية اليهود في القدس والزعم بأنهم كانوا المسيطرين عليها منذ نشأتها، وكذلك موقع "هاريزا" وعنوانه WWW.HARISSA.COM ويقوم بنشر الآراء المتطرفة السابقة بالإضافة إلى حثّه اليهود الموجودين في فرنسا

بصورة خاصة وجنوب ووسط أوروبا بشكلٍ عام على الهجرة إلى الكيان ومواجهة أي وجود عربي فيه.ويقوم البروفيسور عاموس إسحاق بالاجتماع دورياً مع القائمين على تلك المواقع ومصمّميها من أجل توفير كلّ أشكال الدعم الذي تحتاجه لتطوير عملها والنهوض به ونشر الدعاية التي تبثّها إلى أكبر قدر من متصفحي شبكة الويب على مستوى العالم، حتى إن رئيس الوزراء الصهيوني الأسبق إرئيل شارون قام بنفسه في إحدى المرات ومعه وزير الاتصالات رؤبين ريبلين بالاجتماع مع هؤلاء المصمّمين وامتدحوا عملهم وقاموا بتكريمهم في احتفال كبير نظّم في بمقر ديوان رئيس الوزراء الصهيوني. وأشار شارون آنذاك إلى أهمية ما تقوم به الجماعات الصهيونية – المسيحية، وكل من يدعم سيطرة "إسرائيل" الكاملة على القدس من مجهودات عبر شبكة الإنترنت، نظراً لأن التطور العلمي والمعلوماتي المتواصل الذي يحدث في العالم الآن يتطلب ضرورة التكيّف والتوافق معه، وهوما سيكون له مردودات إيجابية كبيرة للغاية على "إسرائيل" في المستقبل.تهويد رياضي: ومن محاولات التهويد التاريخي والجغرافي والفكري للقدس إلى التهويد الرياضي، حيث أوضحت الدراسة أن عدداً كبيراً من المهندسين ومصمّمي المواقع الصهاينة نجحوا في إنشاء العديد من المواقع الرياضية عبر الويب التي تزعم أن جميع الأندية والفرق الرياضية الموجودة في القدس يهودية فقط، ولا يوجد أي وجود عربي هناك على الساحة الرياضية. وأشارت تلك المواقع إلى أن أعضاء الفرق العربية الرياضية في القدس مثل الأقصى أو الإسلام ليسوا من سكان المدينة الأصليين، وبالتالي فهم يعتبرون رسمياً من خارجها ولا ينتمون إليها.ومن أبرز هذه المواقع موقع فريق بيتار أورشليم وهو أحد أكبر الفرق اليهودية في القدس وعنوانه WWW.BEITAR-JERUSALEM.ORG.IL ويزعم هذا الموقع أن جميع الفرق العربية والإسلامية الموجودة في القدس ليست من المدينة، لكنها ظهرت فجأة وجاءت من خارجها.. وطالبت كافة الدول والمتابعين للرياضية برفض التعامل مع هذه الفرق ووصفها بأنها محتالة وتدّعى أنها تنتمي إلى مدينة لا أصل لها فيها.والمثير للاستفزاز أيضاً أن

الموقع الخاص بفريق بيتار أورشليم زعم أن أنبياء اليهود القدماء مثل حبقوق ويهوشع هم الذين أدخلوا الرياضة ونظّموا مختلف المسابقات في القدس التي شارك فيها اليهود فقط. وكان العرب يقومون برعاية هؤلاء الرياضيين ويقدّمون الطعام والملابس الخاصة لهم فقط بدون أن يشاركوا في أي نشاط يذكر ... وبجانب هذا الموقع يوجد موقع WWW.BEITARFCI.UP.CO.IL وأنشئ من أجل التواصل والحديث مع كافة المسؤولين اليهود في القدس وإثبات صحة مزاعم تهويد القدس رياضياً وعدم الاعتراف بوجود أي فريق عربي لها بل ومحاربة أي نشاط رياضي له داخل أوخارج "إسرائيل" يحاول القيام به.وأظهرت الدراسة أن المحاولات الصهيونية المختلفة الهادفة إلى تهويد القدس امتدت لتشمل مختلف جوانب المدينة من تاريخ وجغرافيا وثقافة وحتى الرياضة. الأمر الذي يمثّل ناقوس خطر كبير على العرب يتطلّب منهم ضرورة الحذر من تلك المحاولات والتصدي لها، حتى لا تنجح في إقناع القوى العالمية بذلك، وهو ما ينطوي للأسف الشديد على القرار المزعوم الذي صدّق عليه الرئيس بوش أخيراً والخاص باعتبار القدس عاصمة لـ "إسرائيل".

اللعب بورقة أقباط مصر !!

وقد حاولت المسيحية الصهيونية اللعب بورقة أقباط مصر إلا أن مصر بمسلميها ومسيحييها الذين كان لهم موقف رائع عبروا من خلاله عن وطنيتهم وحرصهم غلي وطنهم مصر. وعندما بدأت أقطاب المسيحية الصهيونية في أمريكا الدعوة لانشقاق الكنيسة القبطية في مصر، لم تجد آذاناً صاغية، بل وجدت معارضة صارمة وحاسمة ونهائية.

وقد ظلت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، على مدى ألاف السنين، أكثر تماسكاً واستقلالية في مواقفها، الأمر الذي جعل المجتمع القبطي المصري في منأى عن الانقسامات الكنيسة الدينية الحادة، التي حدثت في المجتمعات الغربية، كذلك ظلت

الكنيسة القبطية بعد خروج الاستعمار البريطاني وجلائه عن مصر. أكثر التزاماً بالدفاع عن الثوابت الوطنية المصرية، لاسيما قضية الصراع العربي الإسرائيلي، حيث كان موقف البابا شنودة، يتطابق تماماً مع موقف شيخ الأزهر، وتجدر الإشارة إلى أن البابا شنودة قد ظل من المعادين للتطبيع مع إسرائيل لفترة طويلة، حتى إن الدوائر الكنسية الغربية، لاسيما جماعات المسيحية الصهيونية في البلدان الغربية، تعمل على إقصائه من زعامة الكنيسة القبطية في مصر، وذلك من أجل تنصيب زعيم كنسي قبطي جديد في مصر، يقوم على الوجه الأفضل بعملية تحويل التوجهات والمعتقدات الكنسية القبطية في مصر، على غرار التوجهات الكنسية القبطية في أثيوبيا، والتي تقوم على أطروحة (أسطورة أسد يهوذا، وانحدار الأقباط من الأسرة السليمانية، وبالتالي فهم ذرية بلقيس ملكة سبأ، وعندما يتحقق ذلك تكون قد اكتملت حلقة الوصل التاريخي والعقائدي بين أتباع الكنيسة القبطية في مصر- مثل أقباط أثيوبيا تماماً- مع التراث اليهودي المستنسخ صهيونياً...

قبل حوالي ٢٧ عاماً، بدأ الانبا ماكسيموس مشوار خلافه مع زعامة الكنيسة القبطية المصرية، وظل طوال هذه الفترة متمركزاً في (كنيسة المقطم).. وكان يستوحي ويستلهم تعاليمه الدينية من الأب متى المسكين، والذي كان أيضاً على خلاف مع زعامة الكنيسة القبطية في مصر، ولم تكن أفكار وآراء التلميذ (ماكسيموس) وعرابه (متى المسكين) بمنأى عن أطروحات الخلاف البروتستنتي الذي قاده مارتن لوثر في ألمانيا والذي أدى في بداياته إلى نشوء الكنيسة البروتستانتية وأسقفية كانتربري.. ثم تطورت الأمور إلى تكوين جماعات شهود يهوه وجماعات المسيحية الصهيونية في الولايات المتحدة والتي تتبنى ربط فكرة القيامة والمعاد بظهور دولة إسرائيل ـــ أوربما جعلوها تتبنى ذلك- لكن على أية حال هذا ما حدث.

تقول وقائع وتطورات الأحدث في مصر أن الانبا ماكسيموس زعيم الانشقاق الحالي، قد ذهب لأمريكا وعاد أكثر علماً بـ (أمور المسيحية)، بعد فترة طويلة أمضاها كتلميذ على يد زعماء الـ (مسيحية الأمريكية)، وعاد بعد ذلك إلى مصر،

وظل كامناً ينتظر الفرصة، والتي يبدوأنها قد لاحت له، فقد تم إعطاء البابا شنودة تأشيرة دخول أمريكا من أجل تلقى العلاج في ولاية كليفلاند الأمريكية، وعندها، أعلن الانبا ماكسموس نفسه (بابا) على الكنيسة القبطية في مصر، وأعلن عن قيام مجمع كنسي تحت زعامته، وقال بأنه لا توجد أي سلطة تملك حق (شلحه) (مصطلح الشلح سائد بكثرة لدى أقباط مصر... ومعناه العزل والإقصاء الديني) من هذا المركز، ثم دعا البابا الافتراضي (ماكسيموس) المصريين إلى المزيد من الانفتاح، وأكد استعداده لـ (زيارة إسرائيل)، وقال بأنه لم يتلقَّ أي دعم أمريكي وكل ما حدث هوأنه أقام في أمريكا فترة من الزمن حيث حصل على (رتبته الكنسية) من إحدى الكنائس الأمريكية التي درس علم اللاهوت على يد (بطاركتها).

وقد أكد القس المصري اتهامه للانبا (ماكسيموس) ووصف عمله الانتقامي بأنه صناعة أمريكية وبدعم وتمويل أمريكي، وطالب أحد رجال الدين الأقباط في مصر بمعاملة الانبا (ماكسيموس) معاملة النصاب.. الذي ينتحل صفة ليست له، لأن ارتداءه لملابس البابا مثل الذي يرتدي ملابس الشرطة وهوليس شرطياً.

ويقول الأستاذ صلاح المختار تحت عنوان يقرأ : الصليبية الجديدة : مسيحية الهوى؟ أم رأسمالية الهوية ؟.. يقول : تتعالى عواءات ذئاب (الأصولية المسيحية) في الغرب، معيدة تحشيد الناس هناك خلف شعارات صليبية جديدة، يحمل راياتها (المحافظون الجدد)، ذوو القبعات اليهودية الذين يصرون على استخدامها، لإخفاء العقل البورجوازي المشغل بداينمو نووي أبدي اسمه عبادة الدولار، وفي مقدمة تلك الرايات إبادة أو استعباد من يملك الدولار، أو النبع الذي يتدفق منه الدولار لأجل الاستحواذ عليه ! هل نحن بأزاء تصادم حضارات مفتعل واصطناعي فبركته نخب تختبئ تحت قبعات دينية، لكنها، في الواقع، لا تعرف دينا حقيقيا، ولا تعترف بإله سوى صنم اسمه الدولار ؟ هذا السؤال جوابه نعم، كما سنرى، نحن بإزاء فبركة صراع حضارات لمنح الحملات الصليبية الجديدة زخما شعبيا غربيا يحرك في الجماهير مطمع غزوالعالم كله، بجعلها تعتقد مخدوعة أن مسيحها يسرق ويحرق من قبل (برابرة الصحراء).

وبقوة وتأثير التحدي المميت الذي فرضته الصليبية الجديدة علينا استيقظت أصولية إسلامية كرد فعل دفاعي طبيعي على هجمات مسعورة على إسلامنا ونبينا، وفقا للقاعدة الفيزياوية التي تقول (لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه). ولكن، بما أننا نعيش في مجتمع بشري، وليس ميكانيكي أو حيواني غير بشري، فإن الفعل ورد الفعل البشريان لا يخضعان لقاعدة التساوي بل تحكمهما آليات صراعات بشرية أشد وحشية وتخلفا من الصراعات الحيوانية في الغابة، كما أثبتت تجربة الغرب الواغل في الأنانية السابقة لمرحلة الحيوانية.

وهناك حقيقة بارزة ومهمة جدا يجب أخذها بنظر الاعتبار دائما وهي أننا لم نعرف تصادم الحضارات، طبقا للصورة النمطية التي طرحها هنتنغتون، حتى مطلع التسعينيات، أي عند ظهور نظرية هنتنغتون المسماة (تصادم الحضارات)، والتي تقول بأن الصراعات الجديدة بعد زوال الشيوعية تتمحور حول التناقض بين الحضارات الشرقية، وبالأخص الإسلامية، والغربية، لأن النظرية التي كنت سائدة وقتها هي نظرية فرانسيس فوكوياما، التي أطلق عليها اسم (نهاية التاريخ)، تيمنا بما اعتقده فوكوياما، ومعه أمريكته، من أن صراعات التاريخ قد انتهت بانتصار الليبرالية الأمريكية وسقوط الشيوعية، وبدأ ما أطلق عليه أمريكيون كبار تسمية (القرن الأمريكي)، واقعين أسرى فرح مفرط في سذاجته، كما وصفنا تلك النظرية عند ظهورها في مطلع التسعينيات، وأثبتت الوقائع فيما بعد صحة وصفنا

وشيئا فشيئا طبقت أمريكا خططا مرسومة لتحويل الصراعات من صراعات طبقية بين المستغِل (بكسر الغين) والمستغَل (بفتح الغين)، ومن صراعات تحررية بين الناهب والمنهوب، إلى صراعات دينية حضارية، بعد أن تبين لها أن تأريخ الصراع لم ينته بانتصار الليبرالية الأمريكية، كما تمنت امريكا وعبر عن ذلك فوكوياما، بل ثبت لها (أن العالم مازال غابة فيها وحوش وأفاع خطرة)، كما قالت شخصية امريكية في عهد بيل كلنتون. وبتطبيق خطط شيطنة وعزل واجتثاث القوى الوطنية والقومية التقدمية من جهة، وتصعيد الحملات الصليبية ضد المسلمين والإسلام من جهة ثانية، بدأت طبيعة الصراع تتغير في العالم.

لقد شهدنا منذ النصف الثاني من التسعينيات تصادم إرادات اللصوص الغربيين، وهم نخب الاستعمار، مع إرادات من قرروا أن يردوا على (تصادم الحضارات) الغربية بأن يحافظوا على الذات والهوية، من خلال العودة إلى الإسلام بصورته الصلية. فماذا حدث؟ لقد حل اللاهوت محل الناسوت، وبما أن اللاهوت طقس قدسي لا يمس، ويعرف بألفاظ فخمة عصية على التعريف والتعرف على كنهها، لذلك فهو غير قابل للتحديد الدقيق ومحصن ضد النقد والتشريح بل وحتى التلويح، فنقع في مطب العجز عن الاتفاق، ويصبح صراعنا حول الدين، من منه هوالصح ومن منه هو الخطأ، ويطير اليقين، من يدنا بعد أن كنا نمسك به بقوة حقنا في العراق وفلسطين! مقابل ذلك كنا نجد أن الناسوت جسم مادي قابل للوصف والتدقيق، فنستطيع لمسه وشمه وفحصه، غير هيابين من قدسته ولا حائرين في جنسه، فنعرف أين نقف ومتى يجب أن نفتح الأبواب أو نغلقها، دون روادع المقدس غير الخاضع للقياس! وهذا التناقض، غير الجدلي، بين اللاهوت والناسوت أسقط العالم في مستنقع العجز عن الرؤية الشفافة، بعد ان كان كل إنسان يعرف من هوعدوه الحقيقي! منذ النصف الثاني من التسعينيات حلت الشياطين والملائكة ضيوفا متحكمة على مسرح الصراع في العالم، وبدخول مخلوقات السماء حلبة الصراع فقد ابن الارض الفاني، وهوالانسان الحر دوره، وصار أسير المقدس مقابل المدنس، وأصبح عليه أن يختار بين اثنين لا ثالث لهما : إما المقدس أو المدنس، والمقدس هوالدين أما المدنس فهوالناسوت الدنيوي!

لقد تراجعت الأفكار الوطنية والقومية، لأنها الابنة الشرعية للناسوت، والتي كانت تركز على تحرير الوطن واستعادة الثروات والسيادة والاستقلال وبناء الاشتراكية القومية، وهي أهداف عملية كانت ممهورة بأرواح وإرادات عشرات الملايين من أصحاب الحقوق المنهوبة، وتجد من يتعاطف معها في الغرب وغيره ويسندها القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة رغم تضاؤل تأثيرهما. وانحسرت الصراعات الطبقية في العالم بين من نهبت ثرواته ومن نهبها، أو

بين من استغل االناس، فأفقرهم وأمرضهم وأذلهم، وبين الضحايا المنهوكين. وأخذت أجراس عالية الصوت والصدى ترن وتشق طبلات الآذان، وهي أجراس الأصوليات الدينية التي حل صراعها محل صراع الطبقات، وصراع المستعمرين مع ثوار المستعمرات، وهكذا سلطت سيوف حشاشي حسن الصباح البتارة على رؤوس البشر كلهم خوفا من زلة لسان، أو قفزة حصان، في حضرة الملائكة الذين يقاتلون الشيطان !

لقد دخل العالم كله نفقا مظلما يعج بوحوش لم يشهد تاريخ الوحشية في العالم كله مثيلا لها في القسوة، هربت من ستوديوهات (هولي وود) في لوس أنجلوس، بعد أن خلقت لأجل إنتاج أفلام رعب متطرف لا حدود لقسوته ولا نظير له في الواقع، وفي مقدمة هذه الوحوش كتائب المحافظين الجدد والليبراليين الجدد.

لقد تغير العالم، وتبدلت اتجاهات رياحه، وفقد قباطنة السفن كافة أنواع البوصلات التقليدية التي كانت تحدد مساراته رغم كل العواصف العاتية، فيعرف الضحية أنه نهب بعد أن غلف ذلك باسم التمدن ونشر الحضارة الغربية، لذلك يحشد كل طاقاته ضد الناهب المعروف الهوية. أما الآن فإن الناهب يأتي للنهب، لكنه يرطن بآيات شيطانية، ينسبها زورا للكتاب المقدس، بدل نسبتها الحقيقية لآدم سميث، ويصرخ بمس مرضي : إنه الخطر الأخضر، أي الإسلام، ياتينا بعد زوال الخطر الأحمر ! الناهب اعتم القلنسوة اليهودية وحمل الصليب بيده ووقف أمام كنيسة عتيقة يدعو لنصرة المسيح ضد (البرابرة الجدد)، وهم حسب رأيه المسلمون، فأخذ يحشد الآلاف خلفه مشحونين بأحقاد مدمرة ضد العرب والمسلمين، بعد أن فقد الغرب الرأسمالي دعم جماهيره أثناء الصراع ضد الشيوعية وحركات التحرر، حينما اكتشفت تلك الجماهير انها مجرد حطب لنار صراع لا صلة له بالدين أو الوطن، بل هو حملات نهب للآخرين، فأجبر ذلك الرأسمالية على التوقف عن الغزو لافتقارها للدعم الجماهيري !

لقد أصبحت بلاد المسلمين عرضة للغزو، وصارت إبادة المسلمين لاتقيدها حدود بعد أن أزيلت، بفضل عظمة أفلام هوليوود، الحدود بين اللص والضحية باسم الدفاع عن النفس ضد (الإرهابيين) فولدت الصليبية الجديدة. وهكذا دُفع المسلم إلى حافة الاجتثاث الجسدي واجتثاث الهوية، فتفجرت تيارات أصولية إسلامية طبيعية ما كان لها ان تتقوى لولا التحدي الصليبي، الذي بشر به وغذاه فكر هنتنغتون وتبنته إدارة بوش الابن رسميا. لقد صار ظاهريا أمام مغسولي الدماغ من الأمريكيين أن (رب بوش) هو الراية والمحفز، وليس رأس المال، الذي انكشفت حيوانيته وجشعه ولم يعد يستطيع خداع الرأي العام، وأخذ رب بوش يتكلم ويثرثر أمرا إياه بقتل المسلمين وغزوهم لأنهم (أعداء المسيح) ! واقتنع الملايين أن بوش ينفذ أمر ربه، تماما مثلما اقتنع الكثير من المراهقين في أمريكا، بعد مشاهدة فيلم سوبرمان، بأن سوبرمان يطير فعلا فحاولوا تقليده بالقاء أنفسهم من شبابيك شققهم، التي تقع دائما فوق الطابق السابع، فوجدوا أنفسهم يدخلون جنة الفارسي القح حسن الصباح !

وهكذا صرنا نعيش في عالم شعاراته الطاغية محض لاهوت، مزيف أو حقيقي، تقرر خطب وعظة أحداث أفلام سينمائيته. والفضل كل الفضل في ذلك لمخرج عبقري تفوق على كل زملائه في هولي وود، بما في ذلك سبيلبيرج، اسمه ريتشارد بيرل، والذي لقب بـ(أمير الظلام) لنجاحه التام في إقناع رب بوش بإصدار فتوى، كفتاوي زميليه الإيرانيين خميني وسيستاني، تقول بأن من يغزو العراق سيدخل الجنة !

وفي سعار الصراع هذا ضاعت الحدود بين الضحية والجزار، وانقلبت المعايير، وتجاوز زمن (القرية الالكترونية) كل ما أنتجه العالم من بوصلات هداية تقليدية تعود الناس على استخدامها لتحديد الطريق الصحيح. لقد اختفى الناسوت خوفا من لعنة الشياطين والأبالسة ومن فتاوى السناتور سيستاني وشطحات آية الله العظمى بوش، ولم يعد لدينا إلا نداء اللاهوت يأتينا من كهوف عقول بشر أعادونا إلى ما قبل الحيوانية، بفضل عبقرية خلق شخصيات يهز رعبها الإنسان من جذوره لعظمة تخليقها ودقة تلقينها في الاستوديو! وهذا بالضبط هو أعظم إنجازات الرأسمالية في مرحلة هبوطها

إلى أسفل درجات الردة عن كل ما هو إنساني وخير. لقد نجحت في جر العالم إلى عواءات بشر يستحيلون في الليالي المقمرة ذئابا، وإلى طنين كلمات تنداح من فضائيات استحال مديروها ذبابا، ولم نعد نميز بين أفلام الخبال السياسي والعهر الوسواسي، فاضطر المسيحي الجيد أن يقف مع المسيحي الشرير خوفا من المسلم الجيد، الذي، بدوره، اضطر أن يصطف مع المسلم الشرير دفعا لشرور (أمراء الظلام) في طهران وفتاوى آيات الله العظام في واشنطن وتل أبيب، التي لا تجد أفضل من الإفتاء بدخول النار لمن لا يرطن بالفارسية وصنوها العبرية ! أين العدالة ؟ أين حقوق الشعوب المنهوبة كفلسطين ؟ من يحمي الشعوب المنكوبة كالعراق ؟ أين عقاب القاتل ؟ أين حق الضحية؟ لا جواب واضح سوى القول : إن نبش قبور الشر بفتح (صناديق باندورا) قد أصبح مهنة أغلبية آيات الله العظام، خصوصا في الغرب (المتحضر) !

"الحرب الشاملة" في العقيدة الصهيونية!!

وصف الجنرال البروسي ذائع الصيت "كارل فون كلاوزفيتز"، الذي عاش في القرن التاسع عشر، الحرب على أراضي العدووممتلكاته ومواطنيه بـ"الحرب الشاملة". وبالنظر إلى ما ترتب عن الحرب العالمية الثانية من مآسٍ وفظاعات، أصبحت عبارة "الحرب الشاملة" مرتبطة بجرائم الحرب.

والحقيقة أن الهجمات الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني ولبنان تحتوي على كل عناصر "الحرب الشاملة". وهذا يتماشى في الواقع مع الاستراتيجية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني، والتي ترى أن القضاء عليه، باعتباره منافساً على أرض فلسطين، مهم وضروري لنجاح الصهيونية.

فبعد تأسيس "إسرائيل" عام ١٩٤٨، كانت الاستراتيجية الإسرائيلية ضد الدول العربية تقوم على شن هجمات استباقية بهدف تحقيق التوسع الترابي. وهكذا،

تواطأت "إسرائيل" مع إنجلترا وفرنسا وهاجمت مصر عام ١٩٥٦؛ وكان من أهداف ذلك النيل من الرئيس المصري جمال عبدالناصر، الذي كان يمثل حينها صوت القومية العربية. وفي ١٩٦٧، وبتأييد من إدارة الرئيس جونسون، هاجمت "إسرائيل" مصر وسوريا والأردن، فاحتلت سيناء المصرية ومرتفعات الجولان السورية والضفة الغربية وقطاع غزة الفلسطينيين. وفي أكتوبر ١٩٧٣، هاجمت القوات المصرية والسورية قوات الاحتلال الإسرائيلي، فتمكنت من نزع الهالة عن رأس الجيش الإسرائيلي باعتباره جيشاً لا يُقهر.

ورغم حجم التقتيل ومجزرة كفر قاسم التي ارتكبت عام ١٩٥٦ في حق فلسطينيين أبرياء قبل شن الهجوم الإسرائيلي على مصر، كانت هذه الحروب عموماً حروباً تقليدية، ولم تكن "حروباً شاملة". غير أن الاستراتيجية الإسرائيلية المتبعة ضد الشعب الفلسطيني كانت تتمثل دائماً في "الحرب الشاملة"؛ حيث كان هدف بن غوريون في يناير ١٩٤٨، أي قبل أشهر من تدخل الجيوش العربية لإنقاذ ما تبقى من فلسطين، والمتمثل في التدمير والطرد يندرج في إطار استراتيجية حرب شاملة واضحة المعالم.

وفي ١٩٨٢، أرسل رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغين جيشه إلى لبنان في إطار حربه الشاملة على الفلسطينيين. فكانت نتيجة ذلك أن قتل الآلاف من المدنيين الأبرياء. وتمكن الغزاة الإسرائيليون من طرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، غير أنهم فشلوا في هزيمة الوطنية الفلسطينية. ثم جاءت "اتفاقية أوسلو" عام ١٩٩٣ لتضع الزعماء الصهاينة أمام وضع محيرٍّ، حيث كان عليهم الاختيار بين التوصل إلى سلام مع الفلسطينيين اليوم وبالتالي إنهاء المشروع الصهيوني القائم على الطرد والتوسع الترابي، أومواصلة المشروع الصهيوني وفرض السلام الإسرائيلي بالقوة.

وبغض النظر عن بعض الاستثناءات، اختار الزعماء الإسرائيليون الخيار الأخير كما اتضح لاحقاً من خلال سياسات "الحرب الشاملة" التي انتهجها رئيس الوزراء

الإسرائيلي بنيامين نتانياهو. وعندما شارك رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك دون حماس كبير في المفاوضات مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات عام ٢٠٠٠، كانت آفاق التوصل إلى تسوية متفاوض عليها تهدد العقيدة التوسعية الإسرائيلية. فجاءت زيارة شارون الاستفزازية إلى المسجد الأقصى في سبتمبر من ذاك العام لتطلق شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وتمنح الزعماء الإسرائيليين بالتالي الذريعة التي كانوا يحتاجونها لاستئناف استراتيجية حربهم الشاملة على الفلسطينيين.

في الحرب على لبنان، شنت "إسرائيل" حرباً شاملة كذلك، بما يعنيه هذا من تجليات لجرائم الحرب. ففي تقريرها المؤلف من ٥٠ صفحة، والذي نشر تحت عنوان: "ضربات قاتلة: هجمات "إسرائيل" على المدنيين في لبنان"، أحصت منظمة "هيومان رايتس ووتش" المدافعة عن حقوق الإنسان نحوأربعة وعشرين هجوماً إسرائيلياً، جواً أوبالمدفعية، على المنازل والمركبات اللبنانية.

كما وجد الباحثون التابعون للمنظمة أن "القوات الإسرائيلية كانت في حالات كثيرة تقصف إحدى المناطق بدون هدف عسكري واضح. وفي بعض الحالات، بدا أن القوات الإسرائيلية استهدفت المدنيين عن قصد". غير أنه مثلما فشلت "الحرب الشاملة" في القضاء على المقاومة الفلسطينية، فإن "الحرب الشاملة" على لبنان فشلت فشلاً ذريعاً في القضاء على مقاومة "حزب الله".

لقد ضاعت جهود الديانات التوحيدية، اليهودية والمسيحية والإسلام، ومعها الهندوسية والبوذية، والتي هذبت المخلوق الحيواني المسمى (إنسانا)، المنفرد من بين كل مخلوقات الله بأنه ميال بقوة لقتل كل مخلوق آخر، إنسانا أو حيوانا، دون حاجة مادية. عليكم، لتدركوا كم يختزن الإنسان من شرور، أن تتذكروا أن كل المخلوقات تقتل فقط إما للحصول على القوت اوللدفاع عن نفسها، إلا الإنسان فهويقتل وبطنه متخمة، ويسرق وخزائنه ملآنة، ويزني بنساء غيره وهومتعب من الممارسة الجنسية، ويعتدي وهو آمن ! وكلما تأملت في أعمال الغرب الإجرامية،

خصوصا المقابر الملايينية، وليس الجماعية فقط، التي حفرتها امريكا لشعوب كاملة، يستحوذ على عقلي سؤال منطقي مهم : هل الشيطان الذي تحدثت عنه كل الاديان بصفته مصدر الشرور هوالانسان الاشقر بالذات وليس غيره والذي يجلس ممثله المنتخب في البيت الابيض ؟

اللعب بورقة معاداة السامية!!

بعد الانتهاء من أعمال المؤتمر الصهيونى العالمي فى القدس الغربية يوم الخميس ١٣ نوفمبر ٢٠٠٢، اجتمع عدد من الاشخاص الذين ينتمون إلى ما يسمى "الفوروم الإسرائيلي لمحاربة اللا سامية" فى مكتب الوزير لشؤون القدس والشتات فى الحكومة الإسرائيلية انطولي شيرانسكي، حيث بحث أعضاء هذا الفوروم فى تنامي مظاهر اللا سامية فى العالم. يشارك في هذا الفوروم مندوبون عن وزارة الخارجية ووزارة الهجرة والتنظيمات الرسمية التي تعمل لاستجلاب اليهود إلى إسرائيل من مختلف أنحاء العالم، إلى جانب مندوبي أجهزة المخابرات الإسرائيلية.

وقد خلص هذا الاجتماع إلى تصنيف اللا سامية على ثلاثة أوجه: الأول: "اللا سامية التقليدية"، وهي الموروثة من النصف الأول من القرن الماضى فى أوروبا، والثاني: "اللا سماية الجديدة"، وهى تلك الموجهة ضد دولة اليهود وليس فقط ضد اليهود أنفسهم، بمعنى أن انتقاد حكومة شارون وجرائمها موصوم باللا سامية وفق التعريف الجديد، وبمعنى أن إسرائيل الرسمية والحركة الصهيونية تصنع تماثلا متطابقا بين سياسة دولة إسرائيل وحكومتها وبين اليهود. والثالث "اللا سامية الإسلامية" التى تعم أوروبا وبدأت تنتقل من ممارسات فردية عفوية وغير منظمة فى شوارع أوروبا إلى "إرهاب متطور" الأمر الذي يشكل تهديدا على وجود الشعب اليهودى حسب اصحاب الفوروم الإسرائيلي لمحاربة اللا سامية.

وهكذا تصر الحركة الصهيونية على تطوير دور الضحية الافتراضية لليهود، فهى بالإضافة إلى استثمار اللا سامية التقليدية (والمرفوضة ضد اليهود لكونهم يهودا) تبتكر ادوات جديدة فى غاية من الخطورة، وذلك عندما تضع اليهود برمتهم وسياسة حكومة شارون فى سلة واحدة وهى من حيث تدري- دون شك- تحمّل اليهود وزر الجرائم التى ترتكبها حكومات إسرائيل ضد الشعوب العربية عموما وضد الشعب الفلسطيني تحديدا. وهذا يشكل خروجا فى غاية الخطورة عن الموقف المألوف الذى تحمله أوساط دولية بما في ذلك أوساط يهودية صهيونية تنسب لنفسها صفة الاعتدال بشأن ضرورة الفصل بين الموقف من اليهود كدين أو حتى مجتمع قومي وبين ممارسات السياسة فى إسرائيل، كما أن الحركة الصهيونية- والمساواة "فى داخل الخط الأخضر" فى الكنيست الإسرائيلي.

- بابتكارها الأداة الأخرى المسماة "اللا سامية الإسلامية" وإن كانت تحاول استثمار المناخ العالمي (الأميركي) الذي يجري ترتيبه حجرا على حجر (بعد ١١ سبتمبر) لوضع الإسلام فى خانة الإرهاب وخلق تداخل لقواسم مشتركة بين "اللا سامية الإسلامية" و"الإرهاب الإسلامي" وبذلك تضع الصهيونية الرسمية اليهود كلهم فى مواجهة المسلمين كلهم الأمر الذى يحمل بذورا خطيرة تتجاوز ابعاد التداول السياسى الآنى أو المعاصر لتدخل فى عمق تأسيس صراع حضارى ديني يرفضه الإسلام دينا- بحكم إقراره بالديانات التوحيدية الثلاث- وتؤلبه الحركة الصهيونية بدوافعها العنصرية، إن أي إنسان يحمل افكارا إنسانية وديمقراطية لا يستطيع أن يتقبل العنصرية العرقية والتصريحات التي تحمل صياغتها عرقية من قبل بعض الشخصيات فى العالم لا يمكن إلا أن تستدعي عدم القبول والاستنكار.

لكن إصرار الحركة الصهيونية وإسرائيل الرسمية على صياغة اللا سامية فى القوالب الخطيرة المذكورة يبطل أي مفعول أخلاقي من وراء صيحات الاستنكار والهجوم المنفلت الذي خرج من إسرائيل على رئيس وزراء ماليزيا، مهاتير محمد، وعلى عضو البرلمان الألماني من الاتحاد المسيحي "مارتن هوفمان" وعلى الموسيقار

اليوناني العالمي الكبير "ميكيس ثيودراكيس" وعلى الاستطلاع الذي اجراه الاتحاد الأوروبي وتبين من خلاله أن ٦٠٪ من الشعوب الأوروبية ترى إسرائيل تشكل الخطر الأكبر على السلام العالمي.

وإذا كان هناك ما يحتاج إلى قرائن على ازدواجية الخطاب الصهيوني والإسرائيلي الرسمي، ومراوحته بين استنكار "اللا سامية" من جهة وممارسة أبشع أنواع العنصرية، جاء تصويت اليمين البرلماني، ضد الاقتراح السياسي الذى قدمته باسم كلتلتنا في الكنيست والذى تضمن دعوة لتصفية كل المظاهر اللا سامية ضد أي "من الشعوب السامية ومن ضمنها الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني"، ليكشف الوجه الحقيقى لهذه الازدواجية التي تتمسك بالطبيعة العنصرية الاجرامية لسياستها ضد الشعب الفلسطينى وضد الشعوب العربية. قد تكون لنا ملاحظة هنا أو هناك على طريقة صياغة موقف مهاتير أوهوفمان أو ثيودراكيس، ولكن القاسم المشترك المحرك للانتقادات المذكوره تجاه إسرائيل هو سياستها ضد الشعب الفلسطيني وجرائمها اليومية وتغييبها القسري لأي أفق سياسي وارتباطها العضوي بهيكلية استراتيجية الأمريكية العدوانية فى العالم.

إن أطلاق فرية اللا سامية على أي انتقاد لجرائم إسرائيل الرسمية هو شكل من أشكال الإرهاب السياسي والإعلامي والمعنوي، خاصة عندما يجري تبني هذه الفرية كاملة فى أروقة البيت الأبيض فى واشنطن إن إسرائيل لاتستطيع أن تلعب إلى الأبد دور "شعب الله المختار" من جهة ودور "داوود" الصغير والضعيف فى مقابل "جليات" من جهة أخرى ولا يمكنها المراوحة الأبدية بين الغطرسة العمياء القائمة على القوة وبين العقل الضحية الافتراضية فى كل الأحوال، بين كون إسرائيل واحدة من أقوى خمس دول فى العالم وبين دور الشريد الطريد فى مسار التاريخ. صحيح أن استطلاع الاتحاد الأوروبي يشكل مشكلة عويصة لإسرائيل، ولكن المشكلة ليست فى المرآة (الاستطلاع) كما حاول المتحدثون باسم حكومة إسرائيل أن يصوروا الأمر. المرآة على ما يرام، المشكلة في من يقف أمام هذه المرآة!! المشكلة فى الوجه

القبيح للاحتلال، فى الجريمة اليومية ضد الشعب الفلسطيني وضد حريته وفي كون إسرائيل "أكبر حاملة طائرات أمريكية فى العالم" وفق تعريف الزعيم التاريخي لليمين الإسرائيلي مناحيم بيغين. الشعب الفلسطيني هو أحد الشعوب السامية... ولذلك لا مناص من الاستخلاص القائل إن أكبر وأعتى منظمة لا سامية فى العالم هي حكومة إسرائيل نفسها.

الهدف إبادة العرب والمسلمين !!

نظمت منظمات يهودية ونصرانية أمريكية تنتمي لتيار المسيحية الصهيونية مسيرة في نيويورك يوم الإثنين ١٧-٧-٢٠٠٦ ضمن سلسلة من المظاهرات والفعاليات تهدف لتعبئة الرأي العام الأمريكي لصالح دعم إسرائيل في عدوانها على لبنان وفلسطين باعتباره "دفاعا عن النفس".

وأعلنت منظمة "مؤتمر الرؤساء" وهي منظمة مقرها نيويورك وتضم زعماء المؤسسات الصهيونية عن تنظيم هذه المسيرة في نيويورك (المعقل الرئيسي لليهود بالولايات المتحدة)، قرب مقر البعثة السورية للأمم المتحدة.

كما أعلن "اتحاد النصارى من أجل إسرائيل" وهومنظمة تنتمي لتيار المسيحية الصهيونية في بيان عن "تدشين مؤتمر في واشنطن لمدة يومين كاملين يضم فعاليات وأنشطة من أجل الدفاع عن إسرائيل"، وقد شارك به أكثر من ٣٥ ألف شخص من الجانبين اليهودي والمسيحي الصهيوني.

وأوضح الاتحاد في بيانه أن أعضاءه سيلتقون بنواب في الكونجرس من أجل "الضغط لاتخاذ مواقف أكثر مناصرة لإسرائيل"، مشيرا إلى رغبتهم في فرض مسألة التهديدات المحتملة التي تشكلها إيران لإسرائيل على أجندة الأعمال السياسية لواشنطن.

وقال القس جون سي هاجي الذي يؤيد جهود المسيحية الصهيونية لدعم الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين ولبنان في البيان: "إسرائيل كانت وما زالت صديقا لفترة طويلة وحليفا للولايات المتحدة وللنصارى في كل مكان"، مشيرا إلى أنه سيطالب أمريكا بتنفيذ "الالتزامات الواردة في الإنجيل والالتزامات الأخلاقية المنادية بحتمية الدفاع عن إسرائيل".

وشارك في المؤتمر علماء من اليهود وقساوسة بارزون على رأسهم القس الإنجيلي جيري فاويل، المعروف بهجومه الشديد والدائم على الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم، إلى جانب القس جاري بوور، والحاخام أريا شاينبرج، وستيفن سترينج، وكذلك السياسي المخضرم إيهودي ديفيد بورج.

ويفتخر هاجي بزيارته لإسرائيل لأكثر من ٢٠ مرة ولقائه برئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق مناحيم بيجين. وساعد القس الأمريكي وزملاؤه حوالي ١٢ ألف يهودي من أرجاء المعمورة على الهجرة لفلسطين، كما تبرعوا بملايين الدولارات للمستشفيات الإسرائيلية والملاجئ.

وامتدح السفير الإسرائيلي في واشنطن دانيل أيالون "اتحاد النصارى من أجل إسرائيل" قائلا: "نحن نرى نصارى أمريكا كأصدقاء حقيقيين وداعمين مهمين لإسرائيل على أسس من المبادئ المشتركة ونرحب بجهودهم وعلاقاتهم بإسرائيل".

وبهدف دعم إسرائيل أيضا، أسس قساوسة متطرفون مؤخرا "الاتحاد النصراني في ولاية تكساس" بنية خلق قوة سياسية ولوبي نصراني لصالح إسرائيل. وتعهد زعماء الاتحاد وكبار قساوسته بتكثيف حملاتهم وتوعيتهم للشعب الأمريكي بضرورة نصرة إسرائيل وذلك عن طريق المؤتمرات والندوات والعمل الإعلامي والفعاليات الدينية.

ويطلق زعماء هذا الاتحاد على أنفسهم "الصهاينة النصارى" نظرا لصلاتهم القوية بالفكر الصهيوني.

منظمات صهيونية أخرى ذات طابع سياسي وأخرى ذات طابع علماني كثفت من طلباتها بتقديم الدعم لإسرائيل، معتبرين أن عدوانها على لبنان وفلسطين "دفاع عن النفس".

فقد طالبت منظمة "بني بيرث إنترناشيونال" الصهيونية الاتحاد الأوربي بتغيير موقفه وسحب أقواله "بأن هناك استخداما غير متناسب للقوة من قبل إسرائيل".

ومثل باقي المنظمات الصهيونية واليهودية تبنت المنظمة الخط الإسرائيلي القائل بأن "عمل حزب الله كان غير مبرر" واتهموا سوريا وإيران بالوقوف وراء الهجوم الأخير لحزب الله.

وقالت المنظمة في بيان: "ما دام حزب الله يشن هجمات من أراضي لبنانية، فإن الحكومة وحزب الله وأيضا سوريا وإيران يجب أن يخضعوا للمساءلة".

وأضافت: "منظمة بني بيرث الدولية تؤيد إسرائيل في مواجهة أعداء أثبتوا مرة بعد مرة أنهم غير مكترثين بالسلام".

كما امتدحت "اللجنة الأمريكية اليهودية" وهي إحدى كبرى منظمات اللوبي الصهيوني الإسرائيلي في أمريكا مواقف الولايات المتحدة المدافعة عن إسرائيل بالأمم المتحدة المتمثلة في استخدام الفيتوضد قرار يدين إسرائيل. وقالت اللجنة: إن "إسرائيل في حالة دفاع عن النفس".

ولم يكن غريباً أيضاً أن "يرق قلب" المسيحيين الصهاينة في أمريكا على غير العادة، وللمرة الثانية بعد أن رق قلبه من قبل لمتمردي جنوب السودان ثم حشد قواه خلفهم حتى تحقق له ما أراد، ويبادرون بتنظيم مظاهرات احتجاج ضخمة باسم دارفور في أكثر من ١٥ مدينة أمريكية، في تكرار متقن لسيناريوالجنوب، حتى إن بعض المنظمات الكاثوليكية التي شاركت في التخطيط للمظاهرة شكت من سيطرة جماعات المسيحية الصهيونية عليها.. وشاركت في الحملة "روث ميسنجر" رئيسة

منظمة اليهود الأمريكية التي صرحت بأنها تستطيع عن طريق هذه الحملة جمع أموال طائلة لأكثر من غرض، خاصة وأن مشكلة السودان أصبحت شأنًا عالميًا، واعتذرت بأن الحملة قد تأخرت "لأننا لم نفهم مشكلة غرب السودان إلا أخيرًا "!

ولم يكن أيضاً غريباً أن يعلن تحالف المجلس اليهودي الأمريكي للعلاقات العامة عن تنظيم عشرة أيام. عقب صدور القرار١٧٠٦ الداعي لإرسال قوات دولية لدارفور ١٧٠٦ لما له من نكهة خاصة لديهم. ويعتبر أقطاب المسيحية الصهيونية أن نشاطهم لما يوصف بحملة إنقاذ دارفور كان وراء تكوين رأي عام عالمي وزخم سياسي على الساحة الأمريكية والدولية لدفع المجتمع الدولي نحواتخاذ قرار أممي لإرسال قوات دولية إلى دارفور.

نعم لم يكن الأمر غريباً، فالخطة الأساسية لإسرائيل حول السودان كانت ومازالت تتمحور في قلب نظام الحكم وتغيير معادلة النفوذ فيه لصالح تقسيم السودان لدويلات ضعيفة متناحرة تكون بمثابة كيانات موالية وبحيث لا يكون قوة عربية فاعلة أو مؤهلاً لتكوين تحالف خارجي مع مصر مثلاً كما جاء على لسان بنيامين نتانياهو رئيس وزراء الإسرائيلي الأسبق أمام الكونغرس الأمريكي في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٢

كما تكشف ورقة أعدها ثمانية مستشارين أمريكيين بتكليف من وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس حين كانت مستشارة للأمن القومي عن أن واشنطون تشترك مع إسرائيل علي تنفيذ هذا المخطط. حيث تحدثت الورقة عن ضرورة الحيلولة دون أية علاقات استراتيجية بين دول الشمال الإفريقي وباقي الدول الإفريقية، وأن تقسيماً محتملاً للسودان إلى ثلاث دويلات يمكن أن يخدم هذا الاتجاه حيث سترتبط الولايات المتحدة بالدولة المنفصلة في جنوب السودان بينما ترتبط إسرائيل بالدولة الثالثة بغرب السودان (دارفور).

والحقيقة أن سعي إسرائيل إلى التغلغل في الشأن السوداني لم ينقطع على مدى تاريخ الدولة العبرية، باعتباره أهم دول "المحيط ". فقد قسمت إسرائيل

الدول المحيطة بها الى دول طوق ودول محيط،. أما دول الطوق فهي مصر وسوريا والأردن ولبنان وقد تمكنت تماماً من كسر الطوق حيث تتمتع بعلاقات مباشرة مع مصر والأردن. وبالنسبة لدول المحيط فهي تركيا وإيران والعراق وأثيوبيا والسودان والسعودية وليبيا وتستهدف إسرائيل من التغلغل في السودان أن تدخل نادي البحر الأحمر و منطقة حوض النيل كقوة إقليمية مهيمنة أو لتكون "شرطي البحر الأحمر" في الوقت الذي تحاصر فيه مصر من خلال تواجدها في الجنوب عمقها الاستراتيجي، وتهديد أمنها القومي بالسيطرة علي حوض النيل.

كما تنظر إسرائيل إلى السودان كسوق ومدخل سوق لأفريقيا، كما أن أقرب أنبوب بترول لإسرائيل هو الأنبوب السوداني حيث لا تكاد تفصل ما بين إسرائيل وبورسودان إلا مسافة لسان إيلات للبحر الأحمر. كما أن وجود إسرائيل في السودان يفتح إسرائيل – كما يحلو للبعض أن يقول - على الشارعين الإفريقي والإسلامي.

وفي كتابها : " الحرب المقدسة.. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم " تقول المؤلفة: كارين أرمسترونغ إن الحروب الصليبية والنزاع الراهن بدأت أوروبا تشهد في القرن الحادي عشر الميلادي حالة من النهضة، ومحاولات للتخلص من الشعور بالدونية تجاه المسلمين الأشد منهم بأسا والأرقى ثقافة، وبدؤوا يحاولون بناء ذات جديدة ويشعرون بثقة جديدة. وهكذا كانت الحملات الصليبية جزءا أساسيا من هذه العملية، وعبرت تماما عن الروح الغربية الجديدة.

إن اختلاق عدوإجراء بالغ الأهمية كوسيلة لتطوير هوية جديدة، وقد وفر المسلمون ذلك العدوالكامل، وعادوا مرة أخرى يفعلون ذلك الآن !

وتقول المؤلفة "إنه من الأهمية أن ندرك ما قد يعنيه هذا التصعيد في العنف ذي البواعث الدينية بالنسبة للشرق الأوسط، وأحسب أن قصة الحملات الصليبية والاستجابة الإسلامية لتحدياتها، يمكن أن توفر لنا بعض الدروس والعبر القيمة، ليس لأن التاريخ يكرر نفسه، بل لأن اليهود والمسلمين الذين يتحاربون اليوم تتملكهم

العديد من نفس الهواجس والأهواء التي كنا نجدها لدى جنود الرب المحاربين في سبيل دينه حين زحف الصليبيون على القدس لتحرير قبر المسيح".

كتاب "حرب صليبية بكل المقاييس" للأستاذة الدكتورة زينب عبد العزيز أستاذة الحضارة بجامعتي الأزهر والمنوفية سابقًا، هوالكتاب الأول في سلسلة من الكتب ستصدرها "دار الكتاب العربي "تحت عنوان "صليبية الغرب وحضارته "؛ وتهدف هذه السلسلة إلى توضيح أبعاد التعصب الكنسي وحربه ضد الإسلام، والتي برزت بصورة واضحة في الحرب الأمريكية ضد العراق.

ويعالج هذا الكتاب من السلسلة الجذور الفكرية لهذه الحرب الصليبية الجديدة التي أرسى أسسها المؤتمر العاشر الذي حضره (٢٦٥٠) من كبار القساوسة والأساقفة وعلماء المسيحية على مدى ثلاث سنوات، وعرف بالمجمع السكسوني الثاني والذي أنهى أعماله عام ١٩٦٥، وصدرت في(١٢) مجلدًا.

ويتكون كتاب "حرب صليبية بكل المقاييس "من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة، وملحق به عدد من الصور حول تأصل فكرة الصليب وحربه في الخلفية الذهنية الغربية. وبدأت الكاتبة في التمهيد بتعريف الحروب الصليبية، ونقدت محاولات بعض المثقفين فك الارتباط بين الدين المسيحي والصليب في الحروب الصليبية، والقول بأنها كانت "حروب الفرنجة ". ثم تناولت في مقدمة الكتاب عرضا لما تداولته الصحف الغربية والأمريكية على وجه الخصوص للطابع الصليبي للحرب التي شنتها الولايات المتحدة على العراق. ومن ذلك ما نشرته صحيفة "لوس أنجلوس تايمز "في ٤ / ٤ / ٢٠٠٣ من أن فرق المارينز الأمريكي اصطحبت في حقائبها المنظمات التبشيرية للعراق، وما أعلنته "جلوريا فلدت "رئيسة منظمة الأسرة الأمريكية "من أنها تريد أن يتم فرض الإجهاض الإجباري على اللاجئات العراقيات بدلاً من حملهن العقيدة الإسلامية، وأعلنت هذه المنظمة "أنه ما أن يتم توقف

إطلاق النار حتى تبدأ حرب الإجهاض في العراق "، وذكرت الكاتبة أنها أحصت (٣٢٥) عنوانًا لمقالات صحفية تناولت فكرة "الحرب الصليبية "التي تشنها الولايات المتحدة على العراق.

الفصل الأول : هذه جذور الحروب الصليبية.

وتناول هذا الفصل تأصيل لهذه الحروب الصليبية الحديثة التي انطلقت بعد المجمع السكسوني الثاني الذي عقد في ١١ / ١٠ / ١٩٦٢ حتى ٨ / ١٢ / ١٩٦٥، وتعد قرارات هذا المجمع ملزمة لكافة أصحاب القرار من ملوك ورؤساء في مختلف البلدان المسيحية والكنائس المختلفة واعتبرت الكاتبة هذا المجمع مجمعًا هجوميًا لا توجد سابقة له في الحياة المجمعية والكنسية، وأهم حدث في تاريخ الكنيسة في القرن العشرين، وصدرت أعماله تحت عنوان "مجموعات قدسية "عن دار نشر "دوسير "الفرنسية وكان أهم القرارات التي اتخذها :

- تبرئة اليهود من دم المسيح، وجاءت هذه التبرئة بعد ألفي عام من إدانة اليهود في كل قداس أحد في كافة كنائس العالم على أنهم "قتلة الرب "!!.

- اقتلاع اليسار في عقد الثمانينات، وجاء ذلك بعد تحالف الفاتيكان مع الولايات المتحدة حيث عبر البابا يوحنا الثاني عن مخاوفه أن تتجه البلدان الشيوعية إلى الإسلام بعد هدم عقيدتها السياسية.

- اقتلاع الإسلام في التسعينيات، حيث تكررت في هذا المجمع عبارة "لابد من تنصير العالم ". و"أن المسيح هوخاتم الرسل ".

- توصيل الإنجيل إلى كافة البشر : حيث توجه البابا يوحنا بولس الثانى عام ١٩٨٢ إلى مدينة "شانت يقب "وهى آخر مدينة وصل إليها الإسلام في أسبانيا، وأول مدينة سقطت في حروب الاسترداد النصرانية ليعلن مقولته المشهورة "لابد من إعادة تنصير العالم "كذلك تم إنشاء قمر صناعي هو"لومن ٢٠٠٠ "لإمطار الإنجيل على العالم.

- توحيد كافة الكنائس تحت لواء كاثوليكية روما، في محاولة لامتصاص الكنائس المنشقة وتوحيدها تحت لواء روما ؛ لأن ذلك السبيل الوحيد للتخلص من المسلمين الذين فاقت أعدادهم الكاثوليك في العالم.

الفصل الثاني : حروب صليبية بأقوالهم وأفعالهم.

وتناولت الكاتبة في هذا الفصل التأكيد على أن قرار المجمع الفاتيكاني الثاني بتنصير العالم كان مسألة لا رجعة فيها، وهوإصرار يتفق مع تعصب السياسة الأمريكية وإصرارها على قيادة العالم، وهذا يعنى إخضاع العالم لنظام سياسي واقتصادي واحد بزعامة أمريكا، ونظام ديني واحد بزعامة كاثوليكية الفاتيكان.

وتحدثت الكاتبة عن المؤتمرات التمهيدية للمؤتمر التبشيري العالمي الذي سيعقد ٢٠٠٥، واعتبرت الحرب الأمريكية على العراق نموذجًا للتبشير الجديد، واستندت إلى ما أعلنته الصحافة الغربية، ومنها صحيفة لوموند الفرنسية في أبريل ٢٠٠٣ في مقال تحت عنوان "المبشرون المهديون في شاحنات الجيش "وقالت إن المبشرين يعسكرون على أبواب العراق.

الفصل الثالث : مجامع، تواريخ، أحداث ومتناقضات :

وبدأت في هذا الفصل بالحديث عن وظيفة المجمع في التاريخ الكنسي، وذكرت أن تاريخ انعقاد المجامع الكنسية كان يتم دائمًا لمواجهة الهجوم على العقيدة أوتكوين عقيدة وصياغتها، وفك ما بها من تناقضات وفقًا لأغراض سياسية أواجتماعية أوشخصية أو تأديبية حيث أثبتت الممارسات المجمعية أنها قادرة على حسم الصراعات وفقًا لأهوائها، فكل العقائد التي تكون المسيحية الحالية غير واردة في العهد الجديد، وإنما تمت صياغتها عبر المجامع على مر السنين ؛ لذلك يحق القول أن هذه النصوص المتداولة حاليًا ليست إلهية، وإنما هي من نسج الكيان الكنسي، وعرضت الكاتبة عرضًا مطولاً لهذه المجامع والقرارات التي اتخذتها إضافة إلى

عرض نماذج من المتناقضات في الإنجيل بعهديه، وذكرت أن حجم هذه التناقضات بلغت (١٥٠) ألف تناقض كما أكدت بذلك الموسوعة البريطانية.

الفصل الرابع : أصداء هذه الحرب الصليبية وانعكاساتها :

وتناولت في هذا الفصل المؤتمر الذي عقد في يوليو٢٠٠٣ في القاهرة تحت عنوان "نحوخطاب ثقافي جديد، من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل". والذي لم يكن مخططًا له من قبل، ولم يكن مدرجًا ضمن أنشطة المجلس الأعلى للثقافة، لكنه جاء بعد شهر من مؤتمر عقدته السفارة الأمريكية بمقرها في القاهرة تحت عنوان "التعليم في مصر وكيفية تطويره".

وفي مؤتمر "نحو خطاب ثقافي جديد "نوقش فيه (١٤٦) بحثًا في ثلاثة أيام، كان المقصود منها إضفاء الشرعية على قراراته التسعة التي لم تخرج في مجملها عن أقوال ومطالب المستشرقين المتعصبين التي لخصها المستشرق زويمر "لن يقتلع الإسلام إلا أيد مسلمة من داخل الأمة الإسلامية".

الشرق الأوسط الصهيوني الجديد !!

وقد تردد في الآونة الأخيرة مصطلح "الشرق الأوسط الجديد" وهوسليل مجموعة من المصطلحات الأخرى مثل "النظام العالمي الجديد، الشرق الأوسط الكبير". ويحضرني قول الدكتور عبد الوهاب المسيري : "وقد ظننا أن مثل هذه المصطلحات قد دفنت بلا رجعة. ولكن بعد الهجوم الإسرائيلي على لبنان في الحرب الأخيرة، أعلنت وزيرة الخارجية الأميركية أن الشرق الأوسط الجديد سيولد من رحم هذه الحرب. فما هوهذا الشرق الأوسط الجديد؟ هل هو بالفعل جديد؟!

يمكن القول بكثير من الاطمئنان إن الإستراتيجية الغربية تجاه العالم الإسلامي

منذ منتصف القرن التاسع عشر تنطلق من الإيمان بضرورة تقسيم العالم العربي والإسلامي إلى دويلات إثنية ودينية مختلفة، حتى يسهل التحكم فيه.

وقد غُرست إسرائيل في قلب هذه المنطقة لتحقيق هذا الهدف. فعالم عربي يتسم بقدر من الترابط وبشكل من أشكال الوحدة يعني أنه سيشكل ثقلا إستراتيجيا واقتصاديا وعسكريا، ويشكل عائقا أمام الأطماع الاستعمارية الغربية. قال شمعون بيريز: لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن. وهذه هي الرؤية التي طرحها برنارد لويس منذ السبعينيات والتي تبناها المحافظون الجدد وتدور السياسة الأميركية في إطارها "

وفي إطار الوحدة والتماسك تشكل إسرائيل جسما غريبا تلفظه المنطقة مما يعوق قيامها بدورها الوظيفي، كقاعدة للمصالح الغربية. اما في إطار عالم عربي مقسم إلى دويلات إثنية ودينية بحيث تعود المنطقة إلى ما قبل الفتح الإسلامي، أي منطقة مقسمة إلى دويلة فرعونية في مصر وأخرى أشورية بابلية في العراق وثالثة آرامية في سوريا ورابعة فينيقية في لبنان، وعلى القمة تقف دولة عبرية متماسكة مدعومة عسكريا من الولايات المتحدة في فلسطين.

ففي إطار التقسيم تصبح الدولة الصهيونية الاستيطانية، المغروسة غرسا في الجسد العربي، دولة طبيعية بل وقائدة. فالتقسيم هو في واقع الأمر عملية تطبيع للدولة الصهيونية التي تعاني من شذوذها البنيوي، باعتبارها جسداً غريباً غرس غرساً بالمنطقة العربية.

وكما قال شمعون بيريز: لقد جرب العرب قيادة مصر للمنطقة مدة نصف قرن، فليجربوا قيادة إسرائيل إذن. وهذه هي الرؤية التي طرحها برنارد لويس منذ السبعينيات وتبناها المحافظون الجدد، وتدور السياسة الأميركية في إطارها.

ويبدو أن الولايات المتحدة بعد أن ذاقت مرارة الفشل في العراق وأفغانستان قررت أن تعهد لإسرائيل بتنفيذ مخططها الاستعماري بحيث تقوم بتدمير لبنان وحكومته فيتحول لبنان إلى بلد ديمقراطي على الطريقة العراقية، أي يدور في فلك المصالح الأميركية.

وتتساقط قطع الدومينوالعربى، الواحدة تلوالأخرى، كما تنبأ برنارد لويس، وقد أكد وليام كريستول (من المحافظين الجدد) أن هذه فرصة للولايات المتحدة أن تأخذ زمام المبادرة مرة أخرى في المنطقة.

وفي مقال بعنوان "الولايات المتحدة متواطئة مع إسرائيل في تحطيم لبنان" يقول المعلق الأميركي بول كريغ روبرتس (الموقع الإلكتروني ٢٥ يوليو/ تموز ٢٠٠٦) إن ما نشاهده في الشرق الأوسط هو تحقيق خطة المحافظين الجدد في تحطيم أي أثر للاستقلال العربي الإسلامي، والقضاء على أي معارضة للأجندة الإسرائيلية.

وهذا التصور للشرق الأوسط ينطلق من تصور أن التاريخ متوقف تماما بهذه المنطقة، وأن الشعب العربي سيظل مجرد أداة بيد معظم حكامه الذين ينصاعون انصياعا أعمى للولايات المتحدة.

وأن هذا الشرق العربي مجرد مساحة أومنطقة بلا تاريخ ولا تراث مشترك تقطنها جماعات دينية وإثنية لا يربطها رابط وليس لها ذاكرة تاريخية ولا إحساس بالكرامة، فالعربي مخلوق مادي اقتصادي تحركه الدوافع المادية الاقتصادية ".

هذا هو الإطار الذي يتحرك داخله رالف بيترز، وهوضابط متقاعد يحمل رتبة مقدم، وضع مخططاً لإعادة تقسيم الشرق الأوسط (في مقال نشر بمجلة القوات المسلحة الأميركية في عدد يونيو/ حزيران ٢٠٠٦، نقلا عن مقال لبيان الحوت "الشرق الأوسط الجديد مشروع أميركي محكوم بالفشل" ٢٠٠٦/٨/٩). ولا تعود أهمية المقال إلى عمقه أوإمكانية تحققه، وإنما إلى أنه يبين ما الذي يدور في

خلد دعاة الشرق الأوسط الجديد، خاصة وأن الذي كتبه شخص مسؤول كان يعمل بالاستخبارات العسكرية الأميركية.

ينطلق بيترز مما يسميه الظلم الفادح الذي لحق بالأقليات حين تم تقسيم الشرق الأوسط أوائل القرن العشرين (يقصد اتفاقية سايكس بيكو) مشيرا إلى هذه الأقليات "بأنها الجماعات أوالشعوب التي خدعت حين تم التقسيم الأول" ويذكر أهمها: الأكراد، والشيعة العرب.

كما يشير إلى مسيحيي الشرق الأوسط، والبهائيين والإسماعيليين والنقشبنديين. ويرى بيترز أن ثمة كراهية شديدة بين الجماعات الدينية والإثنية بالمنطقة تجاه بعضها البعض، وأنه لذلك يجب أن يعاد تقسيم الشرق الأوسط انطلاقا من تركيبته السكانية غير المتجانسة القائمة على الأديان والمذاهب والقوميات والأقليات، حتى يعود السلام إليه. (والنموذج الكامن هناك هوالدولة الصهيونية القائمة على الدين والقومية وامتزاجهما).

ثم يقدم بيترز خريطته للشرق الأوسط الجديد فيتحدث عن تقسيم العراق إلى ثلاثة أجزاء، دولة كردية بالشمال، ودولة شيعية بالجنوب، ودولة سُنية بالوسط ستختار الانضمام إلى سوريا مع مرور الزمن.

أما المملكة الأردنية الهاشمية فستحتفظ بأراضيها وتضاف إليها أرض من شمالي السعودية، كما سيرتبط "مستقبل الضفة الغربية بها".

بيترز في مخططه للشرق الأوسط: سيستمر جنودنا، رجالا ونساء، في الحرب من أجل الأمن والسلام ضد الإرهاب، من أجل فرصة نشر الديمقراطية، ومن أجل حرية الوصول إلى منابع النفط بمنطقة مقدر لها أن تحارب نفسها. أما عُمان والكويت، فتحتفظ كل منهما بأراضيها. ويفترض أن إيران، وفقا لهذا المشروع الجهنمي، ستفقد الكثير من أراضيها لصالح أذربيجان الموحدة، وكردستان الحرة،

والدولة الشيعية العربية، وبلوشستان الحرة، لكنها تكسب أراضي من أفغانستان حول هيرات. ويطرح رالف بيترز تصوره بأن إيران سوف تصبح في النهاية بلدا إثنيا فارسيا من جديد.

ينتهي السيد بيترز إلى أن تعديل الحدود بناء على رغبات الناس قد يكون مستحيلا، لكنه من الممكن أن تنشأ حدود جديدة مع الزمن. فتعديل حدود الشرق الأوسط الأكبر، بناء على روابط الدم الطبيعية والعقيدة الدينية، ضرورة ملحة لحقن الدماء!! ومن هنا مسؤولية الولايات المتحدة وحلفائها!

ويختتم الرجل مخططه بقوله "سيستمر جنودنا، رجالا ونساء، في الحرب من أجل الأمن والسلام ضد الإرهاب، من أجل فرصة نشر الديمقراطية، ومن أجل حرية الوصول إلى منابع النفط بمنطقة مقدر لها أن تحارب نفسها".

وهذا التصور للشرق الأوسط الجديد لصيق للغاية بالرؤية الصهيونية منذ بدايتها، فقبل إنشاء الدولة الصهيونية بعدة أعوام قال بن جوريون "إن عقب أخيل (أي نقطة الضعف) في الائتلاف العربي هى سيادة المسلمين في لبنان فهى سيادة زائفة، يمكن بسهولة قهرها".

وبدلاً من ذلك ستقوم دولة مسيحية تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني، وستكون الدولة الصهيونية على استعداد لتوقيع معاهدة مع هذه الدولة. "وبعد أن نكسر الفيلق العربي ونضرب عَمان بالقنابل، سوف يكون بإمكاننا إزالة دولة الأردن، وبعد ذلك سوف تسقط سوريا، وإذا اجترأت مصر على محاربتنا فسوف نقصف بورسعيد والإسكندرية والقاهرة، وهكذا ننهي الحرب ونقضي قضاء مبرماً على مصر، وآشور بالنيابة عن أسلافنا".

وقد حاول شارون وضع الجزء الخاص بلبنان في هذا المخطط موضع التنفيذ عام ١٩٨٢، ولكن المقاومة اللبنانية اضطرته للانسحاب إلى الجنوب ثم إلى الدولة

الصهيونية! ولكن شارون نجح بالآونة الأخيرة في تحقيق التطابق الكامل بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الإمبراطورية الأميركية بإعلان حرب لا نهاية لها ضد الإرهاب، كما نجح في الجمع بين سياسة التوسع الاستيطاني وضم الأراضي ونهج الفصل العنصري ووافقته الولايات المتحدة على ذلك ودعمته.

وقد أعطى هذا دفعة للأوهام الإسرائيلية مرة أخرى. انظر علي سبيل المثال إلى موقف جيورا آيلاند رئيس شعبة العمليات بالجيش الإسرائيلي سابقاً، والرئيس السابق لمجلس الأمن الوطني المسؤول عن وضع الإستراتيجية الأمنية للدولة الصهيونية.

فقد طرح خطته لإعادة تنظيم الشرق الأوسط (في حديث له مع آري شفيط من صحيفة هآرتس) فاقترح ضم ١٢٪ من الضفة الغربية (٦٠٠ كلم٢) إلى الدولة الصهيونية و٦٠٠ كلم٢ أخري من مصر تُضم إلى قطاع غزة ويوطن فيها مليون نسمة (لإقامة ميناء بحري ومطار دولي) على أن تعطى مصر ١٥٠ كلم٢ في النقب تعويضاً لها".

وقد قام عبقري آخر وهوجاي بخور (في يديعوت أحرونوت يوم ٢٠٠٦/٧/٢٧) بتقديم خطته لإعادة صياغة الشرق الأوسط. والخطة لا تعدوأن تكون شكلا من أشكال الأحلام المتورمة، ولكنها مع هذا تعطينا فكرة عما يدور في خلد الولايات المتحدة وإسرائيل. "

نجح شارون بالآونة الأخيرة في تحقيق التطابق الكامل بين السياسة الإسرائيلية والسياسة الإمبراطورية الأميركية في إعلان حرب لا نهاية لها ضد الإرهاب، كما نجح في الجمع بين سياسة التوسع الاستيطاني والفصل العنصري، وقد أعطى هذا دفعة للأوهام الإسرائيلية في المنطقة فالمقال يزعم أن هذه الحرب تدافع عن "جوهر" الغرب، دون أن يذكر لنا ما هوهذا الجوهر؟ وهل الهدف من هذه الحرب هوإقامة العدل وتحقيق السلام أم فرض الهيمنة ونهب الشعوب؟

يبدأ المقال بالقول إنه يجب عدم العودة للشرق الأوسط القديم الذي يصفه الكاتب بأنه "توجد فيه دولة ذات نظام مجنون تتسلح بسلاح ذري وتسلح رفيقاتها (وهذا بطبيعة الحال لا يعني إسرائيل) والعراق غارق في حرب أهلية، ومنظمات راديكالية تسيطر علي حكومات ونظم حكم، وهذه بدورها تمنح جماعات مخربين مسلحة دعماً قوياً وعلاقة متسامحة.

ثم يستأنف العبقري الحديث قائلا: ثمة حاجة إلى تغيير جوهري، فلم تنجح هذه الدول في منح مواطنيها حياة ثقافية كاملة، ومعظم شعوبها فقيرة، وهي دول تتسم كلها بالطغيان ولا تُنطق كلمة الديمقراطية ولو في دولة واحدة، وإذا ما تمت محاولة ديمقراطية في بعضها، فإن النتيجة تكون تولي نظم إرهابية إسلامية أوفوضى". (ولنلاحظ التناقض الذي يقع فيه هذا العبقري، فهويرفض الطغيان العربي، ولكنه يجد أن الديمقراطية تؤدي إلى الإرهاب الإسلامي).

ولعلاج هذا الوضع يقترح جاي بخور "أن يُقسم العراق إلى ثلاث دول، بحسب مقياس طائفي: سُنية في الوسط والغرب، وشيعية في الجنوب، وكردية في الشمال، كما يجب إنهاء نظام سوريا.

وعلي الأردن أن يتحمل المسؤولية عن الضفة الغربية، وبهذا ينشأ كيان فلسطيني واحد فينتشر الفلسطينيون إلى الشرق (بعيدا عن إسرائيل بطبيعة الحال) لا إلى الغرب في اتجاه الدولة الصهيونية والمطالبة بحق العودة.

أما مصر فستصبح مسؤولة عن قطاع غزة، وهو شيء –حسب تصوره– أصبح يحدث في الواقع أكثر فأكثر. ويجب إعاقة إيران بواسطة نظام عقوبات شامل، ويجب أن يقوم في لبنان نظام دولي جنوب الدولة وشرقها، لمنع عودة الأصولية الشيعية أو غيرها.

عن شعوب المنطقة؟ هل هي مستعدة لتقسيم جديد (سماه المفكر الإستراتيجي العربي منير شفيق سايكس بيكوالثاني: تقسيم ما هومقسم وتجزئة ما هومجزء)؟

يري هذا العبقري الجهبذ أن الشعوب سترحب أيما ترحيب بهذا، بينما سيعارضه الحكام وحدهم.

"فسكان العراق يشتاقون إلى الاستقرار، وفي الأردن ٨٠٪ في الأصل من السكان فلسطينيون، والملك متزوج بفلسطينية، وأبناؤه نصف فلسطينيين.

مخطط بخور وكل المخططات الأخرى المماثلة نابعة من غطرسة القوة، حين يتصور إنسان أنه يمكنه أن يفعل ما يشاء طالما أن موازين القوى في صالحه، وطالما أن استعداداته العسكرية تفوق استعدادات الخصم، وطالما أن التاريخ قد توقف وسيفرح سكان الضفة الغربية أيضاً بإنشاء دولة فلسطينية كبيرة. وفيما يتعلق بمصر، من المعقول أنها تدرك اليوم أن غزة الفائرة تعني سيناء الخطرة، وتهديد السياحة والاستقرار السياسي والاجتماعي كله.

ثم يختم جاي بخور حديثه بالقول إنه إزاء تفشي الراديكالية الخطرة للتدين المتشدد الإسلامي، يجب على العالم الغربي أن يستيقظ وأن يفهم أن الحديث ليس عن الشرق الأوسط أوإسرائيل فقط، بل عن جوهر وجوده.

إن مخطط بخور وكل المخططات الأخرى المماثلة نابعة من غطرسة القوة، حين يتصور إنسان أنه يمكنه أن يفعل ما يشاء طالما أن موازين القوى في صالحه، وطالما أن استعداداته العسكرية تفوق استعدادات الخصم، وطالما أن التاريخ قد توقف.

ولكن كما يقول كريغ روبرتس فى مقاله الذى أشرنا له من قبل "هل يمكن لخمسة ملايين إسرائيلي، حتى مع دعم الولايات المتحدة لهم، أن ينجحوا إلى الأبد في إذلال ملايين المسلمين الذين يغلون غضبا بسبب هذا الإذلال الذي لحق بهم".

إن هذه وصفة للصراع المستمر ولدمار إسرائيل في نهاية الأمر.. إن حرب بوش ليست حربا ضد الإرهاب، وإنما هي عباءة يغطي بها خداع المحافظين الجدد، فهي ليست حربا ضد الإرهاب بل هي حرب ضد الدول الإسلامية التي لا تحكمها "دمى أميركية".

شرق تحكمه جماعات وليس حكومات !!

والحقيقة أنه منذ أن أعاد الرئيس الأمريكي بوش سك مصطلح " الشرق الأوسط الجديد " على لسان وزيرة خارجيته كوندوليزا رايس، أثناء حرب إسرائيل الأخيرة في لبنان، في شهر يوليو٢٠٠٦، وتبشيره – على لسانها – بأن هذا الشرق الجديد سيولد من رحم هذه الحرب، والعالم يتساءل : ترى ما الجديد الذي سيشهده هذا الشرق الأوسط الجديد وهل هوبالفعل جديد ؟!.. وعلى الرغم من أن الشرق الأوسط الجديد – حسبما طرحته الأمريكية رايس كان محاولة تحديد مبكرة – يغلب عليه التفاؤل – للنتائج السياسية للحرب المفتوحة في العراق وأفغانستان ولبنان وفلسطين، بتحقيق شرق آخرلا توجد فيه جماعات راديكالية أو"إرهابية "– كما تسميها أمريكا – وبخاصة منظمات "الإسلام السياسي "الأصولية، إلا أن دراسة جديدة، مهمة، وخطيرة في نفس الوقت، قام بها مفكر سياسي أمريكي كبير، هوريتشارد هاس رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، أثبتت أن إدارة بوش تحلم، وأن الشرق الأوسط الجديد، ليس كما تتصور، وإنما العكس تماماً، حيث سيكون شرق تهيمن عليه هذه الجماعات، أوالحركات الراديكالية، التي ستنهض لتملأ الفراغ الناجم عن عدم فعالية الحكومات، وستعمل على اختطاف السلطة، وقدم نماذج لهذه الجماعات من بينها الإخوان المسلمين في مصر !!

ونظراً لأهمية هذه الدراسة، التي نشرها هاس في مجلة "فورين أفيرز " فقد حرص مؤلف هذا الكتاب على ترجمتها وتقديمها للقارئ بأكملها.

يقول ريتشارد هاس في دراسته : سيكون تشكيل الشرق الأوسط الجديد من الخارج عملية فائقة الصعوبة، ولكنها ستمثل جنباً إلي جنب مع آسيا الناهضة بقوة التحدي الرئيسي للسياسة الخارجية الأمريكية لعقد قادم.وقد ولد الشرق الأوسط الحديث في أواخر القرن الثامن عشر. وبالنسبة لبعض المؤرخين، فإن العام ١٧٧٤ الذي شهد الحدث الأبرز الذي يتمثل في توقيع المعاهدة التي أنهت الحرب

بين الإمبراطورية العثمانية وروسيا ، ويمكن التدليل علي ذلك بالعودة إلى الدخول السهل نسبياً لنابليون بونابرت لمصر في عام ١٧٩٨، الذي أظهر للأوربيين أن المنطقة كانت معدة للغزو، مما دفع بالمثقفين المسلمين للتساؤل — كما استمر كثيرون في طرح السؤال حتى الآن- لماذا سقطت حضارتهم، لحساب أوربا المسيحية. التي حاولت أطراف مختلفة فيها إيجاد إجابة له أوتفسير لتفوقهم في هذه الحقبة حتى الآن.

ويقول : لقد انتهت الحقبة الأولى مع بداية الحرب العالمية الأولى بسقوط الإمبراطورية العثمانية، وإعلان الجمهورية التركية، وتوزيع غنائم الحرب على المنتصرين الأوربيين. وكانت النتيجة عصرا من الحكم الاستعماري هيمنت عليه فرنسا وبريطانيا. وقد انتهت هذه المرحلة بعد حوالي أربعة عقود من الزمان ، بعد أن استنزفت حرب عالمية جديدة قوة الأوربيين، وانبعاث القومية العربية، وبدء القوي العظمي في إسكات نفير الحرب. وقد كتب المؤرخ البرت هوراني الذي اعتبر أزمة السويس التي شهدها العالم في العام ١٩٥٦، من خلال تحليله الصائب لهذه الأزمة .. اعتبرها نهاية الحقبة الاستعمارية، وبداية حقبة الحرب الباردة في المنطقة وكتب يقول :. "من يحكم الشرق الأدنى يحكم العالم "، و"من له مصالح في العالم يتعين عليه أن يركز اهتمامه على الشرق الأدنى ".

وأثناء الحرب الباردة، وكما كان الحال من قبل، لعبت القوات القادمة من الخارج دور المهيمن في منطقة الشرق الأوسط. ولكن الطبيعة الخاصة للتنافس الأمريكي السوفيتي منح دول المنطقة مساحة معقولة من المناورة. وكانت العلامة المائية المميزة لهذه الحقبة هي حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ التي أوقفها الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في وقت اعتبره الجانبان ضرورة، ليمهدا الطريق لدبلوماسية طموحة استطاعت فيما استطاعت إبرام اتفاق سلام بين مصر وإسرائيل.

ويمضي هاس فيقول : سيكون من الخطأ أن ننظر — ببساطة – إلى هذه الحقبة الثالثة علي أنها مرحلة زمنية من التنافس المتعقل بين القوي العظمي. وبعد أن كانت

حرب يونيو ١٩٦٧، قد غيرت ميزان القوي في الشرق الأوسط، أظهر استخدام العرب للنفط كسلاح سياسي واقتصادي في عام ١٩٧٣ كيف يمكن أن تتأثر الولايات المتحدة والعالم حال تعرضها لنقص في إمدادات النفط، وارتفاع أسعاره. وقد خلق توازن القوي أثناء الحرب الباردة مناخاً استطاعت القوى المحلية في الشرق الأوسط، انتزاع نوع من الاستقلالية عن الخارج لصياغة وتطبيق أجنداتها الخاصة.كما أظهرت الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩، التي أسقطت أحد الأعمدة الرئيسية التي ترتكز عليها السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة أن القوي الخارجية لا تستطيع السيطرة علي الأحداث التي تجري داخل المنطقة. فقد قاومت دول عربية أيضاً المحاولات الأمريكية لإقناعهم بالانضمام للمشروعات والخطط المناهضة للسوفيت. وأدي احتلال إسرائيل للبنان في العام ١٩٨٢ إلي ظهور حزب الله، واستهلكت الحرب العراقية الإيرانية قوة الدولتين طيلة عقد كامل.

وقد كانت نهاية الحرب الباردة، وانهيار الاتحاد السوفيتي إيذاناً ببداية الحقبة الرابعة من تاريخ الشرق الأوسط.. حقبة الهيمنة الأمريكية، والتي حظيت فيها الولايات المتحدة بنفوذ وحرية تصرف في المنطقة لم يسبق لهما مثيل. والجهد الدبلوماسي النشط لحل النزاع العربي الإسرائيلي مرة واحدة وأخيرة (والذي بذلته واشنطون بشكل حثيث أثناء إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون ولكنه كلل في النهاية بالفشل في مفاوضات كامب ديفيد بين الإسرائيليين والفلسطينيين) . وقد مثلت المنطقة في هذه الفترة بالذات – وبصورة متقنة – ما يعرف الآن بـ "الشرق الأوسط القديم ".

فقد شهدت المنطقة في تلك الفترة عراقاً عدوانياً ولكن محبط، إيران راديكالية ولكن منقسمة على نفسها وضعيفة نسبياً، إسرائيل كأقوي دولة بالمنطقة والوحيدة التي تمتلك قدرات نووية، أسعار نفطه في السماء، أنظمة عربية كبري تقمع شعوبها، تعايش غير سهل بين إسرائيل من ناحية والفلسطينيين والعرب من ناحية أخري، وتفوق أمريكي كاسح.

ولكن هذه الحقبة انتهت بعد أن استمرت طيلة عقدين من الزمان نتيجة عدة عوامل بعضها خارجية، وبعضها عوامل ذاتية شهدتها المنطقة من داخلها.وكانت أكثر العوامل تأثيراً قرار إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش لمهاجمة العراق في العام ٢٠٠٣ وإدارته للعملية والاحتلال.

ويؤكد هاس : كان أكثر الخاسرين في هذه الحرب السنة الذين كانوا يهيمنون علي العراق الذي كان تحت حكمهم قوياً ولديه من الدوافع ما يكفي لعمل توازن في القوى مع شيعة إيران. وبعد الحرب خرجت إلي السطح النزاعات الشيعية السنية التي لطالما كانت قيد السيطرة لعقود طويلة لتبدوجلية في العراق والمنطقة. وكان من أبرز نتائج الحرب علي العراق كسب الإرهابيين قاعدة جديدة لهم في هذا البلد، وقيامهم هناك بتطوير مجموعة من الوسائل الجديدة لتصدير الإرهاب لمعظم أنحاء المنطقة، ولم تعد الديمقراطية مرتبطة بمشيئة النظم السياسية الحاكمة، ونهاية التفوق السني في المنطقة، وتصاعد العداء للولايات المتحدة بعد أن كان موجوداً بقدر معقول ، وبسبب استنزاف واشنطون جزءا هائلا من قوتها العسكرية في العراق تراجعت قدرات أمريكا في سائر أنحاء العالم.

ويستخلص هاس هنا : من المفارقات التاريخية أن تشهد حرب الولايات المتحدة الأولي في العراق بداية حقبة الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط، في الوقت الذي ساهمت فيه حرب العراق الثانية في وضع نهاية لها.

وهناك عوامل أخرى ساهمت فيوضع نهاية لهذه الحقبة منها انهيار عملية السلام في الشرق الأوسط. فقد اعتادت الولايات المتحدة أن تحظى بقدرة فريدة من نوعها على العمل مع طرفي النزاع سواء العرب أوالإسرائيليين، ولكن هذه القدرة تقلصت في كامب ديفيد عام ٢٠٠٠. ومنذ ذلك الوقت، تضافرت عوامل أخرى في تهميش الدور الأمريكي مثل الضعف الذي ظهر عليه من خلفوا عرفات، وصعود حركة حماس إلى السلطة، ونزوع إسرائيل نحواتخاذ خطوات أحادية الجانب .

وقد عزز هذا التحول في الموقف الأمريكي تقاعس إدارة بوش الحالية في الاضطلاع بدبلوماسية نشطة وفعالة لحل النزاع.

ويعرب هاس عن قناعته بأن : هناك عاملا آخر ساهم في إنهاء حقبة الهيمنة الأمريكية وهوفشل الأنظمة العربية التقليدية في مواجهة عودة الإسلام الراديكالي. وأمام الاختيار ما بين ما اعتبره الناس كقادة سياسيين تقليديين وبين قادة دينيين نابضين بالحيوية والنشاط، اختار الكثيرون المجموعة الأخيرة، واحتاج القادة الأمريكيون إلى الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) حتى يرسموا العلاقة بين المجتمعات المغلقة واحتضان الراديكالية، لكن ردهم- وهوفي أغلب الأحيان اندفاعة متسرعة نحوالانتخابات بغضّ النظر عن السياق السياسي المحلي – وفر للإرهابيين والمتطرفين وأنصارهم فرصاً للتقدم أكثر مما توفر لهم في السابق.

وقد انتظر زعماء الولايات المتحدة هجمات الحادي عشر من سبتمبر لكي يدركوا أن هناك صلة بين المجتمعات المغلقة والجماعات المتطرفة. ولكن استجابتهم – والتي تركزت في الغالب على ضرورة إجراء الانتخابات في دول المنطقة بغض النظر عن الظروف السياسية الداخلية في هذه الدول ـ منحت الجماعات الراديكالية وأعوانهم فرصاً للتقدم أكثر بكثير من ذي قبل. وهذه الجماعات تعمل الآن - كما يؤكد هاس- على ملأ الفراغ السياسي الناجم عن عدم فعالية الأنظمة وتحاول الوصول إلي مقاعد الحكم، واختطاف السلطة، وانتزاع القرار السياسي والعسكري كما حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين ، وحزب الله في لبنان، والإخوان المسلمين في مصر!

ويشير هاس إلي أن، العولمة غيرت المنطقة في النهاية. و لم يعد الآن من الصعب على هذه الجماعات الحصول علي الأموال والأسلحة والمقاتلين. وأدي ظهور وسائل الإعلام الجديدة، وأولها الفضائيات إلى تحويل العالم العربي إلى "قرية إقليمية "مُسَيَّسَة". وأدى عرض هذه الفضائيات لمشاهد العنف والدمار في العراق. وإساءة معاملة السجناء العراقيين والمسلمين في العراق ، ومعاناة الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية ولبنان، إلى المزيد من انصراف الكثيرين في الشرق الأوسط عن الولايات المتحدة.

يقول هاس : يمكن القول أن الخطوط العريضة أو أطرا أو ملامح الحقبة الخامسة من تاريخ الشرق الأوسط ما زالت طور التشكيل ولكن هذه الملامح تخرج بالطبع من رحم حقبة الهيمنة الأمريكية. وهناك ١٢ ملمحاً ستشكل الأحداث اليومية .

أولاً : ستستمر الولايات المتحدة تحظى بنفوذ وتأثير في المنطقة أكثر من أي قوة أخرى من خارج المنطقة، ولكن لن يكون هذا النفوذ أو ذاك التأثير بالقدر الكبير الذي كان. وسيؤدي هذا التراجع في النفوذ والتأثير إلى تنامي نفوذ وتأثير مجموعة من القوات الداخلية والخارجية، وتحجيم القوة الأمريكية، ومن ثَم السياسة الخارجية الأمريكية.

ثانياً : ستواجه الولايات المتحدة مزيدا من السياسات الخارجية التي تتحداها من جانب قوى من خارج المنطقة . الاتحاد الأوربي لن يقدم لها يد العون في العراق بالقدر الذي تريد، وربما يحاول الضغط عليها لتتعامل بصورة إيجابية مع القضية الفلسطينية. أما الصين فستقاوم أية ضغوط علي إيران وستسعى لضمان إمدادات البترول. وستقاوم روسيا أيضاً الدعوات المطالبة بمعاقبة إيران، وستبحث عن فرص لإظهار استقلالية قرارها عن الولايات المتحدة. وسوف تنأى كل من روسيا والصين وكذلك الدول الأوربية بأنفسها بعيداً عن الجهود الأمريكية لدفع الإصلاحات السياسية في الدول غير الديمقراطية في الشرق الأوسط .

ثالثاً : ستصبح إيران واحدة من أقوى دولتين في المنطقة. وأولئك الذين أشاروا إلي أن إيران مقدمة علي تغيرات داخلية جذرية عل خطأ. فإيران التي تتمتع بثروات عظيمة هي صاحبة أقوي نفوذ خارجي في العراق وتحتفظ بنفوذ على حركة حماس وحزب الله. إنها قوة إمبريالية كلاسيكية لديها طموحات لإعادة رسم خريطة المنطقة وفق رؤيتها، وقدرتها على ترجمة أهدافها إلى واقع.

رابعاً : ستكون إسرائيل القوة الثانية في المنطقة والدولة الوحيدة التي لديها اقتصاد قادر على المنافسة عالمياً، الدولة الوحيدة بالمنطقة التي تملك ترسانة نووية، وأيضاً أقوى جيش نظامي فيها. ولكن لا يزال عليها تحمل تكاليف احتلالها للضفة

الغربية، والتعامل مع جبهات متعددة الأطراف، وتحديات أمنية متعددة الأبعاد. وبحسابات استراتيجية، سنجد أن إسرائيل اليوم في موقف أضعف مما كانت عليه قبل أزمة الصيف المنصرم في لبنان، وسوف يتدهور موقفها أكثر - كما سيحدث مع الولايات المتحدة – إذا طورت إيران أسلحة نووية.

خامساً : ليس من المحتمل حدوث أي تقدم في عملية السلام في الشرق الأوسط في المستقبل المنظور. فبعد عملية إسرائيل العسكرية في لبنان أصبحت حكومة حزب كاديما في إسرائيل أضعف من أن تحصل علي تأييد الإسرائيليين لأي سياسة تنطوي علي مخاطر، كقيامها مثلاً بعملية انتقامية. وأصبح هناك قناعة عند الإسرائيليين بأن الانسحاب من غزة وقبلها من لبنان هوالمسئول عن الهجمات التي تتعرض لها إسرائيل من الفلسطينيين في غزة واللبنانيين في حزب الله. ولا يوجد شريك في الجانب الفلسطيني لديه كل من القدرة والاستعداد للتوصل لتسوية، وستشهد مفاوضات السلام المزيد من العقبات. وقد فقدت الولايات المتحدة معظم مصداقيتها وموضعيتها كوسيط نزيه بين العرب وإسرائيل على الأقل الآن. في نفس الوقت الذي ستستمر فيه إسرائيل في عمليات التوسع الاستيطاني، مما سيضع المزيد من العراقيل، ويجعل الجهود الدبلوماسية أكثر تعقيداً.

سادساً : ستستمر في العراق، الذي كان ذات يوم مركزاً للقوة العربية، حالة الفوضى والضياع لسنوات مقبلة، في وجود حكومة مركزية ضعيفة، ومجتمع منقسم على نفسه، وعنف طائفي مزمن. وعلى أسوأ تقدير، سيتحول العراق إلي دولة مهشمة تطحنها حرب أهلية ضروس ستمتد إلى جيرانها.

سابعاً : ستبقى أسعار النفط عند أسعارها المرتفعة نتيجة الطلب القوي عليه من جانب الصين والهند.

وينتهي هاس إلي أن دراسته ذهبت به إلى قناعة مفادها أن الشرق الأوسط سوف يظل جزءاً مضطرباً لعقود مقبلة، وهوأمر كاف جداً لأن يحن المرء إلى الشرق الأوسط القديم. (إلى هنا انتهت الدراسة).



علي حكامنا وشعوبنا الاستفاقة من الغيبوبة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

"أياً كانت الأسباب فإن معظم الحكومات الإسلامية على مر السنين لم تمارس ضغوطاً على الإدارة الأميركية خاصة التي بإمكانها أن تُمارس الضغط الاقتصادي على الاقتصاد الأميركي - يومياً - خسرت فُرصاً كثيرة لممارسة الضغط على صُنّاع القرار الأميركيين لإحداث تغييرات في السياسة الأميركية !! "

بول فندلي

علـي حـكامـنا وشـعوبنا الاستفاقة

من الغيبوبة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

نعم للحوار.. لا للتصادم !!

تحدثنا فيما سبق باستفاضة عن المسيحية الصهيونية، وكيف أنها تحاول جر المسلمين إلى حرب كونية كارثية، تنتهي بالألفية السعيدة — كما يخططون — وفق نبوءات كاذبة. ورأينا كيف أن التطرف الإسلامي وما أسفر عنه الفكر التكفيري من تحول معتنقيه إلى إرهابيين، لا يسفكون فقط دماء المدنيين الأبرياء في الغرب فقط، كما حدث في هجمات سبتمبر ومدريد ولندن وإنما أيضاً دماء المدنيين الأبرياء في دول إسلامية مثل تفجيرات اسطنبول بتركيا والرياض بالسعودية وسيناء بمصر، والدار البيضاء بالمغرب، وبالي بأندونيسيا، وبغداد في العراق، وغيرها !!

كما تناولنا العلاقة بين المتطرفين من الديانات الثلاث، وكيف أنهم ليسوا أطرافا متنازعة، بقدر ما هم يعملون لحساب بعضهم البعض. فالمتطرفون الإسلاميون يخدمون الأهداف الخبيثة للمتطرفين المسيحيين واليهود، وخاصة المنتمين للمسيحية الصهيونية، ويمدونهم بما يستخدمونه لغسل أدمغة الملايين في الغرب المسيحي، لجرهم إلى حرب كارثية ضد الإسلام والمسلمين، يستخدم فيها السلاح النووي، للتعجيل ببلوغ النبوءات، ورغم رفض معظم المسيحيين في العالم لهم ولفكرهم الشيطاني، ورغم رفض معظم المسلمين للتطرف الإسلامي أيضاً، وقلة من اليهود، بعضهم أعلن رفضه، حتى في كتابات بعث بها إلى صحف العالم — كما تضمن الكتاب — ولكن مجرد الرفض لن يفيد، وما لم يتوحد أصحاب الديانات الثلاث، لمواجهة هذا الخطر المحدق، فستكون الكارثة، وفناء الكون بانتظار الجميع.

لقد أجمعت كل النقاشات التي جرت داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة منذ سنة ١٩٩٨ ٢٠٠١ بصدد الحضارات الإنسانية، على إيجابية التنوع الثقافي كعامل محوري في إغناء تطور وتقدم الإنسانية، وضرورة تفعيل الحوار بين مختلف هذه الحضارات، حيث شكل الأمين العام لجنة تمكنت من إنجاز وثيقة في الموضوع قدمت للجمعية العامة التي أقرتها بدورها بالإجماع، وكانت هذه الأخيرة قد تبنت قرارا لها رقم ٢٢ في دورتها رقم ٥٣ بتاريخ ٤ نونبر ١٩٩٨ تضمن إعلان سنة ٢٠٠١ سنة للحوار والتعايش بين الحضارات، وقد اعتبرت معظم القوى الدولية والشعوب المحبة للسلام والتسامح هذا الإعلان بمثابة رد عملي صارم من جانب المجتمع الدولي على كل الخطابات التي تدعي وتشجع وتتبنى الصراع والصدام بين مختلف الحضارات الإنسانية.

غير أنه في الوقت الذي كانت الجهود الدولية والإقليمية تجري فيه على قدم وساق نحوتعزيز الحوار بين الحضارات المحلية والإقليمية والدولية وخلق جومناسب للحوار بينها، أعادت هجمات سبتمبر وما تلاها من توجيه الاتهام لعناصر عربية وإسلامية بشأن الضلوع فيها أعادت نظرية "هانتنغتون" المرتبطة بصدام الحضارات بقوة إلى الواجهة، حيث تداولها العديد من الدارسين والإعلاميين والسياسيين والعامة أيضا في الغرب، واعتبرها البعض نظرية توقعية وصائبة، وشكلت هذه الأحداث مناسبة أيضا للكثير منهم لوصم الإسلام والمسلمين بأذل وأحقر الأوصاف، من قبيل التأكيد على "الخطر الإسلامي" والربط بين الإسلام و"الإرهاب"... وبالتالي تكريس الخلط بين الشخص "الإرهابي" والحضارة التي ينتمي إليها، وهوالأمر الذي تجاوز فيه الخطر الذي كان يهدد العرب والمسلمين في الغرب في ثقافتهم إلى حياتهم الشخصية أيضا.

ومنذ فترة الفتوحات الإسلامية الأولى والعلاقات بين الإسلام والغرب يشوبها نوع من الالتباس والغموض والفهم الخاطئ، حيث ظل الإسلام في الغرب ذلك الآخر البربري الغازي والحاقد والمحارب...

ولذلك نجد عدة دراسات استشراقية استهدفت منذ عدة عصور وإلى الآن الإسلام وتوخت تشويه صورته في الغرب والعالم إلى الحد الذي جعل البعض يعتبر – وذلك في تصريحات حاقدة وعنصرية– أن المسلمين في حالة حرب دائمة وبالتالي لا يصلح معهم بتاتا حوار الحضارات (الأديب البريطاني نايبول، الفائز بجائزة نوبل في الأدب)، أووصف المسلمين ب" أبناء الله، الغارقين في مختلف أشكال الانحراف...الذين لاهم لهم سوى أداء الصلوات والتكاثر مثل الفئران...والذين لا يستحقون سوى الضرب..." (الكاتبة الصحفية الإيطالية أوريانا فلاتشي في كتابها "الغضب والكبرياء" الذي حطم رقما قياسيا في حجم المبيعات داخل مختلف البلدان الأوربية) أووصف النبي محمد ﷺ بالإرهابي... وبأنه كان رجلا عنيفا ويدعوإلى الحرب، بل إن وزير العدل الأمريكي "جون أشكروفت" صرح بأن: "الإسلام دين يطلب فيه الله منك أن ترسل ابنك لكي يموت من أجله، والمسيحية إيمان يرسل الله فيه ابنه لكي يموت من أجلك".

وقد ارتبط سوء فهم الغرب للإسلام من خلال عدم التمييز بين ما هومن صلب الدين وما هوناتج عن الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية (التجارب والممارسة البشرية). ويتمظهر هذا الفهم الضيق والمنحرف للإسلام من خلال وضع الإسلام ضمن إطار ما يعرف "بالاستبداد الشرقي" وتعميم التشدد والقسوة والتعصب والإرهاب واللاعقلانية والتخلف ونبذ الديموقراطية وحكم القانون المدني والمساواة بين الرجل والمرأة على الثقافة الإسلامية برمتها.

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي برز تيار فكري في الغرب يجعل من الإسلام عدوا للغرب بديلا عن الشيوعية، وفي نفس السياق تم تداول عدة مصطلحات تم ربطها بالإسلام من قبيل "التعصب. وقد أسهمت في ترويج هذه المصطلحات الدعاية الإعلامية المعادية والدراسات الاستشراقية، هذا زيادة على الدعاية الصهيونية السوداء التي نجحت في رسم صورة مشوهة وقاتمة عن الإسلام والمسلمين والعرب في الغرب من خلال تزوير الحقائق التاريخية، في ظل فراغ أفرزه عدم التواجد الإعلامي والثقافي العربي والإسلامي الفاعل هناك.

ورغم كون معظم أنظمة البلدان الإسلامية تربطها علاقات ودية مع الغرب، ورغم المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تعيشها معظم هذه البلدان، فهناك داخل الغرب من يبالغ في إثارة خوفه وقلقه من "الخطر الإسلامي"، عبر استنتاجات خاطئة تضفي طابع التطرف والتشدد ومعاداة الغرب على كل مسلم أينما كان، بناء على سلوكات استثنائية يقدم عليها بعض الأشخاص والجماعات وهوالأمر الذي يدفع بالغرب إلى ممارسة مختلف الضغوطات على معظم هذه البلدان بهدف صد أية تحولات "مريبة" تحصل بداخلها، أوتحجيم أي دور استراتيجي لها ومحاولة منع امتلاك هذه الدول "الديكتاتورية" لأسلحة نووية مخافة سقوطها في أيدي "الإرهابيين"، وهوما تبين في القصف الإسرائيلي للمفاعل النووي العراقي تموز في بداية الثمانينيات وممارسة ضغوطات كبيرة على باكستان لفرض رقابة مستمرة على قدراتها في هذا الشأن، ومنذ نهاية حرب الخليج الثانية احتكرت إسرائيل امتلاك القدرات النووية في منطقة الشرق الأوسط، في حين لم يعد للعرب أي خيارات في هذا الشأن نتيجة للحظر "الدولي" المفروض على نقل التكنولوجيا النووية للأقطار العربية، وهوما يعطي انطباعا أوليا بأن علاقة الغرب بالإسلام علاقة أمنية يشوبها الحذر.

ومن المؤكد أن تجاهل الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة لتطلعات الرأي العام في البلدان الإسلامية مع تزايد هذه الضغوطات التي أشرنا إليها، أسهم بدرجة كبيرة في تصاعد العداء نحوالغرب داخل الأوساط الشعبية في العالمين العربي والإسلامي وعزز من تنامي خطاب الهوية الثقافية الذي يزيد من توتر العلاقة بين الغرب والإسلام.

ومن مظاهر تحامل "الغرب" على الإسلام، أنه لم يتم وصف مجرم الحرب- بإجماع المجتمع الدولي- "سلوبودان ميلوسيفيتش" أو"ماكفاي" مفجر مبنى "أوكلاهوما سيتي" سنة ١٩٩٥ "بالإرهابي المسيحي"، أووصف قاتل رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "إسحاق رابين" بأنه "إرهابي يهودي"، في حين كلما تعلق الأمر

ولويعمل عرضي يحمل قدرا من العنف يرتكبه مسلمون إلا وتم وصفه "بالإرهاب الإسلامي" أوالحديث عن "المسلمين الإرهابيين"، وأكثر من ذلك هناك إصرار على تجريم "معاداة السامية"، فيما يتم إدراج تجريم الإسلام ضمن ممارسة حرية الرأي وحق الاختلاف.

ومن خلال ما سبق، يمكن القول أن صراع الغرب مع الإسلام هوواقع وجار في الميدان على مختلف الواجهات من خلال السياسات التعسفية التي تستهدف محاصرة الإسلام والتضييق على المسلمين في كل مكان، وهي السياسات التي تغطيها التصريحات الرسمية المزيفة الداعية للحوار والتعايش، وهي سياسات تنطوي على خلفيات اقتصادية وسياسية وعسكرية.

وحتي تتضح الصورة لما ينبغي عمله لمواجهة ما تحيكه المسيحية الصهيونية من مؤامرات تهدد العالم بأسره فسوف أقدم هنا رؤية ثلاثة من كبار مفكري وسياسيي الغرب هم بول فندلي وجون اسبوسيتو وسام هاريس ثم ستة من كبار مفكري وسياسيي الشرق هم القس جون هيوبرز والأستاذ فهمي هويدي والأستاذ مصطفى الفقي والدكتور يوسف القرضاوي والأستاذ محمد أركون، والأستاذ الدكتور عامر عبد زيد كاظم.

أولاً سنبدأ بمفكري وسياسيى الغرب الثلاثة ممن عرفت عنهم الموضوعية والنزاهة والأهم الشجاعة في إبداء الرأي حتى، وإن تعرضوا للظلم والملاحقة من جانب هؤلاء في بلادهم، وحتى لواختلفنا معهم في الرأي في بعض ما يطرحونه من أفكار ورؤى.

الأول هوالسيناتور الأمريكي السابق بول فيندلي صاحب الكتاب الشهير "من يجرؤ علي الكلام"، والذي فقد منصبه في الكونجرس الأمريكي، بسبب ملاحقة اللوبي اليهودي في أمريكا له، بعد أن فضح مؤامراته ومخططاته، وطالب الأمريكيين بالتصدي له،. يقول: أيّاً كانت الأسباب فإن معظم الحكومات الإسلامية وفي مقدمتها

العربية على مر السنين لم يبدووكأنهم يمارسون ضغوطاً على الإدارة الأميركية حتى اعتقدوا أن.. لديهم أسبابهم الخاصة القوية لذلك، ولكن هناك كثيراً من الدول العربية التي بإمكانها أن تُمارس الضغط الاقتصادي على الدولار الأميركي، والاقتصاد الأميركي يومياً من خلال القرارات التي يتخذونها والمشتريات ومشتريات الذهب، إنهم خسروا فُرصاً كثيرة لممارسة الضغط على صُنّاع القرار الأميركيين ولم ينتهزوها، وخسروا أيضاً فرصاً كمجموعات من الدول لإحداث تغييرات في السياسة الأميركية !!

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة بين القطبين بداية التسعينيات أخذت وسائل الإعلام الغربية تتناول الإسلام كعدوجديد للغرب، وأخذت الآلة الإعلامية الغربية تغذي العقل الغربي وتملأه بالمخاوف من الخطر الإسلامي القادم، حتى أصبح مفهوم الإسلام لدى غالبية الغربيين يعني الإرهاب، وباستثناء تحركات تقوم بها الجهات ومراكز الدراسات الإسلامية في الولايات المتحدة ودول أوروبا لتحسين الصورة، فإن الدول العربية والإسلامية لا تقوم بأي جهد ملحوظ في هذا الجانب، وكأن الأمر لا يعنيها.

غير أن هناك بعض المفكرين الغربيين الذين عرفوا حقيقة الإسلام يقومون بجهد أكبر بكثير من المسلمين سعياً لتحسين صورة المسلمين في العقلية الغربية، ومن أبرزهم البروفيسور (جون اسبوزيتو) مؤسس ومدير مركز التفاهم الإسلامي المسيحي في جامعة (جورج تاون) في العاصمة الأميركية واشنطن.

ويقول اسبوزيتو في حوار له مع الأستاذ أحمد منصور في قناة "الجزيرة" : إن المسلمين يتحملون مسؤولية في هذه الصورة المشوهة عنهم .. نعم أعتقد أن هناك أسباباً كثيرة، أولاً: لم يكن هناك أي التزام حقيقي لتغيير الصورة، الالتزام أعني به المسئولين ثم الموارد المالية، وأنا عندما أتحدث إلى المسلمين هناك ميول، هناك مثل: "ضع مالك فيما تعتقد"، أي أنفق على ما تريد ولكن ليست هناك أموال..

موارد مالية تكفي لمعالجة هذه القضايا. يجب أن تكون هناك موارد من.. من الناس ورجال الأعمال والسياسيين، لأننا نريد أن نغير هذا الوضع، نريد أن نضع برامج وهذا صعب. أنا أدير المركز لمدة أربعة سنوات وأعتقد أن من الصعب الحصول على الدعم المالي الذي نحتاجه، نريد إنشاء مراكز أخرى مثل مركزي في العالم الإسلامي، وكذلك أن يكون هناك تبادل للبرامج، ويكون لنا أثر على صناع القرار، ويكون لنا أثر على الجمهور، وهذا يقتضي وجود التزام شديد و.. لا يوجد ما يكفي، ولا يمكن للآخرين أن يفعلوه، يجب أن يفعله أيضاً مجموعة من الملتزمين.

وهكذا يضع اسبوزيتوالمسؤولية بالدرجة الأولى تقع على الحكومات العربية والإسلامية التي لا تهتم بهذا الوضع بأي شكل. ويضيف: أعتقد أن الحكومات يجب أن تهتم بشكل أكبر، هذا رقم واحد، وكذلك على الحكومات أن تكون حذرة ولا تشجع صورة الإسلام المشوه بأنه متزمت جداً، يؤكدون على مخاطر الأصولية عليهم.. وبذلك إنهم يعززون صورة التشويه وأن الإسلام يساوي العنف والإرهاب، يجب أن يفرق الإنسان بين الإرهابيين وبين المعارضة الشرعية في العالم الإسلامي. وإذا لم يكن هناك تفريق فإنهم.. يضفون إلى الصورة المغلوطة عن الإسلام في الغرب.

و عن الوسائل التي ينبغي على المسلمين القيام بها لتحسين صورتهم وبداية دور المسلمين في الغرب يقول جون اسبوزيتو: أعتقد أن على المسلمين أن يعوا ماذا عليهم أن يفعلوا وبشكل أفضل، أعني أن يؤيدوا المنظمات الموجودة التي تروج لقضاياهم وتدعم قضاياهم وصورتهم، عليهم أن يكونوا أكثر تنظيماً وظهوراً في الغرب. عندما أنشأنا المركز في (جورج تاون) فكرنا في القضايا السليمة في الوقت المناسب وفي المكان المناسب، وهذا ما يجب أن يحدث مثلاً. مما نحتاجه الموارد المالية التي أسعى للحصول عليها من أجل استقطاب المثقفين المسلمين في (جورج تاون) وفي الجامعة.. في واشنطن، وفي مدرسة الشؤون الخارجية لمعالجة الكثير من هذه القضايا، ليس فقط كزوار إلى البلاد، علينا أن نمول هؤلاء المثقفين والخبراء وأن نقدم المنح الدراسية حتى نستقطب العرب والمسلمين.. الطلبة العرب والمسلمين ونتبادل البرامج

وورش العمل، ونعالج هذه القضايا، وأن نتصل بالمسؤولين الكبار، أن يكون لدينا وثائق عن المفاهيم المغلوطة، وننشر في وسائل الإعلام، يجب أن يكون لديهم مراكز أكبر، هذا موضوع هام.. نقول هذا منذ سنوات ولكنه لم يحدث، بعض أصدقائي في العالم العربي والإسلامي يقولون: أعطينا أموالاً ولكننا لم نجد مردوداً.

وعندما أقول لهم: "لقد أعطيتم أموالاً لقضايا خاسرة، لماذا تعطون لجامعة أميركية، لأستاذ في الهندسة أوفي الكيميا؟ أميركا.. دعوا الأميركيين يفعلوا ذلك، عليكم.. عليكم أن تؤيدوا معرفة القضايا بالعالم العربي والإسلامي، المواضيع التي تحسن العلاقات بين الإسلام والغرب، يجب أن نفعل هذا، ليس فقط بالكلام ولكن بالمال، وهذا ما لا يحدث. (الجزيرة) محطة فاعلة لأن لديكم البنية التحتية لنشر المعلومات لكل العالم؟ ولولم يكن لديكم التمويل لكانت محطتكم محدودة ولم يكن لديكم أي أثر فاعل، وهذا ما يجب أن يحدث أكثر فأكثر، يجب أن تكون هناك الأموال متوافرة، هناك طبعاً المال والتعليم، ولكن يجب أن يكون هناك الالتزام.

لا لتغييب العقل وتصديق النبوءات !!

أما الكاتب الأمريكي سام هاريس فينتقد في كتابه "نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل" ما يصفه بالابتعاد عن الحكمة والمنطق في التعامل مع النصوص الدينية وعدم لجوء المؤمنين بها من مختلف الأديان للبحث عن الدليل العلمي على ما تنص عليه الكتب الدينية. وذلك على الرغم من أن الإنسان في عالم اليوم أصبح علميا في تفكيره لكونه يطالب بالحصول على الأدلة والبراهين العلمية ويقوم بطرحها للتجربة قبل أن يؤمن بأية فرضية. ويقول إن المؤمن يميل إلى تغييب العقل وتصديق المعجزات التي وردت في الكتب الدينية.

ويشدد الكاتب على أن الخطر لا يكمن في النصوص والأفكار الدينية ذاتها بل إنها تبقى مجرد كلمات إلى حين أن يتم الإيمان بها حينئذ تصبح تلك النصوص والأفكار جزءا من منظومة التفكير والعقل لدى الإنسان، وبالتالي تعمل على تحديد رغباته وتطلعاته ومصادر قلقه وتتحكم في باقي تصرفاته. ويقول إن هناك على ما يبدومشكلة فيما يتعلق ببعض معتقداتنا الدينية المقدسة، حيث إنها تدفع البشر إلى قتل بعضهم البعض، مشيرا إلى أنه لوألقينا لمحة بسيطة على تاريخ البشرية أوصفحات أي صحيفة إخبارية سيتبين لنا أن الأفكار التي تفرق بين الجماعات البشرية المختلفة، لتجمع بينهم فقط في قتل بعضهم البعض، هي أفكار نابعة من النصوص الدينية ولها جذور في الدين.

ويجادل الكاتب بشكل غير مباشر فكرة القدر مشددا على أن الإنسان هوالذي يحدد مصيره ومستقبله بنفسه وأنه عادة ما يشعر الإنسان بأن هناك حاجة إلى تبرير ذلك من خلال الدين. ويقول إنه في حال تعرضت الكائنات البشرية للانقراض عبر الحروب والاقتتال لن يكون السبب في ذلك هوأن مسالة انقراض الكائن البشري أمر مقدر ومحتوم وإنما لأنه أمر منصوص عليه في الكتب الدينية.

وحسب هاريس فإن طريقة تعامل الإنسان مع كلمات مثل الإله والجنة والخطيئة وكيفية استخدامه لها في الوقت المعاصر هي التي تحدد مصيره ومستقبله، وذلك في إشارة للحروب التي تنشب بدوافع دينية.

وفي معرض تفسيره للوضع الإنساني الراهن يقول هاريس إن معظم الناس في العالم يؤمنون بأن خالق الكون قد وضع كتابا يتضمن أحكاما ووصايا تحدد الطريق الصحيح الذي يتعين على المؤمنين اتباعه من خلال تطبيق الأحكام التي يتضمنها ذلك الكتاب. غير أن المشكلة هنا تكمن في أن المسألة لم تنحصر على كتاب واحد بل إن هناك عددا من تلك الكتب المقدسة وأن كلا منها يدعي بأنه هوالكتاب الحق والبين والمحصن، وبالتالي فإن كل فريق يعتقد بأن دينه هوالدين الوحيد الكفيل

بمرضاة الخالق وقيادة المؤمنين به إلى النعيم الخالد بينما يواجه المتخلفون عنه لغضب الخالق والعذاب ومن ثم ينشأ الشعور بعدم قبول الآخر وإزالة صفة الإنسانية عنه مما يبرر بالتالي شرعية الاعتداء عليه وشن الحروب ضده. ويشدد هاريس على أن المشكلة تشتد خطورة عندما يدعوالمعتدلون في الدين إلى ضرورة احترام معتقدات الآخرين على الرغم من اعتبار أنهم كفرة ومتخلفين عن الدين الحق، في الوقت الذي لا يقبل فيه الإله احترام المعتقدات الخاطئة والتي تتعارض مع ما نص عليه كتابه المنزل.

ينتقد مؤلف الكتاب المعتدلين في الدين الذين يقول إنهم سيكونون السبب الرئيسي في تعريض البشرية إلى السقوط في الهاوية، وذلك على الرغم من عدم تأييده للتطرف. ويقول إن الذين يدعون إلى الاعتدال يتحملون مسؤولية كبيرة تتمثل في كونهم يعتقدون بأن السبيل الوحيد إلى السلام بين بني البشر هواحترام كل شخص للمعتقدات الدينية للآخرين على الرغم من أنه على يقين تام بأن تلك المعتقدات خاطئة وغير مبررة. ويصف هاريس ذلك بالتناقض، حيث يعتقد بأنه إذا كان شخص ما يؤمن بأن مآله الجنة بسبب اتباعه للنصوص والأحكام المنزلة في كتابه وأن مآل الشخص الآخر هوالجحيم بسبب ما يعتبره معتقدات دينية خاطئة فمن غير الممكن أن يحترم ذلك الشخص المعتقدات الدينية للشخص آخر، ويقول إن ذلك هوالنفاق بعينه.

ويضيف هاريس أن فكرة الاعتدال والتسامح الديني تشكل خطرا حقيقيا لأن المعتدلين أنفسهم يفسحون المجال لوجود وبروز التطرف من خلال تعديل النصوص الدينية المقدسة وهوالأمر الذي يضطر غير المعتدلين إلى التشبث بالنصوص الأصلية وبالتالي يميلون نحوالتطرف. ويوضح هاريس أن المعتدلين يضطرون مرارا إلى تفسير وإعادة تفسير النصوص الدينية لكي تتماشى مع العقل والمنطق وتواكب التقدم الثقافي والحضاري وبالتالي فإنهم، حسب هاريس، يقترفون الخيانة بحق الدين والعقل في آن واحد.

ويشير الكاتب إلى أن هناك عوامل اقتصادية وثقافية خاصة في القرن الحادي والعشرين تدفع البعض إلى الاعتدال في الدين، مشيرا إلى أن المعتدلين في جميع الأديان يجدون أنفسهم مجبرين على تفسير النصوص والأحكام الدينية بشكل مبسط أوحتى في بعض الأحيان يتجاهلون بعض النصوص مقابل العيش والتعايش في العالم المعاصر.

يشدد الكاتب على ضرورة الانتباه إلى الدور الذي تلعبه المعتقدات الدينية في تحريك النزاعات والتحريض عليها ويريد تسليط الضوء على جنوح بعض المحللين إلى تجاهل ذلك الدور المتنامي. حيث لا يمكن تجاهل الحقيقة المتمثلة في أن مئات الملايين، في إشارة إلى المسلمين، يؤمنون بميتافيزيقا الاستشهاد أوأن البعض الآخر، أي المسيحيين، يؤمنون بأن النصوص الواردة في "سفر الرؤيا" هي كلام الله المنزل أوأية أفكار دينية أخرى ترسخت في عقول المؤمنين على مدى آلاف السنين، خاصة وأن لدى أولئك المؤمنين أسلحة كيميائية وبيولوجية ونووية. مضيفا أن العالم يمر حاليا مرحلة من تاريخ البشرية يؤمن فيها البعض بأن مجرد كلمات مثل المسيح والله أو Ram البطل الملحمي الهندوسي يمكن أن تمثل الفرق بين الشقاء الدائم والسعادة والرحمة الخالدة.

ويشير هاريس إلى أنه إذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فيجب أن لا نفاجأ بقيام بعضنا من حين إلى آخر باللجوء إلى الحروب بدوافع دينية وقتل أناس آخرين بسبب استخدامهم لكلمات دينية خاطئة في بعض الحالات أواستخدام الكلمات الدينية الصحيحة لأسباب وبدوافع خاطئة في حالات أخرى. ويتساءل الكاتب أنه كيف يُعقل أن يدعي أي شخص بأنه يدرك بيقين تام الطريقة التي تسير من خلالها شؤون الكون لمجرد أن بعض نصوص الكتب الدينية التي لا يمكن أن يصدقها العقل ولا يمكن إخضاعها للتجربة العلمية لإثبات صحتها قد نصت على ذلك، ومن ثم يتساءل هاريس عن الضمانة التي تؤدي إلى جعل الإنسان العاقل على يقين تام بأن تلك الكتب خالية من الأخطاء.

يشدد سام هاريس على ضرورة الابتعاد عن الإيمان الأعمى بالمسائل الميتافيزيقية والتوجه نحوالاحتكام إلى العقل والمنطق في التعامل بين بني البشر لكي تستمر الحياة البشرية ولا تتعرض إلى التهلكة والفناء. ويشير إلى أن التقدم التقني والتكنولوجي في المجال العسكري الذي حققته البشرية خاصة فيما يعتبره "علم الحروب" جعل الاختلافات الدينية وبالتالي المعتقدات الدينية نفسها متعارضة مع مفهوم البقاء على قيد الحياة. ويقول إنه لا شك في أن تلك التطورات تشكل مرحلة ما يصفه بنهاية سذاجة العالم وبالتالي فإن كلمات مثل الإله والله يجب أن تلقى نفس المصير الذي آل إليه Apollo إله السفر والجمال الرجولي عند الإغريق و Baal أحد الآلهة عند الكنعانيين والفينيقيين.

رسالة إلي شركاء الحضارة..

وقد قدم الكاتب المصري القومي مصطفي الفقي، الذي يرأس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشعب المصري، نموذجاً لما يجب أن يكتب لمد الجسور والتواصل بين أصحاب الديانات السماوية وقال في مقال أختار له عنواناً يقرأ : "رسالة إلي شركاء الحضارة... المسيحيين العرب ".. كتب يقول : " لا يكاد التاريخ – قديمه وحديثه – يذكر فترة حرجة للحضارة العربية الإسلامية مثل تلك التي تمر بها حالياً، إذ يتعرض الإسلام لحملة ضارية تستهدف مكانته السامية، ورسالته الخالدة، وحضارته السمحاء. ولا شك أن تلك الحضارة هي نتاج جهد مشترك وعطاء متصل للمسلمين والمسيحيين واليهود في ظل الدولة الإسلامية الكبري والتي تمثل الإمبراطورية العثمانية آخر صورها، لذلك فإن مسؤولية ذلك البناء الحضاري الشامخ الذي يمثل قنطرة بين حضارة الأغريق – التي نقلوها عن الحضارة المصرية القديمة – وبين عصر النهضة الأوروبي، إن مسؤولية ذلك البناء الذي هونتاج لفكر أبناء الديانات السماوية داخل الدولة الإسلامية تنبع من أنه حصاد لاختلاط

قوميات متعددة احتوتها مظلة الإسلام فقدمت بدورها تراثها الحضاري لكي يكون إضافة متنوعة في إطار بوتقة إنسانية تتسم بالتعدد وتتصف بالشراكة. أقول ذلك بمناسبة ما أفرزته أحداث الحادي عشر من (سبتمبر) من تداعيات حاولت فيها بعض الدوائر إقحام الإسلام الحنيف في خلفية الإرهاب بضرباته الموجعة وخبطاته العشواء وتصرفاته التي تتنافى مع كل القيم الدينية والأخلاقية والقوانين الطبيعية والوضعية كافة.

ولعل الذي يدفعني إلى مخاطبة المسيحيين العرب في هذه الظروف البالغة الحساسية والتعقيد هواستنادي إلي عدد من الأسباب أسوقها في ما يلي:

أولاً: إن المسيحيين العرب هم في طليعة رواد الحركة القومية وإسهامهم في إثراء الفكر العربي أمر لا يحتاج إلي إثبات كما أن مشاركتهم في كل قضاياه لا تحتاج هي الأخرى إلى دليل جديد، ويكفي أن نتذكر أن الأغلب الأعم من المسيحيين العرب وقف في صفوف أمته مدافعاً عن شخصيتها متمسكاً بهويتها أمام كل أنواع الغزوالخارجي - مغولياً أو صليبياً أو بريطانياً أو فرنسياً أو إيطالياً - وعندما بدأت الهجمة الصهيونية فإن المسيحيين العرب كانوا دائماً في الصفوف الأولي حتى إن عدداً من فصائل المقاومة الفلسطينية كان المسيحيون الفلسطينيون هم قيادتها التاريخية وأداتها التنفيذية.

ثانياً: إن شهادة المسيحيين العرب في هذه الظروف تكتسب صدقية خاصة لأنها تكون شهادة غير مجروحة إذ تأتي من شركاء البناء الحضاري الذين عايشوا الوجود الإسلامي لما يزيد علي أربعة عشر قرناً حافلة بالحروب والمواجهات والتحديات ولكنها أكدت دائماً منطق التواصل الحضاري والتداخل الإنسانى وأعطت أهل الذمة كل أسباب الرعاية والاهتمام.

ثالثاً: إن نسبة لا بأس بها من عرب المهجر يدينون بالمسيحية في مختلف طوائفها ولذلك فإن احتكاكهم بالغرب أكثر وربما تكون صلتهم به أقوى. فالعربي المسيحي

قد يلتقي نظيره الأوروبي أو الأميركي في مناسبة دينية أوخدمة كنسية ويظل في كل الأحوال عربي الفكر والمزاج يقدم صورة مشرقة عن أمته ويضع الإسلام في مكانه اللائق باعتباره أحد المكونات الرئيسية للحضارة العربية التي ينتمي إليها.

رابعاً: إن الإنصاف يقضي بأن يتحمل شركاء الحضارة في هذه المرحلة الصعبة دورهم التاريخي في تقديم صورة الإسلام الصحيح وإزالة الشوائب التي تحيط بصورته والدعايات الظالمة التي يتعرض لها، ولا شك أن المسيحيين العرب هم أعرف الناس بقيمة الحضارة التي ينتمون إليها وينتسبون إلى تاريخها، بل إنني أوسع الدائرة لكي أخاطب الجاليات الأوروبية التي اختلطت بالعرب في مراحل مختلفة من تاريخها خصوصاً الجاليات الأرمنية واليونانية والإيطالية، فضلاً عن أولئك الذين انصهروا في المجتمعات العربية رغم أصولهم الأجنبية.

خامساً: إن الأقباط يتصدرون - بحكم حجمهم العددي ومصريتهم الخالصة- قائمة المسيحيين العرب الذين يتحملون مسؤولية الدفاع عن البناء الحضاري الذي ينتمون اليه والنسق الثقافي الذي يعبرون عنه، وتاريخهم الوطني يشهد لهم في مناسبات كثيرة ذلك الدور المرموق في مواجهة الاحتلال الاجنبي والدفاع عن تراب الوطن الذي ينتمون إليه.

سادساً: إن مبرر دعوتنا المسيحيين العرب لكي يقوموا بهذا الدور ليس هوأبداً محاولة تصدير المشكلة إليهم أو تحميلهم ما لا يطيقون، فأنا أظن أنهم يمارسون هذا الدور فعلا ولقد ظهرت لهم تجليات فاعلة في مناسبات دورية أومحافل سياسية كان تعبيرهم فيها قوياً عن انتمائهم الحضاري ودفاعهم مخلصاً عن دين عايشوه وإن لم يعتنقوه، ولا يزال التاريخ يذكر أمثلة لمسيحيين عرب كان فهمهم للشريعة والفقه الإسلاميين محل تقدير واحترام في عدد من الدول العربية، إذ لا زالت أصداء خطب مكرم عبيد باشا - أمين عام حزب الأغلبية في مصر قبل ثورة ١٩٥٢- ماثلة في الأذهان، كما أن خطبة شهيرة للسيد ميشيل عفلق - فيلسوف البعث العربي

الاشتراكي - في مناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لا زالت هي الأخري تحتل مكانة في ذهني لا تبرحه منذ سنوات.

سابعاً: إننا لا ندعي وهماً أن علاقة المسيحيين العرب بشركاء الحضارة كانت دائماً على ما يرام، بل إننا نعترف بأن هناك عثرات اعترضت طريق المسيرة في مراحل مختلفة من تاريخها الطويل ولم تكن الصوة وردية دائماً، بل كان هناك ما يعكر صفو المياه ويثير النعرات الطائفية في مناسبات مختلفة، لذلك فإن شهادة المسيحيين العرب في هذه الظروف ستتسم بقدر كبير من الموضوعية، بل وقسط وافر من الفروسية.

ثامناً: إن الظروف الحالية التي يمر بها العالم توحي بأن هناك محاولة متعددة الأطراف لتوظيف نتائج وتداعيات ١١ أيلول (سبتمبر) لخدمة سياسات محددة أومصالح واضحة ويبدوأننا ندفع في ذلك فاتورة غالية بدماء فلسطينية وأموال عربية، فضلاً عن التشويه المتعمد لصورة العرب ومعتقداتهم الدينية ودمغ مجتمعهم المعاصر بالتخلف والانحراف من دون سند واضح أودليل محدد. لذلك فإن المسيحيين العرب يدفعون مع غيرهم من أبناء الحضارة الإسلامية نصيبهم من كلفة تلك الأحداث ومحاولات توظيفها.

تاسعاً: إن المسيحيين العرب عندما يقومون بهذا الدور فإنهم يمهدون الطريق نحواندماج أكثر وشراكة أقوى فى إطار الجماعة العربية التي يجب أن تسمح بأكبر قدر من التعددية وأوسع مساحة للحرية، وفي تاريخ الأمم منعطفات تقوى بها الأواصر، واختبارات تنصهر معها الروابط بحيث تصبح نقاط تحول تاريخية في علاقات أصحاب الديانات وتبقي مكوناً أساسياً في ذاكرة الأمة.

عاشراً: إن ما ندعوإليه اليوم إنما يمثل مسؤولية مشتركة لكل عربي يرفض أن تشوه صورته أويساء لحضارته لأن النتيجة تنسحب على الجميع، كما أن المشاكل تتقاسمها الأطراف كلها. ونحن أمام منعطف خطير يحتاج من كل عربي إلى دور

مؤثر يضع صورته في إطارها اللائق ويقطع الطريق على كل محاولات التشويه أوالاستبعاد اوالإقصاء.

وبهذه المناسبة فإنني أقول إن الغرب لا يعرف الكثير عنا، فالمواطن العادي في الولايات المتحدة الأميركية معلوماته محدودة للغاية عن العرب وكل مصادر معلوماته تقدم له صورة شوهاء تستدعي بعض مظاهر الإرهاب والتخلف والسفه. وهذه كلها مكونات ظالمة لشخصية مظلومة تحتاج إلى دفاع موضوعي قوي خصوصاً في هذه المرحلة، ولكن أوروبا تعرف اكثر عن العالم العربي حيث تشكلت صورة العربي الحديث لديها من مصدرين هما فهم بريطانيا للشرق الأوسط وارتباط فرنسا بشمال أفريقيا، كما أن التواصل بين الحضارتين العربية الإسلامية في جانب والغربية المسيحية في جانب آخر هوشاهد دائم علي الروح التي حكمت العلاقات بينهما لقرون طويلة، بل إنني أزعم ان أوروبا المسيحية تحتجز في خلفيتها الفكرية جزءاً كبيراً من التراث الإسلامي الذي امتد إلى منطقة البلقان وجزر البحر الأبيض فضلاً عن الأندلس وغيرها من معابر الحضارة وجسور الاتصال بين الثقافات المطلة علي البحر المتوسط، كما أن في مكونات كل عربي - مسلماً أومسيحياً - جزء كبير من الحضارة الغربية بكل ما لها وما عليها وأي إنكار لهذه الحقيقة هوتجاهل عبثي لا مبرر له، فالحضارات لا تملك خطوطاً فاصلة تعزل بعضها عن البعض الآخر ولكنها تملك قنوات متصلة تربطها بمفهوم الأخذ والعطاء.

ولقد أثبتت الدراسات النوعية للمجتمعات الحديثة أن التعددية نعمة وأن وجود الأقليات ميزة، فالوجود المسيحي العربي يعطي أمتنا شخصية متميزة ويثبت رحابة تاريخها وتنوع حضارتها، والأمم الناهضة والشعوب الذكية تبرع في توزيع الأدوار عند اللزوم وتجعل من الاختلافات الدينية والمكونات الحضارية مصدراً لتعظيم مصالحها وتحقيق أهدافها والدفاع عن غاياتها. ونحن في هذه المرحلة التي تشتد فيها الحملة الضارية ضد هويتنا القومية وحضارتنا العربية، في احتياج شديد إلى استخدام كل عناصر القوة لدينا ومظاهر التنوع فينا وفي مقدمها الدعوة إلى

قيام المسيحيين العرب بدور فاعل في هذه المرحلة دفاعاً عن تاريخنا الواحد وتراثنا المشترك، وقد يكون موقفهم المنتظر بداية لروح جديدة في عالمنا العربي تقوى بها العروة الوثقى بيننا وتزدهر معها حقوق الإنسان لدينا، خصوصاً أننا نشهد في هذه الأيام مظاهر لذلك. فبابا الفاتيكان يدعوالكاثوليك في العالم - ومن بينهم العرب - إلى الصيام في آخر أيام رمضان المبارك مشاركة لإخوانهم المسلمين، كما أن ليالي القاهرة - على سبيل المثال - تزهو بمآدب الوحدة الوطنية التي بدأها البابا شنودة الثالث منذ سنوات عدة وذلك تقليد رفيع لا بد أن له مثيلاً في معظم العواصم العربية لأننا بحق نواجه التيار المعادي في قارب واحد لأننا شركاء قدر ومصير وحياة.

لا.. لأصحاب "العقيدة التدبيرية"!!

وإذا كان الدكتور مصطفى الفقي كاتباً قومياً ينتمي إلى الإسلام، فإن كاتباً آخر ينتمي إلى المسيحية يقدم لنا نموذجاً أيضاً يتعين التوقف عنده. انظر كيف كتب القس جون هيوبرز في جريدة "النهار" اللبنانية تحت عنوان يقرأ : كيف نواجه اليمين المسيحي المتطرف؟.. كتب يقول : "تعزو أميركا بشكل جزئي هويتها الوطنية إلى انتشار اساطير قوية تعود إلى أوائل تاريخها. ويرتبط كثير منها "بالآبل" الذين أسسوا هذه البلاد، بينما يرتبط بعضها الآخر بخبرات بناء الأمة.

وقد تكون اقوى هذه الأساطير، تلك التي تطورت من جراء خبرة الريادين وانبثاق الأمة. وأن "بيان المصير" (Manifest Destiny)، كما يسميه علماء التاريخ، هوالاعتقاد بأن الاستيطان في تلك الأراضي الشاسعة غير المأهولة وترويضها من جانب المستوطنين الأوروبيين كانا حدثين تمّا بموجب مقاصد إلهية. والقصة هي كالآتي: هرب أناس رياديون شجعان من الاضطهاد الديني والسياسي الذي لاقوه في أوروبا، وواجهوا عقبات كبيرة في تحقيق أحلامهم بوجود دولة حرة لمواطنين أحرار في تلك البقاع غير المروّضة. ومن بين هذه العقبات، وجود سكان أصليين

"متوحّشين" استخدموا وسائل إرهابية لإحباط مقاصد الرياديين. ولكن، بمعونة الله، استطاع هؤلاء المستوطنون الشجعان أن يهزموا "المتوحشين"، ويطردوهم خارج تلك الأراضي، على الأقل تلك الأراضي "الجيدة"، وهكذا مهدوا الطريق أمام الذين كانوا قادرين بشكل أفضل على استغلال المصادر التي وهبهم إياها الله في تلك الأراضي.

لكن العلوم والمعارف الحديثة فضحت ادعاءات هذه الأسطورة، وركزت على وحشية هذا التطهير العرقي القديم وعواقبه السلبية. غير أن بعض العناصر الأساسية في هذه الرواية والمتعلقة بالأسطورة - أي بالرياديين الشجعان الذين هربوا من الاضطهاد وعملوا على إنشاء دولة حرة - لا تزال تُشكل الهوية الذاتية الأميركية. ويبدوذلك واضحاً في الطريقة السهلة التي يستطيع بها السياسيون هذه الأيام، ومن بينهم الرئيس جورج بوش، أن يحثّوا الدعم لمغامرات سياساتهم الخارجية، باقتباسهم عناصر رئيسة من هذه الأسطورة ("إن أي هجوم على اميركا هوهجوم على الحرية").

اعرض هذه الأفكار امامكم بشكل رئيسي، كطريقة لشرح ما هو بخلاف ذلك، غير قابل للشرح - أي كيف استطاع لاهوت الأيام الأخيرة الذي كانت تعتنقه طائفة مسيحية - بريطانية غير معروفة في القرن التاسع عشر أن يسيطر على خيال أعداد واسعة من أكبر المجموعات المسيحية غير الكاثوليكية وأقواها سياسياً في أميركا، أي الذين يعرفون أنفسهم بأنهم إنجيليون (Evangelicals). هذه الطائفة التي نتحدث عنها هي طائفة "إخوة بليموث" (Plymouth Brethern)، التي كان باحث إلهامها "جون نلسون داربي". إن ما علّمه هذا الرجل هو نهج لتفسير الكتاب المقدس يدعى بـ"التدبيرية" (Dispensationalism).

إن أحد الجوانب الرئيسة في هذه العقيدة، هوالفصل بين إسرائيل والكنيسة في مقصد الله الخلاصي. وكان إيمان "درابي" بأن نبوءات العهد القديم التي ترتبط

بعودة اليهود المشتتين إلى أرض إسرائيل قبل تغربهم، يجب أن تتحقق حرفياً. وكانت هذه العقيدة تتعارض مع التعليم الواسع الانتشار للكنيسة الغربية في ذلك الوقت، والذي كان ينظر إلى النبوءات العبرانية القديمة من خلال عدسة "لاهوت الأيام الأخيرة" للقديس أو غسطينوس والمعروف بـ"الاستبدال" (Displacement). حدد أو غسطينوس الكنيسة كوريث للوعود - أي إنها "إسرائيل الجديدة" التي تتطلع بشوق إلى "أورشليم الجديدة" الأبدية. وهكذا أزال الوعد المرتبط بالأرض من هذه المعادلة.

راج تعليم "درابي" بشكل كبير في أميركا (ويقول البعض إنه أصبح أكثر قبولاً) في بداية القرن الماضي، من خلال كرازة دي.إل. مودي (D.L. Moody) ومن خلال نشر "الكتاب المقدس لسكوفيلد" الذي كان يقرأ على نطاق واسع، ويستخدم رسومات وخرائط ملوّنة عليها رموز متعددة ليبيّن النبوءات وفي ما بعد حملت كلية دالاس للاهوت مشعل عقيدة "القدرية"، وكان من أبرز خريجيها المؤلف "هال ليندسي" صاحب الكتاب المرتبط بهذه العقيدة "كوكب الأرض العظيم" والذي كان يقرأ على نطاق واسع.

يرى أصحاب العقيدة "التدبيرية" أن الحدث الرئيسي الأكثر أهمية في القرن العشرين كان تأسيس دولة إسرائيل عام،١٩٤٧ وهوكان البرهان الإيجابي على أن "داربي" كان على حق. واكتسب هذا الحدث صدقية إضافية بفعل الانتصار السريع والحاسم للدولة الصهيونية في حرب الأيام الستة عام.١٩٦٧ وهكذا هتف "التدبيريون": "أن يد الله حققت هذا بكل وضوح". وأن النبوءات القديمة التي أعطاها الله لإسرائيل، بدأت تتحقق أمام أعينهم.

تلك كانت عقيدة "التدبيرية". لكنها لم تكن بالضرورة الصوت السائد في الكنيسة الإنجيلية الرئيسة في تلك المرحلة. لم تصبح تلك العقيدة سائدة إلا عندما اندمجت الأسطورتان: الأسطورة "التدبيرية" والأسطورة الأميركية.

لقد استخدمت كلمة "اسطورة" ببعض التردد، لأن البعض قد يفهم من هذا انها تعني انني اؤمن بأن رسالة الكتاب المقدس تقوم على قدم المساواة مع قصص الاطفال الخرافية. لكنني لا اقصد ذلك بتاتاً. ان كلمة اسطورة التي استخدمها تشير الى قوة القصة في تشكيل وعي يعرّف الحق بطريقة تسموعلى القصة ذاتها. وهكذا فان اسطورة "البيان المصيري" تعمل بهذه الطريقة حيث انها تقتبس من احداث تاريخية لكي تعرف امراً اعظم من الاحداث نفسها. وتفعل اسطورة "التدبيرية" الشيء نفسه بالنسبة لقصة تأسيس دولة إسرائيل. وهنا ايضاً نجد ان الاحداث التاريخية اقل اهمية من التفسير الذي يعطى لهذه الاحداث، اي ان الطريقة التي تسرد بها القصة تؤدي الى بروز "حق" اعظم منها. وتسرد القصة كالآتي في صيغتها الموجزة: انها قصة اناس مضطهدين يتوقون الى ارض يستطيعون فيها ان يمارسوا ايمانهم بحرية، تحت ارشاد الله وقوته، ويتغلبون على صعاب جمة ومعارضة كثيفة لانشاء دولة خاصة بهم. وتأتي هذه المعارضة من "متوحشين" يفعلون كل ما بوسعهم لمنع هؤلاء المستوطنين الشجعان من تأسيس دولتهم. وان الطريقة التي يريد بواسطتها هؤلاء المتوحشون الارض تبرر طردهم منها.

وهنا، على ما اعتقد، يكمن تفسير واحد على الاقل لهذه السيطرة الراسخة التي تملكها الاسطورة القدرية على الوعي الاميركي (حتى خارج الدوائر الانجيلية)، حيث انها تشكل صدى لافكار اسطورة الريادين الاميركيين. اننا نسمع قصتنا الخاصة بنا، من خلال قصة إسرائيل، ونُقارن انفسنا بالصهيونيين لأن خبرتهم تماثل خبرتنا (اوعلى الاقل تظهر بأنها تماثل خبرتنا، حيث اننا نناقش هنا التاريخ الحقيقي لا التاريخ التفسيري).

لا اريد ان ابالغ بهذا الامر حيث ان الذين يقبلون عقيدة "التدبيرية" انما يفعلون ذلك بشكل رئيسي لأنهم مقتنعون ان هذه افضل طريقة لقراءة الكتاب المقدس. لكن هذه السيطرة التي تفرضها هذه العقيدة على خيال الانجيليين الاميركيين وتفكيرهم، حتى على الذين لا يقارنون انفسهم بالانجيليين، لا يمكن تفسيرها الا بالروابط الواضحة بين القصة الصهيونية و"القصة" الاميركية.

من الصعب المبالغة بالضرر الذي تلحقه هذه العقيدة بالعلاقات المسكونية، وخصوصاً بالعلاقات بين الجناح الأكثر محافظة في الطائفة الإنجيلية الأميركية، وجماعة المؤمنين في الشرق الأوسط. إن موضوع الخلاف يكمن في الطريقة التي يتعاطف بها هؤلاء المسيحيون مع الايديولوجية الصهيونية ضد الذين يعانون ظلمها وقسوتها، بمن فيهم مسيحيو الشرق الأوسط. إن القضية هي "نحن" "ضدهم"، ولكن في هذه الحال فإن كلمة "نحن" تستثني إخوتنا المسيحيين (مع أنه، إن أردنا أن نظهر الحقيقة فإن كثيرين من المسيحيين الصهيونيين الأميركيين غير مدركين وجود المسيحيين الفلسطينيين. إن الأمر بالنسبة لهم، هو أن المسيحيين أو اليهود هم ضد المسلمين. وإذا أردنا صياغة هذه العبارة بطريقة فظة وبخشونة، نقول إن المواطنين المتمدنين في المجتمعات الحرة هم ضد الإرهابيين المتوحشين).

إذن، ما العمل؟ كيف يمكننا، في وجه هذه السيطرة الراسخة لهذه الأسطورة على الخيال والتفكير الجماعيين للإنجيليين المحافظين (والأقوياء سياسياً)، أن نغيّر هذا الوضع، ونساعد هؤلاء المسيحيين على اكتساب نظرة أكثر توازناً؟

علينا أن نبدأ بالحديث مع مؤمني الطائفة، لأن غياب الحوار هذا، كان الخطأ الأول الذي ارتكبته الجماعة المسكونية، خصوصاً من السهل أن نقول إن الشياطين تسيطر على الذين يتمسكون بهذه العقيدة، لكنني لا أعرف طريقة أخرى لمواجهة هذه الأفكار التي تؤدي إلى ظهور الأسطورة.

لقد قلت في هذا الصدد إن المسيحيين الفلسطينيين الذين يزورون الولايات المتحدة لإشراك الطائفة المسيحية هناك بالحديث عن الاحتلال، غالباً ما يزورون الكنائس التي تمثل الطائفة المسكونية الرئيسة، أي إنهم يبشرون من ليسوا في حاجة إلى تبشير!

إن الزيارة الأخيرة التي قام بها الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط الدكتور رياض جرجور للسينودس العام لطائفتي تبرز هذا الجانب. ومع أن الكنيسة

المُصلحة في أميركا لا تقف إلى جانب المسيحيين الصهيونيين، إلا أنها هيئة إنجيلية محافظة قد يقع أعضاؤها في أحابيل الصهيونية المسيحية (إن سلسلة "متروكون وراء" واسعة الانتشار بين رعيتنا).

خاطب الدكتور جرجور سينودس طائفتنا في مناسبات مختلفة وبطرق متنوعة، بما فيها إلقاء خطابين رئيسيين في جلساتنا العامة. وتم اتخاذ قرارين بالنسبة لهذين الخطابين: انتقد الأول بصراحة الاحتلال الإسرائيلي ودعا إلى العودة الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧. وطالب الثاني بإنهاء العقوبات ضد العراق، وحذر من الاستعدادات الجارية للحرب. إن الكنيسة المُصلحة هي متحفظة عادة بالنسبة لإصدار مثل هذه البيانات السياسية الصريحة، إلا أنه تم اتخاذ هذين القرارين بشكل رئيسي بسبب تأثير الالتماس الواضح الذي قدمه جرجور للتضامن مع إخوتنا وأخواتنا في الشرق الأوسط. واندهش المراقبون القدماء في الكنيسة المُصلحة لسهولة اتخاذ هذين القرارين. ومن الواضح أن حضور الدكتور جرجور، والطريقة التي استطاع بها أن يثير التعاطف مع إخوتنا المسيحيين قد غيرا الوضع السائد.

إن ذلك، يركز على أهمية مواجهة الأسطورة الصهيونية بقصص من الحياة عن الفلسطينيين الذين يعانون تحت الاحتلال. ومن الأمور الشديدة التأثير أن كل مسيحي أميركي زار فلسطين، وسنحت له الفرصة لمقابلة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، واستمع إلى قصصهم، واستمتع بضيافتهم، عاد إلى اميركا وقد بات يتعاطف بشكل جديد مع الفلسطينيين. ويقدَم لهم أحياناً الدعم، ويجاهد في سبيل القضية الفلسطينية. إذن، يكمن السر في الاستماع إلى هذه القصص واختبارها بطريقة مختلفة، مما يسمح لصوت الذين فقدوا بيوتهم ويعانون الذل والإهانة من جراء الاحتلال أن يسمع.

إن الصهيونية المسيحية حركة قوية في أميركا، بسبب تأثير روايتها التي تردد صدى "قصتنا" الخاصة بنا. وأؤمن أن السر في مواجهتها يكمن في سرد قصة

أخرى، أي قصة الناس الذين فقدوا بيوتهم ومعيشتهم، وكرامتهم، وفي بعض الحالات فقدوا حياتهم، على الأقل وبشكل جزئي بسبب الدعم الأميركي المطلق للصهيونية. إن المسيحيين الصهيونيين المتعصبين سوف يستمرون في التمسك بأفكارهم، في وجه كل ما يقدم إليهم من أدلة لمواجهة هذه الأسطورة. لكنني أعتقد أن هناك الكثيرين من المنفتحين لسماع قصة أخرى، والذين يمكن استمالتهم إلى جانب الذين يعملون، كما أظن أننا جميعاً نعمل، على التعامل مع الوضع في فلسطين بشعور من العدالة التي يدعونا الله أن نمارسها في كل أمورنا وقضايانا. ينبغي إضفاء صورة إنسانية ورؤوفة على هذا الصراع لنبرهن أن الفلسطينيين ليسوا "المتوحشين" كما صنفتهم تلك الأسطورة. وكل ما يمكن القيام به لتحقيق هذا الأمر، هوخطوة في الاتجاه الصحيح.

لقد دأب الغرب على إطلاق تسمية (الأصولية) في وصف كل اتجاه متزمت لا يقبل أي حوار، يكافح متبعوه في سبيل رد الناس إلى نمط من الفكر والمعيشة والتصور كان يعد في فترة من الفترات التزاماً لجيل القاعدة الأولى في ظروفها ومقاييسها. وهذا الوصف يبدودقيقاً حين يطلقه الغرب على الأصولية الإنجيلية، والأصولية الهندوسية، والأصولية الشيوعية، والأصولية التوراتية. ولكن هذا الوصف يبدوغير دقيق حينما نطلق لقب (الأصولية الإسلامية) على جماعات التطرف الديني، التي تنظر إلى العالم كله نظرة الخوارج إلى جمهور المسلمين على أساس أنهم حطب جهنم، دماؤهم وأعراضهم وأموالهم هدر مباح. إن هذا الربط بين المفهوم وبين أصول التشريع الإسلامي ربط هزيل ومائع، لأنه يسقط من حسبانه أهم خاصية من خصائص هذه الشريعة السمحة؛ ألا وهي المرونة والتطور في ظلال القيم الإلهية الثابتة، هذه الخاصية التي سمحت بشكل واقعي ظاهر أن تكون الشريعة الإسلامية هي الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان.

واقع الحال هوأن المسلمين ليسوا في مشكلة مع الأصولية الإسلامية، نحن في مشكلة مع اللا أصوليين... ذلك أن الذين يحتكمون إلى الأصول الإسلامية مدركون

ما فيها من تسامح وحب وخير ويقدرون ما تشتمل عليه من مرونة وتطور ولا يمكن أن يشكلوا بحال من الأحوال عبئاً على أي وطن إسلامي.

وهكذا فإننا نرى مرّة أخرى المجتمعات الإسلامية مشطورة إلى شطرين متفارقين متناقضين هما:

الأول: تيار أسلم قيادته للغرب، وولاءَهُ لتاريخ الغرب ورجاله وثقافاته وتقاليده ولغاته أعظم من ولائه لأمجاد أمته، لا يكاد يتحرك في شرايينه دم عربي أوإحساس إسلامي.

والثاني: تيار أغلق على نفسه أبواب الحياة والفكر وعكف على الانعطاف على الذات، ورأى في الغرب شراً محضاً وفساداً مطلقاً، وجُنّدَ سلبياً لمواجهة العالم كله بدءاً من حكوماته الوطنية، والقيادات الإسلامية المتنورة، وانتهاء بكل رموز الحضارة والحرية.

وهنا نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام مسؤوليتنا كرجال دين وقيادات إسلامية إذ تبقى الأسباب الأربعة السالفة مسؤولية رجال السياسة والإعلام، فيما يعتبر التوجيه الخاطئ مسؤوليتنا نحن رجال الدين مباشرة.

إن منهاج التعليم والتربية الإسلامية عموماً بحاجة إلى إصلاح وتجديد، وثمة فتاوى صدرت في فترات من التاريخ تبدلت ظروفها كاملة، وتغيرت أطرها ومبرراتها ولابد من النظر إليها بوعي واستخلاص دلالاتها على ضوء الظروف الجديدة وضمن توجيهات الكتاب والسنّة. كما أن تخريج أجيال من حملة الشهادات الشرعية بثقافات منغلقة غائبة عن حركة التاريخ، غير واعية للعالم الذي تعيش فيه، يعتبر جهداً خاطئاً لابد من تقويمه حتى يسير في السبيل الذي ينسجم مع نظرة الإسلام في الكون والحياة، ومقاصد الشريعة السمحة، ببناء الأمة الماجدة، وعالم يسوده الإخاء والمحبة في ظلال كتاب الله وسنّة رسوله العظيم.

لقد أفلحت القيادات الإسلامية في تجاوز ظاهرة التعصب المذهبي الفقهي التي كانت إلى سنين قريبة تعتبر من أكثر المشكلات الإسلامية حساسية. والمطلوب اليوم من قادة الحركات الإسلامية في العالم معالجة مسألة الخلاف العقائدي على أساس من الحوار والتفاهم والتعاون.. لا على أساس من البغضاء والكراهية والجبر".

مراجعة الذات ضرورة حتمية !!

ويقول الكاتب الكبير فهمي هويدي في مقال رائع له، تحت عنوان يقرأ : "في مراجعة الذات " يرسم فيه سيناريوالخروج من الأزمة، وسبل مواجهة الوضع المأساوي الراهن : إذا أردنا أن نغتنم الأزمة التي حلت بعد ١١ سبتمبر/ايلول ونحولها إلى فرصة لمراجعة ملف العمل الإسلامي، فسنجد أن به أمورا عدة تحتاج إلى تصويب وإعادة نظر. ولا أخفي أنني أستشعر حرجا في إطلاق تلك الدعوة إلى المراجعة، لا لأنها تحتاج إلى مصارحة وجرأة في نقد الذات، فذلك شأن مقدور عليه، وإنما لأنها تتزامن مع مطلب أميركي ملح لإجرائها، بأساليب أخرى، ولمقاصد أخرى، وهذا أسوأ ما في الأمر، وهو بُعد في المسألة ينبغي تحريره قبل أي دخول في الموضوع.

ثمة شيء غلط في المسلمين، وفي الثقافة الإسلامية السائدة. هذه الفكرة الأساسية التي يعبر عنها أغلب المثقفين والسياسيين الغربيين، خصوصا في الولايات المتحدة (البعض عندنا يرددها أيضا)، وهذا الغلط في رأيهم هو الذي أفرز المجموعة الانتحارية التي قامت بالهجوم على نيويورك وواشنطن، ولكي لا تتكرر مثل هذه الكارثة ينبغي أن يصحح الغلط، وأن تجفف منابعه كيف؟

الإجابة نجدها مثلا في ما تسرب من أنباء عن اعتمادات أميركية خصصتها واشنطن لباكستان (مئة مليون دولار) لكي تراجع كتب الثقافة الإسلامية، وتحكم

السيطرة على المدارس الدينية، بحيث يعد ملف لكل أستاذ وطالب. نجدها أيضا في تلك الأنباء الأخرى التي سبق أن نشرت نموذجا لها، ذلك الذي تمثل في مذكرة قدمتها السفارة الأميركية في إحدى العواصم العربية إلى الحكومة المعنية ولا نعرف إن كان قد قُدم نظير لها إلى حكومات أخرى أم لا طالبت باتخاذ إجراءات معينة لتقليص جرعة التعليم الديني، كان في مقدمتها اختصار ساعات تدريس مواد الثقافة الإسلامية من ٢٠ ساعة إلى أربع ساعات فقط، وإعادة النظر في مضمون المناهج التي تدرس، بحيث تخضع <للتنقيح> جنبا الى جنب مع الاختصار.

فكرة ان الغلط في جانبنا مسيطرة أيضا على الخطاب الإعلامي في الغرب، وقد لفت نظري أنني ما لقيت صحافيا أجنبيا خلال الأسابيع الأخيرة إلا وسألني عن الجهود التي تبذل <لتحديث الإسلام> بعد أحداث سبتمبر، وأدركت مما سمعت أنهم يفكرون في المسألة على النحو الآتي: طالما أن الذين قاموا بالهجوم على الأهداف الأميركية من <الأصوليين المسلمين> والأصولية في مفهومهم معادية للحداثة ولما كان من غير الممكن التراجع عن الحداثة وإعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، فثمة حل وحيد للإشكال هو: أن يتم تحديث الإسلام ذاته، الأمر الذي يحل العقدة ويفض الاشتباك.

المنطق مسكون بالتبسيط المخل، ويعبر عن درجة عالية من سوء التقدير والفهم تعرضت لها في كتابات أخرى، لكن أسوأ ما فيه هوقصور النظر الذي لا يرى المشكلة والغلط إلا في الجانب المتعلق بالمسلمين وحدهم، وهوذات القصور الذي يقع فيه بعض المسلمين حيث يعجزون عن نقد أنفسهم، ويرون الغلط في الغرب وحده، أوفي سياسته إن شئت الدقة، وفي الوقت نفسه يبرئون أنفسهم من كل عيب.

في شتاء عام ٨٢ تمرد جناح من جماعة الاخوان المسلمين في مدينة حماه ضد النظام، واشتبك اعضاؤه بالسلاح مع "القوات العسكرية التابعة للدولة. دعا عدد من القيادات في حزب البعث إلى إغلاق المعاهد الدينية، التي اعتبرت ضمن ينابيع

ذلك التيار، وعلم بالأمر الشيخ احمد كفتارو مفتي سوريا، الذي سمعت منه القصة، فذهب للقاء الرئيس الأسد وعبر له عن تحفظه إزاء تلك الخطوة المقترحة. ومن بين ما قاله إن أغلاق المعاهد سيؤدي إلى زيادة التطرف وليس إلى تقليصه، لأن المعاهد وهي قائمة تحت أعين الدولة يمكن ضبط وترشيد ما تقدمه من ثقافة إسلامية، لكن إغلاقها سيدفع الشباب إلى البحث عن تلك الثقافة من منابع أخرى غير مأمونة، ولا يتاح للدولة دائما أن تكون على علم بما يجري فيها، لأنها ستتحرك في الظلام، وستكون بعيدة عن أعينها. ذلك فضلا عن أن قيام الدولة بإلغاء المعاهد الدينية يسيء إليها ويوحي بأن الدولة لها موقفها الرافض للدين أو الساعي لإضعافه بين الناس، الأمر الذي يعمق من أسباب التوتر في علاقة السلطة بالمجتمع.

هذا المنطق اقنع الرئيس حافظ الأسد بأهمية الإبقاء على المعاهد الدينية، الأمر الذي ادى الى استبعاد فكرة إغلاقها.

أسوق هذه الفكرة لتبيان خطورة علاج التطرف بتطرف آخر في الاتجاه المعاكس، وللتنبيه إلى أن إضعاف التدين لا يحل مشكلة التطرف، الذي هو في شق منه أحد ثمار ذلك الإضعاف، وإنما ترشيد الفكر الديني وتشجيع مدارس وتيارات الاعتدال، هوالذي يحصن الناس ضد الوقوع في براثن التطرف. فإلغاء الجهاد من المناهج الدراسية مثلا لن يحذفه من العقل الإسلامي، لكن وضعه في إطاره الصحيح هوالكفيل بالحيلولة دون إساءة فهمه أو توظيفه. وفي التجربة الإيرانية نموذج طيب في هذا الصدد، تمثل في إنشاء وزارة خاصة للتنمية الريفية أطلق عليها اسم <جهاد البناء> الأمر الذي وضع القيمة في سياق إيجابي للغاية، في ظروف مجتمع غير خاضع للاحتلال، ولا يحتاج إلى الجهاد في صورته القتالية، كي يدافع عن نفسه ويستخلص حقه.

ثمة دعوة للمراجعة تبطن محاولة لإضعاف التدين وتهميش دوره في الحياة، وأخرى تستهدف التصويب واسترداد العافية، وتفعيل دور الدين وترشيد إسهامه في

صياغة الحياة. والفرق بين المقاصد في الحالتين كالفرق بين الإماتة والإحياء، وأرجو ألا أكون بحاجة إلى تبيان المربع الذي تقف فيه المراجعة التي أدعو إليها.

وإذ أذكر بضرورة أن يراجع كل طرف موقفه ويعيد تقويم سياسته، بحيث يدرك حصته من المسؤولية عما جرى، فإنني أخص بالذكر أطرافا ثلاثة هي: الأنظمة المسؤولة عن إدارة المجتمعات العربية، ودعاة المشروع الإسلامي بمختلف فصائلهم، ثم واضعو السياسات في العواصم الغربية، خصوصا في الولايات المتحدة، التي أصبحت أكثر دولة مرفوضة شعبيا في العالم. (الفيلسوف اليهودي الأميركي نعوم تشومسكي يقول إنها أكثر دولة إرهابية).

وضعت الأنظمة السياسية في المقدمة، لأنها بحكم مسؤوليتها عن إدارة كل مجتمع قادرة بحس الإدارة على أن تستنهض المجتمع وتستخلص منه أفضل ما فيه، وبسوء الإدارة تستخلص منه أسوأ ما فيه. ذلك أن الأفكار والقيم السائدة لا تتخلق أو تتحرك في فراغ، ولكنها تتأثر سلبا وإيجابا بمجمل التحولات السياسية والاجتماعية المساندة في كل مجتمع. إذ حين تنبت تربة ما الشوك والحنظل بغير توقف في ظروف معينة، فالقضاء على تلك النباتات لا يكفي، وإنما يتطلب الأمر أيضا تحليل التربة لمعرفة التحولات التي طرأت عليها، وطبيعة البذور التي ألقيت فيها.

عند التربويين الأميركيين نظرية تقول إنه إذا تكرر رسوب بعض الطلاب في إحدى المواد، فينبغي مساءلة المدرس وليس الطلاب، لأن ذلك معناه أنه لم ينجح في أن يستخلص من الطلاب أفضل ما فيهم، فجاءت نتيجة تقاعسه على ذلك النحو.

والأمر كذلك، فمن المهم للغاية في سياق المراجعة المنشودة، أن يجيب المعنيون بإدارة المجتمعات العربية بصراحة وشجاعة عن السؤال الآتي: لماذا أصبحت بعض تلك المجتمعات طاردة لبعض أبنائها، الذين أصبحوا بمضي الوقت عربا أفغانا أو ألبانا أو غير ذلك، ولم يعودوا عربا عرب؟.. بكلام آخر: لماذا فضلت تلك الألوف المؤلفة من الشباب العربي، أن تتشرد في بلاد الدنيا، وأن تعاني من أهوالها، وتغامر

بالانخراط في أنشطة العنف والإرهاب، ولم تفكر في العودة إلى أوطانها، ولماذا لم يعد بعضهم يعود إلى وطنه إلا مخفورا أو في تابوت خشبي؟

إننا إذ نأخذ على الولايات المتحدة استعلاءها واستكبارها على المراجعة ونقد الذات، فإننا لا نستطيع أن نطالبها بذلك أو نأخذ عليها تقاعسها فيه، ما لم نطالب الأنظمة العربية بإجراء تلك المراجعة، ومن ثم العمل على معالجة القصور أو سد الثغرات التي أسهمت في إيصال الأمور الى ما وصلت إليه.

في مراجعة ملف التطرف الإسلامي يتعين التفرقة بين دائرتين أو معسكرين: معسكر المتطرفين الذين يركنون إلى العنف الفكري (التكفير) أو العنف المادي (السلاح) في محاولة تغيير الواقع، ومعسكر المعتدلين الذين انحازوا إلى مبدأ التغيير السلمي وحصروا أنشطتهم في العمل الدعوي. وقبل أن نطل على الفريقين ينبغي أن نعترف بأن التطرف لم يجد له موطئ قدم، ولم يثبت له حضور ولم يتمدد على خرائطنا، إلا في أجواء الفراغ الذي نشأ عن حجب الاعتدال. ذلك أن للناس أشواقا إيمانية لا بد أن تلبى، والمجتمع بخير طالما نهضت بتلك المهمة استجاباته الطبيعية والمعتدلة، أما إذا صودرت تلك الاستجابات أو قمعت، فسوف تلبي تلك الأشواق استجابات أخرى تتحرك في الخفاء، وتتعامل مع مرحلة القمع بالفكر المتعدي الذي يناسبها.

إن الفكر السلفي بمفهومه الاصطلاحي الحديث لم يعرف له طريقا إلى مصر مثلا إلا حينما صودرت حركة جماعات الاعتدال وجرى إضعاف الأزهر، ووجد فيه بعض الشبان الذين خرجوا من معاناة السجون في السبعينيات ذخيرة اغترفوا منها أفكار التفسيق والجاهلية والتكفير وكراهية غير المسلمين، وهي الألغام التي تفجرت في وجوه الجميع في وقت لاحق.

ولا مفر من الاعتراف أيضا بأن أخطر تحول حدث في الساحة الإسلامية، المصرية على الأقل، هوذلك الذي وقع في السبعينيات، في ظروف تحتاج إلى دراسة، حيث دفع السلفيون بفكرهم الذي يستسهل التكفير تحت وطأة الضغوط

الأمنية إلى التحالف مع الانقلابيين الذين لجأوا الى السلاح والعمل السري (أقصد الجماعة الإسلامية وحركة الجهاد). وكان قتل الرئيس السادات من ثمرة ذلك التحالف، ثم تبلورت صيغته أخيرا في تنظيم <القاعدة> الذي قاده سلفي (اسامة بن لادن) مع رمز انقلابي هو الدكتور أيمن الظواهري.

المشهد الأفغاني الأخير جاء إعلانا عن بؤس وفشل ذلك التحالف. المئات أو الآلاف الذين توزعت جثثهم المتفحمة والمشوهة بين قلعة جانجي وكهوف تورا بورا، والذين سحلوا منهم في كابول ومزار شريف، والذين عاشوا منهم أصبحوا مطاردين أو معوقين، ناهيك عما أصاب زوجاتهم وأبناءهم من تشرد وقهر، ذلك المصير فيه درس وعبرة، وهو بمثابة إشهار إفلاس النهج السلفي الانقلابي. وهو المشروع الذي يتحمل دعاته أمام الله وزر إفناء وتدمير مستقبل أجيال من الشباب النادر، الذي كان يمكن أن يخدم قضيته وأمته على نحوافضل بكثير، لو أن عطاءه وطاقاته وظفت في الاتجاه الصحيح.

من أسف أن التطرف أصبح الأكثر حضورا في الساحة الإعلامية، لا بسبب حجمه أو قوته في الشارع العربي، لكن لما يثيره من ضجيج وما يسببه من فواجع، وما يسلط عليه بالتالي من أضواء. ويتضاعف الأسف حين يلاحظ الباحث أن الاهتمام بالتطرف يستصحب تجاهلا وعدم اكتراث بالاعتدال. وبسبب هذا الخلل في الموازين انقلبت الأمور، وتصور البعض أن التطرف هو الأصل وأن الاعتدال استثناء عابر، وأن أسامة بن لادن هو الممثل الشرعي الوحيد للمشروع والحلم الإسلاميين.

ولا نزعم ان الاعتدال لا يزال هو الأصل في العالم العربي والإسلامي، وهو الأقرب إلى طبائع المسلمين وفطرة البشر بوجه عام، فلعلي لا أبالغ إذا قلت إن نشطاءه أحوج إلى الرعاية وأجدر بالاهتمام، وفي مراجعة ما يخصهم في ملف العمل الإسلامي يلحظ المرء أمورا عدة منها:

- أنهم شغلوا بما سمي بالإسلام السياسي، بأكثر مما شغلوا بوجهيه الاجتماعي والحضاري. ولست هنا أدعو إلى إخراج الشأن السياسي من المعادلة، لكني أتحدث عن ترتيب أولويات المشروع، ناهيك عن مقتضيات الحكمة وحسن التقدير، ولا بد هنا من التذكير بأن بناء الدولة الإسلامية في العصر النبوي لم يقم إلا بعد عشر سنوات أمضاها النبي عليه الصلاة والسلام في مكة، وهووضع الأساس الإيماني والقيمي والحضاري.

ولست أتردد هنا في القول بأن قطاعا عريضا من النشطاء الإسلاميين في زماننا استغرقهم العمل السياسي، وتطلعوا إلى تغيير المجتمع من قمته، في حين تراجع لديهم الاهتمام بالقيم الأخلاقية والحضارية. ومن تجارب عدة ثبت أن التغيير الفوقي هو محاولة عبثية لإقامة بناء بغير أساس، وحين يتعلق الأمر بالبنيان الإسلامي بوجه أخص، الذي قوامه الهداية ومكارم الأخلاق، فإن غض الطرف عن ذلك الأساس يعد جريمة في حق المشروع.

إن قليلين هم الذين يقدمون أنفسهم بالخلق الكريم والصدق والوفاء والإتقان والنظافة واحترام الأوقات والمواعيد، بينما تؤثر الأغلبية أن تعلن عن نفسها بالصياح والضجيج واللافتات والإسراف في المظاهر الإيمانية.

- الذين شغلوا بالعمل السياسي، ووقعوا في خطيئة استهداف تغيير السلطة قبل تغيير المجتمع، ارتكبوا خطأ آخر، هو أنهم تعلقوا بالهدف النهائي، في عجلة غير حميدة، ولم يحسنوا التعامل مع نهج التدرج والأهداف المرحلية، فمدوا بصرهم إلى الأقصى، من دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البدء بالأدنى، والتقدم منه لبلوغ النموذج المطلوب. فألحوا مثلا على تطبيق الشريعة، وجعلوه عنوانا كبيرا لأنشطتهم، من دون أن يشغلوا أنفسهم بالدفاع عن الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان، والأولى هدف نهائي قد تختلف بعض عناصر النخبة حوله، بينما الثانية هدف مرحلي لا يكاد يختلف عليه أحد.

- إنهم في العمل العام قدموا الولاء للجماعة على الولاء للقيمة، فحرصوا على أن يتخندقوا في دوائرهم ويعملوا مع نظرائهم، الأمر الذي أدى إلى مفاصلتهم للآخرين، ولم يمكنهم من الوقوف على المشترك الذي يقاسمهم غيرهم فيه، فظلوا يتحركون على صعيد فئوي، ولم يحسنوا مد الأيدي لغيرهم، والعمل على المستوى الوطني في الدفاع عن القيم والمقاصد العليا للمجتمع، وكانت النتيجة أنهم شغلوا بانتصار الحركة أو الجماعة، ولم يكترثوا بارتقاء الأمة.

ويختتم هويدي روشتة الحل بقوله : أدري أن هذا الكلام ليس ما يريده الأميركيون، وليس مما يرحب به النشطاء الإسلاميون المنخرطون في جماعات عاملة بالساحة، ولكنها محاولة للتعامل مع الملف من وجهة نظر ليست معنية بإسعاد هذا الطرف أو ذاك، وإنما ترى أن المجاملة في مثل هذه الأمور جناية على الحاضر والمستقبل، ناهيك عن أننا إذا لم نغير من أنفسنا ونصحح أخطاءنا فسنشهد أن هناك من يتربص لكي يفرض علينا التغيير الذي يراه ملبيا لأهدافه ومصالحه. (إلى هنا انتهى المقال).

عدم الوقوع في فخ التعميم !!

ويقول الشيخ القرضاوي : من الظلم أن نعتبر الغرب شيئًا واحدًا، والتعميم في هذا ليس مقبولاً منطقياً، الغرب شرائح، الحكام غير المحكومين، والشرائح المختلفة متباينة بعضها مع بعض، والذين عاشروا المسلمين غير الذين لم يعاشروا المسلمين، ومَنْ لهم مصالح وأهواء معينة غير الذين سلموا من هذا الأمر، فلا ينبغي إننا نقول الغرب كل الغرب، فيه ناس دافعوا عن فكرة إن الإسلام خطر، (سبيزيتو) وناس الأساتذة الأمريكان والغربيين، والتقيت بعضهم في بعض المؤتمرات وزرتهم في بعض جامعات أمريكا، قالوا وهل الخطر الإسلامي ده حقيقية أم أسطورة؟ وبيَّنوا أنه أسطورة، وأنه وهم، لا يوجد خطر من الإسلام، والمسلمين لم يعودوا قوة حتى

يصبحوا خطرا على العالم، ده العرب وهم حوالي ثلاثمائة مليون لا يملكون من القوة ما تملك إسرائيل اللي هي حوالي أربعة ملايين، وبعدين المسلمون يشترون أسلحتهم من الغرب، لم يستطيعوا أن يصنعوا أسلحتهم إلى اليوم، كل الدبابات والطائرات والمقاتلات، الأشياء ديه (هذه) كلها تُشترَى من الغرب، فالغرب هوالذي يسلحهم حقيقة، فما معنى الخوف من المسلمين؟

ويطالب القرضاوي بفتح باب الحوار بين الطرفين، الانغلاق دائمًا يخيف، إنما خلينا (دعنا) نلتقي، أنا دعوت إلى الحوار في عدد من كتبي، الحوار مع رجال الدين والقسس، والحوار مع رجال الفكر والمستشرقين، والحوار مع رجال السياسة مع صناع القرار، وكل جماعة دوله (هؤلاء) يتحوروا مع أمثالهم، أنا تحاورت مع بعض رجال الدين، ومع بعض رجال الاستشراق، وأذكر أني التقينا وكان معنا الشيخ الغزالي رحمه الله وبعض أساتذة الأزهر في كولون في ألمانيا منذ حوالي سبع تمن (ثمانية) سنوات، والتقينا في يوم عمل كما يقولون وتغدينا غداء عمل مع مجموعة من المبشرين أومن مش (ليس) المبشرين من رجال الدين والمستشرقين، وسألوا أسئلة وأجبنا عنها، وأنا حقيقة استرحت لهذا اللقاء، لأنه حصل نوع من التفاهم، ومن الردود الإيجابية، فلوأننا نلتقي نزيل الوحشة خصوصًا أن هناك أمرين أساسيين:

أولاً: العالم تقارب وتقارب، حتى أصبح يكون قرية، بعضهم بيقول: العالم قريتنا الكبرى، وبنقولهم : لا، قريتنا الصغرى، لأن القرية الكبرى لا يعلم الناس في شرقها ما يدور في غربها إلا يمكن بعد يوم أويومين، إنما نحن بنتابع ما يجري في العالم بعد لحظات، أوفي التوّ وأحيانا نتابع الأحداث وهي تحدث، فالتقارب أصبح حقيقة.

ومن ناحية أخرى، إننا نحن والغرب بتعبير القرآن "أهل الكتاب" وبعدين إحنا نعتبر المسيحيين عامة، يمكن بيننا وبين اليهود مشكلة لا تزال معلقة، من أجل قضية فلسطين واغتصاب فلسطين، إنما ليس بيننا وبين المسيحيون هذه المشكلة، إلا وقوفهم، بيننا وبين الأمريكان هذه المشكلة لوقوفهم مع الصهيونية العالمية، إنما

المسيحيين بصفة عامة هم أهل كتاب، والإسلام أجاز لنا أن نتزوج نساءهم، وأن نأكل ذبائحهم «وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌ لكم وطعامكم حلٌ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب" وهذه قمة في التسامح.. المسيحية لم تسمح أن المسيحي يتزوج مسلمة، إنما الإسلام أجاز الزواج من المسيحية ومعنات (معنى) زوجها يعني إيه (ماذا) ؟ تصبح ربّة بيته وأم أولاده، وشريكة حياته، وموضع سرِّه، وتصبح "فجعله نسبًا وصهرًا"، يصبح أهلها أصهارًا له، يعني ويصبح أبوها جداً لأولاده، وأمها جَدَّة لأولاده، وأخواتها خالات، وإخوانها أخوالاً، وأصبح هناك عائلة مشتركة بيننا، هذا هو قمة التسامح، فأنا أقول: التقارب الجغرافي والتقارب المادي الذي حدث بيننا وبين الغرب، والتقارب الديني، إنهم أهل كتاب، والأخوَّة الإنسانية المشتركة بيننا وبينهم، إننا جميعًا مخاطبين بقوله: "يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا" فنحن وهم إخوة في الإنسانية شركاء في العبودية لله، والبنوة لآدم "أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد"، ونستطيع أن نقف على أرض مشتركة وبيننا قواسم مشتركة؛ ضد الإباحية، ضد المادية، ضد الإلحاد، ضد الظلم والاستبداد، نقف مع هذا، وفعلاً حدث في بعض المواقف إن ووقفت الكنيسة الكاثوليكية، ووقف معها الأزهر، ورابطة العالم الإسلامي، في مؤتمر السكان في القاهرة، ضد إباحة الإجهاض، وضد الإباحية المطلقة للجنسين وهكذا، فيمكن أن نجد أرضية مشتركة نقف فيها معًا.

ويقول د. يوسف القرضاوي: أولاً: عندما أدعوإلى الحوار مع اليهود والنصارى، أنا لا أبتدع شيئًا من عندي، هذا أمر الله، القرآن يقول: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" فالحكمة.. الدعوة بالحكمة حاصلة مع الموافقين، والجدال بالتي هي أحسن مع المخالفين، والقرآن يقول: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم" "وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" فالإسلام أمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن "إلا الذين ظلموا منهم"، وعادونا وأظهروا لنا العداوة،

ولذلك دستور العلاقة مع غير المسلمين تحدده آيتان في كتاب الله، ذكرت ذلك من قديم في كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) هاتان الآيتان في سورة الممتحنة، يقول الله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتقسطوا إليهم" البر والقسط، القسط العدل تعدل، وبعدين البر فوق العدل، الإحسان، العدل إنك تأخذ ما لك ولا تزيد، الإحسان أنك تتنازل عن بعض ما لك أوتعطي فوق ما يجب، فهذا هوالبر، اختار القرآن التعبير بالبر اللي هي الكلمة اللي بنعبر بها عن أخص الحقوق بعد حق الله، بر الوالدين "أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون"، ففرق بينهم فلذلك أنا أقول الآن: موقفنا من اليهود غير موقفنا من النصارى لأن اليهود قاتلونا وأخرجونا من ديارنا، ومن ظاهر على إخراجنا من النصارى ينبغي أن نقف معه مثل هذا الموقف.. فيجب أن نفرق، ونمد جسور المودة بيننا وبينهم، وبهذا نفتح القلوب ونشرح الصدور لهذا الدين.

التوفيق بين الإسلام والحداثة

وحول سبل علاج القضية الشائكة والحاسمة حول كيفية التوفيق بين "الإسلام" و"الحداثة"، يقول الأستاذ محمد أركون "الإسلام" والحداثة": مفهومان محوريان يفترض إعادة الانكباب عليهما للخروج من دائرة الغموض الشائع في استخدامات جدالية وأيديولوجية تنحى إلى إبراز التضاد بين قوتين متعارضتين خارج أي تحليل تاريخي أو سوسيولجي أو أناسي أو لاهوتي أو فلسفي. من الضروري والحالة هذه الاستفادة من هذه العلوم جميعها لجلاء التحديات الفكرية والثقافية والحضارية التي يتجنبها عموما حتى الخبراء المفترضين في هذا القطب أو ذاك مما أسميه "تاريخ الزمن الراهن". فإذا كان الخلاف بين ما يسمى عموما "الإسلام"

و"الغرب" واضح المعالم في الخطاب القرآني، فإن الحروب القاسية والمتكررة ابتداء من ١٩٤٥ قد ألهبت المشاعر وغذت الأحقاد الدفينة ونبذ الآخر على قاعدة المعطيات اللاهوتية الإسلامية واليهودية والمسيحية والتي شكلت منذ القرون الوسطى انظمة فكرية و"روحية" وأخلاقية وقضائية عملت على هذا العزل المتبادل.

إن هذه الانظمة التي شيدتها كل طائفة من الطوائف كي تدعي أنها المختارة من الله والمؤتمنة الحصرية على الحقيقة المنزلة ما زالت تستخدم حتى اليوم كمرجعيات لتشريع "الحروب العادلة" المتواترة منذ ١٩٤٥، حرب التحرير الجزائرية (١٩٥٤-١٩٦٢)، حملة السويس (١٩٥٦)، حرب الأيام الستة (١٩٦٧)، حرب الغفران (١٩٧٣)، حرب الخليج (١٩٩٠)، الحرب على الإرهاب... تجدر الملاحظة أن الأطراف المتواجهة في هذه الحروب ترتبط بموروث ديني وثقافي ورمزي مشترك للحيز المتوسطي المنقسم منذ بزوغ الإسلام بين ضفة "يهودية - مسيحية" ومن ثم حديثة علمانية وضفة عربية - تركية - إيرانية مسلمة.

تعكس كتب التأريخ الآليات التي شيدت بواسطتها الذاكرات الجماعية المتمترسة خلف قلاع "أسطورية - تاريخية" تتغذى على الدوام من موضوعات جدلية تقوم على ضرورة الانتصار للخير والحق في وجه الشر والضلال. ويؤدي القاموس المستخدم من قبل أوروبا - الغرب "الحديثة" إلى إعادة إحياء التصورات والدلالات من القرون الوسطى بالرغم من استنادها القوي إلى التعبيرات القويمة عن القيم "الغربية" الديموقراطية والعلمانية والإنسانية والإنسانوية...

كيف العيش مع الإسلام؟ لا بد من أجل الإجابة على هذا السؤال التمييز بين مفهوم الغرب الجيوسياسي والجيواقتصادي والنقدي ومفهوم أوروبا الجيوتاريخي والجيوثقافي: فالأول بدأ يترسخ منذ ١٩٤٥ تحت القيادة المتجلية للولايات المتحدة خصوصا في المنطقة المسماة الشرق الأوسط في القاموس الانكلو أميركي. أما الثاني، المتضامن مع الأول، فإن له مع الإسلام مراجع مشتركة تاريخية وفكرية

وثقافية تعود إلى العصر الوسيط الأول. وغالبا ما تستحضر هذه القواسم المشتركة سواء على مستوى العلاقات الثنائية بين الدول القومية أم على مستوى الاتحاد الأوروبي بمناسبة الحوار الأوروبي ـ المتوسطي الذي أطلق في برشلونه عام ١٩٩٥. تضاف إلى ذلك علاقات الجوار الجغرافي القديمة بين أوروبا المتوسطية والعالم العربي- التركي على ضفاف ما كان يسميه الاوروبيون Mare Nostrum (بحرنا). إذا أخذنا في الاعتبار أيضا موجة الهجرة حول المتوسط يمكن عندها أن ندرك بشكل أفضل حاجة الاتحاد الاوروبي الملحة لتجاوز مرحلة المبادلات غير المتكافئة وغير المنتظمة والتي يعاد التفاوض حولها باستمرار مع دول قليلة الحرص على الشرعية الديموقراطية، وذلك من أجل بناء تاريخ من التضامن بين الشعوب يقوم على الاحترام الدقيق من قبل جميع الأطراف لهذه "القيم" التي يلوح بها على أنها تمثل الرهان الأكبر للحروب القائمة منذ العام ١٩٤٥.

يفترض هذا التضامن الخاضع لأصول التفاوض والحماية من قبل الدول والشعوب التي تمثلها، إطلاق ديبلوماسية وقائية مكرسة، وخارج أوقات الأزمات الحادة، لإرساء سياسة مشتركة في مجالات البحث في علوم الإنسان والمجتمع. كما يفترض تعميم نتائج هذه الأبحاث سواء عبر الإعلام أم من خلال جذع تعليمي مشترك لتدريس الاختصاصات الرئيسية القادرة على تقديم أجوبة موثوقة ومبلورة علميا للمشاكل التي انقسمت حولها منذ قرون الضمائر المسماة مدنية وقومية ودينية والتي تكيفت مع التأريخ الموالي لهذا الطرف أو ذاك والمفعم بالأساطير والأيديولوجيا وهي ضمائر جاهزة للتعبئة في كل لحظة لمواجهة عدو تم "تحضيره" منذ زمن طويل. هذا ما لا ننفك نشهده ولو ألبس لبوس الحوارات بين الأديان والثقافات حيث يعاد، منذ المجمع الفاتيكاني الثاني وما قيل إنه نهاية العهد الاستعماري، اجترار النداءات الأخلاقية من أجل التسامح والإعلان عن احترام قيم الآخر... حضرت العديد من هذه الندوات التي قيل فيها كلام حول الأديان يشي بجهلنا المشترك حول التقليد الديني وأكثر حول الظاهرة الدينية كبعد انتربولوجي لأحوال البشر.

وحده ارتسام هذا التاريخ المتضامن للشعوب يمكنه أن يدفع الفكر الإسلامي والمسلمين وللمرة الأولى في تاريخهم، إلى مواجهة التحديات الأكثر تهيئة للحداثة والإفادة من الأسهامات الشاملة للفكر العلمي والتساؤل الفلسفي. ذلك أن الفكر الإسلامي قد رفض حتى الآن المكاسب الأكثر تحريرا للفكر النقدي الحديث، وأغلق على نفسه خلف سياج دوغمائي وموقف عدائي من الغرب المتسلط والواثق من نفسه كما تبدّى لجميع الشعوب في نمط عيشه ونظرتها إليه مما ضخم الخيال المقاوم له ودفع بهذه الشعوب للانطواء في مواقع دفاعية عن هوياتها.

من الخطأ تجريم هذه الكيانات المجردة والمسماة دون تمييز القرآن أو "الإسلام" باعتبارها أيديولوجية قتالية. فهي تعمل في الواقع كردة فعل على الضغوط الخارجية التي تمارس منذ القرن التاسع عشر بحق مجتمعات محرومة من إنتاج تاريخها الخاص بالعمل على ذاتها دون أن تعيقها وتفسدها أو تعيد توجيهها إرادات أجنبية ذات أطماع مكشوفة. من جهة جدلية السيطرة والاعتداء السياسي والثقافي والهيمنة الجيوسياسية، ومن جهة أخرى تفاقم الشعور بالعجز والإذلال والتأخر والظلم والفشل. وتجدر الأشارة إلى أن هذه الجدلية البادية للعيان لا تلقى أبدا قراءة صحيحة من الجانب الغربي بل إن مؤرخين نافذين من امثال برنارد لويس يقاربونها بطريقة معاكسة عندما "يفسرون" اعتداءات ١١ ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ بدوافع وعوامل و"خيارات" حرة داخلية تنبع من "الإسلام" والأنظمة العربية خصوصا.

إذا كان لا مفر من التوقف عند الأسباب العميقة والوقائع المباشرة المندرجة في البنية الخاصة بالمجتمعات التي تعيش الظاهرة الإسلامية، فإن المطلوب التشديد على العوامل المضاعفة والظروف المفاقمة الناتجة عن تدخل الغرب المكشوف منذ ١٤٩٢، العام المرجع والتاريخ الرمزي لاكتشاف أميركا وطرد المسلمين واليهود من إسبانيا.

هناك المزيد يقال حول هذه النزاعات وسوء التفاهم والجهل الذي غذاه التراث التأريخي، حول هذه الحروب المتواترة التي تتعارض فيها جذريا مواقف الجلاد والضحية، حول هذه القيم التي تستحضر لإعادة إحياء شرعيات عفى عليها الزمن تتعرض هي نفسها للخيانة والسخرية ممن يرفعون لواءها أنفسهم. إن إذكاء المشاعر والهيجان القاتل والإدانات المتبادلة والنبذ الحاد الذي نشهده في كل مكان منذ ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ لا يترك مجالا اوفرصة أمام الأصوات والشهادات القادرة على فتح آفاق جديدة للتفكير والمعرفة والفعل التاريخي، وهي رغم كل شيء في متناولنا. فكر نقدي يمتلك الأدوات المفهومية والمواقف العقلية الضرورية لإضفاء المعنى وطرح المهمات الجديدة أمام هذا التاريخ المتضامن للشعوب المتحرر من الثنائيات الصراعية والمتجه نحو تجاوز الخير والشر والحق والباطل والمختار والمنبوذ والمتحضر والمتوحش والأنوار والظلمة.

لا للاستبداد.. نعم للديمقراطية !!

ولأن موضوع الديموقراطية هوالعلاج الوحيد للاستبداد الذي يمارسه بعض حكام العالم الإسلامي، ويعد أحد أهم أسباب ظاهرة التطرف والإرهاب، يقول د. عامر عبد زيد كاظم الكاتب والأستاذ بجامعة الكوفة إن الحديث عن الحداثة في الحكم والاقتصاد لابد من حصولها على المستوى الاجتماعي أولا وقبل كل حداثة لأن الوضع الاجتماعي العربي يعاني من ركود فكري واجتماعي له ردود سلبية على كل أنماط التحديث فهناك جملة من العادات الاجتماعية ساهمت في تخلف عالمنا العربي، ولهذا فنحن بحاجة إلى ثورة اجتماعية تتجاوز أشكال الاعتقادات السائدة وتقوم على الإيمان بحقوق الإنسان، والممارسة الديمقراطية للسلطة بعيدا عن أشكال السلطة التقليدية القائمة على العشيرة أو الطائفة والعرقية، كما هوالحال في المجتمع الأهلي العربي. ومرد ذلك ليس هناك تعدد في الأنساق كما هوالحال

في الغرب فهناك تعدد في الأنساق. وإلى جانب الاصولية توجد الديمقراطية أما العالم العربي فهناك نسق واحد السلطة والمعارضة معا ومرد ذلك إلى غياب الفكر النقدي، والتمركز حول الذات.

فضرورة التغير الاجتماعي نابعة من تحول بعض القوى الاجتماعية إلى معادية للإصلاح وهذا مرده إلى تعارض ذلك مع مصالحها وهذا على مستوى القبلية في عادات الثأر والشرف وعلى مستوى الطائفة في الجمود عن الاجتهاد والتزمت تحت هيمنة المصلحة وانكماش على الذات.

ولكن هذا النقد الاجتماعي لا يعني نقداً للعقل العربي بشموله إن التشميل ليس من مقومات المقولات العلمية. إن النقد الثقافي يتوقف عند العوائق دون إهمال الإيجابيات وذلك أن الواقع العربي ذاته يتسم بالتباين والاختلاف على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ودرجة النمو إلى جانب اختلاف الثروات التي من الممكن أن يكون لها دور في التنمية أو التعجيل بها إلى جانب التباين في أنظمة الحكم، وإن اتسمت في أغلبيتها بالاستبداد، ومرد هذا إلى الآتي:-

أولا- الضاغط الداخلي: هو الوضع العربي القائم وهيمنة البعد السلبي اللاحداثوي في الحكم والاقتصاد والإعلام والاجتماع وتراكم المشاكل التنموية.

ثانيا - الضاغط الخارجي: حيث كان للغرب أثر غير محمود النتائج على العالم العربي، بل ساهم في إحباط الكثير من المشاريع النهضوية كما هو الحال مع (محمد علي) حيث تناست أوربا خلافاتها حتى توقف عملياته الإصلاحية، إن للغرب دورا فاعلا في تخلف عالمنا العربي ومساهمته في تحويله إلى مجرد منتج للمواد الأولية وسوق لتصريف البضاعة الغربية. إن معيار المنفعة هو مقياس العلاقة بالعالم العربي بعيدا عن الخطاب الدعائي قوامه الالتزام الأخلاقي بنشر قيم المجتمع الحر والديمقراطية، بل إنه غالبا ما دعم أنظمة متخلفة كانت الأرضية لإنتاج العنف والتطرف ولكنه صمت عنها لأنها كانت حليفة له في محاربة الشيوعية، إنه معيار

المنفعة هوالدافع الحقيقي، أما العنف (الإرهاب) فإنه خطأ غربي مثلما أيضا هو خطأ عربي لأن كليهما ساهم في خلقه في عالمنا العربي، اما الدور الغربي فقد ساهم في صناعة العنف على ثلاثة مستويات هي:-

الأول: الأصولية ضد الشيوعية مع اختلاف المواقف العقائدية.

الثاني: في دعم الغرب للعدوان الصهيوني ضد الفلسطينيين، ساهم هذا الأمر في تكوين مخيال جمعي يقوم على تكوين الإكراهات ضد الغرب المساند للعدوان.

الثالث: وهوما يرتبط بصناعة العدو، فالإسلام الأصولي بهذه الصورة النمطية- في بعض الاطروحات- هو صناعة غربية حتى يصنع صورة صراعية تدعم وجود ثنائية (الأنا) الغرب المتحضر مقابل، (الآخر) المتخلف.

وهذا يعد أساسا في صناعة مخيال يتم فيه إقامة ذاكرة جمعية تقوم الاختلاف بين الأنا/ الآخر ويعمل الإعلام على تدعيمها محققا من خلالها إسباغ الشرعية على السلطات الفاعلة هناك، وهذا الأمر يحقق ثلاثة أهداف معا وهي: إقامة صورة للذات من خلال إسقاط السلبيات على الآخر المتخلف وإيجابيات على الذات والثانية تدعم فكرة التفوق الغربي مما يدخلنا في أطروحة صراع الحضارات واعتبار الآخر ذاته فقد بلغ الكمال حيث نهاية التاريخ. أما الثالث فإنه يتخذ من هذا العدوذريعة لتوسع الصرف على المشاريع العسكرية وما يعود بالمنفعة على شركات السلاح الغربية.

اما الدور العربي هنا وحتى لا تكون هذه الصورة آحادية تسقط المشاكل على الآخر فقط، فهناك عوائق داخلية تساهم في تخلف عالمنا العربي ومن بينها الآتية:

١. التخلف الديمقراطي الذي تساهم به تلك الدول القائمة على الاستبداد. إنها دول تحاول أن تخترع من الوسائل ما يساهم في تأجيل الإصلاح الاجتماعي والسياسي القائم على تداول السلطة.

٢. ما تقدمه هذه الدول من دعم إلى الحركات الاصولية، وهذا يعني دعمها بشكل غير مباشر للعنف في بلدان أخرى، فهي بهذا تصدر أزمتها الداخلية إلى دول أخرى.

٣. التشويه الإعلامي الذي تمارسه وتعمل على إنتاج أجيال رهينة صراعات تراثية طائفية تعمق الشق بين المسلمين فهي وإن كانت تسبغ الشرعية على الدولة إلا أنها تساهم في إنتاج الأصولية.

٤. التشويه التربوي الذي يتم من خلاله بناء الذاكرة الجمعية القائمة على الخصومة بين المسلمين عبر تعليم الطلاب تواريخ طائفية تعمق الخلاف وتشجع الإقصاء.

٥. إن هذه الدول لم تدخل في حوار مع الإسلاميين بل زجت بهم في المعتقلات أو احتكرت السلطة، وهذا ساهم كرد فعل في ظهور الخطاب الجهادي القائم على التكفير والهجرة.

٦. قد عملت بعض الأنظمة على تحويل جزء آخر من الشعب خارج شرعية الدولة فهي بنظره إما كافرة أو خائنة، حيث تم استباحة حقوق ودماء تلك الطوائف، فكانت النتيجة عنف آخر.

٧. مشكلة التنمية غياب العدالة في التوزيع الصحيح للثروة فهي تتبع انماطا واشكالاً متفاوتة إضافة إلى هيمنة التوجه المركزي للدولة الاقتصاد الذي غالبا ما يتم إقحامه في مشاريع عسكرية مكلفة لا نفع منها، وهذا يعني إصلاحا يعتمد غالبا المركزية التي تخدم النظام والمؤسسات التي تخدم وتحافظ على بقائه.

٨. هيمنة الأيدولوجيا أو المخيال السياسي الرعوي المثيولوجي، ان الهيمنة أو التفرد الذي يسود الحكومات العربية التي حولت تلك المقولات الدعائية، التي يقودها بطل خارق مثيولجي (الزعيم الملهم) تجعل منه حاكما بامره، ظل الله

على الارض حكمه غير قابل للمناقشة فهويقوم على النرجسية الثورية معتمداً على الإرهاب الدموي تساهم في نشر الانفعال واللاعقلانية وتؤسس سلوكيات العنف أو المجاوزات ذات العنف الطائفي وهذا يدخل في تشكيل الوعي المرغم تحت الهوس الإعلامي الأجنبي.

٩. ان المعالجة تكمن في مسالة محددة هي وليدة العوائق التي ذكرناها ومنها تلك القراءات الأصولية التي تستعيد اللحظات الصراعية وتجدد بها بناء مشاعر الحقد والكراهية الطائفية وهذا يعني إعادة قراءة الموروث القديم الذي يشكل أحد مرجعيات البنية الوطنية.

١٠. إحلال مفهوم المشاركة وتداول السلطة بدل القوة، فإن الذي يصنع نظاما سياسيا يقوم على المواطنة هوالنظام الذي يعتمد الديمقراطية وإدخال إرادة الأمة في إدارة شؤون الدولة عبر مؤسسات دستورية التي تسمح في بلورة رأي عام مؤثر في السياسة العامة وهوالحافظ لها دون السقوط في معارك جنونية وعرضية.

١١. منح وسائل الاتصال الحرية في المراقبة اوالنقد لأن الافكار السيئة يجب أن يسمح لها بالظهور وهذا يسهل فهم أسبابها ومعالجتها أما الكبت أو القمع فيولد قوى تعمل بالظلام لا يمكن مراقبتها وإدراك نتائج أعمالها ثم إن الأخطاء متنفس للشعب ويساهم الإعلام في دعم البحوث الإعلامية ويحث على النهضة العلمية.

التحديات الجسيمة التي تواجه الأمة !!

وفي ندوة عقدها "مركز المنظور السياسي" في لندن مؤخراً ناقش عددا من المفكرين من أبناء الأقلية العربية، ومسؤولي ورؤساء جمعيات إسلامية في بريطانيا كيف ينظر الغرب إلى الإسلام وإلى الحركة الإسلامية على وجه الخصوص، ومدى تأثير أحداث الحادي عشر من سبتمبر على مخططات الغرب الاستراتيجية تجاه المنطقة العربية والعالم الإسلامي. وقد قدمت أوراق تمهيدية للنقاش، قدم الأولى الأستاذ/ أحمد رمضان، مدير عام وكالة قدس برس للأنباء، وهي بعنوان: "سياسة الولايات المتحدة تجاه العالم الإسلامي".

والورقة الثانية قدمها الشيخ/ سالم الشيخي، المستشار الشرعي لمسجد "دوزبري" في مانشستر ومدير مركز البعث الحضاري وهي بعنوان: العلاقة بين الغرب والإسلام والتحديات التي تواجه الأمة. وقد توصلت الندوة إلى الخلاصات التالية:

أولا: من هو الغرب الذي نتحدث عنه ؟

لا شك أن مفهوم "الغرب" يحتاج إلى تعريف واضح وتحديد دقيق قبل الخوض في دراسة موقفه من الحركة الإسلامية، فليس الغرب دولة أومؤسسة واحدة بل هو دول عديدة قد تختلف في نظرتها للإسلام والمسلمين. وفي الدولة الواحدة من دول الغرب قد تجد هناك تباينا في موقف الأطراف المختلفة من الإسلام والمسلمين أومن الحركة الإسلامية. ومع إدراكنا لوجود هذا الاختلاف ومعرفتنا بوجود قطاع من العقلاء في الغرب- بغض النظر عن حجمه- الذين ينظرون إلى الإسلام بشيء من الموضوعية ويدعون إلى حوار الحضارات "بالمفهوم الصحيح" وتفاعلها إلا أن التركيز في ندوة اليوم سيكون على الغرب المعادي، سواء من قطاع المفكرين الذين يُنظّرون لفكرة صدام الحضارات أوالمخططين الاستراتيجيين أوأولئك الساسة الذين يحلمون باستمرار الهيمنة وينظرون إلى العالم الإسلامي كخطر مستقبلي لا بد من إبقاء السيطرة عليه وإخضاعه بكل الطرق الممكنة بما فيها الحملات

العسكرية لواقتضى الأمر.وبتعبير آخر سيتم التركيز على الملأ من القوم كما في التعبير القرآني، حيث وصف القرآن الكريم الثلة المتحكمة بأنهم الملأ، وهذا الملأ في الغرب مكون من ثلاثة عناصر: وهم السياسيون، والإعلاميون والمفكرون، والعنصر الثالث هم رجال المال والأعمال، وقد يضاف إليهم رجال الكنيسة، وخاصة في هذه البلاد حيث لهم تأثير كبير جدا على سياسة الدولة، ويشهد لهذا لقاء "توني بلير" مع مجموعة من المسلمين وبعض رجال الدين النصارى واليهود والهندوس، فقد لوحظ أن عينا "توني بلير" لم تنزل عن عين مسؤول الكنيسة، وكأن هناك لغة عيون بينهما. لقد استهدفت القوى المعادية للإسلام وللحركات الإسلامية الإسلام كمشروع حضاري، استهدفت عقيدته وشريعته وقيمه السامية، باعتباره البديل المنافس لقيمهم وحضارتهم، إلا أن هذا لا يضع تلك الهجمة في خانة الحرب الدينية، ذلك لأن الغرب علماني، بما في ذلك الكنيسة ذاتها، ولا يمنع هذا من أن تكون لهذه الهجمة زاوية دينية، بمعنى توظيف الدين لتحقيق مكاسب اقتصادية وانتصارات سياسية.ومع ذلك فمن المسائل المهمة في تحديد الغرب الذي نتعامل معه، التفريق بين أمريكا وأوربا، فأوربا تختلف عن أمريكا من عدة جوانب، فهناك ما يزيد عن ٧٠ مليون مسلم في أوربا (الغربية والشرقية)، وهذا الوجود للمسلمين إيجابي إلى درجة كبيرة، كما أن الموقف الأوربي الرسمي يختلف، بل يتناقض، مع الموقف الأمريكي تجاه العديد من المسائل التي تهم الأمة العربية والإسلامية. من جهة أخرى فإن الحركة الإسلامية في أوروبا تعلن أنها اعتمدت خيار التوطين الذي يقضي بتصنيف هذه البلاد على أنها دار دعوة وسلم، وليست ساحة حرب ومواجهة، ثم إن مئات الألوف من البريطانيين الذين خرجوا لمناصرة قضايا العرب والمسلمين، كما في المسيرة الأخيرة التي نظمتها الرابطة الإسلامية في بريطانيا مع منظمات يسارية ودينية إنجليزية، لخير دليل على التقارب بين المسلمين وبين فئات كثيرة من الغرب.

ثانيا: السياسة الأمريكية تجاه الإسلام والحركات الإسلامية

يلحظ المراقبون لتطورات المشهد السياسي والثقافي في الولايات المتحدة تشكّل فريقين مهمّين، يجمعُ بينهما التشدد والتطرف السياسي والأيديولوجي، وقد نجح الفريقان في السنوات القليلة الماضية من إحكام قبضتهما على عدد من مواطن القرار، التنفيذية والتشريعية والقضائية. ويمثل الفريقَ الأول "التيار اليميني المحافظ"، الذي يعتبر العالَم الإسلامي ضمن دائرة الأعداء الرئيسيين له، ويرى أن أيّ تشكّلٍ حضاري في المنطقة الإسلامية يشكل خطرا داهما على مصالحه الحيوية، ويستند هذا الفريق إلى خليط من الأيدلوجيا الدينية المتطرفة والعلمانية المتشددة، ونفوذه في إدارة جورج بوش الحالية واضحا من خلال عدد من الوزراء والمسؤولين. أما الفريق الثاني فيضم جماعات "المسيحية الصهيونية"، التي استفادت من مساندتها السياسية للفريق الأول، وجعلت أجندتها رديفاً لأجندته، وخاصة ما يتصل منها بالسياسة الخارجية، والجزء الأبرز منها دعم الكيان العبري على أرض فلسطين.إنّ موقف التيارين "اليميني المحافظ" و"الديني المتطرف" من الحركات الإسلامية في العالم العربي يكاد يكون متطابقاً، فالأول يراها خطراً على المصالح السياسية والاستراتيجية في ضوء خطط التوسع والهيمنة التي يراد لها أن تقود إلى ما يسمى بـ "الإمبراطورية الأمريكية"، والثاني يراها عقبة رئيسة أمام تطبيق نبوءاته الدينية والأصولية، وأهمها ضمان بقاء "إسرائيل" على أرض فلسطين، وتحقيق الهيمنة الصهيونية على مقدرات الوطن العربي، وتصعيد الصراع وصولاً إلى حرب قادمة بين الخير (ممثلاً بالغرب وإسرائيل)، والشر (ممثلاً بالمسلمين). لقد شكل تخلي الولايات المتحدة عن خيار "الحرب الدفاعية" أهم تعديل جوهري في الاستراتيجية العسكرية، وحل مكانه خيار "الضربات الوقائية" أو"الاستباقية"، ويستند ذلك إلى أنه في حال لو شكلت دولة/ أوجماعة ما خطراً على أمن الولايات المتحدة ومصالحها الحيوية سواء في الأمد القريب، أوالمستقبل البعيد، فإن على الآلة العسكرية الأمريكية التحرك لتوجيه ضربة استباقية قاصمة لتلك الدولة/ أوالجماعة وإزالة خطرها المحتمل.

تعطي الإشارات المتتابعة التي تصدر عن مواطن صنع القرار في الولايات المتحدة (البيت الأبيض، البنتاغون، والكونغرس) أن العالم الإسلامي يشكل ميدان الاستهداف الأبرز للتحركات العسكرية المقبلة في غضون السنوات العشر المقبلة على الأقل، ولم تحتج واشنطن أكثر من أسابيع عقب أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) لتبدأ حربها العسكرية علىأفغانستان، ويتزامن هذا، وبشكل ملفت للنظر، مع التحضير لحرب واسعة على العراق، تشكل المدخل الرئيس لحركة تغيير جيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط، تعاد فيها عملية صياغة الواقع السياسي والجغرافي وفقا لأولويات المصالح الأمريكية.

لقد حددت الولايات المتحدة "الإسلام" هدفاً مباشراً لها، بعد أن تم ربطه من خلال تصريحات الساسة وناشطي الإعلام بـ "الإرهاب"، وعلى الرغم من أن التعبير عن ذلك يتم بصيغ متعددة، إلا أنها في الغالب لا تحتاج إلى كثير عناء للإدراك بأن الخطط الأمريكية، والمساندة التي تلقاها من عدد من الدول الحليفة لها، مثل بريطانيا، تستهدف في الأساس الإسلام بوصفه مكوناً حضارياً للشرق، ونقطة ارتكاز أساسية للوطن العربي والعالم الإسلامي في معركة استعادة الهوية الحضارية، والعودة إلى ميدان المنافسة الإنسانية.إنّ من الأهمية بمكان التأكيد بأن توجه الولايات المتحدة، والمنتظم الغربي بشكل عام، لتحجيم "الإسلام" كياناً ثقافياً وسياسياً حضارياً أسبقُ من الأحداث التي وقعت في نيويورك وواشنطن، فقد أُرغمَ عددٌ من البلدان العربية والإسلامية على إجراء تعديلات في مناهج التربية والتعليم لديها، وإغلاق المعاهد ذات الصبغة الدينية قبيل تلك الواقعة، كما قطعت دول عديدة، بتحريض من واشنطن، شوطاً بعيداً في تطبيق سياسة "تجفيف المنابع" وفرض رقابة مشددة على حركة الأموال العربية والإسلامية، وأدارت الأجهزة الأمنية الأمريكية بصرامة عملية تعاون دؤوبة بين أجهزة أمن عربية وإسلامية لمحاصرة الحركات الإسلامية على اختلافها، مع التركيز على تحجيم كلّ ما من شأنه تدعيمُ الصحوة الوطنية والدينية بين الشباب العربي والمسلم. الغرب لن يقدم

على عملية استئصال الإسلام الحضاري حتى يمر بمرحلتين: الأولى، هي مرحلة التشخيص، ويدخل تحت هذا الملتقيات والمؤتمرات والحوارات التي تعقد لهذا الغرض. أما المرحلة الثانية فهي العزل عن كافة العالم.

ثالثا: وسائل الحرب المتوقعة على الحركة الإسلامية

وفقا للاستنتاجات المستخلصة من الأساليب التي اتبعتها الولايات المتحدة حتى الآن، والتصريحات التي أفضى بها مسؤولون أمريكيون، يمكن القول إن خطط الولايات المتحدة إزاء الحركة الإسلامية ستتمحور حول الجوانب الآتية:

- الاستمرار في عملية الاستئصال الأمنية والعسكرية للجماعات الإسلامية، التي تتبنى خيار العنف والمواجهة، وذلك من خلال شبكة أمنية واسعة تشارك فيها عشرات البلدان في أنحاء العالم، ويتوقع أن تنجح تلك العملية في تحجيم نفوذ تلك الجماعات على المدى المنظور، خاصة في حال عدم تمكينها من توفير ملاذ آمن لأتباعها.

- العمل على "تفكيك" الجماعات الإسلامية المعتدلة، والحدّ من نفوذها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومحاصرة تأثيرها الديني على مجتمعاتها المحلية، من خلال "تجفيف" مواردها المالية، وإغلاق المؤسسات الاقتصادية القريبة منها، ومنعها من العمل في مجال العمل الإغاثي، وشطب المؤسسات والمعاهد العلمية والدينية التابعة لها، والضغط على الحكومات للتضييق على أفرادها، ومعنى هذا أن الحركة تواجه خطر الانفراد بها من قبل الغرب، كما أن هناك احتمال انفراط عقد العالمية (التنظيم العالمي) جراء الضغوط المحلية للأقطار استجابة للتهديدات الأمريكية.

- الحد من حرية الحركة لقيادات الحركات الإسلامية المعتدلة، وعدم تمكينها من مخاطبة الجماهير، عبر سلسلة من الإجراءات تتولاها حكومات محلية بضغط خارجي، والدفع نحوتغيير المناهج لزيادة جرعة "العلمنة" فيها، والحد من الروح الدينية.

- محاصرة النفوذ الإسلامي في الميدان البرلماني، وهوما يقتضي تطبيق نموذج ظاهره ديمقراطي، وفي حقيقته يخضع لسلطة مجموعة عسكرية متنفذة (استحضار النموذج التركي).

- تصفية عدد من القيادات الإسلامية "المقاومة"، أوذات التأثير الواسع على الجماهير، من خلال عمليات اغتيال غامضة، (منحت الاستخبارات الأمريكية مؤخرا صلاحية القيام بعمليات اغتيال في دول غير مدرجة ضمن قائمة الاستهداف الأمريكية).- الانفراد الصهيوني بالقضية الفلسطينية استغلالا لحالة الانشغال العالمي بتتبع أصداء الهجوم الأمريكي المتوقع على العراق.

- استدراج الحركة إلى عالم التنازل والسقوط، إذ أن عنف المواجهة بين الحركة وبين أعدائها، أوطول المدة لهذه المواجهة واختلال الموازين أحيانا لصالح عدوها في هذه الأجواء قد تكثر دواعي الميل إلى الهدنة والبحث عن أجواء الأمن والسلامة التي قد تخفف من الضغوطات المتواصلة على الحركة، وهذا أمر مطلوب شرعا، لكنه هومكمن الخطر وسر الداء.

من التحديات الواقعية التي نخشاها، أن يكون التحرك السياسي لنا وردة الفعل السياسية لا تكافئ، في عمقها أوحركتها أوأدائها، الواقع من حولنا، ونحن نعاني من قلة الطاقم السياسي الذي يحسن الاستفادة من الأحداث ويحسن التعامل معها. وها هنا خطر عظيم في التحركات السياسية، وهوالتحرك السياسي بعيدا عن ثوابت الفكرة التي من أجلها قامت الحركة أصلا. فالتفاعل السياسي والتحرك السياسي الذي ننادي به هوالتفاعل الذي يقوم على أساس فكرتنا الإسلامية، بحيث لووقف الخيار السياسي لنا أمام التمسك بالمبدأ أوفقدان الواقع الجماهيري من حولنا فإنه من الواجب علينا أن نتمسك بالمبدأ، وأن لا نحيد عنه قيد أنملة، ولوأدى ذلك إلى ابتعاد الناس عنا، ذلك لأن الغاية هي مرضاة الله، ومخالفة الثوابت الشرعية، سلوكا أوفكرا، معصية تناقض مرضاة الله التي نريدها.

رابعا: وسائل إجهاض المخطط الأمريكي، وفرص تقليل أثر الهجمة الراهنة

نظرا لخطورة المرحلة، فإن على الحركة الإسلامية الأخذ بعين الاعتبار عاملي الزمن والقوة، وهما محدودان، والتحرك الجاد والسريع لإحباط مخطط يرمي إلى استئصالها أو تحجيمها، وذلك من خلال الوسائل الآتية:

- إن من أكبر المخاطر التي تواجه أي قوة تجاهد في سبيل إحقاق الحق ونصرة المظلومين أن تخلوساحتها من علماء ثقات يوجهون الأمة ويشحذون همتها ويذكرونها بواجبها تجاه قضاياها، وهذا يتطلب السعي لإعادة تكوين "مؤسسة العلماء" في كل قطر عربي ومسلم، نظرا لما يمثله ذلك من مرجعية هامة وضرورية للعمل الإسلامي، تحميه من الزلل، وترشد مساره، وتقوي عوده، وترفع من مقام الأداء الإسلامي، ومن خلال ذلك يمكن الانطلاق نحوإيجاد مرجعية إسلامية عامة لها وزنها في أنحاء العالم الإسلامي كافة، بوسعها التعويض عن حالة الضعف التي يعاني منها النظام الرسمي، وتشكل سداً مانعاً أمام الغزوالخارجي.

- وحدة الصف الإسلامي، من خلال الدعوة إلى حوارات موسعة تستقطب كافة أطياف المشهد السياسي والدعوي الإسلامي، والترفع عن الخلافات الجانبية، واستحضار خطورة المرحلة، والعمل على تشكيل وحدات عمل فكرية وسياسية مشتركة في كافة أقاليم العالم الإسلامي.

- فتح قنوات من الحوار مع الأنظمة الرسمية، تحول دون تغوُّل تلك الأنظمة على الحركة، وتقلل من الآثار السلبية الناجمة عن الضغوط الخارجية، وتحد من فرص اندلاع نزاعات داخلية تستنزف الجهد الوطني والإسلامي وتتيح للعدوالخارجي السيطرة والتمكن.

- تقوية الحوار مع التيارات الفكرية والسياسية الأخرى، وتجاوز آثار الماضي، والسعي لإنشاء هياكل تعاون مشتركة تقوي الجبهة الداخلية (نموذج المؤتمر القومي الإسلامي).

بذل جهود استثنائية في الساحة الفلسطينية لتعزيز وحدة الصف الإسلامي أولاً، ثم تقوية الروابط بين الحركة الإسلامية، والحركات الوطنية واليسارية في إطار وحدة العمل المقاوم، والحيلولة دون تمكين العدو الخارجي من إحداث شروخ في الصف الفلسطيني.

- تقوية الجهد الإعلامي والسياسي والبرلماني للحركة الإسلامية، من خلال ماكينةِ عمل واسعة ومنسجمة الأداء، واعتبار الأداء الإعلامي والسياسي سبيلا جوهريا لمقاومة التغول الرسمي والهيمنة الخارجية.

- فتح قنوات حوار مع قوى غربية مناوئة للهيمنة، فكرية وسياسية ودينية، وعدم قصر الحوار على الجهات الدبلوماسية والرسمية التي تعنى عادة برصد المواقف والأفكار، أكثر من اهتمامها بفهم الآخر وتقبل مواقفه وآرائه.

٨ - السعي إلى إنشاء قنوات منتظمة للحوار الإسلامي المسيحي داخل الوطن العربي، وعدم اعتبار ذلك مرهونا بالغربيين فقط.

×استيعاب أبعاد موجة العداء العالمي من خلال تقديم خطاب راقٍ يخلومن مقالات الاستعداء ومفاهيم الإثارة، والانتقال بمفهوم الدعوة من طور التضخيم للمعارك إلى طور التبشير، والاقتناع بأن سلاح الكلمة والحوار من أمضى الأسلحة، واستحضار السلوك الإسلامي في مجادلات خصومه إعلاميا.

ولمواجهة تزييف مفهوم المصطلح في الخطاب الصهيوني لابد من تنفيذ الخطوات التالية:

١ -استعادة الثقة بالذات ونفض غبار الهزيمة:

ولنتذكر انتصاراتنا على العدوالصهيوني، فقد هزمناهم في حرب الاستنزاف ثم في حرب ١٩٧٣م وأجبرناهم على الانسحاب من لبنان ثم من جنوب لبنان.

ولقد اندلعت انتفاضة ١٩٨٧م بعدها انتفاضة الأقصى، اللتان تركتا أعمق الأثر على التجمع الصهيوني. هذا الإحساس بالثقة يجعلنا لا نقبل تعريفات ومصطلحات وادعاءات العدوعن نفسه أوعن أنفسنا، ولن نقبل تصريحاته باعتبارها حقائق ولا حتى برامج.

٢ – الحذر من قبول الصيغ اللفظية الشائعة الجاهزة:

يجب الحذر من مصطلحات وعبارات مثل "عملية السلام" و"الحوار"و"ستة ملايين" فهي مصطلحات وعبارات نجح الصهاينة في إشاعتها كما لوكانت بديهيات، فيجب رفضها أوإعادة تعريفها أوالتحفظ عليها كأن نقول "الحوار في إطار قبول الشرعية الدولية" وهكذا.

٣ – رفض الثنائيات المتعارضة:

يجب أن يبتعد القارئ عن السقوط في الثنائيات المتعارضة الاختزالية التي تقسم كل الظواهر إلى سالب وموجب، قابل ورافض، ناجح وساقط، صقور وحمائم... إلخ. ولعل الثنائيات المتعارضة في المصطلحات قد تسللت لنا من نماذج العلوم الطبيعية والرياضية.

٤ – المصطلح ليس هوالمفهوم الكامن وراءه:

يجب أن يدرك القارئ أن المصطلح والمفهوم الكامن وراءه ليسا نفس الشيء، ولذا يجب ألا يقنع الباحث بالمصطلح المعطى بل يجب أن يلجأ إلى سبل كثيرة للوصول للمفهوم الكامن وهذه العملية تختلف من مصطلح لآخر. فهناك كما بينا مصطلحات مبهمة وأخرى جزئية، أي أنها تجتزئ من الواقع ما يخدم الرؤية الصهيونية وهناك مصطلحات عبارة عن أكاذيب، وأخرى عبارة عن أمنيات وثالثة هي تعبير عن مخطط يود الصهاينة تنفيذه ويمكن التصدي له لإفشاله، ورابعة تستند إلى قراءة صهيونية للتاريخ. وعلى القارئ أن يتنبه لكل هذا ويطور طريقه للوصول إلى المفهوم الحقيقي الكامن.

٥ - لابد من تعريف مرجعية المصطلح:

يحاول العدودائماً أن يستخدم مصطلحات عامة مثل "السلام" "والتطبيع" ويتجاهل مرجعياتها، أويفرض عليها مرجعيات صهيونية. ولذا يجب أن يحاول القارئ تحديد مرجعية المصطلح كما يستخدمه العدو، وتحديد مرجعيته كما نستخدمه نحن.

٦ - إدراك البعد الاستيطاني:

الجيب الصهيوني هوجيب استعماري استيطاني إحلالي، وهذه هي حقيقته التاريخية القائمة ومرجعيته النهائية وهي حقيقة ومرجعية يحرص على إخفائهما. ولذا على الباحث أن يستخدم دائما كلمة "استيطاني" أو"استعماري" أو"محتل" فهذه المصطلحات تستدعي المرجعية النهائية وتذكرنا بحقيقته.

٧ - البحث عن نصوص صهيونية تفصح عن وجه الصهيونية الحقيقي:

من أسهل السبل لمواجهة تزييف المصطلح في الخطاب الصهيوني هوالعثور على نصوص صهيونية تفصح عن وجه الصهيونية الحقيقي، ومثل هذه النصوص موجودة بكثرة في الكتابات الصهيونية التي نشرت قبل تأسيس الدولة، وبخاصة كتابات الصهاينة الذين يقال لهم متطرفون مثل جابوتنسكي وشارون.

٨ - الاستشهاد بالواقع الصهيوني:

المصطلحات الصهيونية هي محاولة للتغطية على المجازر الصهيونية وعلى فعل الاغتصاب الصهيوني، ولذا لابد أن نستشهد بالواقع، فنشير إلى السلوك الصهيوني وإلى الواقع الذي تشكل من خلال غزوهم للأرض.

٩ - اصطلاحية المفردات الصهيونية:

يجب أن يتنبه القارئ إلى أن المفردات التي ترد في نص صهيوني عادة لها مضمون

مختلف تماماً عن مضمونها حينما ترد في نص سياسي عادي فحينما ترد كلمة "ديمقراطية" فهي عادة تعني "ديمقراطية المستوطنين" وحينما ترد كلمة "حقوق" فهي عادة" حقوق المستوطنين" وهكذا...

١٠ - البعد عن المقولات التحليلية ذات الأصل التوراتي والإنجيلي:

يجب ألا نخلط بين ما جاء في التوراة وما حدث في التاريخ، فالخطاب التوراتي والإنجيلي يرى اليهود باعتبارهم شعباً ليس له سياق تاريخي محدد، وهوشعب يوجد خارج الزمان ويتسم بالتماسك والوحدة. وهذه مقولات دينية لها شرعية داخل سياقها الدينى، ولكن حين تُنقل إلى السياق التاريخي الزمني، فإنها تصبح المقولات الصهيونية التي تستند إليها نظرية الحقوق الصهيونية التي تعطي اليهود حقوقاً مطلقة في فلسطين.

١١ - تأكيد البعد التاريخي والنسبي للظواهر اليهودية والصهيونية:

يجب ألا يسقط القارئ في مقولات عامة مطلقة مثل "إن اليهود كانوا دائماً عبر التاريخ عباقرة أومجرمين "فمثل هذه المقولات ليست لها قيمة تفسيرية أوتحليلية، وعليه أن ينظر دائماً لليهود باعتبارهم جماعات موجودة في الزمان والمكان تتفاعل معه وتتأثر به وليس كجماعة بشرية متماسكة لها طبيعة ثابتة.

١٢ - استنطاق النص:

أهم الخطوات في عملية تفكيك أو إعادة تركيب المفاهيم والمصطلحات الصهيونية هوتذكر الصيغة الصهيونية الأساسية الشاملة والمهودة (أي تعريف الصهيونية بطريقة مركبة أكثر تفسيرية) فهي تشكل الأساس الراسخ والمقولات الثابتة وراء كل الديباجات والحيل البلاغية الأخرى، وعلى القارئ أن يضع المصطلح أوالمفهوم الصهيوني في سياقه التاريخي والحقائق التاريخية ستقوم بعملية التفكيك، ثم يضعها داخل نمط متكرر، ويستطيع الدارس بعد ذلك أن يقوم بما يسمى (عملية استنطاق النص) أي أن يجعله

ينطق بما هومتخف وكامن فيه ولا يفصح عنه فيتم تفكيك العبارات والمصطلحات الصهيونية المختلفة وصولا إلى المقولات الثابتة وراءها، ترجمتها حرفياً بهذه الطريقة في محاولة نقل وجهة نظر الآخر ولكن علينا أن ننسبها للعدو

وبعد هذا الاستعراض يبرز السؤال الأهم وهوكيف نتعامل مع الصهيونية المسيحية؟

العديد من المثقفين العرب طرحوا أفكارا وأساليب متعددة فمنهم من طرح فكرة التواصل والتعاون مع الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية وكذلك الكنائس البروتستانتية المخالفة من أجل تنسيق الجهود والحد من سيطرة هذا اللوبي على السياسة الأمريكية ومنهم من طرح فكرة استخدام سلاح المقاطعة وهناك من دعا إلى تقوية اللوبي العربي في أمريكا أواستخدام ورقة المصالح المشتركة، وبالرغم من أن هذه المقترحات تبدومن الناحية النظرية قادرة على تقديم الحلول إلا أنه وعند التطبيق العملي نجد أن الهوة الواسعة بين المثقفين وبين الزعماء العرب من جهة وبين هؤلاء الزعماء وبين أبناء الأمة من جهة أخرى وانعدام التنسيق بين الدول والمنظمات العربية الرسمية منها أو الأهلية وسيطرة الارتجال والعفوية على العمل العربي وعدم الاعتماد على الدراسات الجادة وقلة مراكز الأبحاث وضعف إمكانياتها والاعتماد على الأفكار المسبقة والوصفات الجاهزة، كل ذلك يجعل من العودة أولاً إلى أنفسنا والنظر إلى ذواتنا أمراً بالغ الأهمية ويجب القيام به قبل كل شيء، فمن المهم وقبل أن نحاور الآخر ونقنعه بوجهة نظرنا أن تكون رؤيتنا واضحة وأهدافنا محددة وإستراتيجيتنا قائمة على الاستقراء العلمي الصحيح هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب أن نبني سياستنا على مُسَلَّمَة واضحة وبسيطة بأن أمريكا وإسرائيل من ورائها لا تحترم إلا القوي وهي مع هذه العقيدة المتطرفة لا يمكن لها أن تسلم إلا إذا اقتنعت بأنه لا مجال لها إلا التسليم وبالتالي فإن بناء أسباب القوة يجب أن يكون عقيدة عربية بدونها لن نستطيع تحقيق شيء، وأسباب القوة ليست الأسلحة فقط وإنما أيضاً هناك الانضباط والعمل الجاد والقضاء على الرشاوى والمحسوبية

والأمراض الاجتماعية الناجمة عن الفساد والقضاء على التجاوزات والانحرافات وهنا يبرز دور القادة وبدون ردم الهوة بينهم وبين شعوبهم فإن كل جهد يبذل في سبيل الوقوف في وجه المخططات الإسرائيلية والمسيحية الصهيونية سيبوء بالفشل وستكون معركة "هرمجدون" هي مجرد نزهة يقضي بها اليهود على كل من تسول له نفسه أن يقول لا.

- الدور الصهيوني كان بارزا في تأجيج أوار الهجمة على الإسلام والحركات الإسلامية، باعتبار أنها تخدم مصالحه من خلال تحجيم الخطر الذي يلاحق الدولة الإسرائيلية من جراء تنامي المد الإسلامي الرافض لوجودها والداعم للمقاومة في الأراضي الفلسطينية. لذا فإن التركيز على الدور الصهيوني مهم في تعبئة الشارع العربي والإسلامي خلف الحركة الإسلامية في مواجهة التحديات الراهنة، وفي فضح المخطط الأمريكي وسياسة الكيل بمكيالين وتأليب الرأي العالمي ضدها.

- توظيف مختلف الوسائل الإعلامية والمؤسسات العلمية والبحثية لشرح وجهة النظر الإسلامية وإبراز نصاعة الإسلام وعدالة المشروع الإسلامي.

- كسر الحاجز الحيادي لدى الأمة بحيث تكون جزءا من الحركة الإسلامية ورديفا لها في مواجهة الهجمة الراهنة، ويتطلب هذا تطويرا في أساليب الدعوة وطرق الوصول إلى الشارع العربي والإسلامي والتأثير فيه من خلال الاستعانة بآليات علم الاجتماع.

- الاهتمام بالحركة النسائية وتفعيل دورها في تقويم المجتمع وترشيده.

- على الحركة الإسلامية أن تضع خطة لحماية قادتها الفكرية ورموزها السياسية والاقتصادية والحركية وعلمائها، ولا تتركهم لمواجهة للهجمة منفردين.

- الإسلام الحضاري ينبغي أن يكون مشروع الحركة للمرحلة القادمة، وهذا يتطلب تحديد آليات طرحه والترويج له.

إن مواجهة هذه الهجمة الشرسة تتطلب من الحركة الإسلامية عموما وقفة مراجعة لبعض أفكارها ومواقفها وآليات عملها، ودراسة الكيفية التي تشكلت بها صورتها عند الغرب، ومدى مساهمة بعض مواقفها، غير الصائبة، في تشكيل هذه الصورة. ويدخل في هذه المراجعة إعادة النظر في مفهوم الأسلمة، والموقف من الدولة وآليات التغيير السياسي وغيرها.

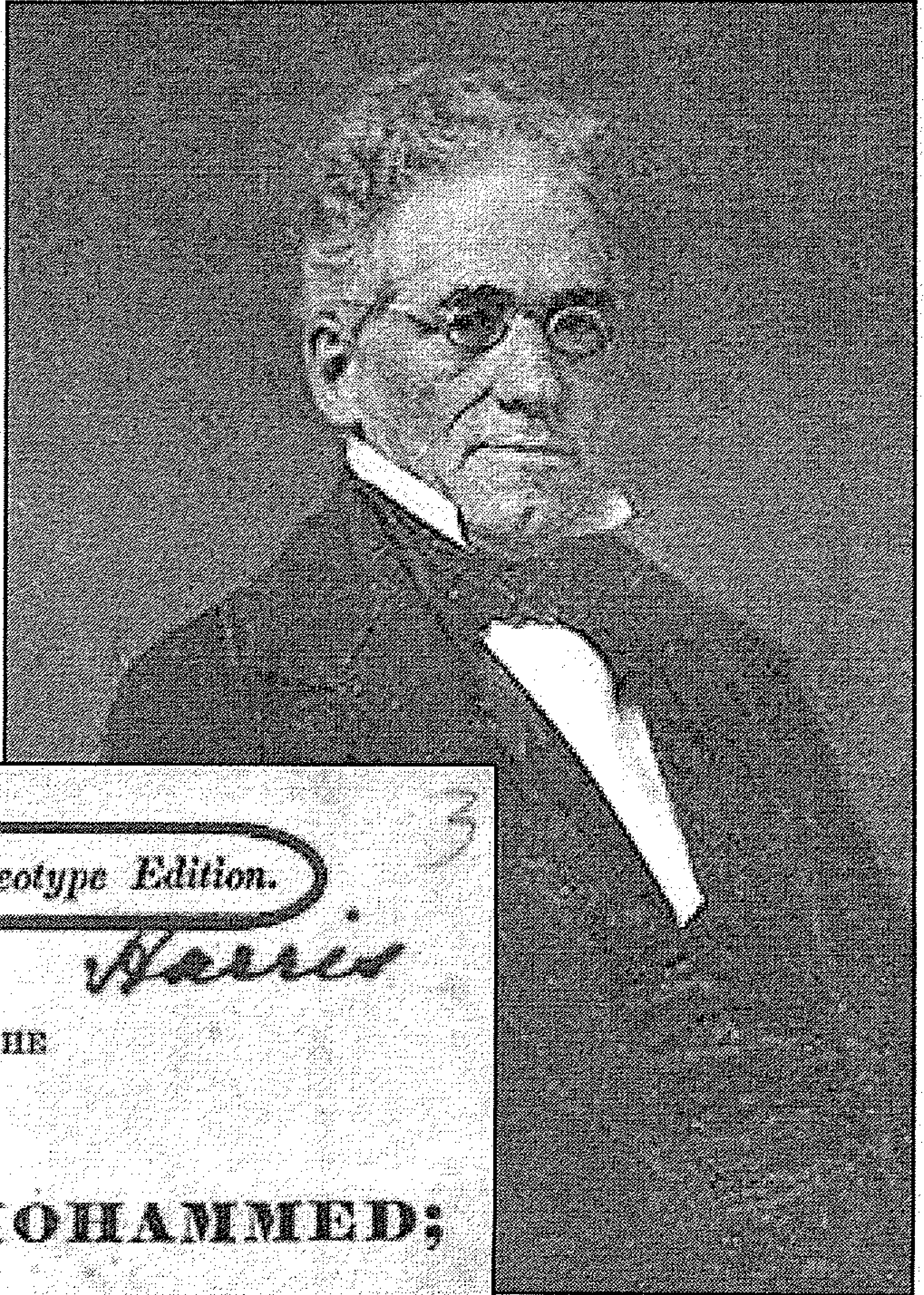
إن الأصل في عمق وطبيعة الحضارات هو التحاور والتشابك والتواصل، ولذلك فإن الصراع حتى وإن اتخذ مظهرا ثقافيا غالبا ما تكون وراءه دوافع سياسية واقتصادية أكثر منها ثقافية، وهي الخلفيات التي طالما عكرت الحوار بين الحضارات، ولعل الأحادية الثقافية التي تروج لها بعض الجهات داخل المجتمع الغربي وتلقى تجاوبا في الأوساط الشعبية والرسمية لن تصمد أمام التاريخ، والحضارات وإن كانت تختلف عن بعضها البعض فهي لا تحتمل أبدا إجراء تقييم تفضيلي بينها، ومن ثَم فالصراع القائم هو في العمق صراع سياسي واقتصادي.

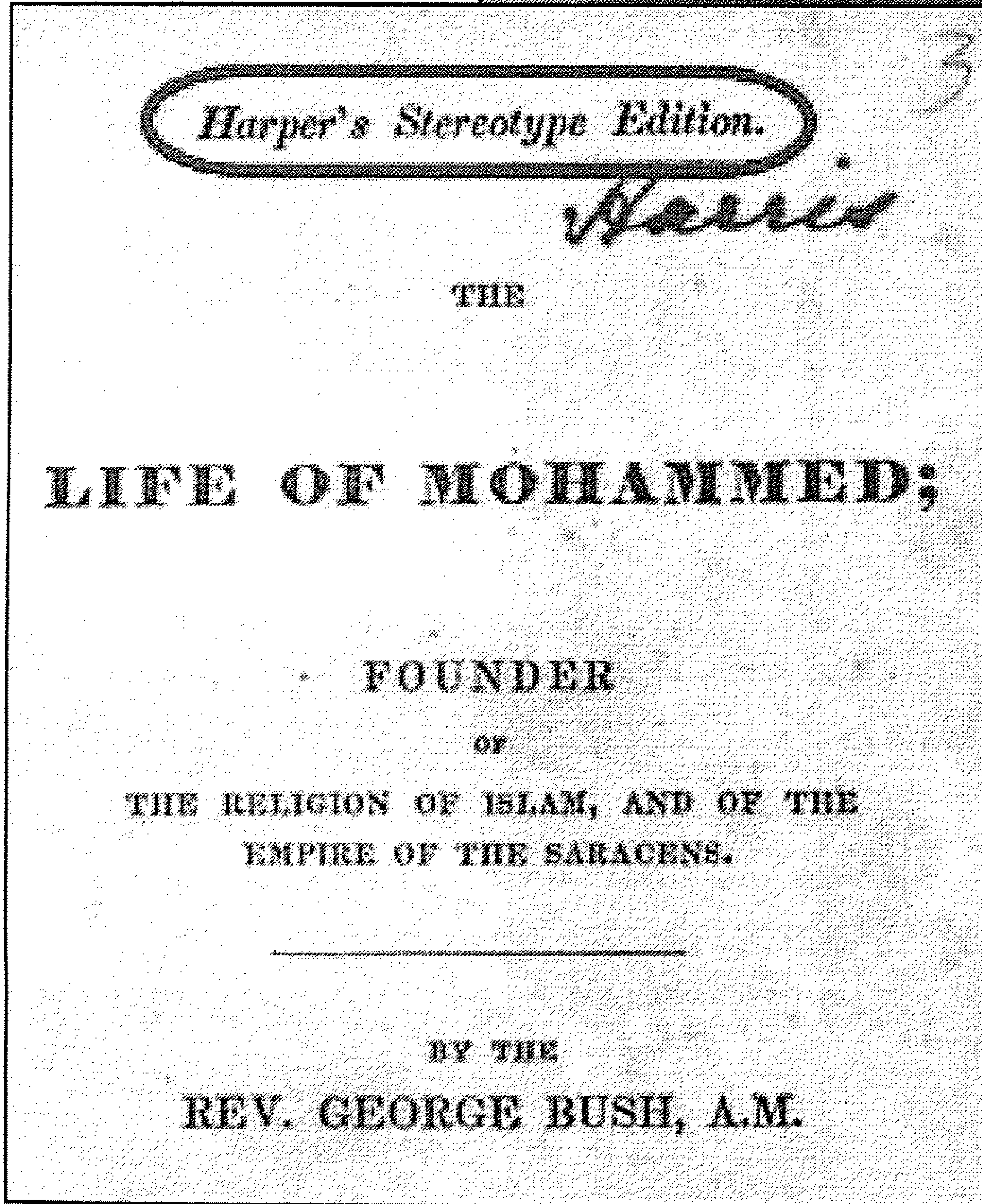
لقد شهد المجتمع الدولي تداخلا وتعددا في العلاقات بين مختلف الشعوب والأمم في شتى المجالات والميادين يؤكدها التنقل المستمر للقيم والأفكار والأشخاص بالشكل الذي يجعلنا نستبعد كليا نظريات المواجهة أو القطيعة لحساب التواصل، لكن التصريحات والسلوكات المستفزة الاستثنائية التي تصدر عن بعض الجهات التي تعتقد أنها تمثل الغرب برمته أو تلك التي تعتقد أنها تمثل الإسلام والمسلمين يمكن أن تشوش على هذا التواصل والحوار الضروريين والحتميين.



ملف الصــور

جورج بوش الجد





Harper's Stereotype Edition.

Harris

THE

LIFE OF MOHAMMED;

FOUNDER

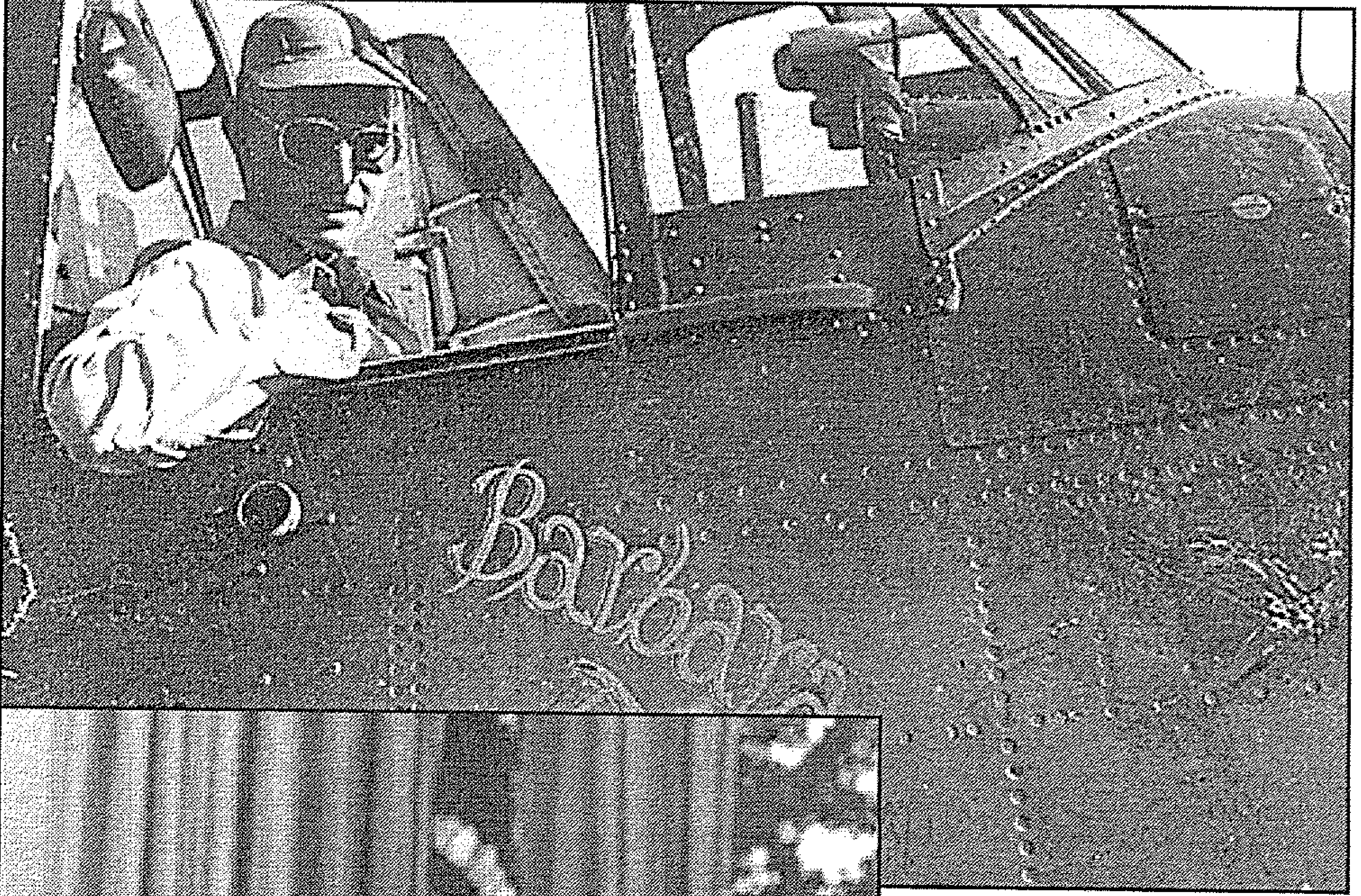
OF

THE RELIGION OF ISLAM, AND OF THE EMPIRE OF THE SARACENS.

BY THE

REV. GEORGE BUSH, A.M.

غلاف كتاب جورج بوش الجد حياة محمد الذي يقطر حقداً علي الإسلام و المسلمين !!



جورج بوش الجد



الرئيس الأسبق رونالد ريجان لطالما كان في خدمة المسيحية الصهيونية و داعماً لها !!



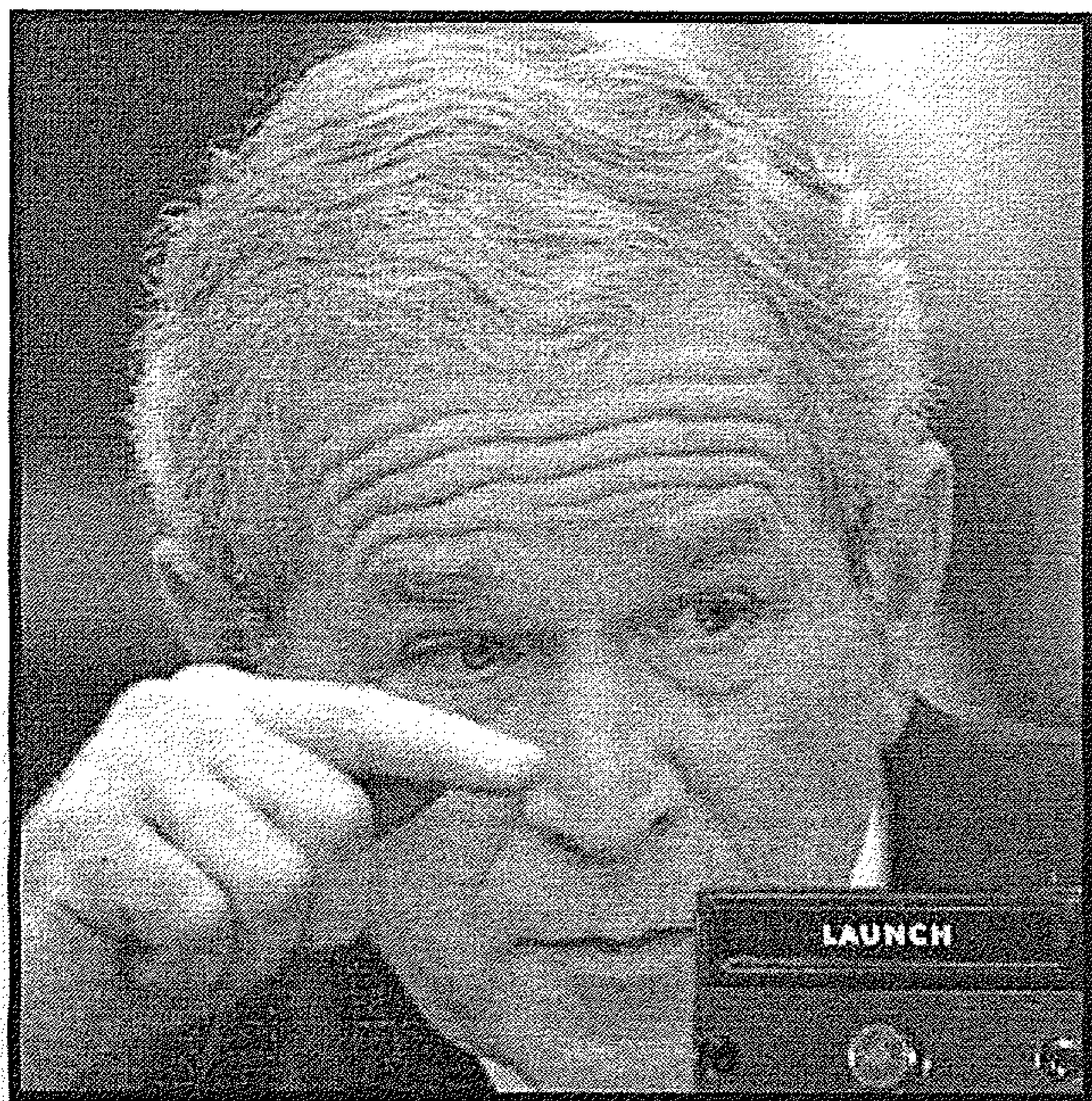
بوش داعية الحرب لتحقيق نبوءة جده الكاذبة



صقور المحافظين الجدد دعاة الحرب في إدارة بوش



بوش و باول يتبادلان التهاني في نوبة فرح لإدانة الأخير لصدام في الأمم المتحدة والتأسيس لإعلان الحرب



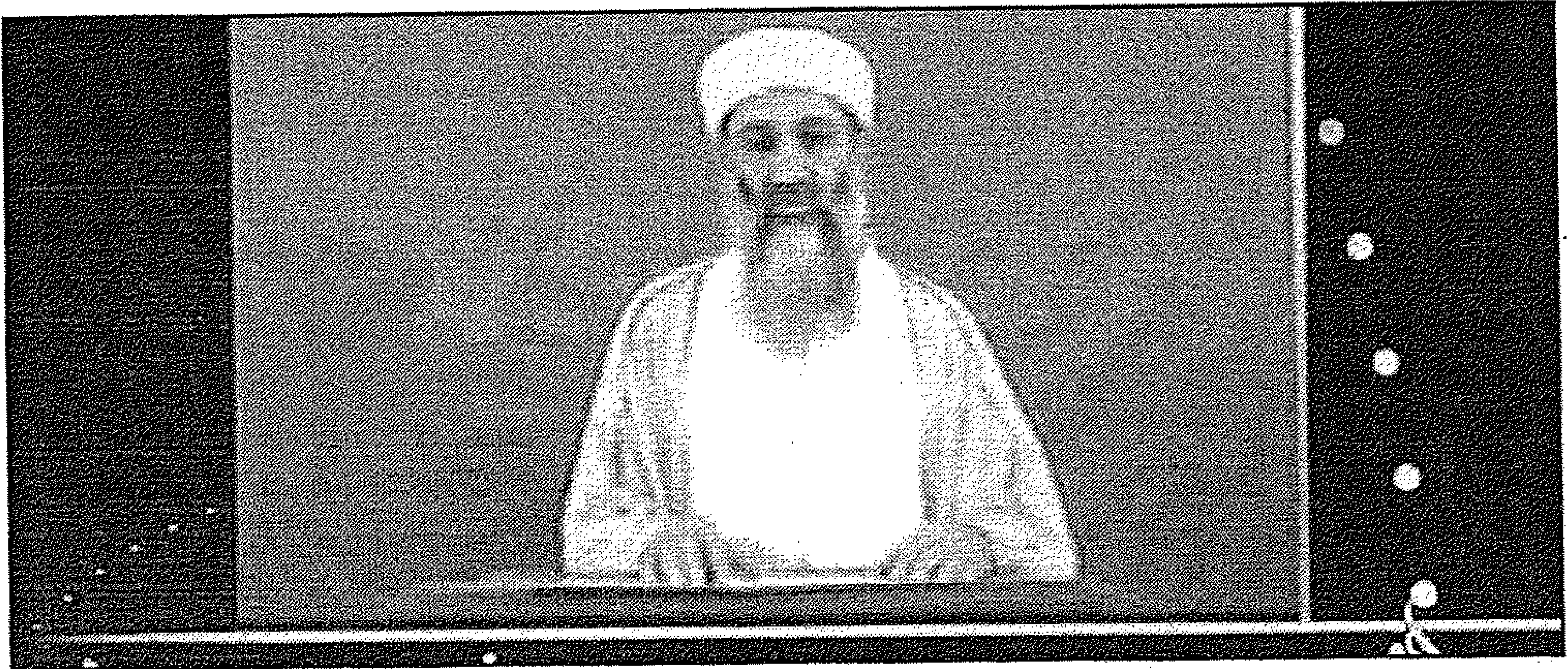
بوش يعلن الحرب علي الإسلام
باسم الحرب علي الإرهاب



بن لادن قدم خدمة العمر للمسيحية الصهيونية كي تضرب الإسلام بأيدي أبناء الإسلام !!



شريط من شرائط القاعدة



بن لادن في أحد شرائط الفيديو التي أطلق فيها فتاواه بقتل الأمريكيين !!

بيان لتنظيم قاعدة الجهاد في أوربا يدعو لحرب الأجانب ويحث المسلمين علي الانضمام !!

الخميس 30/5/1426 هـ - الموافق 7/7/2005 م

جماعة التنظيم السري
تنظيم قاعدة الجهاد في اوروبا

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على الضحوك القتال سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم اما بعد

ابشري يا امة الاسلام ابشري يا امة العروبة فقد حان وقت الانتقام من الحكومة الصليبية الصهيونية البريطانية

ردا على المجازر التي ترتكبها بريطانيا في العراق و افغانستان

قام المجاهدون الابطال بالقيام بغزوة مباركة في لندن و هاهي بريطانيا الان تحترق من الخوف و الرعب و الفزع في شمالها و جنوبها و شرقها و غربها

لقد حذرنا الحكومة البريطانية و الشعب البريطاني مرارا و تكرارا

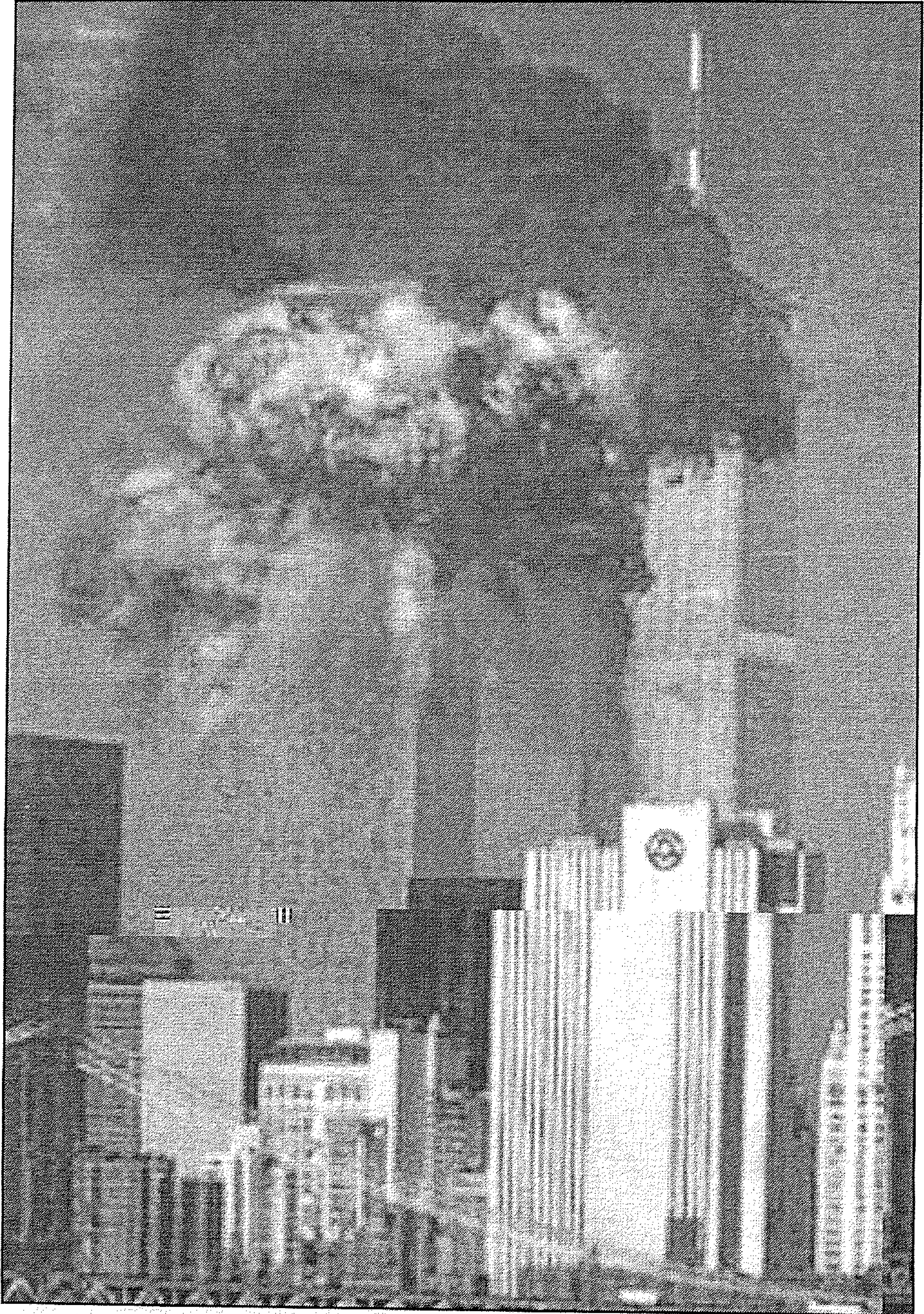
و ها نحن قد اوفينا بوعدنا و نفذنا غزوة عسكرية مباركة في بريطانيا بعد مجهودات شاقة قام بها المجاهدون الابطال و استمرت فترة طويلة لضمان نجاح الغزوة

و مازلنا نحذر كلا من حكومة الدنمارك و حكومة ايطاليا و كل الحكومات الصليبية من انهم سوف يناولون نفس العقاب ان لم يسحبوا قواتهم من العراق و افغانستان و قد اعذر من انذر

قال تعالى ((ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم))

الخميس 30/5/1426 هـ - الموافق 7/7/2005 م

جماعة التنظيم السري
تنظيم قاعدة الجهاد في اوروبا



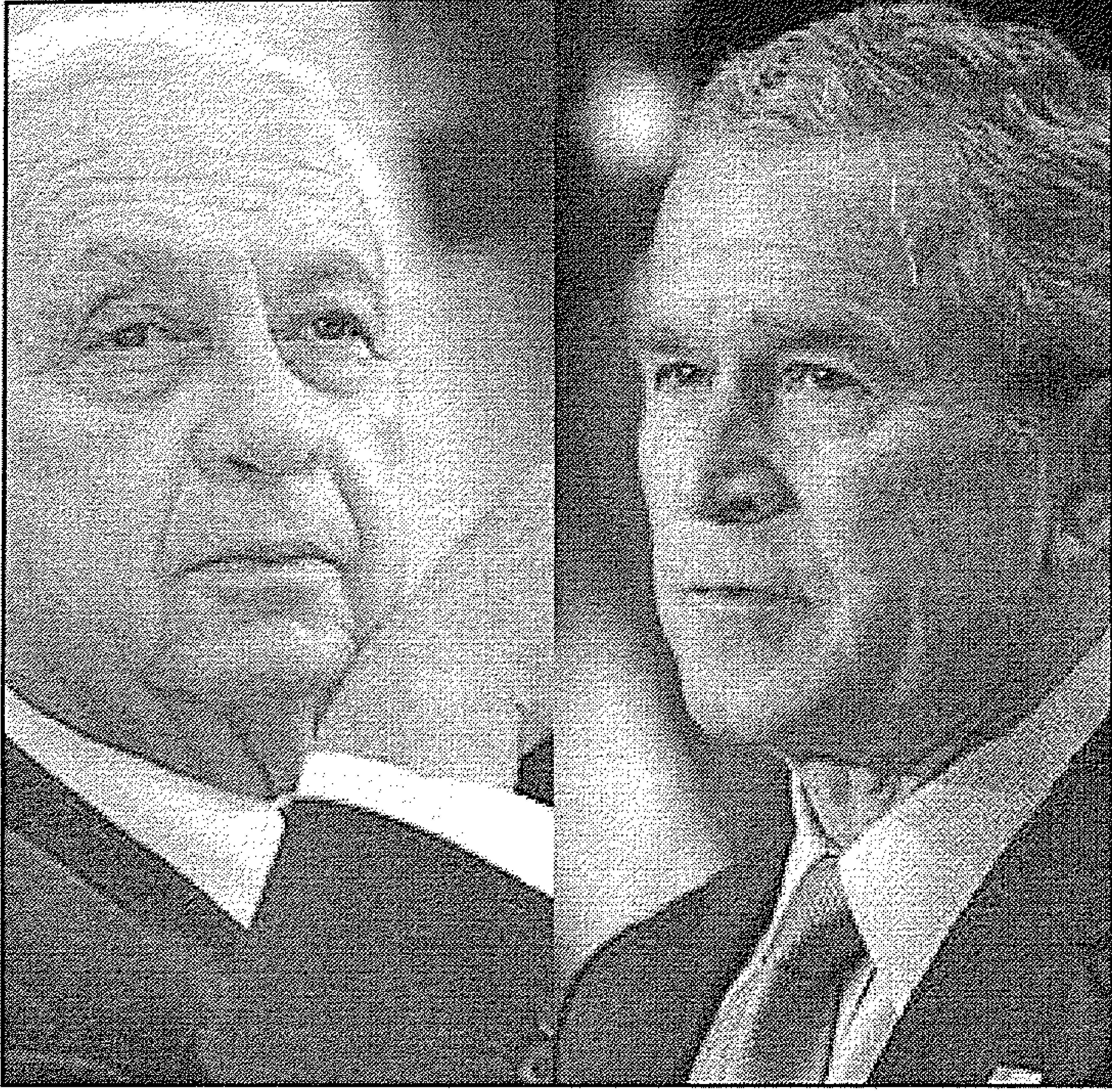
هجمات سبتمبر التي استغلها بوش و المسيحيون الصهاينة لتنفيذ مخططاتهم القديمة ضد الإسلام و المسلمين



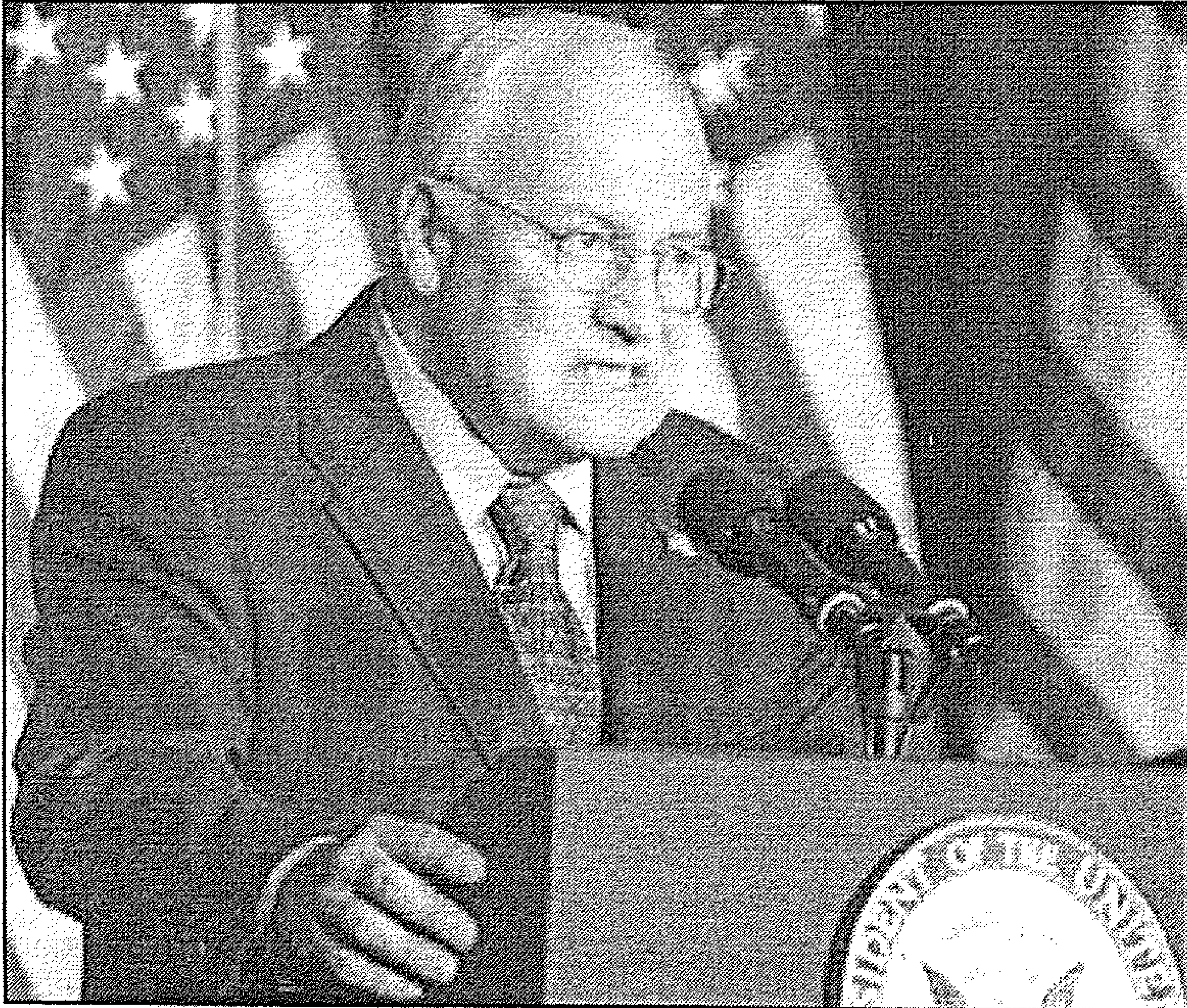
تفجيرات مدريد الإرهابية أكثر ما ساعدت به الجماعات الإرهابية أعداء الإسلام وأضرت فيه بمستقبل المسلمين



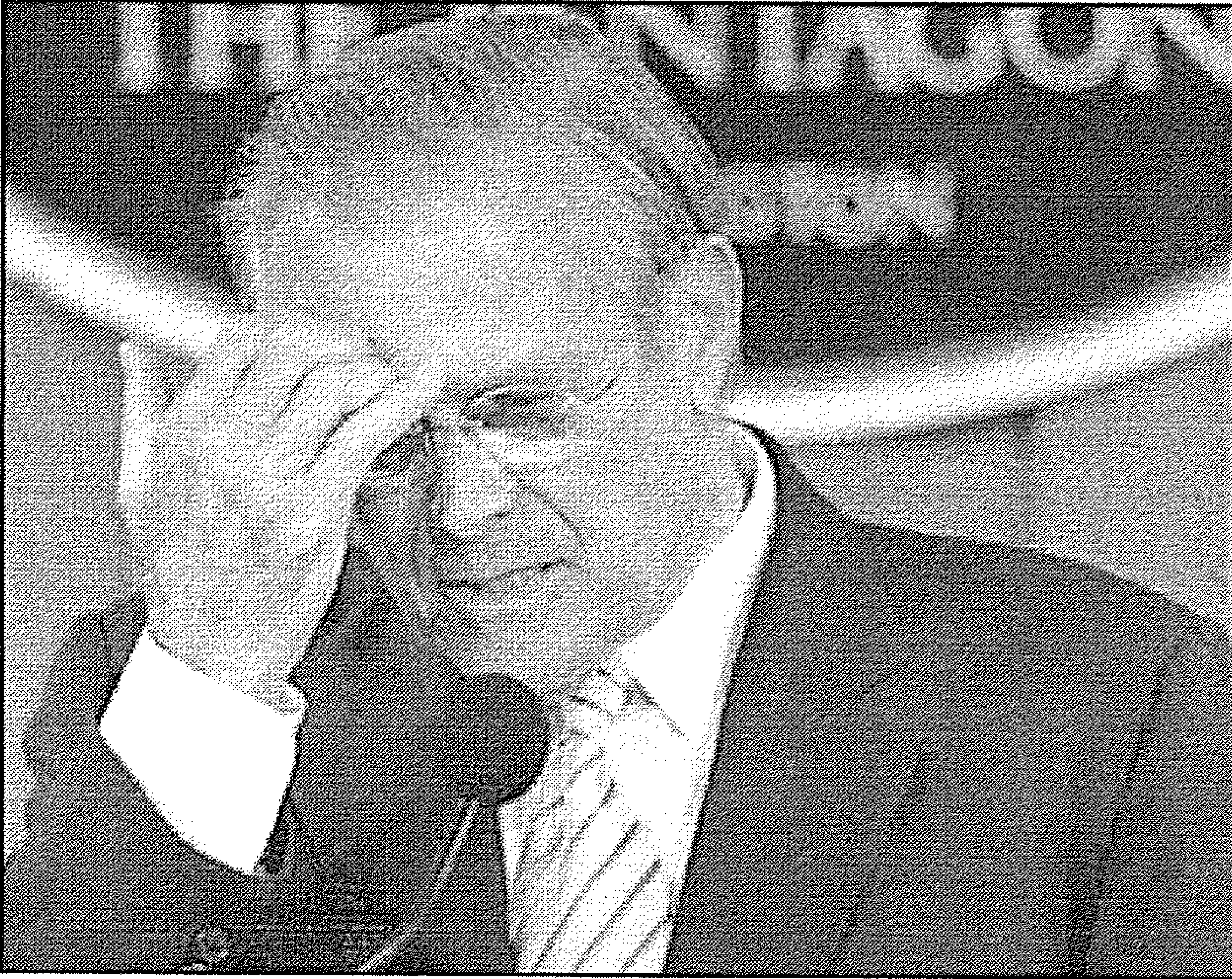
تفجيرات لندن الإرهابية استغلها المسيحيون الصهاينة لكسب المزيد من الانجليز والأوربيين !!



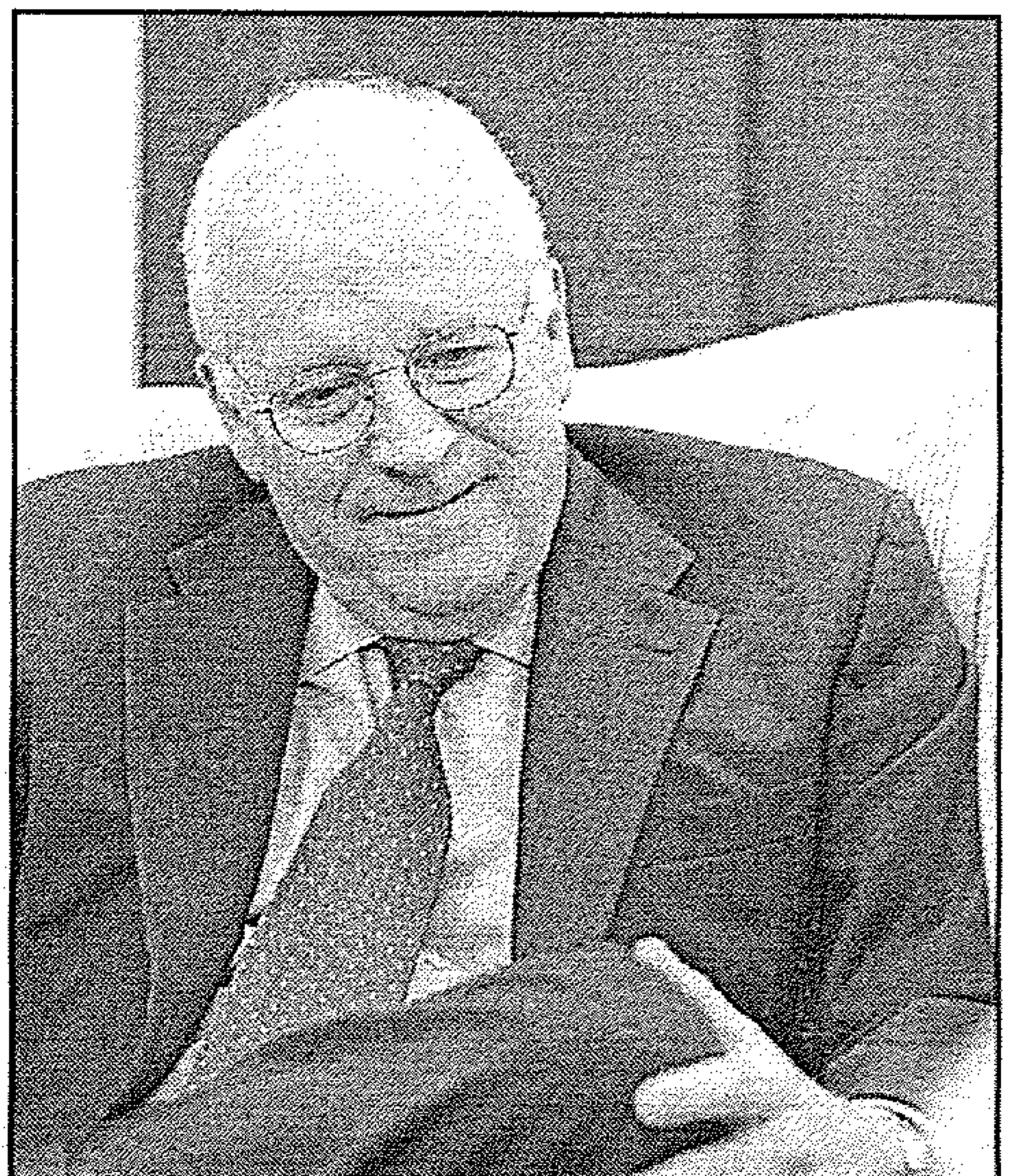
بوش و مجرم الحرب شارون كل كان يخدم
الآخر و المستهدف واحد هو الحق العربي !!



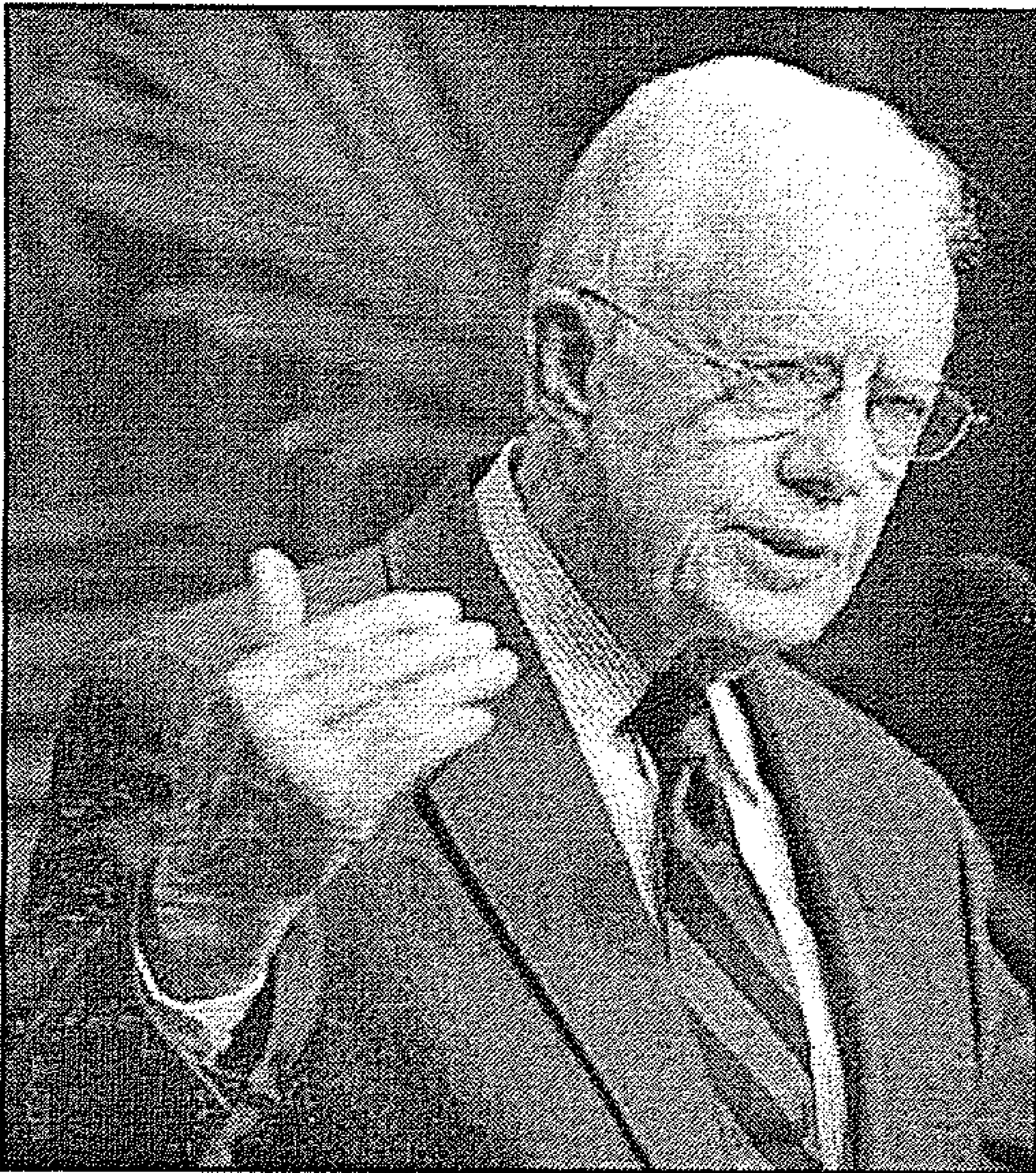
ديك تشيني نائب بوش في خطابه الشهير أمام المحاربين القدامى الذي أكد فيه كذباً أن العراق لديه أسلحة دمار شامل



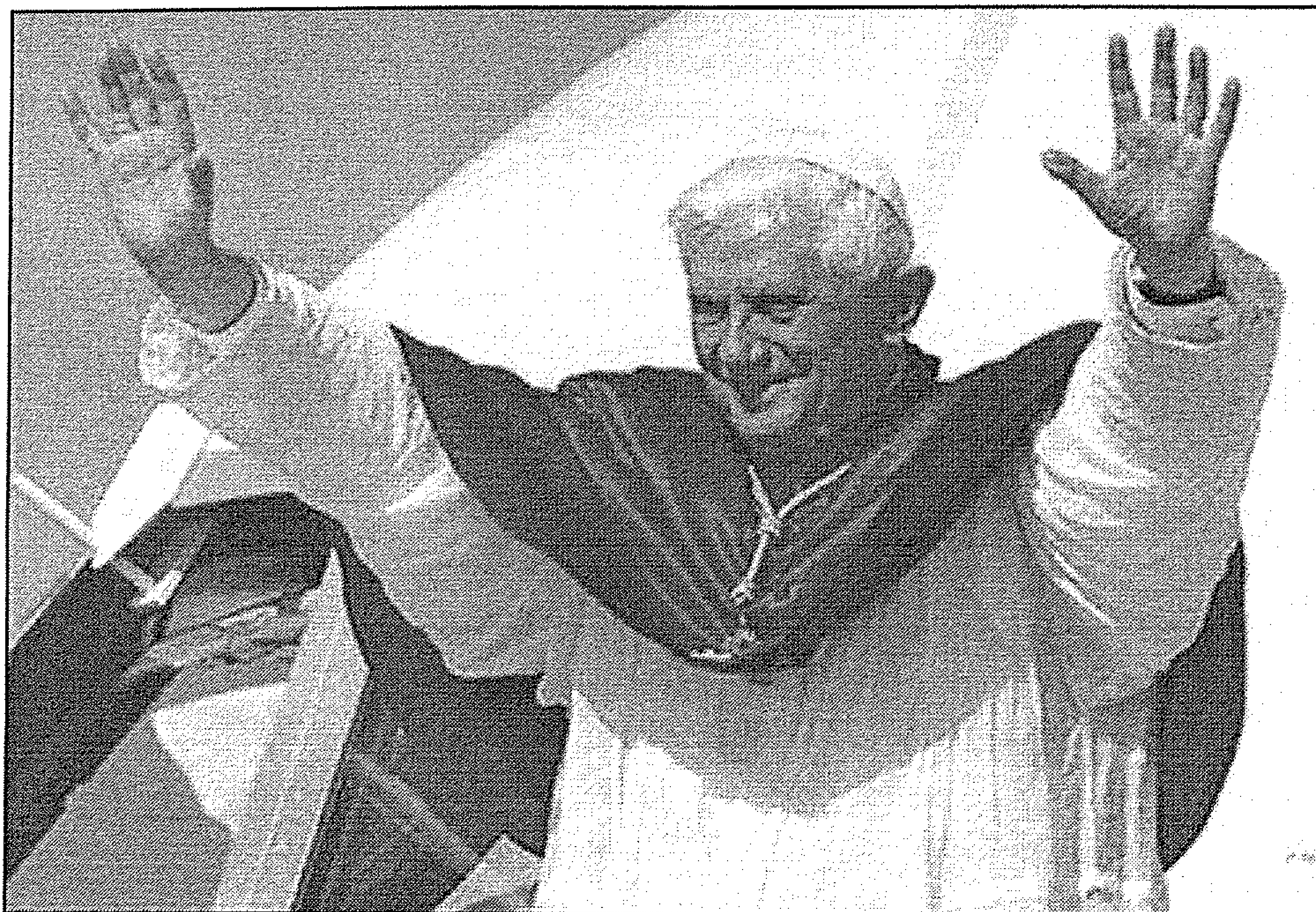
دونالد رامسفيلد وزير الحرب



ديك تشيني نائب بوش منفذ أجندة المسيحيين الصهاينة الأول في الإدارة الأمريكية !!



كارتر أقل الرؤساء من حيث حجم الدعم الذي قدمه لأصحاب التيار الكارثي لأمريكا و العالم



بابا الفاتيكان بندكت السادس عشر يحيي الجموع
عقب خطبته الشهيرة التي أساء فيها إلي نبي الإسلام



بوش عندما كان حاكماً لولاية تكساس يصلي بجانب حائط المبكى
خلال زيارة للقدس عام ١٩٩٨

مصادر الكتاب

١ - كتاب : البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي - دكتور مهندس : محمد الحسيني إسماعيل

٢ - محمد عمارة - يوميات الأخبار - ٢٠ مايو٢٠٠٥

٣ - كتاب : نحوالحرب العالمية الرابعة - باسكال بونيفاس

٤ - هل أعلنت إدارة بوش الحرب على الإسلام؟- باتريك سيل - الحياة

٥ - كتاب "الحرب العالمية الرابعة - د. محمد مورو

٦ - كتاب العرب والعالم بعد ١١ سبتمبر" - الدكتور برهان غليون

٧ - العرب وعالم ما بعد ١١ سبتمبر - البيان — ٣١ أكتوبر ٢٠٠٥

٨ - ثوابت العقيدة الصهيونية - محمد عمارة

٩ - مجلة "كيفونيم" - القدس - فبراير ١٩٨٢

١٠ - كتاب "محافظون بلا ضمير — جون دين — ترجمة : مجدي كامل

١١ - الصهيونية المسيحية.. بين رؤى الدين وتوظيف السياسة — د. سمير مرقس

١٢ - كتاب : أحجار على رقعة الشطرنج - وليام كار

١٣ - محمد بن المختار الشنقيطي - المسيحية الصهيونية والسياسة الأميركية- الجزيرة - يونيو٢٠٠٤

١٤ - تقرير : المسيحيين الصهاينة واليهود الأصوليين تحالف مشبوه يهدد استقرار العالم- أشرف البربري - إسلام أون لاين - ١٧ أغسطس ٢٠٠٤

١٥ - حمد بن عبدالله اللحيدان - التطرف والإرهاب يحركهما رعاة الديموقراطية- جريدة الرياض اليومية - ٣٠ ديسمبر ٢٠٠٦

١٦ - كتاب "النية القاتلة" : "المبشرون البروتستانت على درب الحرب النووية" - الكاتبة الأمريكية "جريس هالسيل" - الحلقة الأولى - صحيفة " الشرق الأوسط"- ١٧ أكتوبر١٩٨٦

١٧ - إسرائيليات الهيكل.. ومزاعم اليهود - نهى علي - إسلام أون لاين - ٨ أغسطس ٢٠٠١

١٨ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (الجزء الرابع) - د. عبد الوهاب المسيري - دار الشروق

١٩ - الإباحية والعنف والإرهاب في جذور المسيحية الصهيونية وكتبها المقدسة- ترجمة وتعليق خضر عواركة - عن أوراق باولا ستاكويل - ٢٨ مارس ٢٠٠٤

٢٠ - مصطفى محمود - سودان ديلي نيوز - ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦

٢١ - د.محمد مرسي محمد مرسي - بانوراما - مجلة الحرس الوطني - أول نوفمبر ٢٠٠٦

٢٢ - في مراجعة الذات - فهمي هويدي - السفير - ٨ يناير ٢٠٠٢

٢٣ - دور اللوبي الصهيوني في التأثير على القرار الأميركي - أحمد منصور قناة الجزيرة - ٤ يونيو٢٠٠٤

٢٤ - التوفيق بين الإسلام والحداثة - محمد اركون - موقع بلاغ علي الإنترنت- ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٦

٢٥ - الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني - عبد الوهاب المسيري - ٢ نوفمبر ٢٠٠٦

٢٦ - كنائس الشرق الإنجيلية تتبرأ من «المسيحية الصهيونية - مجدي سمعان- المصري اليوم – ٧ أبريل ٢٠٠٦

٢٧ - الديمقراطية بين تحديث الداخل وضغط الخارج - عامر عبد زيد كاظم- مجلة الإسلام والديمقراطية على الانترنت – عدد مايو٢٠٠٦

٢٨ - د. عامر عبد زيد كاظم -جامعة الكوفة. الأداب - مجلة الإسلام والديمقراطية علي الإنترنت - مايو٢٠٠٦

٢٩ - موقف الروم الأرثوذكس من المسيحية الصهيونية - بقلم :الأب د. عطا الله حنا

٣٠ - كتاب : نهاية الإيمان: الدين والإرهاب ومستقبل العقل - سام هاريس – عرض عادل الدقاقي – تقرير واشنطون

٣١ - محمد العكيدي - التطرف الديني ومفهوم الوطنية – صحيفة عرب تايمز ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٥

٣٢ - صناعة التطرف،مولود واحد لآباء متعددين - قاسم محمد جبار - الظهور الثقافي - صحيفة الكترونية - ١ ديسمبر ٢٠٠٤

٣٣ - سيف الدين البحري - ظاهرة التطرف الإسلامي - الحوار المتمدن – ١٢ نوفمبر ٢٠٠٥

٣٤ - خالد القشطيني - هل هي نهاية الفكر المتطرف وولادة ديموقراطية إسلامية؟ - شبكة النبأ المعلوماتية - ١٨ - سبتمبر ٢٠٠٢

٣٥ - حافظ سيف فاضل - التطرف وإعاقة الإصلاح الجمود الفكري يسيء إلى الإسلام - إيلاف - ١ سبتمبر ٢٠٠٤

٣٦ - د. محيي الدين عميمور - التطرف.. واجتهاد غير المجتهد - ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٢

٣٧ - خالد غزال - الصراع مفتوح بين العقلانية والظلامية - صحيفة " النهار" اللبنانية - ١٥ - يناير - ٢٠٠٧

٣٨ - طاهر العدوان - ثقافة التطرف والإرهاب صهيونية - فولتير: النسخة الدولية- ٨ أغسطس ٢٠٠٥

٣٩ - استغلال ظاهرة عنف المتطرفين والتزييف الثقافي للقيم والمفاهيم = ياسر لطفي العلي - الحياة - ٢٠ يناير ٢٠٠٧

٤٠ - كتاب : المسيح اليهودي - رضا هلال

٤١ - علي نوري زاده - علماء الإرهاب وفتاوى الجلوكباب،هذه المرة من إيران الإسلام - الشرق الأوسط - ٠١ نوفمبر٢٠٠٦

٤٢ - دراسة عن أسباب التطرف - جريدة " الوطن "السعودية - الجمعة ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٦

٤٣ - خالد سليمان - -ظاهرة الإسلاموفوبيا (قراءة تحليلية) - موقع النور علي الإنترنت - ١٣ يناير ٢٠٠٧

٤٤ - فهمي هويدي "إهانة نبي الإسلام تجدد السؤال: من يكره من؟"، جريدة الشرق الأوسط -١٨ يناير ٢٠٠٦.

٤٥ - كتاب : "حياة محمد "- جورج بوش الجد

٤٦ - كتاب : صدام الحضارات...إعادة صنع النظام العالمي - صامويل هانتنغتون - ترجمة طلعت الشايب

٤٧ – إدريس لكريني – مكافحة "الإرهاب الدولي" بين تحديات المخاطر الجماعية وواقع المقاربات

٤٨ – شتينبرغ- الإرهابيون يعانون من أزمة هوية.. ظاهرة الإرهاب هي ليست ظاهرة إسلامية

٤٩ – الصورة المشوهة للعرب والمسلمين لدى الغربيين – جون اسبوزيتو- الجزيرة- ٢٠٠١/٠٧/٢٥

٥٠ – مصطفي الفقي – رسالة إلى شركاء الحضارة – الحياة – ١١ – ديسمبر ٢٠٠١

٥١ – القس جون هيوبرز – كيف نواجه اليمين المسيحي المتطرف؟ – جريدة "النهار اللبنانية" – الأحد، ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٢

٥٢ – موضة الخوف الجديد من الإسلام وكرهه – فانسان جيسير – عرض عبد الغفور الخطيب – منتدى الحلم العربي على الإنترنت – ١٣ أغسطس ٢٠٠٥

٥٣ – صلاح المختار – الصليبية الجديدة : مسيحية الهوى ؟ أم رأسمالية الهوية؟ – موقع مقالات يومية على الإنترنت – ٢٢ يناير ٢٠٠٧

٥٤ – السيد ولد أباه – البابا والإسلام.. الخلفية التاريخية للخطاب – الشرق الأوسط – ٢١ سبتمبر ٢٠٠٦

٥٥ – المسيحية الصهيونية المسلحة – رءوف مسعد – موقع حركة "كفاية" على الإنترنت – ٢٤ أغسطس ٢٠٠٦

٥٦ – أحمد محسن- صحيفة "الشرق"- ٥ يناير ٢٠٠٧

٥٧ – الأذرع الصهيونية في بيت الرئاسة الأميركية . عبد الوهاب زيتون – مجلة اتحاد الكتاب العرب بدمشق – ٢٠٠٦

٥٨ – تبني إدارة بوش لنبوءة "هرمجدون" يضع حلفاء واشنطن بالمنطقة في مأزق حرج – عمروسلمان ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٦

٥٩ – أسطورة لعزل الإسلام عن التاريخ– شبكة المعلومات – النبأ – السبت – ٣ فبراير٢٠٠٧

٦٠ – حسام تمام – النبوءة .. إسرائيل يجب أن تعيش – إسلام أون لاين – ٢٨ فبراير ٢٠٠٦

٦١ – نظرية "الحرب الاستباقية" بين إدارة البيت الأبيض وقداسة البابا – ٢١ سبتمبر ٢٠٠٦

٦٢ – النبوءة التي تحكم أمريكا الأصولية الإنجيلية والمعركة الكبرى – بشار شريتح – ١١ يناير ٢٠٠٢

٦٣ – الصهيونية المسيحية.. بين رؤى الدين وتوظيف السياسة – سمير مرقس – ١٢ سبتمبر ٢٠٠٦

٦٤ – كتاب : الحرب المقدسة.. الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم– كارين أرمسترونغ

٦٥ – كتاب "حرب صليبية بكل المقاييس" – د. زينب عبد العزيز

٦٦ – كتاب : سياسات الأديان – نبيل عبد الفتاح

٦٧ – المذاهب الإسلامية... حوار أم صراع؟! الجمعة، ٠٢–فبراير–٢٠٠٧

٦٨ – حسن ساتي – خطاب الإسلاميين ومعضلة مفهوم الدولة – الشرق الأوسط– ٢٦ اكتوبر ٢٠٠٦

٦٩ - د. عادل الصفتي - "الحرب الشاملة" في العقيدة الصهيونية - صحيفة الاتحاد الإماراتية - ٢٤ أغسطس ٢٠٠٦

٧٠ - الشرق الأوسط الجديد في التصور الأميركي الصهيوني - عبد الوهاب المسيري - الجزيرة -٢ نوفمبر ٢٠٠٦

٧١ - واشنطن- عماد مكي- إسلام أون لاين.نت -١٧ يوليو٢٠٠٦

٧٢ - التطرف الإسلامي والعدوان على الآخرين - عزيز الحاج - ١٦ أبريل ٢٠٠٦

٧٣ - كيف ينظر "الغرب" للحركة الإسلامية بعد أحداث سبتمبر؟ - الشبكة الإسلامية- لندن - ٣ أكتوبر ٢٠٠٤

٧٤ - مسيرة الصهيونية ذات التوظيف المسيحي في القرن الـ(١٩) في أمريكا وحتى مطلع القرن الـ(٢٠) -

٧٥ - أسطورة لعزل الإسلام عن التاريخ - محمد السماك - "النهار"، بتاريخ ٢٠٠٣،/٣/١٠

٧٦ - د. جيروم شاهين - جريدة النهار (لبنان) - الأحد، ١٣ نيسان «أبريل» ٢٠٠٣

فهـرس الكتـاب



المسيحية الصهيونية
التطرف الإسلامى
والسيناريو الكارثى!!

■ بوصول الرئيس الأمريكي بوش إلى السلطة، وبعد مرور عدة سنوات على دخوله البيت الأبيض بدا للجميع كيف أن هذا الرئيس- عمليّاً- ينتمي إلى ما يعرف بـ (تيار المسيحية الصهيونية) الذي يؤمن بتدمير العالم، وخاصة الشرق المسلم، ونسف المسجد الأقصى، وإقامة الهيكل، وتمهيد الأرض لعودة المسيح، تحقيقاً لنبوءات توراتية كاذبة، لا يؤمن بها سواهم.

وهذا هو الذي جعل أقطاب المسيحية الصهيونية أمثال جورج بوش الجد يطالب في كتابه (حياة محمد) عام ١٨٣١ بـ (تدمير إمبراطورية المسلمين لإقامة إمبراطورية الرب).. وجعل جيري فولويل يعلن (أن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله. وبات روبرتسون ينظر إلى العرب على أنهم) أعداء الله، لأنه يعتبر أن (صراع العرب مع إسرائيل ومعارضتهم لها تحديا لإرادة الله)!!

ولكن ما كان لهذا التيار الشيطاني، الذي ترفضه كنائس كثيرة في الشرق والغرب، لينجح لولا أن قدم إليه المتطرفون الإسلاميون الذخيرة، بهجماتهم الإرهابية في الشرق والغرب، وكأن هناك تحالفا غير مكتوب بين التيارين لتدمير الكون!!

والكتاب محاولة لفهم طبيعة هذا التحالف، وسبل مواجهته، قبل فوات الأوان، الأنظمة العربية والإسلامية والغربية، حتى تلك التي تستغل التطرف الديني الإسلام والمسلمين، دون أن تدرك أنها أيضاً تعمل هنا ضد مصلحتها !!



I.S.B.N. 977-376-302-1



